

كتاب

عوارف المعارف

للمعارف بالله تعالى الامام السهروردي أبو حفص

عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن (عمويه)

الصدیقی القرشي التميمي البكري

الشافعي الملقب بشهاب الدين

نفعنا الله به

(آمين)

(يطلب من)

المكتبة العلمية

بجوار الأزهر الشريف

* (١٣٥٨ هـ) (لصاحبها : عبد القادر علام) (١٩٣٩ م) *

السهروردي ﴿ شهاب الدين ﴾

٥٣٩ - ٦٣٢ (٥)

أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن - صمويه - الصديقي القرشي
التميمي البكري الشافعي الملقب (بشهاب الدين)

ولد بسهرورد ونشأ في حجر عمه أبي النجيب وأخذ عنه التصوف والوعظ
والحديث والفقه

كان شيخاً صالحاً ورعاً كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرج عليه
كثير من الصوفية في المجاهرة والخلوة قرأ الأدب وعمل مجلس الوعظ سنين
وكان شيخ الشيوخ ببغداد

قال ابن النجار كان شيخ وقته في علم الحقيقة وانتهت إليه الرئاسة في تربية
المريدين ودعاء الخلق إلى الله وتسلية طريق العبادة والزهد ، صحب عمه الشيخ
أبا نجيب عبد القاهر وسلك طريق الرياضات والمجاهدات وقرأ الفقه والخلاف
والعربية وسمع الحديث ثم انقطع ولازم الخلوة وداوم الصوم والذكر والعبادة ،
قال ثم تكلم على الناس عند علو سنه وعقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه على دجله
(السبكي) كانت وفاته ببغداد

(١) جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب تصوف مطبعة البهاء حلب ١٣٢٨
(ص ٣١)

(٢) عوارف المعارف تصوف يشتمل على ثلاثة وستين باباً كلها في سير القوم
وأصول سلوكهم وأعمالهم مصر ١٢٩٤ وبهامش احياء علوم الدين لأغزالي

(٥) ابن خلكان ١ - ٤٨٠ طبقات السبكي ٥ - ١٣٤ طبقات الأسدي
ودقة ٤٩ مفتاح السعادة ٢ - ٢١٤ عن معجم سر كيس ص ١٠٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

02278

الحمد لله العظيم شأنه القوى سلطانه الظاهر إحسانه الباهر حجته وبرهانه
 المحتجب بالجلال والمنفرد بالكمال والمتردى بالعظمة في الآباد والآزال لا يصوره
 وهم وخيال ولا يحصره حد ومثال ذي العز الدائم السرمدي والملك القائم
 الديمومي والقدرة الممتنع ادراك كنهها والسطوة المستوعر طريق استيفاء
 وصفها نطقت الكائنات بأنه الصانع المبدع ولاح من صفحات ذرات الوجود
 بأنه الخالق الخترع وسم عقل الانسان بالعجز والنقصان وألزم نصيحات
 الألسن وصف الحصر في حلبة البيان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة
 طائر الفهم وسدت تعززا وجلالا مسالك الوهم وأطرق طمح البصيرة تعظيما
 واجلالا ولم يجد من فرط الهيبة في فضاء الجبروت مجالا فعاد البصر كليلا
 والعقل عليلا ولم ينتهج إلى كنه الكبرياء سبيلا فسبحان من عزت معرفته
 لولا تعريفه وتعذر على العقول تحديده وتكبينه ثم ألبس قلوب الصفوة من
 عباده ملابس العرفان وخصمهم من بين عباده بخصائص الاحسان فصارت
 ضمايرهم من مواهب الأنس مملوءة ومرائي قلوبهم بنور القدس مجلوة فتهيأت
 لقبول الامداد القدسية واستعدت لورود الأنوار العلوية واتخذت من
 الأنفاس العطرية بالأذكار جلالسا وأقامت على الظاهر والباطن من التقوى
 حراسا وأشعلت في ظلم البشرية من اليقين نبراسا واستحققت فوائد الدنيا
 ولذاتها وأنكرت مصايد الهوى وتبعاتها وامتطت غوارب الرغبات والزهوبات
 واستفرشت بعلمها بساط الممكوت وامتدت إلى المعالي أعناقها وطمحت
 إلى اللامع العلوي أحداقها واتخذت من الملأ الأعلى مسامرا ومحاورا ومن
 النور الأعز الأقصى مزاورا ومجاورا أجساد أرضية بقلوب سماوية وأشباح
 فرشية بأرواح عرشية نفوسهم في منازل الخدمة سيارا وأرواحهم في قضاء
 القرب طيارة مذهبهم في العبودية مشهورة وأعلامهم في أقطار الأرض منشورة

يقول الجاهل بهم فقدوا وما فقدوا ولكن سمت أحوالهم فلم يدركوا وعلا مقامهم فلم يملكوا كائنين بالجئان بائنين بقلوبهم عن أوطان الحدائق لأرواحهم حول العرش تطف ولقلوبهم من خزائن البر أسعاف يتنعمون بالخدمة في الدياجر ويتلذذون من وهج الطلب بظلمها واجر تسالوا بالصلوات عن الشهوات وتعوضوا بمحلاوة التلاوة عن اللذات يلوح من صفحات وجوههم بشر الوجدان وينم على مكنون سرائرهم نصارة العرفان لا يزال في كل عصر منهم علماء بالحق داعون للخلق منحوأ بحسن المتابعة رتبة الدعوة وجعلوا للمعتقين قدوة فلا يزال تظهر في الخلق آثارهم وتزهر في الآفاق أنوارهم من اقتدي بهم اهتدى ومن أنكرهم ضل واعتدي فله الحمد على ما هيا للعباد من بركة خواص حضرته من أهل الوداد والصلاة على نبيه ورسوله مجد وآله وأصحابه الأكرمين الأجداد ثم ان ايشاري يلهدى هؤلاء القوم ومحبتى لهم علما بشرف حالهم وصحة طريقتهم المبنية على الكتاب والسنة المتحقق بهما من الله الكريم الفضل والمنة حداني ان ذهب عن هذه العصابة بهذه الصباية وأؤلف أبوابا في الحقائق والآداب معربة عن وجه الصواب فيما اعتمدوه مشعرة بشهادة صريح العلم لهم فيما اعتقدوه حيث كثر المتشبهون واختلفت أحوالهم وتستر بزيمهم المتسترون وفسدت أعمالهم وسبق إلى قلب من لا يعرف أصول سفلهم سوء ظن وكاد لا يسلم من وقعة فيهم وطعن ظنا منه ان حاصلهم راجع إلى مجرد رسم وتخصيصهم طائد إلى مطلق اسم ومما حضرني فيه من النية ان أكثر سواد القوم بالاعتزاء إلى طريقهم والاشارة إلى أحوالهم وقد ورد من أكثر سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم صحة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل المنح عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا والله المعين

(الباب الأول) في منشأ علوم الصوفية (الباب الثاني) في تخصيص الصوفية بمحمن الاستماع (الباب الثالث) في بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة إلى أنموذج منها (الباب الرابع) في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم فيها

(الباب الخامس) في ذكر ماهية التصوف (الباب السادس) في ذكر تسميتهم
 بهذا الاسم (الباب السابع) في ذكر المتصوف والمتشبه (الباب الثامن) في ذكر
 الملامتى وشرح حاله (الباب التاسع) في ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم
 (الباب العاشر) في شرح مرتبة المشيخة (الباب الحادى عشر) في شرح حال
 الخدام ومن يتشبه به (الباب الثانى عشر) في شرح خرقه المشايخ الصوفية
 (الباب الثالث عشر) في فضيلة سكان الربط (الباب الرابع عشر) في مشاهبة أهل
 الربط بأهل الصفة (الباب الخامس عشر) في خصائص أهل الربط فيما يتعاهدونه
 بينهم (الباب السادس عشر) في اختلاف أحوال المشايخ بالسفر والمقام (الباب
 السابع عشر) فيما يحتاج المسافر اليه من الفرائض والنوافل والفضائل (الباب
 الثامن عشر) في القدوم من السفر ودخول الرباط والآداب فيه (الباب التاسع
 عشر) في حال الصوفى المتسبب (الباب العشرون) في حال من يأكل من الفتوح
 (الباب الحادى والعشرون) في شرح حال المتجرد من الصوفية والمتأهل (الباب
 الثانى والعشرون) في القول في السماع قبولا وإيثارا (الباب الثالث والعشرون)
 في القول في السماع ردا وانكارا (الباب الرابع والعشرون) في القول في السماع
 ترفعا واستغناء (الباب الخامس والعشرون) في القول في السماع تأدبا واعتناء
 (الباب السادس والعشرون) في خاصية الأربعينية التي يتعاهدها الصوفية
 (الباب السابع والعشرون) في ذكر فتوح الأربعينية (الباب الثامن والعشرون)
 في كيفية الدخول في الأربعينية (الباب التاسع والعشرون) في ذكر أخلاق الصوفية
 وشرح الخلق (الباب الثلاثون) في ذكر تفاصيل الأخلاق (الباب الحادى
 والثلاثون) في الآداب ومكانه من التصوف (الباب الثانى والثلاثون) في آداب
 الحضرة لأهل القرب (الباب الثالث والثلاثون) في آداب الطهارة ومقدماتها
 (الباب الرابع والثلاثون) في آداب الوضوء وأسراره (الباب الخامس والثلاثون)
 في آداب أهل الخصوص والصوفية فيه (الباب السادس والثلاثون) في فضيلة
 الصلاة وكبر شأنها (الباب السابع والثلاثون) في وصف صلاة أهل القرب (الباب
 الثامن والثلاثون) في ذكر آداب الصلاة وأسرارها (الباب التاسع والثلاثون)

في فضل الصوم وحسن أثره (الباب الاربعون) في أحوال الصوفية في الصوم والافطار (الباب الحادى والاربعون) في آداب الصوم ومهامه (الباب الثانى والاربعون) في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة (الباب الثالث والاربعون) في آداب الاكل (الباب الرابع والاربعون) في ذكر آدابهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه (الباب الخامس والاربعون) في ذكر فضل قيام الليل (الباب السادس والاربعون) في الاسباب المعينة على قيام الليل (الباب السابع والاربعون) في آداب الانتباه من النوم والعمل بالليل (الباب الثامن والاربعون) في تقسيم قيام الليل (الباب التاسع والاربعون) في استقبال النهار والادب فيه (الباب الخسون) في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات (الباب الحادى والخسون) في آداب المريد مع الشيخ (الباب الثانى والخسون) فيما يعتمد عليه الشيخ مع الاصحاب والتلامذة (الباب الثالث والخسون) في حقيقة الصحة وما فيها من الخير والشر (الباب الرابع والخسون) في آداء حقوق الصحة والاخوة في الله تعالى (الباب الخامس والخسون) في آداب الصحة والاخوة (الباب السادس والخسون) في معرفة الانسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك (الباب السابع والخسون) في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها (الباب الثامن والخسون) في شرح الحال والمقام والفرق بينهما (الباب التاسع والخسون) في الاشارة إلى المقامات على الاختصار والايجاز (الباب الستون) في ذكر اشارات المشايخ في المقامات على الترتيب (الباب الحادى والستون) في ذكر الاحوال وشرحها (الباب الثانى والستون) في شرح كلمات من اصطلاح الصوفية مشيرة إلى الاحوال (الباب الثالث والستون) في ذكر شىء من البدايات والنهايات وصحتها * فهذه الابواب تحررت بعون الله تعالى مشتملة على بعض علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وآدابهم وأخلاقهم وغرائب مواجيدهم وحقائق معرفتهم وتوحيدهم ودقيق اشاراتهم ولطيف اصطلاحاتهم فعلومهم كلها أنباء عن وجدان واعتزاء إلى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كله صريح المقال لأنها مواهب ربانية ومنابع حقانية استنزلها صفاء السرائر

وخلوص الضمائر فاستعصمت بكنهها على الإشارة وطفحت على العبارة وتهادتها
الأرواح بدلالة التشام والائتلاف وكرغت حقائقها من بحر الألفاظ وقد
اندرس كثير من دقيق علومهم * كما انطمس كثير من حقائق رسومهم (وقد
قال الجنيد) رحمه الله علمنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ونحن نتكلم في
حواشيه بدا هذا القول منه في وقته مع قرب العهد بعلماء الملف وصالحى
التابعين فكيف بنا مع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم
الدين والله المأمول أن يقابل جهد المقل بحسن القبول والحمد لله رب العالمين
﴿الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد
السهروردي املاء من لفظه في شوال سنة ستين وخمسمائة قال أنبأنا الشريف
نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد الزينبي قال أخبرتنا كريمة بنت احمد بن محمد
المروزية المجاورة بمكة حرسها الله تعالى قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكي
الكشميهني قال أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف القريري قال أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن اسمعيل البخاري قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو أسامة عن بريد عن
أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قومى انى
رأيت الجيش يعينى وانى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه
فأدجلوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ماجئت به ومثل من
عصانى وكذب بما جئت به من الحق (معنى اجتاحتهم أى استأصلهم ومن ذلك
الجامحة التى تفسد الثمار) وقال صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثنى الله به من الهدى
والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء فأنبتت
الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أخذت الماء فنفعت الله تعالى بها
الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة أخرى قيعان لا تمسك ماء ولا
تبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل

من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به * قال الشيخ أعدد الله تعالى لقبول ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصفى القلوب وأزكى النفوس فظهر تفاوت الصفاء واختلاف التزكية فى تفاوت الفائدة والنفع فمن القلوب ما هو بمثابة الأرض الطيبة التى أنبتت الكلاً والعشب الكثير وهذا مثل من انتفع بالعلم فى نفسه واهتدى ونفعه علمه وهداه إلى الطريق التويم من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن القلوب ما هو بمثابة الأخاذات أى الغدران جمع أخاذة وهو المصنع والغدير الذى يجتمع فيه الماء فنفس العلماء الزاهدين من الصوفية والشيوخ تزكت وقلوبهم صفت فاختصت بمزيد الفائدة فصاروا أخاذات * قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كأخاذات لأن قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم (أخبرنا) الشيخ الامام رضى الدين أبو الخير احمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنبأنا أبو سعيد محمد الخليلي قال أنبأنا القاضي أبو سعيد محمد الفرخزادى قال أنبأنا أبو اسحق احمد بن محمد الشعالى قال أنبأنا بن فنجويه قال حدثنا ابن حبان قال حدثنا اسحق بن محمد قال حدثنا أبى قال حدثنا ابراهيم بن عيسى قال حدثنا على بن على قال حدثنا أبو حمزة الثمالى قال حدثنى عبد الله بن الحسن قال حين نزلت هذه الآية وتعيها أذن واعية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى سألت الله سبحانه وتعالى أن يجعلها أذنك يا على قال على فما نسيت شيئاً بعد وما كان لى أن أنسى * قال أبو بكر الواسطى آذان وعت عن الله تعالى أمراره وقال أيضا واعية فى معادنها ليس فيها غير ما شهدته شىء فهى الخالية عما سواه فما اضطراب الطبائع إلا ضرب من الجهل فقلوب الصوفية واعية لأنهم زهدوا فى الدنيا بعد أن أحكموا أساس التقوى فبالثقة قوى زكت نفوسهم وبإزهد صفت قلوبهم فلما عدموا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد انفتحت مسام بواطنهم وسمعت آذان قلوبهم وأطأنهم على ذلك زهدهم فى الدنيا فعلماء التفسير وأئمة الحديث وفقهاء الاسلام أحاطوا علما بالكتاب والسنة واستنبطوا منهما الاحكام وردوا الحوادث المتجددة إلى أصول من النصوص وحى الله بهم الدين وعرف

علماء التفسير وجه التفسير وعلم التأويل ومذاهب العرب في اللغة وغرائب النحو والتصريف وأصول القصص واختلاف وجوه القراءة وصنفوا في ذلك الكتب فالتمع بطريقتهم علوم القرآن على الامة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان وتقرّدوا بمعرفة الرواة وأساعى الرجال وحكموا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم ويتميز المعوج من المستقيم فيتحفظ بطريقتهم طريق الرواية والسند حفظاً للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفرّيع في المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالعلل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرّع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرّع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه إلى شيء من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة إلى غير ذلك فتمهدت الشريعة وتأيّدت واستقام الدين الخفيف وتفرّع وتواصل الهدي النبوي المصطفوي فأنبئت أراضى قلوب العلماء الكلا والعشب بما قبلت من مياه الحياة من الهدي والعلم قال الله تعالى (أنزل من السماء ماء فمالت أودية بقدرها) قال ابن عباس رضى الله عنهما الماء العلم والأودية القلوب (قال أبو بكر الواسطي) رضى الله عنه خلق الله تعالى درة صافية فلاحظها بعين الجلال فذاابت حياء منه فسالت فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فصفاء القلوب من وصول ذلك الماء إليها * وقال ابن عطاء أنزل من السماء ماء هذا مثل ضربه الله تعالى للعبد وذلك إذا سال السيل في الأودية لا يبتى في الأودية نجاسة إلا كفّسها وذهب بها كذلك إذا سال النور الذي قسمه الله تعالى للعبد في نفسه لا يبتى فيه غفلة ولا ظلمة أنزل من السماء ماء يعنى قسمة النور فسالت أودية بقدرها يعنى في القلوب الانوار على ما قسم الله تعالى لها في الأزل (فأما الزبد فيذهب جفاء) فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جنوة (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب

الصوفية من العلماء الزاهدين في الدنيا المتمسكين بحقائق التقوى بقدرها فن كان في باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المناصب والرفعة سال وادى قلبه بقدره فأخذ من العلم طرفاً صالحاً ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادى قلبه فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت أخاذات * قيل للحسن البصري هكذا قال الفقهاء فقال ودل رأيت فتبها قط انما الفقيه الزاهد في الدنيا فالصوفية أخذوا حظاً من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) فصار الانذار مستفاداً من الفقه والانذار احياء المنذر بماء العلم والاحياء بالعلم رتبة الفقه في الدين فصار الفقه في الدين من أكمل المراتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا المتقى الذي يبلغ رتبة الانذار بعلمه فورد العلم والهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهراً وباطناً فظهر من ارتواء ظاهره الدين والدين هو الاتقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شيء أتضع فهو دون فالدين أن يضع الانسان نفسه لربه قل الله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فبالتفرق في الدين يستولى الذبول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر بتزيين الجوارح بالاتقياد في النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى بحراً موجاً ثم وصل من بحر قلبه إلى النفس فظهر على نفسه الشريفة نضارة العلم وربه فتبدلت نعوت النفس وأخلاقتها ثم وصل إلى الجوارح جدول فصارت ريانة ناضرة فلما استتمت نضارة وامتلأ ربا بعته الله تعالى إلى الخلق فأقبل على الأمة بقلب موج بمياه العلوم واستقبل جداول القهوم وجرى من بحره في كل جدول قسط ونصيب وذلك

والموهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والأرض بقوله (أثبتنا طوعا أو
كرها قالنا أتينا طائعين) نطق من الأرض وأجاب موضع الكعبة ومن السماء
ما يحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أصل طينة رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مرة الأرض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب
من الأرض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيث
الأرض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في التكوين والكائنات
تبع له وإلى هذا الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وأدم بين الماء
والطين وفي رواية بين الروح والجسد وقيل لذلك سمي أميا لأن مكة أم القرى
وذرت أم الخليفة وتربة الشخص مدفنه فكان يقتضي أن يكون مدفنه بمكة
حيث كانت تربته منها ولكن قيل الماء لما تموج رعى الزبد إلى النواحي ف وقعت
جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يحاذي تربته بالمدينة وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينا إلى مكة وتربته بالمدينة والإشارة فيما ذكرناه
من ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما قال الله تعالى (وإذا أخذ ربك من
بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) ورد
في الحديث أن الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كهيئة الذر استخرج
الذر من مسام شعر آدم فخرج الذر كخروج العرق وقيل كان المسح من بعض الملائكة
فأضاف الفعل إلى المسبب وقيل معنى القول بأنه مسح أى أحصى كما تحصى
الأرض بالمساحة وكان ذلك ببطن نهران واد بجانب عرفة بين مكة والطائف فلما
خاطب الذر وأجابوا ببلى كتب العهد في ورق أبيض وأشهد عليه الملائكة وألقم
الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الجببة من الأرض
والعلم والهدى فيه معجوان فبعث بالعلم والهدى مودونا له وموهوبا وقيل لما
بعث الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فأبت حتى بعث الله تعالى
عزرائيل فقبض قبضة من الأرض وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه فصار
بعض الأرض بين قدميه وبعض الأرض بين موضع أقدامه فخلقت النفس مما
مس قدم إبليس فصارت مأوى الشجر وبعضها لم يصل إليه قدم إبليس فمن تلك

التربة أصل الانبياء والاولياء وكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم إبليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار منزوع الجهل موفرا حظه من العلم فبعثه الله تعالى بالهدى والعلم وانتقل من قلبه إلى القلوب ومن نفسه إلى النفوس ف وقعت المناسبة في أضل طهارة الطينة ووقع التأليف بالتعارف الاول فكل من كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان أوفر حظا من قبول ماجاء به فكانت قلوب الصوفية أقرب مناسبة فأخذت من العلم حظا وافرا وصارت بواطنهم أخاذات فعملوا وعملوا كالأخاذ الذي يسقى منه ويزرع منه وجمعوا بين فائدة علم الدراسة وعلم الوراثة بأحكام أساس التقوي ولما تزكت النفوس انجلبت سرايا قلوبهم بما صقلها من التقوي فأنجلي فيها صور الاشياء على هيئتها وماهيتها فبانت الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا في الدنيا انصبت إلي بواطنهم أقسام الدلوم انصبابا وانضاف إلى علم الدراسة علم الوراثة (واعلم) ان كل حال شريف نغزده إلى الصوفية في هذا الكتاب هو حال المقرب والصوفي هو المقرب وليس في القرآن اسم الصوفي واسم الصوفي ترك ووضع للمقرب على ما سنشرح ذلك في بابه ولا يعرف في طرفي بلاد الاسلام شرقا وغربا هذا الاسم لأهل القرب وانما يعرف للمتوسمين وكم من الرجال المقربين في بلاد المغرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يشمون صوفية لأنهم لا يتزبون بزي الصوفية ولا مشاحة في الالفاظ فيعلم انا نغني بالصوفية المقربين فشايع الصوفية الذين أسماؤهم في الطبقات وغير ذلك من الكتب كلهم كانوا في طريق المقربين وعلومهم علوم أحوال المقربين ومن تطلع إلى مقام المقربين من جملة الأبرار فهو متصوف مالم يتحقق بحالهم فاذا تحقق بحالهم صار صوفيا ومن عداها ممن تميز بزي ونسب اليهم فهو مشتبه وفوق كل ذي علم عليم

﴿الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي أملاء قال أنا أبو منصور المقرئ قال أنا الامام الحافظ أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا

أبو علي اللؤلؤي قال أنا أبو داود السجستاني قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة قال حدثني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب عن عبد الرحمن ابن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثاً خفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه وليس بفقيه أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم * يقول بعضهم علامة الخير في السماع أن يسمع العبد بغناء أوصافه ونعوته ويسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم أهلاً للسمع لفتح آذانهم للاستماع فن تملكته الوسواس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علموا أن كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده ومخاطباته إليهم رأوا كل آية من كلامه تعالى بحراً من أبحر العلم بما تتضمن من ظاهر العلم وباطنه وجليه وخفيه وباباً من أبواب الجنة باعتبار ما تنبئ به أو تدعو إليه من العمل ورأوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى من عند الله تعالى يتعين الاستماع إليه فكان من أهم ما عندهم الاستعداد للاستماع ورأوا أن حسن الاستماع فرع باب الملكوت واستنزال بركة الرغبات والرهبات ورأوا أن الوسواس أذخنة نائرة من نار النفس الأمارة بالسوء وقنام يترامى من ثقت الشيطان وأن الحظوظ العاجلة والأقسام الدنيوية التي هي مناط الهوى ومنازل الردي بمثابة الحطب الذي تزداد النار به تأججا ويزداد القلب به تخرجاً فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار النفس أخطأها وفترت نيرانها وقل دحانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهيئوا مواردها بصفاء الفهم فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (قال الشبلي) رحمه الله موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفه عين قال يحيى بن معاذ الرازي القلب قلبان قلب قد احتشى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا

لم يدرك صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم بين بركة تلك الافهام
الثابتة وشؤم هذه الاشغال الفانية التي أقعدتك عن الطاعة وقال بعضهم لمن كان
له قلب سليم من الاغراض والأمراض قال الحسين بن منصور لمن كان له قلب
لا يخطر فيه إلا شهود الرب وأنشد

أنعى إليك قلوباً طالما هطلت سحائب الوحي فيها أبجر الحكم
(وقال) ابن عطاء قلب لاحظ الحق بعين التعظيم فذاب له وانقطع إليه عما
سواه وقال الواسطي أى لذ كرى لقوم مخصوصين لالسائر الناس لمن كان له
قلب أى فى الأزل وهم الذين قال الله تعالى فيهم (أو من كان ميتاً فأحييناه) وقال
أيضاً المشاهدة تذلل والحجة تفهم لأن الله تعالى إذا تجلى لشيء خضع له وخضع
وهذا الذى قاله الواسطي صحيح فى حق أقوام وهذه الآية محكم بخلاف هذا
لأقوام آخرين وهم أرباب التمكين يجمع لهم بين المشاهدة والفهم فوضع الفهم
محل المحادثة والمكاملة وهو سمع القلب وموضع المشاهدة بصر القلب وللسمع
حكمة وفائدة وللبر حكمة وفائدة فمن هو فى سكر الحال يغيب سمعه فى بصره
ومن هو فى حال الصحو والتمكين لا يغيب سمعه فى بصره لتملكه ناصية الحال
وفهم بالوعاء الوجودى المستعد لفهم المقال لأن الفهم مورد الإلهام والسمع
والإلهام والسمع يستدعيان وعاء وجودياً وهذا الوجود موهوب منشأ انشاء
ثانياً للتمكن فى مقام الصحو وهو غير الوجود الذى يتلاشى عند لمعان نور
المشاهدة لمن جاز على عمر الفناء إلى مقام البقاء * وقال ابن سمعون إن فى ذلك
لذ كرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهى ثلاثة أشياء
فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف على شهوته وجد
ثلث الأدب ومن افتقر إلى مالم يجد من الأدب بعد الاشتغال بما وجد فقد
وجد ثلثي الأدب والثالث امتلاء القلب بالذى بدأ بالفضل عند الوفاء تفضلاً فقد
وجد كل الأدب * وقال محمد بن على الباقى موت أقلب من شهوات النفس
فكلما رفض شهوة نال من الحياة بقسطها فالجماع للأحياء لئلا يموت قال الله
تعالى إنك لا تسمع الموتى * قال سهل بن عبد الله القلب وقيق تؤثر فيه الخطرات

المذمومة وأثر القليل عليه كثير قال الله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) فالقلب عمال لا يفتر والنفس يقظانة لا تترقد فان كان العبد مستمعا إلي الله تعالى وإلا فهو مستمع إلى الشيطان والنفس فكل شيء سد باب الاستماع فمن حركة النفس وفي حركتها يطرق الشيطان (وقد ورد) لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات * وقال الحسين بصائر المبصرين ومعارف العارفين ونور العلماء الربانيين وطرق السابقين الناجين والأزلي والأبد وما بينهما من الحدث لمن كان له قلب أو ألقى السمع * وقال ابن عطاء هو القلب الذي يلاحظ الحق ويشاهده ولا يغيب عنه خطرة ولا فترة فيسمع به بل يسمع منه ويشهد به بل يشهده فاذا لاحظ القلب الحق بعين الجلال فزع وارتعد وإذا طالعه بعين الجمال هدا واستقر وقال بعضهم لمن كان له قلب بصير يقوى على التجريد مع الله تعالى والتفريد له حتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس فلا يشتغل بغيره ولا يركن إلى سواه فقلب الصوفي مجرد عن الآكوان ألقى سمعه وشهد بصره فسمع المسموعات وأبصر المبصرات وشاهد المشهودات لتخلصه إلى الله تعالى واجتماعه بين يدي الله والاشياء كلها عند الله وهو عنده فسمع وشاهد فأبصر وسمع جملها ولم يسمع ويشاهد تفاصيلها لان الجمل تدرك لسعة عين الشهود والتفاصيل لا تدرك لضيق وطء الوجود والله تعالى هو العالم بالجل والتفاصيل وقد مثل بعض الحكماء تقاربت الناس في الاستماع وقال ان الباذر خرج ببذرة فلا منه كفه فوقع منه شيء على ظهر الطريق فلم يلبث أن انحط عليه الطير فاخطفه ووقع منه شيء على الصفوان وهو الحجر الاملس عليه تراب يسير وندى قليل فنبت حتى إذا وصلت عروقه إلي الصفوا لم تجد مساعا تنفذ فيه فيبس ووقع منه شيء في أرض طيبة فيها شوك نابت فنبت فلما ارتفع خنقه الشوك فأفسده واختلط به ووقع منه شيء على أرض طيبة ليست على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك فنبت ونما وصلاح فقل الباذر مثل الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ماوقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد أن يسمعه فإي يلبث الشيطان أن

يختطفه من قلبه فينساها ومثل الذي وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الكلام فيستحسنه ثم تفضى الكلمة إلى قلب ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ومثل الذي وقع في أرض طيبة فيها شوك مثل الرجل يسمع الكلام وهو ينوي أن يعمل به فإذا اعترضت له الشهوات قيدته عن النهوض بالعمل فترك ما نوي عمله لغلبة الشهوة كالزراع يختنق بالشوك ومثل الذي وقع في أرض طيبة مثل المستمع الذي ينوي عمله فيفهمه ويعمل به ويجانب هواه وهذا الذي جانب الهوى واتهمج سبيل الهدى هو الصوفى لأن للهوى حلاوة والنفس إذ تشربت حلاوة الهوى فهي تتركز إليه وتستلذه واستلذاذ الهوى هو الذي يحنق النبت كالشوك وقلب الصوفى نازله حلاوة الحب الصافي والحب الصافي تعلق الروح بالحضرة الالهية ومن قوة انجذاب الروح إلى الحضرة الالهية بداعية الحب تستمتع القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الالهية تغلب حلاوة الهوى لأن حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار لكونها لا ترتقى عن حد النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء لأنها متأصلة في الروح فرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة في أرض النفس فإذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويفديها بكليته ويقول

أشتم منك نسيما لست أعرفه أظن لمياء جرت فيك ارادتا

فتعمه الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل وببصر الكل بالكل ويقولون

إن تأملتكم فكلى عيون أو تذكرتكم فكلى قلوب

قال الله تعالى فبشر عبادى الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب * قال بعضهم اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر المؤمنين والجزء الذى في سائر المؤمنين احد وعشرون سهما فسمهم يتساوى المؤمنون كلهم فيه وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعشرون جزءا يتفاضلون فيها على

مقادير حقائق إيمانهم * قبل في هذه الآية اظهار فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأحسن ما يأتى به لانه لما وقعت له محبة التمكن ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الانوار فى الاحوال كلها وكان معه أحسن الخطاب وله السبق فى جميع المقامات ألا تراه صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يعنى الآخرون وجودا السابقون فى الخطاب الاول فى الفضل فى عمل القدس وذل تعالى يأياها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاءكم لما يحبيكم * قال الجنيد تنسموا روح مادعائهم إليه فأسرعوا إلى محو العلائق المشغلة وهجموا بالنفوس على معانقة الحذر وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله فى الماملة وأحسنوا الادب فيما توجهوا إليه وهانت عليهم المصائب وعرفوا قدر ما يطلبون وسجنوا همهم عن التفلت إلى مذكور سوى وليهم خفيوا حياة الأبد بالحى الذى لم يزل ولا يزال (وقال الواسطى) رحمه الله تولى حياتها تصفيتها عن كل معلول لفظا وفعلًا وقال بعضهم استجبوا لله بسرائرهم وللرسول بظواهرهم خفية النفوس بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة القلوب بمشاهدة الغيوب وهو الحياء من الله تعالى برؤية التقصير (وقال ابن عطاء) فى هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه أولها اجابة التوحيد والثانى اجابة التحقيق والثالث اجابة التسليم والرابع اجابة التقريب فالاستجابة على قدر السماع والسمع من حيث التفهم والذهن على قدر المعرفة بقدر الكلام والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالمتكلم ووجوه الفهم لا تنحصر لان وجوه الكلام لا تنحصر قال الله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي) فالله تعالى فى كل كلمة من القرآن كلمات التى ينفد البحر دون نقادها فكل الكلام كلمة نظرا إلى ذات التوحيد وكل كلمة كلمات نظرا لسعة العلم الازلي (حدثنا) شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنبأنا الرئيس أبو على بن نهان قال أنا الحسن بن شاذان قال أنا دعلج بن أحمد قال أنا أبو الحسن بن عبد العزيز البغوى قال أنا أبو عبيد بن القاسم بن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما نزل من القرآن

آية إلا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع قال فقلت يا أبا سعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به قال أبو عبيد أحسب أن قول الحسن هذا إنما ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود قال أبو عبيد حدثني حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال ما من حرف أو آية إلا وقد عمل بها قوم أولها قوم سيعملون بها فالمطلع المصعد يصعد إليه من معرفة علمه فيكون المطلع الفهم بفتح الله تعالى على كل قلب بما يرزق من النور واختلف الناس في معنى الظهر والبطن قال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر صورة القصة مما أخبر الله تعالى عن غضبه على قوم وعقابه، إياهم فظاهر ذلك أخبار عنهم وباطنه عظة وتنبية لمن يقرأ ويسمع من الأمة وقيل ظاهره تنزيه الذي يجب الإيمان به وباطنه وجوب العمل به وقيل ظهره تلاوته كما أنزل قال الله تعالى (ورتل القرآن ترتيلاً) وباطنه التدبير والتفكير فيه قال الله تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) وقيل قوله لكل حرف حد أي في التلاوة لا يجاوز المصحف الذي هو الامام وفي التفسير لا يجاوز المسموع المنقول وفرق بين التفسير والتأويل فالتفسير علم نزول الآية وشأنها وقصتها والاسباب التي نزلت فيها وهذا محظور على الناس كافة القول فيه لا بالسمع والآخر وأما التأويل فصرف الآية إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه يوافق الكتاب والسنة فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول على ما ذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى (قال أبو الدرداء) لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما أعجب قول عبد الله ابن مسعود ما من آية إلا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام محرض لكل طالب صاحب همة أن يصنى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسرارها من قلبه فللصوفي بكمال الزهد في الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة في التلاوة مطلع جديد وفهم عتيق وله بكل فهم عمل جديد ففهمهم يدعو إلى العمل وعملهم يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر في معاني الخطاب فن الفهم علم ومن العلم عمل والعلم يتناوبان فيه وهذا العمل

آ نفا انما هو عمل القلوب وعمل القلوب غير عمل القلوب وأعمال القلوب للقلوب
وصداقتها مشاكلة للعاوم لأنها نيات وطويات وتعلقات روحية وتأديت قلبية
ومسامرات سرية وكما أنوا بعمل من هذه الأعمال رفع لهم علم من العلم واضلوعوا
على مطلع من فهم الآية جديدا ويحتاج سرى أن يكون المطلع ليس بالوقوف
بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر في الآية ولكن المطلع أن يطلع عند
كل آية على شهود المتكلم بها لأنها مستودع وصف من أوصافه وندت من نعوتها
افتتجد له التجليات بتلاوة الآيات وسماها ويصير له مرآة منبئة عن عظيم الجلال
ولقد نقل عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال لقد يحلى الله تعالى لعباده
في كلامه ولكن لا يبدرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحد حد
الكلام والمطلع الترقى عن حد الكلام إلى شهود المتكلم * وقد نقل عن جعفر
الصادق أيضا أنه خر مغشيا عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك فقال ما زلت أردد
الآية حتى سمعتها من المتكلم بها فالصوفي لما لاح له نور ناصية التوحيد وألقى
سمعه عند سماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخاصص عما سوى الله تعالى صار بين يدي
الله حاضرا شهيدا يرى لسانه أو لسان غيره في التلاوة كشجرة موسى عليه السلام
حيث أسمع الله منها خطابه إياه بأني أنا الله فإذا كان سماعه من الله تعالى واستماعه
إلى الله صار سمعه بصره وبصره سمعه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد آخره أوله
وأوله آخره ومعنى ذلك أن الله تعالى خاطب الذر بقوله ألسنت بر بكم فسمعت
النداء على غاية الصفاء ثم لم تزل الذرات تنقأ في الأصلاب وتنتقل إلى الأرحام
قال الله تعالى (الذى يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) يهتدى تنقأ ذراتك في
أصلاب أهل المجدود من آبائك الأنبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت بين
أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبالعالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم
ظلمتها بالتقلب في الأطوار فإذا أراد الله تعالى بالعبد حسن الاستماع بأن يصيره
صوفيا صافيا لا يزال يرقى في رتب التزكية والتحلية حتى يخاضع من مضيق عالم
الحكمة إلى فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافذة سجع الحكمة فيصير سماعه
ألسنت بر بكم كشفا وعيانا وتوحيده وغرفانه تبياناً وبرهانا وتندرج له ظلم الأطوار

في لوامع الأنوار * قال بعضهم أنا أذكر خطاب ألت بر بكم اشارة منه إلى هذا الحال فاذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرمدًا وشهوده مؤبداً وسماعه متواليا متجددا يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السماع * قال سفيان ابن عيينة أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت إلى الجوانب والاقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعى قال الله تعالى لنبيه عليه السلام (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) وقال (ولا تحرك به لسانك لتعجل به) هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قبل معناه لا تعلمه على الصحابة حتى تتدبر معانيه حتى تكون أنت أول من يخلص بغرائب وعجائبه وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبرائيل عليه السلام وأوحى إليه لا يفتر من قراءة القرآن مخافة الانقلاط والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك أى لا تعجل بقراءته قبل أن يفرغ جبرائيل من إلقائه إليك وقد تكون مطالعة العلوم وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى السماع ويحتاج المطالع للعلوم والأخبار وسير أهل الصلاح وحكاياتهم وأنواع الحكم والأمثال التي فيها نجاة من عذاب الآخرة أن يكون في ذلك كله متأدبا بآداب حسن الاستماع لأنه نوع من ذلك وكما ان القلب استعد بحسن الاستماع بالزهادة والتقوى حتى أخذ من كل ماسمعه أحسنه فيكون آخذًا بالمطالعة من كل شيء أحسنه ومن الأدب في المطالعة ان العبد إذا أراد أن يطالع شيئًا من الحديث والعلم يعلم انه قد تكون مطالعة ذلك بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل فتستروح بالمطالعة كما تستروح بمجالسة الناس ومكالمتهم فليفتقد المتفطن نفسه في ذلك ولا يستحلى مطالعة الكتب إلى حد يأخذ ذلك من وقته ويراعى الافراط فيه فاذا أراد مطالعة كتاب أو شيء من العلم لا يبادر إليه إلا بعد التثبت والانابة والرجوع إلى الله تعالى وطلب التأييد من رحمة الله تعالى فيه فانه قد يرزق بالمطالعة ما يكون من مزيد حاله ولو قدم الاستخارة لذلك كان حسنا فان الله تعالى يفتح عليه باب

الفهم والتفهم موهبة من الله زيادة على ما يتبين من صورة العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن وهو الفهم والله تعالى نبه على شرف الفهم بقوله (فقهمنها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) أشار إلى الفهم بمزيد اختصاص وتمييز عن الحكم والعلم قال الله تعالى (إن الله يسمع من يشاء) فإذا كان المسمع هو الله تعالى يسمع تارة بواسطة اللسان وتارة بما يرزق بمطالعة الكتب من التبيان فصار ما يفتح الله تعالى بمطالعة الكتب على معنى ما يرزق من المسموع ببركة حسن الاستماع ليتفقد العبد حاله في ذلك ويتعلم علمه وأدبه فانه باب كبير من أبواب الخير وعمله صالح من أعمال المشايخ والصوفية والعلماء الزاهدين المتبتلين لاستفتاح أبواب الرحمة والمزيد من كل شيء ينفع سلوك الآخرة

﴿الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والاشارة إلى أنموذج منها﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب الشهروردي رحمه الله قال أنبأنا أبو عبد الرحمن الصوفي قال أنا عبد الرحمن بن محمد قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا يقية عن الاحوص بن حكيم عن أبيه قال سألت رجل النبي عليه السلام عن الشر فقال لا تسألوني عن الشر وسلوني عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء فالعلماء أدلاء الامة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية ونقباء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله تعالى في خلقه وأطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفية وحملة عظيم الامانة فهم أحق الخلق بحجةائق التقوي وأحوج العباد إلى الزهد في الدنيا لانهم يحتاجون إليها لنفسمهم ولزهرهم ففسادهم فساد متعدد وصلاتهم صلاح متعدد * قال سفيان بن عيينة أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم وأعلم الناس من عمل بما يعلم وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى وهذا قول صحيح يحكم بأن العالم إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم فلا يغرك تشدقه واستطالته وحذاقته وقوته في المناظرة والمجادلة فانه جاهل وليس بعالم إلا أن يتوب الله عليه ببركة العلم فان العلم في الاسلام لا يضيع أهله ويرجى

عود العالم ببركة العلم والعلم فريضة وفضيلة فالفريضة مالا بد للانسان من معرفته-
ليقوم بواجب حق الدين والفضيلة مازاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة في النفس-
موافقة للكتاب والسنة وكل علم لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما
أو معين على فهمهما أو مستند إليهما كائناً ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزداد
الانسان به هو انا ورذيلة في الدنيا والآخرة فالعلم الذي هو فريضة لا يسمع الانسان-
جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم
المستملى قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال
أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصفهاني قال أنا أبو سعيد بن الاعرابي قال حدثنا
جعفر بن طاهر العسكري قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو حاتم عن
أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم اطلبوا العلم ولو بالصين
فان طلب العلم فريضة على كل مسلم * واختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة-
قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الاعمال
لأن الاخلاص مأمور به كما ان العمل مأمور به قال الله تعالى (وما أمروا إلا
ليعبدوا الله مخلصين) فالاخلاص مأمور به وخذع النفس وغرورها وفسائسها
وشهواتها الخفية تخرب مباني الاخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضاً حيث
كان الاخلاص فرضاً وما لا يصل العبد إلى الفرض إلا به صار فرضاً وقال بعضهم
معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأن الخواطر هي أصل الفعل ومبدؤه ومنشؤه-
وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل إلا بصحتها
فصار علم ذلك فرضاً حتى يصح الفعل من العبد لله وقال بعضهم هو طلب علم
الوقت وقال سهل بن عبد الله هو طلب علم الحال يعني حكم حاله الذي بينه وبين
الله تعالى في دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال
فريضة وقد ورد طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث
انه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهذا العلم
هو الذي يكتسب بالصحبة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين
الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويؤيدهم بطريقهم ويرشد

بهم فهم وارث علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملاً يحل ما لله عليه في ذلك فلا يجوز له أن يعمل برأيه إذ هو جاهل فيما له وعليه في ذلك فيراجع حالاً يعلمه عنه ليحبيه على بصيرة ولا يعمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض فمن قائل يقول طريقه النظر والاستدلال ومن قائل يقول أن طريقه النقل وقال بعضهم إذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والانقياد في الاسلام ولا يحكيك في صدره شيء فهو سالم فإن حاك في صدره شيء أو توسوس بشيء يقدح في العقيدة أو ابتلى بشبهة لا تؤمن فائتلتها أن تمجره إلى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه ويراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب وقال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله هو علم الذرائع الخمس التي بنى عليها الاسلام لأنها افترضت على المسلمين وإذا كان عملها فرضاً صار علم العمل بها فرضاً وذكر أن علم التوحيد داخل في ذلك لأن أولها الشهادتان والاخلاص داخل في ذلك لأن ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل في صحة الاسلام وحيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فريضة على كل مسلم يقتضى أن لا يسمع مسلماً جاهلاً بكل ما تقدم من الاقاويل أكثرها ما يسمع المسلم جاهلاً لأنه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة كما ترى وأكثر المسلمين على الجهل بهذه الاشياء ولو كانت هذه الاشياء فرضت عليهم لعجز عنها أكثر الخلق إلا ما شاء الله وميلى في هذه الاقاويل إلى قول الشيخ أبي طالب أكثر وإلى قول من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول فيه وهذا لعمرى فرض على المسلم علمه وهكذا الذي قاله الشيخ أبو طالب وعندي في ذلك حد جامع لطلب العلم المفترض والله أعلم (فأقول) العلم الذي طلبه فريضة على كل مسلم علم الأمر والنهي والمأمور ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه والمنهى ما يعاقب على فعله ويثاب على تركه

والمأموريات والمنهيات منها ما هو مستمر لازم للعبد بحكم الاسلام ومنها ما يتوجه الامر فيه والنهي عنه عند وجود الحادثة فها هو لازم مستمر لزومه متوجه بحكم الاسلام علمه به واجب من ضرورة الاسلام وما يتجدد بالحوادث ويتوجه الامر والنهي فيه فعلمه عند تجدده فرض لا يسع مسلما على الاطلاق أن يجهله وهذا الحمد أعم من الوجوه التي سبقت والله أعلم * ثم ان المشايخ من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدين في الدنيا شمروا عن ساق الجد في طلب العلم المفترض حتى عرفوه وأقاموا الامر والنهي وخرجوا من عهددة ذلك بحسن توفيق الله تعالى فلما استقاموا في ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى فاستقم كما أمرت ومن تاب معك فتح الله عليهم أبواب العلوم التي سبق ذكرها قال بعضهم من يطبق مثل هذه الخطاب بالاستقامة إلا من أيد من المشاهدات القوية والانوار البينة والآثار الصادقة بالتثبيت ببرهان عظيم كما قال تعالى ولولا أن ثبتناك ثم حفظ في وقت المشاهدة ومشافه الخطاب وهو المزين بتمام القرب والخطاب على بساط الانس مجد صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك خوطب بقوله فاستقم كما أمرت ولولا هذه المقامات ما أطاق الاستقامة التي أمر بها * قيل لابي حفص أى الاعمال أفضل قال الاستقامة لان النبي صلى الله عليه وسلم يقول استقيموا ولن تحصوا وقال جعفر الصادق في قوله تعالى فاستقم كما أمرت أى افتقر إلى الله بصحة العزم ورأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال قات يا رسول الله روى عنك انك قلت شيبتنى سورة هود وأخواتها فقال نعم قل فقلت له ما الذى شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب وطول بمحقق الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون منجهم الله تعالى من ذلك بتسقط ونصيب ثم ألهمهم طلب النهوض بواجب حق الاستقامة ورأوا الاستقامة أفضل مطلوب وأشرف مأمور * قال أبو علي الجوزجاني كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة في طلب

الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة وهذا الذى ذكره أصل كبير فى الباب
وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلب وذلك ان المجتهدين والمتعبدين
سمعوا بسير الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات
فأبدا نفوسهم لا تزال تتطلع إلى شىء من ذلك ويحبون أن يرزقوا شيئاً من
ذلك ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متبهما لنفسه فى صحة عمله حيث لم يكشف
بشىء من ذلك ولو علموا سر ذلك لكان عليهم الأمر فيه فيعلم ان الله سبحانه
وتعالى قد يفتح على بعض المجتهدين الصادقين من ذلك باباً والحكمة فيه أن يزداد
بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد فى الدنيا
والخروج من دواعى الهوى وقد يكون بعض عباده يكشف بصرف اليقين
ويرفع عن قلبه الحجاب ومن كوشف بصرف اليقين استغنى بذلك عن رؤية
خوارق العادات لأن المراد منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين فلو كوشف
هذا المرزوق صرف اليقين بشىء من ذلك ما ازداد يقيناً فلا تقتضى الحكمة
كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع لاستغنائه وتقتضى الحكمة كشف
ذلك للآخر لموضع حاجته فكان هذا الثانى يكون أتم استعداداً وأهلية من
الأول حيث رزق حاصل ذلك وهو صرف اليقين بغير واسطة من رؤية قدرة
فان فيه آفة وهو العجب فأغنى عن رؤية شىء من ذلك فسبيل الصادق مطالبة
النفس بالاستقامة فهى كل الكرامة ثم إذا وقع فى طريقه شىء من ذلك جاز
وحسن وإن لم يقع فلا يبالي ولا ينقص بذلك وانما ينقص بالاخلال بواجب
حق الاستقامة فليعلم هذا لأنه أصل كبير للطالبيين فالعلماء الزاهدون ومشايخ
الصوفية والمقربون حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا سائر
العلوم التى أشار إليها المتقدمون كما ذكرنا وزعموا أنها فرض فمن ذلك علم الحال
وعلم القيام وعلم الخواطر وسنشرح علم الخواطر وتفصيلها فى باب إن شاء الله
تعالى وعلم اليقين وعلم الاخلاص وعلم النفس ومعرفتها ومعرفه أخلاقها وعلم
النفس ومعرفتها من أعز علوم القوم وأقوم الناس بطريق المقرين والصوفية
أقومهم بمعرفة النفس وعلم معرفة أقسام الدنيا ووجود دقائق الهوى وخفائها

شهوات النفس وشهرها وشهرها وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على
الضرورة قولاً وفعلاً ولبساً وخلعاً وأكلًا ونوماً ومعرفة حقائق التوبة وعلم خفي
الذنوب ومعرفة سيئات هي حسنات الإبرار ومطالبة النفس بترك مالا يعنى
ومطالبة الباطن بمحصر خواطر المعصية ثم بمحصر خواطر الفضول ثم علم المراقبة
وعلم ما يقدح في المراقبة وعلم المحاسبة والرقاية وعلم حقائق التوكل وذنوب
المتوكل في توكله وما يقدح في التوكل ومالا يقدح والفرق بين التوكل الواجب
بحكم الإيمان وبين التوكل الخاص المختص بأهل العرفان وعلم الرضا وذنوب مقام
الرضا وعلم الزهد وتحديدته بما يلزم من ضرورته ومالا يقدح في حقيقة معرفته
الزهد في الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد في الزهد وعلم الانابة والالتجاء
ومعرفة أوقات الداء ومعرفة وقت السكوت عن الدماء وعلم المحبة والفرق بين
المحبة العامة المفسرة بامتثال الأمر والمحبة الخاصة وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا
دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة كما أنكروا الرضا وقالوا ليس إلا الصبر وانتقام
المحبة الخاصة إلى محبة الذات وإلى محبة الصفات والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح
ومحبة العقل ومحبة النفس والفرق بين مقام الحب والمحبوب والمريد والمراد ثم
علوم المشاهدات كعلم الهيبة والأنس والقبض والبسط والفرق بين القبض
والهم والبسط والنشاط وعلم الفناء والبقاء وتفاوت أحوال الفناء والاستعداد
والتجلى والجمع والفرق والالوان والطوالع والبوادي والصحو والسكر إلى غير
ذلك لو اتسع الوقت ذكرناها وشرحناها في مجلدات ولكن العمر قصير والوقت
عزيز ولولا سهم الغفلة لضاق الوقت عن هذا القدر أيضا وهذا المختصر المؤلف
يحتوى من علوم القوم على طرف صالح نرجو من الله الكريم أن ينفع به ويجعله
حجة لنا لا حجة علينا وهذه كلها علوم من ورأئها علوم عمل بمقتضاها وظفر
بها علماء الآخرة الزاهدون وحرم ذلك علماء الدنيا الراغبون وهى علوم ذوقية
لا يكاد النظر يصل إليها إلا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلالة السكر لا يحصل
بالوصف فن ذاقه عرفه وينبئك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء ان العلوم
كلها لا يتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال بحقائق التقوى وربما كان محبة

الدنيا عوناً على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فحبلت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والاسفار وتعذر الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فعلم فضل علم علماء الآخرة حيث لم يكشف النقاب إلا لأولي الأبواب وأولوا الأبواب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس يصرف إلى الزهاد لأنهم أعقل الخلق (قال سهل ابن عبد الله التستري للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا) (حدثنا) الشيخ الصالح أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال حدثنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا العباس ابن أحمد الشاشي قال حدثنا أبو عقيل الوصافي قال أنا عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم قال دخلت مع أبي عبد الرحمن حاتم الأصم الرى ومعه ثلثمائة وعشرون رجلاً يريدون الحج وعليهم الصوف والزمانات ليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا الرى على رجل من التجار متفكك يحب المتكشفين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم يا أبا عبد الرحمن ألك حاجة فأتى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة فأنا أيضاً أجبىء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى فقال سر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاؤا إلى الباب فإذا باب مشرف حسن فبقي حاتم متفكراً يقول باب عالم على هذا الحال ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار قوراء وإذا بزة ومنعة وستور وجمع فبقي حاتم متفكراً ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه فإذا بفرش وطيفة وإذا هو راقده عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة فقعد الرازى يسأله وحاتم قائم فأوماً إليه ابن مقاتل أن أقعد فقال لا أقعد فقال له ابن مقاتل لعل لك حاجة قال نعم قال وماهى قال مسئلة أسألك عنها قال سلمنى قال فقم فاستو جالساً حتى أسألكها فأسر غلامانه فأسندوه فقال له حاتم علمك هذا من أين جئت به قال الثقات حدثوني به قال فمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله من أين جاء به قال عن جبرائيل قال حاتم ففما أداه جبرائيل عن الله وأداه إلى رسول الله وأداه رسول الله إلي أصحابه وأداه أصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت في العلم من كان في داره أميرا ومنعته أكثر كانت له المنزلة عند الله أكثر قال لا قال فكيف سمعت قال من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة أكثر قال حاتم فأنت بمن اقتديت بالنبي وأصحابه والصالحين أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالخص والأجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا فبلغ أهل الري ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له يا أبا عبد الرحمن بقزوين عالم أكبر شأنا من هذا وأشاروا به إلى الطنافسي قال فسار إليه معتمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني أول مبتدئ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأني بآناء فيه ماء فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقعد فتوضأ حاتم ثلاثا ثلاثا حتى إذا بلغ غسل الذراعين غسل أربعين فقال له الطنافسي يا هذا أسرفت فقال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعين قال حاتم يا سبحان الله أنا في كف ماء أسرفت وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي أنه أراد به بذلك ولم يرد منه التعلم فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوما وكتب تجار الري وقزوين ماجرى بينه وبين ابن مقاتل والطنافسي فلمّا دخل بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمي ليس يكلمك أحد إلا وقطعته قال معنى ثلاث خصال بهن أظهر على خصمي قالوا أي شيء هي قال أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فجاء إليه وقال سبحان الله ما أعتله فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال حاتم يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال قال أي شيء هي يا أبا عبد الرحمن قال تغفر لئوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيئا وتكون من شيءهم آيسا فإذا كان هذا سلمت ثم سار إلى المدينة قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء * ذكر بكلمة انما فينتفي العلم عن

لا يخشى الله كما إذا قال انما يدخل الدار بغدادى ينتفى دخول غير البغدادى الدار فلاح
لعلماء الاخرة ان الطريق مسدود إلى أنصبه المعارف ومقامات القرب إلا بالزهد
والتقوى (قال أبو يزيد) رحمه الله يوما لأصحابه بقيت البارحة إلى الصباح أجهد أن
أقول لا إله إلا الله ما قدرت عليه قيل ولم ذلك قال ذكرت كلمة قلتها في صياى فجاءتنى
وحشة تلك الكلمة فنعتنى عن ذلك وأعجب ممن يذكر الله تعالى وهو متعف بشيء
من صفاته فيصفاء التقوى وكال الزهادة يصير العبد راسخا في العلم (قال الواسطى)
الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب في سر السر فعرفهم
مأعرفهم وخابضوا في بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور
الخرائن ما تحت كل حرف من الكلام من الفهم وعجائب الخطاب فنطقوا بالحكم وقال
بعضهم الراسخ من اطلع على محل المواد من الخطاب (وقال) الخراز هم الذين كلوا
في جميع العلوم وعرفوها واطلعوا على همم الخلائق كلهم أجمعين وهذا القول من
أبي سعيد لا يعنى به ان الراسخ في العلم ينبغي أن يقف على جزئيات العلوم ويكمل فيها
فان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان من الراسخين في العلم ووقف في معنى قوله
تعالى وفاكمه وأبا وقال ما لأب ثم قال إن هذا إلا تكلف ونقل إن هذا الوقوف في
معنى الأب كان من أبي بكر رضى الله تعالى عنه وانما عني بذلك أبو سعيد ما يفسر أول
كلامه بآخره وهو قوله واطلعوا على همم الخلائق كلهم لان المتقى حق التقوى والزاهد
حق الزهادة في الدنيا صفا باطنه وانجلى سرآة قلبه ووقعت له محاذاة بشيء من اللوح
المحفوظ فأدرك بصفاء الباطن أمهات العلوم وأصولها فيعلم منتهى أقدام العلماء في
علومهم وفائدة كل علم والعلوم الجزئية متجزئة في النفوس بالتعليم والممارسة فلا
يفنيه علمه الكلى أن يراجع في الجزئى أهله الذين هم أوعيته فنفس هؤلاء امتلأت من
الجزئى واشتغلت به وانقطعت بالجزئى عن الكلى ونفوس العلماء الزاهدين بعد الأخذ
بما لا بد لهم منه في أصل الدين وأساسه من الشرع أقبلوا على الله وانقطعوا إليه
وخلصت أرواحهم إلى مقام القرب منه فأذاضت أرواحهم على قلوبهم أنوار تبيات بها
قلوبهم لادراك المعلوم فأرواحهم ارتقت عن حد ادراك العلوم بعكوفها على العالم
الأزلى وتجردت عن وجود يصلح أن يكون وهاء للعلم وقلوبهم بنسبة وجهها الذي يلي

النفوس صارت أوعية وجودية تناسب وجود العلم بالنسبة الوجودية فتألفت العلوم وتألفتها العلوم بمناسبة انفصال العلوم بانصافها باللوح المحفوظ والمعنى بالانفصال انناقشها في اللوح لاغير وانفصال القلوب عن مقام الأرواح لوجود انجذابها إلى النفوس فصار بين المنفصلين نسبة اشتراك موجب للتألف فحصلت العلوم لذلك وصار العالم الرباني راسخا في العلم * أوحى الله تعالى في بعض الكتب المنزلة يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر فيأتي به العلم مجمول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا إلى بأخلاق الصديقين نهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم أو يغمركم فالتأدب بآداب الروحانيين حصر النفوس عن تقاضى جبلاتها وقمعها بصريح العلم في كل قول وفعل ولا يصح ذلك إلا لمن علم وقرب وتطرق إلى الحضور بين يدي الله تعالى فيحفظه بالحق للحق (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب عبد القاهر السهروردي اجازة قال أخبرنا أبو منصور بن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا أبو صمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا الاوزاعي عن حسان بن عطية بلغني أن شداد بن أوس رضى الله عنه نزل منزلا فقال ائتونا بالسفرة نعبث بها فأنكر منه ذلك فقال ماتكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطئها ثم أزمها غير هذه فلا تحفظوها على فتل هذا يكون التأدب بآداب الروحانيين مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وقد ورد في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشيطان ربما يسوقكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف يسوقنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال العبد في العلم قائلا وللعمل مسوقا حتى يموت وماعمل * وقال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم بالخشية وقال الحسن ان الله تعالى لا يعبد ببدى علم ورواية انما يعبد ببدى فهم ودراية فعلوم الوراثة مستخرجة من علم الدراسة ومثال علوم الدراسة كاللبن الخالص السائغ للشاربين ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فاللبن لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن والمائية في اللبن جسم قام به روح الدهنية والمائية بها القوام قال الله تعالى (وجعلنا من

الماء كل شيء حي) وقال تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه) أي كان ميتاً بال كفر فأحييناه بالاسلام فالأحياء بالاسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللإسلام علوم وهي علوم مباني الاسلام والاسلام بعد الايمان نظراً إلى مجرد التصديق ولكن للايمان فروع بعد التحقق بالاسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد تنال للتوحيد والمعرفة والمشاهدة والايمان في كل فرع من فروعه علوم فعلم الاسلام علوم اللسان وعلوم الايمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها اوصاف خاص ووصف عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل إليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علماء الدنيا مع علماء الآخرة وله وصف خاص يختص به علماء الآخرة وهي السكينة التي أنزلت في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم فعلى هذا جميع الرتب يشملها اسم الايمان بوصفه الخاص ولا يشملها بوصفه العام فبالنظر إلى الوصف الخاص اليقين ومرتبه من الايمان وإلى وصفه العام اليقين زيادة على الايمان والمشاهدة وصف خاص في اليقين وهو عين اليقين وفي عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين فحق اليقين إذن فوق المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره في الآخرة وفي الدنيا منه لمج يسير لأهله وهو من أعز ما يوجد من أقسام العلم بالله لأنه وجدان فصار علم الصوفية وزهاد العلماء نسبته إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرناه من علم الوراثة والدراسة علمهم بمثابة الدين لأنه اليقين والايمان الذي هو الأساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنصبه المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالربد المستخرج من اللبن ففضيلة الانسان بفضيلة العلم ووزانة الاعمال على قدر الحظ من العلم وقد ورد في الخبر فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي والاشارة في هذا العلم ليس إلى علم البيع والشراء والطلاق والعقاق وانما الاشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون العبد عالماً بالله تعالى إذا يقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة وقد كان علماء التابعين فيهم من هو أقوم بعلم التقوى والاحكام من بعضهم (روى) أن عبد الله بن عمر كان إذا سئل عن شيء يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان عبد الله بن عباس يقول سلوا جابر بن عبد الله لوزل أهل البصرة على

فتياه لوسمهم وكان أنس بن مالك يقول سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا فكانوا يردون الناس إليهم في علم الفتوى والأحكام ويعلمونهم حقائق اليقين ودقائق المعرفة وذلك لأنهم كانوا أقوم بذلك من التابعين صادفتهم طراوة الوحي المنزل وغمرهم غزير العلم والمجمل والمفصل فتلقى منهم طائفة مجتلة ومفصلة وطائفة مفصلة دون مجتلة والمجمل أصل العلم ومفصله المكتسب بطهارة القلوب وقوة الغريزة وكمال الاستعداد وهو خاص بالخواص قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وقال تعالى (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) فلهذه السبل سابلة ولهذه الدعوات قلوب قابلة فمنها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها فليتها بنار الانذار والموعظة والحدار ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريبة منها فن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعاء بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دعاه بالحكمة فالدعوة بالموعظة أجاب بها الأبرار وهى الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة بالحكمة أجاب بها المقربون وهى الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة وإشارة التوحيد فلما وجدوا التلويحات الحقانية والتعريفات الربانية أجابوا بأرواحهم وقلوبهم ونفوسهم فصارت متابعة الأقوال اجابتهم نفساً ومتابعة الأعمال اجابتهم قلباً والتحقق بالأحوال اجابتهم روحاً فاجابة الصوفية بالكل واجابة غيرهم ببعض قال عمر رضى الله عنه رحمه الله تعالى صهيبياً لو لم يخف الله لم يعصه يعنى لو كتب له كتاب الأمان من النار حمله صرف المعرفة بعظيم أمر الله على القيام بواجب حق العبودية أداء لما عرف من حق العظمة فاجابة الصوفية إلى الدعوة اجابة الحب للمحبوب على اللذائذ وذهاب العسر واجابة غيرهم على المسابدة والمجاهدة وهذه الاجابة يظهر مع الساعات أثرها فى القيام بحقائق الاستقامة والعبودية قال الله تعالى (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) قال بعضهم أعطى الدارين ولم ير شيئاً واتقى اللغو والسيئات وصدق بالحسنى أقام على طلب الزلنى والآية

قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه وبلوح في الآية وجه آخر أعطى
 بالمواظبة على الأعمال واتقى الوسواس والهواجس وصدق بالحسن لازم الباطن
 بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره لليسرى تفتح عليه
 باب السهولة في العمل والعيش والأنس وأما من بخل بالأعمال واستغنى إمتلاءً
 بالأحوال وكذب بالحسن لم يكن في الملكوت بنفوذ بصيرته بالجوال فسنيسره
 لليسرى نسد عليه باب اليسر في الأعمال قال بعضهم إذا أراد الله بعبد سوءاً سد
 عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم
 وأرواحهم الدعوة ظاهراً وباطناً كان حظهم من العلم أوفر ونصيبتهم من المعرفة
 أكمل فكانت أعمالهم أزكى وأفضل : جاء رجل إلى معاذ قال أخبرني عن
 رجلين أحدهما يجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين
 يعتوره الشك قال معاذ ليحبطن شكك عمله قال فأخبرني عن رجل قليل العمل
 إلا أنه قوى اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله
 لئن أحبط شك الأول أعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فأخذ معاذ
 ييده وقال ما رأيت الذي هو أفقه من هذا . وفي وصية لقمان لابنه يا بني
 لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى
 يقصر يقينه فكان اليقين أفضل العلم لأنه أدعى إلى العمل وما كان أدعى إلى
 العمل كان أدعى إلى العبودية وما كان أدعى إلى العبودية كان أدعى إلى القيام
 بحق الربوبية وكإل الحظ من اليقين والعلم بالله للصوفية والعلماء الزاهدين فبان
 بذلك فضلهم وفضل علمهم ثم اتى أصور مسألة يستبين بها المعبر فضل العالم
 الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره عالم دخل مجلساً وقعد وميز لنفسه مجلساً
 يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من أبناء
 جنسه وقعد فوقه فأنعصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل
 فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يفتن أن هذه علة غامضة ومرض
 يحتاج إلى المداواة ولا يتفكر في منشأ هذا المرض ولو علم أن هذه نفس ثارت
 وظهرت بجملها وجهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيراً من غيرها

فعلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر واطهاره ذلك إلى الفعل تكبر خيث انعصر صار فعلا به تكبر الزاهد لا يميز نفسه بشيء دون المسلمين ولا يرى نفسه في مقام تمييز يميزها بمجلس فالصوفي العالم مخصوص مميز ولو قدر له أن يبتلى بمثل هذه الواقعة وينعصر من تقدم غيره عليه وترفعه يرى النفس وظهورها ويرى ان هذا داء وانه ان استرسل فيه بالأصغاء إلى النفس وانعصارها صار ذلك ذنب حاله فيرفع في الحال داءه إلى الله تعالى ويشكو إليه ظهور نفسه ويحمن الانابة ويقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب إلى الله تعالى مستغنيا من النفس فيشغله اشتغاله برؤية داء النفس في طلب دوائها من الفكر فيمن قعد فوقة وربما أقبل على من قعد فوقة بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا للذنب الموجود وتداويا لدائه الحاصل فتبين بهذا الفرق بين الرجلين فاذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه في هذا المقام يرى نفسه كنفوس عوام الخلق وطالبي المناصب الدنيوية فأى فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له ولو أكثرنا تصوير المسائل لتبرهن فضيلة الزاهدين ونقصان الراغبين لأورث الملل وهذا من أوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم والله الموفق للصواب

﴿ الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم ﴾

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهروي قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى قال حدثنا مسلمة بن حاتم الانصارى قال حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يابنى ان قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل ثم قال يابنى وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحيا نى ومن أحياى كان معى فى الجنة وهذا آتم شرف وأكمل فضل أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى حق من أحيا سنته فالصوفية هم الذين أحياوا هذه السنة وطهارة الصدور من

الغل والغش عماد أمرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبأن فضلهم وانما قدروا على احياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم في الدنيا وتركها لأربابها وطلابها لأن منار الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس والصوفية زهدوا في ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح إلا لاقوام كنست بأرواحهم المزابيل فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس في قلوبهم غش لأحد فقول القائل كنست بأرواحهم المزابيل اشارة منه إلى غاية التواضع وأن لا يرى نفسه تتميز عن أحد من المسلمين لحقاراته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغش والغل وجرت هذه الحكاية فقال بعض الفقهاء من أصحابنا وقع لى ان معنى كنست بأرواحهم المزابيل ان الاشارة بالمزابيل إلى النفوس لأنها مأوى كل رجس ونجس كالمنزلة وكنسها بنور الروح الواصل إليها لأن الصوفية أدواهم في محال القرب ونورها يسرى إلى النفوس وبوصول نور الروح إلى النفس تطهر النفس ويذهب عنها المذموم من الغل والغش والحقد والحسد فكأنها تكنس بنور الروح وهذا المعنى صحيح وإن لم يرد القائل بقوله ذلك قال الله تعالى في وصف أهل الجنة (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) قال أبو حفص كيف يبقى الغل في قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره إن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخوانا فالخلق حجابهم عن القيام باحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً وحالاً صفات نفوسهم فاذا تبدلت نعمت النفس ارتفع الحجاب وصحت المتابعة ووقعت الموافقة في كل شيء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجبت المحبة من الله تعالى عند ذلك قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه فأوفر الناس حظاً من متابعة الرسول أوفرهم حظاً من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الاسلام ظفروا بحسن المتابعة لأنهم اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ثم اتبعوه في أعمالهم من الجد والاجتهاد في العبادة

والتهجد والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا ببركة المتابعة في الأقوال
 والأفعال التخلق بأخلاقه من الحياء والحلم والصفح والعفو والرفقة والشفقة
 والمداراة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطاً من أحواله من الخشية والسكينة
 والهيبه والتعظيم والرضا والصبر والزهد والتوكل فاستوفوا جميع أقسام المتابعات
 وأحيوا سنته بأقصى الغايات * قيل لعبد الواحد بن زيد من الصوفية عندك
 قال القائمون بعقولهم على فهم السنة والعاكفون عليها بقلوبهم والمعتصمون
 بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية وهذا وصف تام وصفهم به فكان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم دائم الاقتدار إلى مولاه حتى يقول لا تكني إلى نفسي
 طرفه عين كلاً أنى كلاءة الوليد ومن أشرف ما ظفر به الصوفي من متابعة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الوصف وهو دوام الاقتدار ودوام الالتجاء
 ولا يتحقق بهذا الوصف من صدق الاقتدار إلا عبد كوشف باطنه بصفاء
 المعرفة وأشرف صدره بنور اليقين وخلص قلبه إلى بساط القرب وخلا سره
 بلذاذة المسامرة فبقيت نفسه بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك
 كله يراها مأوى كل شر وهي بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت طالما وهي
 وشبكة الرجوع سريعة الانقلاب والانقلاب فإله تعالى بكمال لطفه عرفها إلى
 الصوفي وكشفها له على شيء من معنى ما كشفه الرسول الله صلى الله عليه وسلم
 فهو دائم الاستغاثة إلى مولاه من شرها وكأنها جعلت سوطاً للعبد تسوقه
 لمعرفته بشرها مع اللحظات إلى جناب الالتجاء وصدق الاقتدار والدعاء فلا
 يخلو الصوفي عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يخلو عن ربه أدنى ساعة وربط
 معرفتها بمعرفة الله تعالى فيما ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه كربط معرفة
 الليل بمعرفة النهار ومن الذي يقوم بأحياء هذه السنة من سنن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم غير الصوفي العالم بالله الزاهد في الدنيا المتمسك من التقوى بأوثق
 العرى ومن الذي يهتدى إلى فائدة هذه الحال غير الصوفي فدوام اقتداره
 إلى ربه تمسك بجناب الحق ولياذ به وفي هذا اللياذ استغراق الروح واستتباع
 القلب إلى محل الدعاء وفي انجذاب القلب إلى محل الدعاء بلسان الحال والكون

فيه نبو النفس عن مستقرها من الاقسام العاجلة وزولها إليها في مدارج العلم محفوفة بحراسة الله تعالى ورعايته والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير الله تعالى مأمونة الغائلة من الغل والغش والحق والחסد وسائر المذمومات فهذا حال الصوفي « ويجمع جل حال الصوفي شيآن هما وصف الصوفية » وإليهما الإشارة بقوله تعالى (الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) فقوم من الصوفية خصوا بالاجتناء الصرف وقوم منهم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الانابة فالاجتناء المحض غير معلل بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد ببادئ الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوف اجتهاده وفي هذا أخذ بطائفة الصوفية رفعت الحجب عن قلوبهم وبادروهم سطوع نور اليقين فأنار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال فأقبلوا على الأعمال باللذذة والعيش فيها قوة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لذذة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعسد فرعون فقالوا لن نؤترك على ما جاءنا من البينات * قال جعفر الصادق رضى الله عنه وجدوا أرواح العناية القديمة بهم فالتجؤا إلى السجود شكرا وقلوا آمنابرب العالمين (أخبرنا) أبو زرعة طاهر ابن أبي الفضل اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف اجازة قال أنا عبد الرحمن السلمي قال سمعت منصورا يقول سمعت أبا موسى الزقاق يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول أهل الخالصة الذين هم المرادون اجتنابهم مولاهم وأكمل لهم النعمة وهياً لهم الكرامة فأسقط عنهم حركات الطلب فصارت حركاتهم في العمل والخدمة على الألفة والذكر والتنعيم بمناجاته والافتراء بقربه وبهذا الاسناد إلى أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن سعيد يقول سمعت أحمد بن الحسن الحصى يقول سمعت فاطمة المعروفة بجويرية تلميذة أبي سعيد تقول سمعت الخراز يقول المراد محمول في حاله معان على حركاته وسعيه في الخدمة مكفى مصون عن الشواهد والنواظر وهذا الذى قاله الشيخ أبو سعيد هو الذى اشتبه حقيقته على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالاكتنار من النوافل وقد رأوا جمعا من المشايخ قلت نوافلهم فظنوا ان ذلك حال مستمر على الاطلاق ولم يعلموا ان الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض

كانت بداياتهم بدايات المريدين فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلأوا بالحال فطرحوا نوافل الأعمال فأما المرادون فبقي عليهم الأعمال والنوافل وفيها قرة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذي أوضحناه أحد طريقى الصوفية فأما الطريق الآخر طريق المريدين وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى (ويهdy إليه من ينيب) فطولبوا بالاجتهاد أولا قبل الكشوف قال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) يدرجهم الله تعالى في مدارج الكسب بأنواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر وظمأ الهواجر تتأجج فيهم نيران الطلب وتتججب دونهم لوامع الارب يتقلبون في رمضاء الارادة وينخلعون عن كل مألوف وعادة وهى الانابة التى شرطها الحق سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية مقرونة بها وهذه الهداية آتفا هداية خاصة لأنها هداية إليه غير الهداية العامة التى هى الهدى إلى أمره ونهيه بمقتضى المعرفة الأولى وهذا حال السالك المحب المريد فكانت الانابة غير الهداية العامة فأثمرت هداية خاصة واهتدوا إليه بعد أن اهتدوا له بالمكابدات فخلصوا من مضيق العسر إلى فضاء اليسر وبرزوا من وهج الاجتهاد إلى روح الاحوال فسبق اجتهادهم كشوفهم والمرادون سبق كشوفهم اجتهادهم (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهاني قال حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول سمعت الجنيد رحمة الله عليه يقول ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات فقال محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة استدامة الجد وترك الراحة وقال أبو عثمان المريد الذى مات قلبه عن كل شئ دون الله تعالى فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق إليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه إلى ربه وقال أيضا عقوبة قلب المريدين أن ينجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات إلى أضدادها فهذان الطريقان يجمعان أحوال الصوفية ودونهما طريقان آخران ليسا من طرق للتحقق بالتصوف * أحدهما مجذوب أبقى على جذبه ما رد إلى الاجتهاد بعد

الكشف * والثاني مجتهد متعبد ماخلص إلى الكشف بعد الاجتهاد وللصوفية في طريقهما باب مزيدهم وصحة طريقهم بحسن المتابعة ومن ظن أن يبلغ غرضاً أو يظفر بمراد لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب المهروردي قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت نصر بن أبي نصر يقول سمعت قسماً غلام الرقاق يقول سمعت أبا سعيد السكري يقول سمعت أبا سعيد الخزاز يقول كل باطن يخالف ظاهر فهو باطل وكان يقول الجنيد رحمه الله علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال بعضهم من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة * حكى أن أبا يزيد البسطامي رحمه الله قال ذات يوم لبعض أصحابه قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية وكان الرجل في ناحيته مقصوداً ومشهوراً بالهدو والعبادة فضينا إليه فلما خرج من بيته يقصد المسجد رمى بزاقه نحو القبلة فقال أبو يزيد انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصدّيقين (وسئل) خادم الشبلي رحمه الله ماذا رأيت منه عند موته فقال لما أمسك لسانه وعرق جبينه مشار إلى أن وضئني للصلاة فوضأته فنسيت تحليل لحيمته فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيمته يخللها (وقال) سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعى حالاً على غير هذا الوجه فدع مفتون كذاب

﴿ الباب الخامس في ماهية التصوف ﴾

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل في كتابه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي ابن خلف الشيرازي اجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أنا إبراهيم بن أحمد ابن محمد بن رجاء قال حدثنا عبد الله بن أحمد البغدادي قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا عمر بن أسد عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة قال فقر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه * قال رويم التصوف

مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والاقتدار والتحقق بالبذل والايثار وترك
التعرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال أن تكون مع الله
بلا علاقة (وقال) معروف الكرخي التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي
الخلائق فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف (وسئل اشبلى) عن حقيقة
الفقر فقال أن لا يستغنى بشيء دون الحق (وقال) أبو الحسين النوري نعمت الفقير
السكون عند العدم والبذل والايثار عند الوجود (وقال) بعضهم ان الفقير
الصادق ليحترز من الغنى حذر أن يدخل عليه الغنى فيفسد فقره كما أن الغنى
يحترز من الفقير حذر أن يدخل عليه الفقر فيفسد عليه غناه (وبالاسناد الذي
سبق إلى أبي عبد الرحمن) قال سمعت أبا عبد الرحمن الرازي يقول سمعت مظفراً
القرميسني يقول الفقير الذي لا يكون له إلى الله حاجة قال وسمعتة يقول سألت
أبا بكر المصري عن الفقير فقال الذي لا يملك ولا يملك *) قوله لا يكون له إلى
الله حاجة *) معناه أنه مشغول بوظائف عبوديته تام الثقة بربه عالم بحسن كلامه
به لا يحوجه إلى رفع الحاجة لعلمه بعلم الله بحاله فيرى السؤال في البين زيادة
وأقوال المشايخ تتنوع معانيها لأنهم أشاروا فيها إلى أحوال في أوقات دون
أوقات واحتاج في تفصيل بعضها من البعض إلى الضوابط فقد تذكر أشياء في
معنى التصوف ذكرناها في معنى الفقر وتذكر أشياء في معنى انقصر ذكرناها في معنى
التصوف وحيث وقع الاشتباه فلا بد من بيان فصل فقد تشبه الاشارات في الفقر بمعاني
الزهد تارة وبمعاني التصوف تارة ولا يتبين للمسترشد بعضها من البعض فنقول
التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد فالتصوف اسم جامع
لمعاني الفقر ومعاني الزهد مع مزيد أوصاف وإضافات لا يكون بدونها الرجل
صوفياً وإن كان زاهداً وفقيراً * قال أبو حمزة التصوف كاه آداب لكل وقت
أدب ولكل حال أدب والكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال
ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث بطن القرب ومردود من حديث يرجو
القبول (وقال أيضاً) حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه (أخبرنا) الشيخ

رضي الدين أحمد بن إسماعيل أجازة قال أنا الشيخ أبو المظفر عبد المنعم قال أخبرني والدي أبو القاسم القشيري قال سمعت مجد بن أحمد بن يحيى الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سئل أبو محمد الجري عن التصوف فقال الدخول في كل خلق سني والخروج عن كل خلق ذني فإذا عرف هذا المعنى في التصوف من حصول الأخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) هذا وصف الصوفية والله تعالى سبحانه فقراء وسأوضح معنى يفترق الحال به بين التصوف والفقر نقول الفقير في فقره متمسك به متحقق بفضلته يؤثره على الغنى متطلع إلى ما تحقق من العوض عند الله حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام فكلما لاحظ العوض الباقي أمسك عن الحاصل الثاني وطبق الفقر والقلة وخشى زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض وهذا عين الاعتلال في طريق الصوفية لأنه تطلع إلى الاعواض وترك الاجتهاد والصوفي يترك الأشياء لا للأعواض الموعودة بل للأحوال الموجودة فانه ابن وقته وأيضاً ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار منه وإرادة والاختيار والإرادة علة في الحال الصوفي لأن الصوفي صار قائماً في الأشياء بإرادة الله تعالى لا بإرادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة فقر ولا في صورة غنى وإنما يرى الفضيلة فيم يوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله تعالى في الدخول في الشيء وقد يدخل في صورة سعة مباينة للفقر باذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ في السعة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح في السعة والدخول فيها الصادقين إلا بعد أحكامهم علم الاذن وفي هذا مزية للأقدام وباب دعوي للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه ركب الحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فإذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتصوف وعلم أن الفقر أساس التصوف وبه قوامه على معنى أن الوصول إلى رتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى أنه يلزم من وجود التصوف

وجود الفقر (قال) الجنيد رحمة الله عليه التصوف هو أن يعميتك الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذي ذكرناه من كونه قائماً في الأشياء بالله لا بنفسه والفقير والزاهد مكوّنان في الأشياء بنفسهما واقفان مع إرادتهما مجتهدان مبلغ علمهما والصوفي متهم لنفسه مستقل لعلمه غير راكن إلى معلومه قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه (قال) ذواتون المصري رحمة الله عليه الصوفي من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب (وقال أيضاً) الصوفية آثروا الله تعالى على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء فكان من إشارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم وإرادة الله على إرادة نفوسهم * (قيل لبعضهم) * من أصحب من الطوائف قال الصوفية فإن للقبائح عندهم وجها من المعاذير وليس للكبير من العمل عندهم وقع يرفعونك به فتعجبك نفسك وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لأن الزاهد يستعظم الترك ويستقبح الأخذ وهكذا الفقير وذلك لضيق وطأهم ووقوفهم على حد علمهم وقال بعضهم الصوفي من إذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان يكون مع الأحسن والفقير والزاهد لا يميزان كل التمييز بين الخلقين الحسنين بل يختاران من الاخلاق أيضاً ما هو أدعى إلى الترك والخروج عن شواغل الدنيا كما كان في ذلك بعلمهما والصوفي هو المستبين الأحسن من عند الله بصدق التجائه وحسن إنابته وحظ قربه ولطيف الوجه وخروجه إلى الله تعالى لعلمه بربه وحظه من محادثته ومكالمته * قال رويم التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد * وقال عمرو بن عثمان المكي التصوف أن يكون العبد في كل وقت مشغولاً بما هو أولى في الوقت وقال بعضهم التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع وقيل التصوف ترك التكلف وبذل الروح وقال سهل بن عبد الله الصوفي من صفا من السكدر وامتلاً من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر (وسئل) بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الاخلاق الطبيعية وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة

(قال) ذوالنون المصرى رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت من أين أقبلت قالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت وأين تريدن قالت إلى رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفهم لي فأنشأت

قوم همومهم بالله قد علقت فإلهم همهم تسمو إلى أحد

فطلب القوم مولاهم وسيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد

ما ان تنازعهم دنيا ولا شرف من المطاعم واللذات والولد

ولا لبس ثياب فائق أنق ولا لروح سرور حل في بله

إلا مسارعة في أثر منزلة قدقارب الخطوف فيها باعد الآبد

فهم رهائن غدران وأودية في الشوامخ تلقاهم مع العدد

* (قال الجنيد) * الصوفي كالارض يطرح عليها كل قبيلح ولا يخرج منها

إلا كل مليسح (وقال أيضا) هو كالارض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل

كل شيء وكالقطر يستقى كل شيء وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على

ألف قول ويطول نقلها ونذكر ضابطا يجمع جل معانيها فان الالفاظ وإن اختلفت

مقاربة المعاني فنقول الصوفي هو الذى يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الاوقات

عن شوب الأ كدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على هذه التصفية

دوام افتقاره إلى مولاه فبدوام الافتقار ينقى من الكدر وكلما تحركت النفس

وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته الناقدة وفر منها إلى ربه فبدوام تصفيته

جميعته وبحركة نفسه تفرقته وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه

قال الله تعالى (كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) وهذه القوامية لله على النفس

هو التحقق بالتصوف قال بعضهم التصوف كله اضطراب فإذا وقع السكون فلا

تصوف والسرفيه أن الروح مجذوبة إلى الحضرة الالهية يعنى ان روح الصوفي

متطلعة منجذبة الى مواطن القرب والنفس بوضعها رسوب الى عالمها وانقلاب

على عقبها ولا بد للصوفي من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن

التفقد لمواقع اصابات النفس ومن وقف على هذا المعنى يجمد فى معنى الصوفي

جميع المتفرق فى الاشارات

﴿ الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم ﴾

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرني والدي قال أنا أبو علي الشافعي بمكة حرسها الله تعالى قال أنا أحمد بن إبراهيم قال أنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم قال أنا أبو عبد الله الخزومي قال حدثنا سفيان عن مسلم عن أنس ابن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجب دعوة العبد ويركب الحماد ويلبس الصوف فن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ولكونه كان لباس الانبياء عليهم السلام * روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت الحرام وقيل أن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى * (وقال) * الحسن البصري رضى الله عنه لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف * ووصفهم أبو هريرة وفضالة بن عبيد فقال كانوا يخزون من الجوع تحسبهم الاعراب مجانين وكان لباسهم الصوف حتى ان بعضهم كان يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه الغيث وقال بعضهم أنه ليؤذني ريح هؤلاء أما يؤذيك ريحهم يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكانت اختيارهم للباس الصوف لتركهم زينة الدنيا وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة واستغراقهم في أمر الآخرة فلم يتفرغوا للملاذ النفوس وراحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصراف همهم إلى أمر الآخرة وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص ولما كان حالهم بين سير وطير لتقلبهم في الأحوال وارتقائهم من حال إلى أعلا منه لا يقيدهم وصف ولا يحبسهم نعت وأبواب الميزيد علما وحالا عليهم مفتوحة بواطنهم معدن الحقائق وجمع العلوم فلما تعذر تقلدهم بحال تتيدهم لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم نسبوا إلى ظاهر اللبسة وكان ذلك أبين في الإشارة إليهم وأدعى إلى حصر وصفهم لأن لبس الصوف كان غالباً على المتقدمين من سلفهم وأيضاً لأن حالهم حال المترين كما سبق ذكره ولما كان الاعتناء إلى

القرب وعظم الاشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يعز كشفه والاشارة إليه وقعت الاشارة إلى زيهم سترًا لحالهم وغيره على عزيز مقامهم أن تكثر الاشارة إليه وتتداوله الألسنة فكان هذا أقرب إلى الأدب والادب في الظاهر والباطن والقول والفعل عماد أمر الصوفية وفيه معنى آخر وهو أن نسبتهم إلى اللبسة تنجي عن تقللهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من الملبوس الناعم حتى أن المبتدي المرید الذي يؤثر طريقهم ويحب الدخول في أمرهم يوطن نفسه على التقشف والتقلل ويعلم أن المأكول أيضاً من جنس الملبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتدي والاشارة إلى شيء من حالهم في تسميتهم بذلك أبعد من فهم أبواب البدايات فكان تسميتهم بهذا أقنع وأولي وأيضاً غير هذا المعنى مما يقال أنهم سموا صوفية لذلك يتضمن دعوى وإذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف كان أبعد من الدعوى وكل ما كان أبعد من الدعوى كان أليق بحالهم وأيضاً لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبتهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن والحكم بالظاهر أوفق وأولى فالقول بأنهم سموا صوفية للبسهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع ويقرب أن يقال لما آثروا الذبول والخول والتواضع والانكسار والتخفي والتوازي كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التي لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها فيقال صوفي نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفي نسبة إلى الكوفة وهذا ما ذكره بعض أهل العلم والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشفين والعباد (أخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبيه قال أنا عبد الرزاق بن عبد الكريم قال أنا أبو الحسن محمد بن محمد قال حدثنا أبو علي إسماعيل بن محمد قال حدثنا الحسن بن عرفة قال حدثنا خلف بن خليفة عن حميد ابن الأعرج عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كلم الله تعالى موسى عليه السلام كان عليه جبة صوف وسراويل صوف وكساء صوف وكفه من صوف ونعلاه من جلد حمار غير مذكى وقيل سموا صوفية لانهم في الصف الاول بين يدي الله

عز وجل بارتفاع همهم واقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه وقيل كان هذا الاسم في الاصل صفوى فاستنقل ذلك وجعل صوفيا وقيل سموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالى فيهم (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض) الآية * وهذا ان كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى لان الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين متصاحبين لله وفي الله كأصحاب الصفة وكانوا نحو من أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديما وحديثا في الزوايا والربط وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة كانوا يحشطون ويرضخون النوى بالنهار وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) ونزل في ابن أم مكتوم قوله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) وكان من أهل الصفة فعوتب النبي صلى الله عليه وسلم لأجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صالحهم لا ينزع يده من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجدة والسعة يبعث مع واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم وقال أبو هريرة رضي الله عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبتيه فإذا ركع أحدهم قبض يديه مخافة أن تبدو عورته (وقال) بعض أهل الصفة جئنا جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يا رسول الله أحرق بطوننا التمر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال ما بال أقوام يقولون أحرق بطوننا التمر أما علمتم أن هذا التمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم وما واسونا به والذي نفس محمد بيده ان منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان لا خبز وليس لهم إلا الأسودان الماء

والتمر (أخبرنا) الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر ابن زكريا الطريثي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال حدثنا محمد بن محمد بن سعيد الانطاقي قال حدثنا الحسن بن يحيى بن سلام قال حدثنا محمد بن علي الترمذي قال حدثني سعيد بن حاتم البلخي قال حدثنا سهل بن أسلم عن خلاد بن محمد عن أبي عبد الرحمن السكري عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أعلی أهل الصفة فرأي فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي منكم على النعت الذي أتم عليه اليوم راضياً بما هو فيه فانه من رفقائي يوم القيامة (وقيل) كان منهم طائفة بخراسان يأوون إلى الكهوف والمغارات ولا يسكنون أنقرى والمدن يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت اسم الغار ينسبونهم إلى المأوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم جوعية والله تعالى ذكر في القرآن طوائف الخير والصالح فسمى قوما أبرارا وآخرين مقربين ومنهم الصابرون والصادقون والذاكرون والمحبون واسم الصوفي مشتمل على جميع المتفرق في هذه الأسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين (ونقل) عن الحسن البصري رحمه الله عليه أنه قال رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال معي أربع دنانير يكفيني مامعي ويشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية لأن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة وبعد انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم سمي تابعيا ثم لما تقدم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوي وتوارى النور المصطفوي واختلقت الآراء وتزعرت الانحاء وتفرّد كل ذي رأى رأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وتزعزت أبنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكشف حجابها وكثرت العادات وتملكت أربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها وتفرّد طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية وصدق في

العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا
لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة بأهل الصفة تاركين
للاَسباب مبتلين إلى رب الأرباب فأثمر لهم صالح الأعمال سنى الأحوال وتربأ لهم
صفاء الفهوم لقبول العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد
الايان إيمان كما قال حارثة أصبحت مؤمنا حقا حيث كوشف برتبة في الايمان غير
ما يتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها واشارات يتعاهدها فخرجوا
لنفوسهم اصطلاحات تشير إلى معان يعرفونها وتعرف عن أحوال يجذبونها فأخذ
ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسما مستمرا وخبرا مستقرا في كل عصر وزمان
فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وسموا به فالاسم ستمتهم والعلم بالله صفتهم والعبادة
حليتهم والتقوى شعارهم وحقائق الحقيقة أسرارهم نزاع التباثل وأصحاب الفضائل
سكان قباب الغيرة وقطان ديار الحيرة لهم مع الساعات من امداد فضل الله مزيد ولهيب
شوقهم يتأجج ويقول هل من مزيد اللهم احشرنا في زمرة من وارزقنا حالاتهم
والله أعلم

❦ الباب السابع في ذكر المتصوف والمتشبه به ❦

(أخبرنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي اجازة قال أنا الشيخ
أبو منصور بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا محمد
ابن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الاصفهاني قال حدثنا الحسين
ابن الحسن المروزي قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا المعتمر بن سليمان قال أنا حميد
الطويل عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله
متى قيام الساعة فقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال أين السائل عن
الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا
صيام أو قال ما أعددت لها كبير عمل إلا أني أحب الله ورسوله فقال النبي عليه الصلاة
والسلام المرء مع من أحب أو أنت مع من أحببت قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا
بشيء بعد الاسلام فرحهم بهذا فالتشبه بالصوفية ما اختار التشبه بهم دون غيرهم من
الطوائف إلا لمحبة إياهم وهو مع تقصيره عن القيام بما هم فيه يكون معهم لموضع إرادته
(٤ - عوارف المعارف)

ومحبته وقد ورد بلفظ آخر أوضح من الخبر الذي روينا في المعنى * روى عبادة ابن الصامت عن أبي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم قال أنت يا أبا ذر مع من أحببت قال قلت فاني أحب الله ورسوله قال فانك مع من أحببت قال فأعاهدها أبو ذر فأعاهدها رسول الله ﷺ فحبة المتشبهه بإمام لا تكون إلا لتنبه روحه لما تنبهت له أرواح الصوفية لأن محبة أمر الله وما يقرب إليه ومن يقرب منه تكون بجاذب الروح غير أن المتشبهه تعوق بظامة النفس والصوفي تخلص من ذلك والمتصوف متطلع إلى حال الصوفي وهو مشارك ببقاء شيء من صفات نفسه عليه للمتشبهه وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالمتشبهه صاحب إيمان والایمان بطريق الصوفية أصل كبير * قال الجنيد رحمة الله عليه الايمان بطريقا هذا ولاية ووجه ذلك ان الصوفية تميزوا بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لأنهم مكشفون بالقدر وغرائب العلوم واشاراتهم إلى عظيم أسر الله والقرب منه والایمان بذلك إيمان بالقدر وقد أنكر قوم من أهل الملة كرامات الأولياء والایمان بذلك إيمان بالقدر ولهم علوم من هذا القبيل فلا يؤمن بطريقتهم إلا من خصه الله تعالى بمزيد عنايته فالمتشبهه صاحب إيمان والمتصوف صاحب علم لأنه بعد الايمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرهما والصوفي صاحب ذوق فللمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفي وللمتشبهه نصيب من حال المتصوف وهكذا سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لا بد أن يكشف له علم بحال أعلى مما هو فيه فيكون في الحال الأول صاحب ذوق وفي الحال الذي كوشف به صاحب علم وبحال فوق ذلك صاحب إيمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكا فيكون في حال الذوق صاحب قدم وفي حال العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب إيمان قال الله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم على الآرائك ينظرون) وصف الأبرار ووصف شرابهم ثم قال سبحانه وتعالى (ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون) فكان لشراب الأبرار مزج من شراب المقربين والمقربين ذلك صرفا فللصوفي شراب صرف وللمتصوف من ذلك مزج في شرابه وللمتشبهه مزج من شراب المتصوف فالصوفي سبق إلى مقدار الروح من بساط القرب والمتصوف بالنسبة إلى الصوفي كالمزهد بالنسبة

إلى الزاهد لأنه تفعل وتعمل وتسبب إشارة إلى ما بقى عليه من وصفه فهو مجتهد في طريقه سائر إلى ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيروا سبق المفردون قيل من المفردون يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله وضع الذكركر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فالصوفي في مقام المفردين والمتصوف في مقام السائرين واصل في سيره إلى مقدار القلب من ذكر الله عز وجل ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظره إلى نظر الله إليه فالصوفي في مقدار الروح صاحب مشاهدة والمتصوف في مقدار القلب صاحب مراقبة والمتشبه في مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة فتولين الصوفي بوجود قلبه وتولين المتصوف بوجود نفسه والمتشبه لا تلوين له لأن التلوين لأرباب الأحوال والمتشبه مجتهد سالك لم يصل بعد إلى الأحوال والكل تجمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالى (ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق الحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرغبة والسابق يعبد على الهيبة والمنة وقال بعضهم الظالم بذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال أحمد بن حاصم الانطاكي رحمه الله الظالم صاحب الأقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال وكل هذه الأقوال قريبة التناسب من حال الصوفي والمتصوف والمتشبه وكلهم من أهل الفلاح والنجاح تجمعهم دائرة الاصطفاء وتؤلف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطاء (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني أجازة قال أنا أبو سعد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم قال أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا أحمد بن محمد بن رزمة قال حدثنا يوسف ابن حاصم الرازي قال حدثنا أبو أيوب سليمان بن داود قال حدثنا حصين بن نمير عن أبي ليلى عن أخيه عن أسامة بن زيد رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) كلهم في الجنة قال ابن عطاء الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذي يحب الله من أجل العقبى والسابق

هو الذي أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو حال الصوفي فالتشبه تعرض لشيء من أمر القوم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير * (سمعت) * شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد الغزالي ونحن باصبيان يريد منه الخرقه فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حتى يكلمك في معنى الخرقه ثم احضر حتى ألبسك الخرقه قال فجاء إلى فذكرت له حقوق الخرقه وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الخرقه وجبن أن يلبسها فأخبر الشيخ بما تمجدد عند الطالب من قولي له فاستحضرني وعاتبني على قولي له ذلك وقال بعنته إليك حتى تكلمه بما يزيد رغبته في الخرقه فكلمته بما فترت عزيمته ثم الذي ذكرته كله صحيح وهو الذي يجب من حقوق الخرقه ولكن إذا ألزمتنا المبتدئ بذلك نفر وعجز عن القيام به فنحن نلبسه الخرقه حتى يتشبه بالقوم ويتزني بزيهم فيقر به ذلك من مجالسهم ومحافلهم وبركة مخالطته معهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم يجب أن يسلك مسلكهم ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم ويوافق هذا القول من الشيخ أحمد الغزالي ما أخبرنا شيخنا رحمه الله قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف قال أنا الشيخ عبد الرحمن السامي قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول إذا لبت الفقير فلا تبدأه بالعلم وأبدأه بالرفق فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه ورفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع المبتدئ الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رفقا بالمبتدئ الطالب * (حكى) * عن بعضهم أنه صحبه طالب فكان يأخذ نفسه بآثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا نظر المبتدئ إليه والتأدب بأدبه والاقتداء به في عمله وهذا هو الرفق الذي مادخل في شيء إلا زانه فالتشبه الحقيقي له إيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة ومحاسبة ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فأما من لم يتطلع إلى حال المتصوف والصوفي بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة في الزى والصورة دون السيرة والصفة فليس بمتشبه بالصوفية لأنه غير محاك لهم بالدخول في بداياتهم فاذن هو متشبه بالتشبه يعتزى إلى القوم بمجرد

لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشقى بهم جليهم وقد ورد من أشبه بقوم فهو منهم (أخبرنا) الشيخ أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال أنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال حدثنا عمر بن أحمد بن أبي حاصم قال حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعي قال حدثنا علي بن أحمد قال حدثنا علي بن علي المقدسي قال حدثنا محمد بن عبد الله بن حاصر قال حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال حدثنا فضيل بن عياض عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان لله ملائكة فضلاء عن كتاب الناس يطوفون في الطرق ويتبعون مجالس الذكر فإذا رأوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلي حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى عنان السماء فيقول الله وهو أعلم ما يقول عبادي قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيذا فيقول ما يسألونني قالوا يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا لو رأوها كانوا أشد لها طلبا وعليها أكثر حرصا قالوا ويتعوذون من النار فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا كانوا أشد منها تعوذا وأشد فرارا فيقول شهدكم أني قد غفرت لهم فيقول الملك فمنهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة فيقول تبارك وتعالى هم الجلساء لا يشقى جليهم فلا يشقى جليس الصوفية والمتشبه بهم والمحبة لهم

❦ الباب الثامن في ذكر الملامتي وشرح حاله ❦

قال بعضهم الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضر شرًا وشرح هذا هو أن الملامتي تشرب عروقه طعم الاخلاص وتحقق بالصدق فلا يجب أن يطلع أحد على حاله وأعماله (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل المقدسي اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي اجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن سعيد وسألته عن الاخلاص ما هو قال سمعت علي بن إبراهيم وسألته عن الاخلاص ما هو قل سمعت محمد بن جعفر الخفاف وسألته عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن بشار عن الاخلاص ما هو قال سألت أبا يعقوب الشروطي عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن علي الجهمي

عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال
سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت
رسول الله ﷺ عن الاخلاص ماهو قال سألت جبرائيل عن الاخلاص ماهو قال
سألت رب العزة عن الاخلاص ماهو قال هو سر من سري استودعته قلب من أحببت
من عبادي فاللامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص يرون كتم
الأحوال والأعمال ويتلذذون بآمتها حتى لو ظهرت أعمالهم وأحوالهم لأحد
استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصي من ظهور معصيته فاللامتى عظم وقع
الاخلاص وموضعه وتمسك به معتدا به والصوفي غاب في اخلاصه عن اخلاصه
(قال) أبو يعقوب السوسى متى شهدوا في اخلاصهم الاخلاص احتاج اخلاصهم إلى
اخلاص * وقال ذوالنون ثلاث من علامات الاخلاص استواء الذم والمدح من
العامة ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال وترك اقتضاء ثواب العمل في الآخرة
(أخبرنا) أبوزرعة اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خاف اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن
يقال سمعت أبا عثمان المغربي يقول الاخلاص مالا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا
اخلاص العوام واخلاص الخواص ما يجري عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم
عنها معزل ولا يقع لهم علم برؤية ولا بها اعتداد فذلك اخلاص الخواص وهذا الذى
فصله الشيخ أبو عثمان المغربي يفرق بين الصوفى والملاطى لأن الملاطى أخرج
الخلق عن عمله وحاله ولكن أثبت نفسه فهو مخلص والصوفى أخرج نفسه عن
عمله وحاله كما أخرج غيره فهو مخلص وثمان ما بين المخلص الخالص والمخلص
(قال) أبو بكر الزرقى نقصان كل مخلص في اخلاصه رؤية اخلاصه فإذا
أراد الله أن يخلص اخلاصه أسقط عن اخلاصه رؤيته لا اخلاصه فيكون مخلصاً
لا مخلصاً (قال) أبو سعيد الخراز رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين ومعنى
قوله ان اخلاص المريدين معلول برؤية الاخلاص والعارف منزّه عن الرياء الذى
يبطل العمل ولكن لعله يظهر شيئاً من حاله وعمله بعلم كامل عنده فيه لجذب مريد
أو معاناة خلق من أخلاق النفس في اظهاره الحال والعمل وللعارفين في ذلك علم دقيق
لا يعرفه غيرهم فيرى ذلك ناقص العلم صورة رياء وليس برياء انما هو صريح العلم لله بالله
من غير حضور نفس ووجود آفة فيه (قال رويم) الاخلاص أن لا يرضى صاحبه

عليه عوضاً في الدارين ولا حظاً من المملكين * وقال بعضهم صدق الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق والملا متي يرى الخلق فيخفى عمله وحاله وكل ما ذكرناه من قبل وصف اخلاص الصوفي ولهذا قال الرقاق لا بد لكل مخلص من رؤية اخلاصه وهو نقصان عن كمال الاخلاص والاخلاص هو الذي يتولى الله حفظ صاحبه حتى يأتي به على التمام قال جعفر الخالدي سألت أبا القاسم الجنيد رحمه الله قلت أيين الاخلاص والصدق فرق قال نعم الصدق أصل وهو الأول والاخلاص فرع وهو تابع وقال بينهما فرق لأن الاخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل ثم قال انما هو اخلاص ومخالصة الاخلاص ومخالصة كائنة في المخالصة فلمعلى هذا الاخلاص حال الملا متي ومخالصة الاخلاص حال الصوفي والمخالصة الكائنة في المخالصة ثمرة مخالصة الاخلاص وهو فناء العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن رؤية قيامه وهو الاستغراق في العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو فقد حال الصوفي والملا متي مقيم في أوطان اخلاصه غير متطلع إلى حقيقة اخلاصه وهذا فرق واضح بين الملا متي والصوفي ولم يزل في خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يهدون أساسهم ويعرفونهم شروط حالهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم وقلم يتداول ألسنة أهل العراق هذا الاسم * (حكى) * أن بعض الملا متية استدعى إلي سماع فامتنع فقبل له في ذلك فقال لأنني ان حضرت يظهر على وجد ولا أوتر أن يعلم أحد حالتي (وقيل) ان أحمد بن أبي الحواري قال لأبي سليمان الداراني إني إذا كنت في الخلوة أجذل معاملي لذة لأجدها بين الناس فقال له إنك إذا لضعيف فالملا متي وإن كان متمسكاً بعروة الاخلاص مستغفراً بساط الصدق ولكن بقي عليه بقية رؤية الخلق وما أحسنها من بقية تمتحق الاخلاص والصدق والصوفي صفه من هذه البقية في طرفي العمل والترك للخلق وعزله بالكلية ورآهم بعين الفناء والزوال ولاح له ناصية التوحيد وعاب سر قوله (كل شيء هالك إلا وجهه) كما قال بعضهم في بعض غلباته ليس في الدارين غير الله وقد يكون اخفاء الملا متي الحال على وجهين احدهما الوجهين لتحقيق الاخلاص والصدق والوجه الآخر وهو الاتم لستر الحال عن غيره بنوع غيره فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق

المحبة أن يذكره اطلاع أحد على حبه لمحجوبه وهذا وإن علا في طريق الصوفي علة ونقص
فعل هذا يتقدم الملامتي على المتصوف ويتأخر عن الصوفي وقيل إن من أصول الملامتية
أن الذكر على أربعة أقسام ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح
فاذا صح ذكر الروح سكنت السر والقلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة
وإذا صح ذكر السر سكنت القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الهيبة وإذا صح ذكر
القلب فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء وإذا غفل القلب عن الذكر
أقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة ولكل واحد من هذه الأذكار عندهم آفة
فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر اطلاع القلب عليه وآفة ذكر
القلب اطلاع النفس عليه وآفة ذكر النفس رؤية ذلك وتمظيمه أو طلب ثوابه أو ظن
أنه يصل إلى شيء من المقامات وأقل الناس قيمة عندهم من يريد إظهاره وإقبال الخلق
عليه بذلك وسر هذا الأصل الذي بنوا عليه أن ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر
ذكر الصفات بزعمهم وذكر القلب من الآلاء والنعماء ذكر أثر الصفات وذكر النفس
معرض للملأ فمعنى قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون إلى التحقق بالفناء عند
ذكر الذات وذكر الهيبة في ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الهيبة وهو وجود
الهيبة ووجود الهيبة يستدعي وجودا وبقيّة وذلك يناقض حال الفناء وهكذا ذكر
السر وجود هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذي هو
ذكر الآلاء والنعماء مشعر ببعد ما لأنه اشتغال بذكر النعمة وذوول عن
المنعم والاشتغال برؤية العطاء عن رؤية المعطى ضرب من بعد المنزلة واطلاع
النفس نظرا إلى الاعواض اعتداد بوجود العمل وذلك عين الاعتدال حقيقة
وهذه أقسام هذه الطائفة وبعضها أعلى من بعض والله أعلم

﴿ الباب التاسع في ذكر من انتفى إلى الصوفية وليس منهم ﴾

فمن أولئك قوم يسمون نفوسهم قلندرية تارة وملامتية أخرى وقد ذكرنا
حال الملامتي وأنه حال شريف ومقام عزيز وتمسك بالسنن والآثار ونحقق
بالاخلاص والصدق وليس مما يزعم المعتقدون بشيء فأما القلندرية فهو إشارة
إلى أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا العادات وطرحوا التقبيد

بآداب المجالسات والمحادثات وساحوا في ميادين طيبة قلوبهم فقلت أعمالهم من الصوم والصلاة الا الفرائض ولم يبالوا بتناول شيء من لذات الدنيا من كل ما كان مباحا برخصة الشرع وربما اقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق العزيمة ومع ذلك هم متمسكون بترك الادخار وترك الجمع والاستكثار ولا يترسمون بمراسم المتقشفين والمتزهدين والمتعبدین وقنعوا بطيبة قلوبهم مع الله تعالى واقتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع إلى طلب مزيد سوى ما هم عليه من طيبة القلوب والفرق بين الملامتى والقلندرى أن الملامتى يعمل في كتم العبادات والقلندرى يعمل في تخريب العادات والملامتى يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه ولكن يخفي الأعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام في هيئة ومابوسه وحركاته وأموره سترًا للحال لئلا يفطن له وهو مع ذلك متطلع الى طلب المزيد باذل مجهوده في كل ما يتقرب به العبيد والقلندرى لا يتقيد بهيئة ولا يبالي بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينعطف الا على طيبة القلوب وهو رأس ماله والصوفى يضع الأشياء مواضعها ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامه ويقيم أسر الخلق مقامهم ويستتر ما ينبغي أن يستتر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأتي بالأمور في مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص فقوم من المفتونين سموا أنفسهم ملامتية ولبسوا لبسة الصوفية لينسبوا بها الى الصوفية وما هم من الصوفية بشيء بل هم في غرور وغايط يتسترون بلبسة الصوفية توقيتا تارة ودعوى أخرى وينتهجون منهاج أهل الاباحة ويزعمون أن ضمايرهم خلصت الى الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الافهام المنحصرين في مضيق الاقتداء تقليدا وهذا هو عين الاحاد والزندقة والابعاد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حق العبودية والحقيقة هي حقيقة العبودية ومن صار من أهل الحقيقة تقيد بحقوق العبودية وحقيقة العبودية وصار مطالب بالأمور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل الى ذلك لأنه يخلع عن عنقه ربة التكليف ويخامر باطنه الزينج والتحريف (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أبو محمد

الخطيب ثنا أبو بكر بن محمد بن عمر قال ثنا أبو بكر بن أبي داود قال ثنا أحمد بن صالح قال ثنا غنبة قال ثنا يونس بن يزيد قال قال مجاهد يعني الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول أن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي على عهد رسول الله ﷺ وأن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريره شيء الله تعالى يحاسبه في سريره ومن أظهر لنا سوي ذلك لم نأمنه وأن قال سريرتي حسنة وعنه أيضا رضي الله عنه قال من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن فاذا رأينا متهامونا بمحدود الشرع مهملا للصلوات المفروضة لا يعتد بحلاوة التلاوة والصوم والصلاة ويدخل في المداخل المكروهة المحرمة زده ولا تقبله ولا تقبل دعواه أن له سريرة صالحة (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي اجازة عن عمر بن أحمد عن ابن خلف عن السلمي قال سمعت أبا بكر الرازي سمعت أبا محمد الجريري يقول سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقوى إلى الله تعالى فقال الجنيد أن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويؤذي أحسن حالا من الذي يقول هذا وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإلى يرجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها وإنها لا كد في معرفتي وأقوى لحالي * ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويؤمنون أن الله تعالى يحل فيهم ويحل في أجسام يصطفها ويسبق لأفهامهم معنى من قول النصارى في اللاهوت والناسوت * ومنهم من يستبيح النظر إلى المستحسنيات إشارة إلى هذا الوهم ويتخايل له أن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضمر الشيء مما زعموه مثل قول الحلاج أنا الحق وما يحكي عن أبي يزيد من قوله سبحانه حاشا أن نعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى وهكذا ينبغي أن يعتقد في قول الحلاج ذلك ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمر للشيء من الحلول رددناه كما زددهم وقد أثنانا رسول الله ﷺ بشريعة بيضاء نقية

يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزّه ان يحل به شيء أو يحل بشيء حتى لعل بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتألف له في فكره كلمات يلبسها الى الله تعالى وانها مكاملة الله تعالى اياه مثل أن يقول قال لي وقلت له وهذا رجل إما جاهل بنفسه وحديثها جاهل بربه وبكيفية المكاملة والمحادثة وإما عالم ببطلان ما يقول بحمله هواه على الدعوى بذلك ليوهم انه ظفر بشيء وكل هذا ضلال ويكون سبب تجزئه على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتمسكهم بأصول القوم من صدق التقوى وكمال الزهد في الدنيا فلما صفت أسرارهم تشككت في سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنة فنزلت تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلاما يسمعون به بل كحديث في النفس يجذونه برؤية موافقا للكتاب والسنة مفهوما عند أهله موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم ومناجاة سرائرهم اياهم فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية فيضيفون ما يجذونه إلى نفوسهم وإلى مولاهم وهم مع ذلك عالمون بأن ذلك ليس كلام الله وانما هو علم حادث أحدثه الله في بواطنهم فطريق الاصحاء في ذلك القرار إلى الله تعالى من كل ما تحدث نفوسهم به حتى اذا برئت ساحتهم من الهوى ألهموا في بواطنهم شيئا ينسبون به إلى الله تعالى نسبة الحادث إلى المحدث لا نسبة الكلام إلى المتكلم لينصانوا عن الزيغ والتحريف * ومن أولئك قوم يزعمون أنهم يغرقون في بحار التوحيد ولا يثبتون ويسقطون لنفوسهم حركة وفعلا يزعمون أنهم مجبورون على الأشياء وأن لا فعل لهم مع فعل الله ويسترسلون في المعاصي وكل ما تدعو النفس اليه ويركنون إلى البطالة ودوام الغفلة والاغترار بالله والخروج من الملة وترك الحدود والاحكام والحلال والحرام (وقد سئل) سهل عن رجل يقول أنا كالباب لا أتحرك إلا اذا حركت قال هذا لا يقوله الا أحد رجلين اما صديق أو زنديق لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بالله مع أحكام الأصول ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول

ذلك احالة للاشياء على الله واسقاطا للأئمة عن نفسه وانخلاعا عن الدين ورسمه
 خأما من كان معتقدا للحلال والحرام والحدود والاحكام معتقدا بالمعصية اذا صدرت
 منه معتقدا وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وإن كان تحت القصور بما
 يركن اليه من البطالة ويتروح بهوى النفس إلى الاسفار والتردد في البلاد متوصلا
 الى تناول اللذائذ والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذبه ويبصره بعيب
 ما هو فيه والله الموفق

﴿الباب العاشر في شرح رتبة المشيخة﴾

ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن
 لكم أن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحبون الله إلى عبادته ويحبون عباد
 الله إلى الله ويمشون على الأرض بالنصيحة وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ
 هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى لأن الشيخ يحب الله إلى عبادته حقيقة
 ويحب عباد الله إلى الله ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونيابة
 النبوة في الدعاء إلى الله فأما وجه كون الشيخ يحب الله إلى عبادته فلا أن الشيخ يسلك
 بالمريد طريق الاقتداء برسول الله ﷺ ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله
 تعالى قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) ووجه كونه
 يحب عباد الله تعالى إليه أنه يسلك بالمريد طريق التزكية وإذا تزكت النفس انجلت
 مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الإلهية ولاح فيه جمال التوحيد وانجذبت
 أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية الكمال الأزلي فأحب العبد ربه
 للاحالة وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى (قد أفلح من زكاه) وفلاحها بالظفر بمعرفة
 الله تعالى وأيضا مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيته
 ولاحت الآخرة وتفاشها بكنهها وغايتها فتتكشف للبصيرة حقيقة الدارين
 وحاصل المنزلين فيحب العبد الباقي ويزهد في الفاني فتظهر فائدة التزكية وجدوي
 المشيخة والتربية فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين
 (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو الفضل عبد الواحد بن علي
 بهمدان قال أنا أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الطوسي قال حدثنا أبو العباس محمد

ابن يعقوب قال حدثنا أبو عتبة قال حدثنا بقية قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثني الأزهر بن عبد الله قد سمعت عبد الله بن بشر صاحب رسول الله ﷺ قال كان يقال إذا اجتمع عشرون رجلاً أو أكثر فإن لم يكن فيهم من يهاب الله عز وجل فقد خطر الأمر فعلى المشايخ وقار الله وبهم يتأدب المریدون ظاهراً وباطناً قال الله تعالى (أولئك الذين هدى الله) فبهذا هم اقتدوا فالمشايخ لما اهتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتقين قال رسول الله ﷺ حاكياً عن ربه إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جملة همته ولذته فى ذكرى فإذا جعلت همته ولذته فى ذكرى عشقنى وعشقتة ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه لا يسهر إذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الانبياء أولئك الأبطال حقاً أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فيها فصرفته بهم عنهم والسر فى وصول السالك إلى رتبة المشيخة أن السالك مأمور بسياسة النفس مبتلى بصفاتها لا يزال يسلك بصديق المعاملة حتى تطمئن نفسه وبطناً ينتها ينتزع عنها البرودة واليبوسة التي استصحبتهما من أصل خلقتهما وبها تستعصى على الطاعة والانقياد للعبودية فإذا زالت اليبوسة عنها ولانت بجمرة الروح الواصلة إليها وهذا الدين هو الذى ذكره الله تعالى فى قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله تعالى تجيب إلى العبادة وتلين للطاعة عند ذلك وقلب العبد متوسط بين الروح والنفس ذو وجهين أحدهما وجهه إلى النفس والوجه الآخر إلى الروح يستمد من الروح بوجهه الذى يليه ويمد النفس بوجهه الذى يليها حتى تطمئن النفس فإذا اطمأنت نفس السالك وفرغ من سياسيتها انتهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس وانقادت نفسه وفاءت إلى أمر الله ثم القلب يشترئ إلى السياسة لما فيه من التوجه إلى النفس فتقوم نفوس المريدين والطالبيين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية فى عين النفسية من وجهه لوجود التألف بين الشيخ والمريد من وجهه بالتألف الإلهى قال الله تعالى (لو أنفقنا مافى الأرض جميعاً ما أنفقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) فيسوس نفوس المريدين كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون فى الشيخ حينئذ معنى التخلق بأخلاق الله تعالى من معنى قول الله تعالى

ألا طال شوق الأبرار إلى لقائى * وإنى إلى لقائهم لأشد شوقا
وبما هيا الله تعالى من حسن التأليف بين صاحب والمصحب يصير المرید جزء
الشیخ كما إن الولد جزء الوالد فی الولادة الطبیعیة وتصر هذه الولادة آ نفا وولادة
معنویة كما ورد عن عیسی صلوات الله علیه لن یلج ملکوت السماء من لم یولد
مرتين فبالولادة الأولى یصیر له ارتباط بعالم الملك وبهذه الولادة یصیر له ارتباط
بالملكوت قال الله تعالى (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ولیكون
من الموقنین) وصرف الیقین على الكمال یحصل فی هذه الولادة وبهذه الولادة
یستحق میراث الأنبیاء ومن لم یصله میراث الأنبیاء ما ولد وإن كان على كمال من
الفطنة والذكاء لأن الفطنة والذكاء نتیجة العقل والعقل إذا كان بإسما من نور
الشرع لا یدخل الملكوت ولا یزال مترددا فی الملك ولهذا وقف على برهان من
العلوم الریاضیة لأنه تصرف فی الملك ولم یرتق إلى الملكوت والملك ظاهر الكون
والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصیرة التي منها تنبعث أشعة الهدایة
قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ینتطق به الترجمان معلوم عند من یرجم
عنه وليس كل ما عند من یرجم عنه یبرز إلى الترجمان فلهذا المعنى حرم الواقفون
مع مجرد العقول العریة عن نور الهدایة الذی هو موهبة الله تعالى عند الأنبیاء
واتباعهم الصواب وأسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم غایة
التبیان وكما أن فی الولادة الطبیعیة ذرات الأولاد فی صلب الأب مودعة تنقل الى
اصلاب الاولاد بعد كل ولد ذرة وهی الذرات التي خاطبها الله تعالى يوم المیناق
بألست بربكم قالوا بلى حیث مسح ظهر آدم وهو ملقى بیطن نعمان بین مكة والطائف
فسالت الذرات من مسام جسده كما یسبل العرق بعدد كل ولد من ولد آدم ذرة
ثم لما خوطبت وأجابت ردت الى ظهر آدم فمن الآباء من تنفذ الذرات فی صلبه
ومنهم من لم یودع فی صلبه شیء فینقطع نسله وهكذا المشایخ فمنهم من تكثر
أولاده وبأخذون منه العلوم والأحوال ویودعونها غیرهم كما وصلت الیهم من
النبي ﷺ بواسطة الصحبة ومنهم من تقل أولاده ومنهم من ینقطع نسله وهذا
النسل هو الذی رد على الكفار حیث قالوا عجب أبتر لانسلك له قال الله تعالى (إن

شأنك هو الآخر) وإلا فنسل رسول الله ﷺ باق الي أن تقوم الساعة وبالنسبة
المعنوية يصل ميراث العلم الي اهل العلم (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي املأه قال أنا أبو عبد الرحمن الماليني قال أنا أبو الحسن الداودي قال
أنا أبو محمد الحوي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا أبو محمد الدارمي قال أنا
نصر بن علي قال حدثنا عبد الله بن داود عن عاصم عن رجاء بن حيوة عن داود
ابن جميل عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق
فأتاه رجل فقال يا أبا الدرداء اني أتيتك من المدينة مدينة الرسول ﷺ لحديث
بلغني عنك انك تحمده عن رسول الله ﷺ قال فما جاء بك تجارة قال لا قال ولا
جاء بك غيره قال لا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من سلك طريقا يلتمس
به علم اسلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا الطالب
العلم وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتي الحيتان في الماء وإن
فضل العالم على العابد كفضل الزمر على سائر النجوم وإن العلماء هم ورثة الأنبياء
وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما أورثوا العلم فمن أخذه به أخذ بحظه أو
بمحظ وافر فأول ما أودعت الحكمة والعلم عند آدم أبي البشر عليه السلام ثم انتقل
منه كما انتقل منه النسيان والعصيان وما تدعو اليه النفس والشيطان كما ورد أن الله
تعالى أمر جبرائيل حتي أخذ قبضة من أجزاء الأرض والله تعالى نظر الي الأجزاء
الأرضية التي كونها من الجوهرة التي خلقها أولا فصار من مواقع نظر الله اليها
فيها خاصية السماع من الله تعالى والجواب حيث خاطب السموات والأرضين بقوله
(ائتيا طوما أوكرها قالتا أتينا طائعين) حملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصية
ثم انتزعت هذه الخاصية منها بأخذ أجزائها لتركيب صورة آدم فركبت جسد آدم
من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصية فن حيث نسبة أجزاء الأرض تركب
فيه الهوي حتي مديده الي شجرة الفناء وهي شجرة الخنطة في أكثر الأقاويل
فتطرق لقابه الفناء وبإكرام الله إياه بنفخ الروح الذي أخبر عنه بقوله (فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي) نال العلم والحكمة فبالنسوية صار ذا نفس منفوسة وبنفخ
الروح صار ذا روح روحاني وشرح هذا يطول فصار قلبه معدن الحكمة وقلبه

معدن الهوى فانتقل منه العلم والهوى وصار ميزانه فى ولده فصار من طريق الولادة
أبا بواسطة الطبائع التى هى متحد الهوى ومن طريق الولادة المعنوية أبا بواسطة
العلم فالولادة الظاهرة تطرق اليها الفناء والولادة المعنوية محجة من الفناء لأنها وجدت
من شجرة الخلد وهى شجرة العلم لاشجرة الخنطة التى سماها ابليس شجرة الخلد
فابليس يرى الشئ بضده فتبين أن الشيخ هو الأب وكثيرا كان شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب السهروردى رحمه الله يقول ولدى من سلك طريقى واهتدى
بهدي فالشيخ الذى يكتب بطريفة الأحوال قد يكون مأخوذا فى ابتدائه فى
طريق المحبين وقد يكون مأخوذا فى طريق المحبوبين وذلك إن أمر الصالحين
والسالكين ينقسم أربعة أقسام سالك مجرد ومجذوب مجرد وسالك متدارك بالجذبة
ومجذوب متدارك بالسلوك فالسالك المجرد لا يؤهل للمشيخة ولا يبلغها بقاء صفاء
نفسه عليه فيقف عند حظه من رحمة الله تعالى فى مقام المعاملة والرياضة ولا يرتقى
إلى حال يروح بها عن وهج المكابدة والمجذوب المجرد من غير سلوك يبادئه الحق
بآيات الية وينزع عن قلبه شيئا من الحجاب ولا يؤخذ فى طريق المعاملة والمعاملة
أثر تام سوف نشرحه فى موضعه إن شاء الله تعالى وهذا أيضا لا يؤهل للمشيخة
ويقف عند حظه من الله ومروحا بحاله غير مأخوذ فى طريق أعماله ماعدا القرينة
والسالك التى تدورك بالجذبة هو الذى كانت بدايته بالمجاهدة والمكابدة والمعاملة
بالاخلاص والوفاء بالشروط ثم أخرج من وهج المكابدة الى روح الحال فوجد
العسل بعد العلقم وتروح بنسمات الفضل وبرز من مضيق المكابدة الى متسع
المساهلة وأونس بنفحات القرب وفتح له باب من المشاهدة فوجد دواءه وذو
وعاؤه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت اليه القلوب وتوالى عليه فتوح الغيب
وصار ظاهره مسددا وباطنه مشاهدا وصالح للجولة وصار له فى الجولة خلوة فيغلب
ولا يغلب ويفترس ولا يفترس يؤهل مثل هذا للمشيخة لانه أخذ فى طريق
المحبين ومنح حالا من أحوال المقرين بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين
ويكون له أتباع ينتقل منه اليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوسا
فى حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال ولا يبلغ كمال النوال يقف عند

حظه وهو حظ وافر سنى والذين أوتوا العلم درجات ولكن المقال الا كل في المشيخة القسم الرابع وهو المجذوب المتدارك بالسلوك يبادئه الحق بالكشف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستتير بأنوار المشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود ويرتوى من بحر الحال ويتخلص من الأغلال والأغلال ويقول معلنا لا أعبد رباً لم أره ثم يفيض من باطنه على ظاهره وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء بل بلذادة وهناء ويصير قلبه بصفة قلبه لا متلاء قلبه بحب ربه ويلين جلده كاللأن قلبه وعلامة لين جلده اجابة قلبه للعمل كاجابة قلبه فيزيده الله تعالى ارادة خاصة ويرزقه محبة خاصة من محبة المحبوبين المرادين ينقطع فيواصل ويعرض عنه فيرسل يذهب عنه جمود النفس ويصطلى بحرارة الروح وتنكشف عن قلبه عروق النفس قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد وقد ورد في الخبر أن إبليس سأل السبيل إلى القلب ف قيل له يحرم عليك ولكن السبيل لك في مجاري العروق المشتبكة بالنفس إلى حد القلب فاذا دخلت العروق عرفت فيها من ضيق مجاريها وامتزج عرقك بماء الرحمة المترشح من جانب القلب في مجرى واحد ويصل بذلك سلطانك إلى القلب ومن جعلته نبيا أو وليا قلعت تلك العروق من باطن قلبه فيصير القلب سليم فاذا دخلت العروق لم تصل إلى المشتبكة بالقلب فلا يصل إلى القلب سلطانك فالمحجوب المراد الذى أهل للمشيخة سلم قلبه وانشرح صدره ولأن جلده فصار قلبه بطابع الروح ونفسه بطبع القلب ولانت النفس بعد أن كانت أماراة بالسوء مستعصية ولأن الجلد للين النفس ورد إلى صورة الأعمال بعد وجدان الحال ولا يزال روحه ينجذب إلى الحضرة الالهية فيستتبع الروح القلب وتستتبع القلب النفس ويستتبع النفس القلب فامتزجت الأعمال القلبية والقالبية وانخرق الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة والدينيا إلى الآخرة والآخرة

إلى الدنيا ويصح له أن يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فعند ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون مسيطرا على الحال لا الحال مسيطرا عليه ويصير حرا من كل وجه والشيخ الأول الذي أخذ في طريق المحبين حر من رق النفس ولكن ربما كان باقيا في رق القلب وهذا الشيخ في طريق المحبوبين حر من رق القلب كما هو حر من رق النفس وذلك أن النفس حجاب ظلمي أَرْضَى أَعْتَقَ منه الأول والقلب حجاب نوراني سماوى أَعْتَقَ منه الآخر فصارت له لالقلبه ولموقته لالوقته فعبد الله حقاً وآمن به صدقاً ويسجد لله سواده وخياله ويؤمن به فؤاده ويقربه لسانه كما قال رسول الله ﷺ في بعض سجوده ولا يتخلف عن العبودية منه شعرة ونصير عبادته مشاكلة لعبادة الملائكة والله يسجد من في السموات والأرض طواوكرها وظلالهم بالغدو والآصال فالنواب هي الظلال الساجدة لظلال الأرواح المقربة في عالم الشهادة الأصل كثيف والظل لطيف وفي عالم الغيب الأصل لطيف والظل كثيف فيسجد لطيف العبد وكثيفه وليس هذا لمن أخذ في طريق المحبين لانه يستتبع صور الاعمال ويمتلىء بما أنبل من وجدان الحال وذلك قصور في العلم وقلة في الحظ ولو كثر العلم رأى ارتباط الأعمال بالأحوال كارتباط الروح بالجسد ورأى أن لاغنى عن الأعمال كما لاغنى في عالم الشهادة عن القوالب فدامت القوالب باقية فالعمل باق ومن صح في المقام الذي وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف المحقق والمحبوب المعتق نظره دواء وكلامه شفاء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويذا ومؤيدا بي ينطق وبى يبصر الحديث فالشيخ يعطى بالله ويمنع بالله فلا رغبة له في عطاء ومنع لعينة بل هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون في الأشياء بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه فان علم أن الله تعالى يريد منه الدخول في صورة محمودة دخل فيها المراد الله تعالى لكون الصورة محمودة بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى

﴿الباب الحادى عشر فى شرح حال الخادم ومن يتشبه به﴾

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قال يا داود إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما

الخدام يدخل في الخدمة راغباً في الثواب وفيما أعد الله تعالى للعباد ويتصدى لا يصلح الراحة ويفرغ خاطر المقبلين على الله تعالى عن مهام معاشهم ويفعل ما يفعله الله تعالى بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى والخدام واقف مع نيته فالخدام يفعل الشيء لله تعالى والشيخ يفعل الشيء لله فالشيخ في مقام المقرين والخدام في مقام الأبرار فيختار الخدام البذل والائثار والارتفاق من الأغيار للأغيار ووظيفة وقته تصديه لخدمة عباد الله وفيه يعرف الفضل ويرجحه على نوافله وأعماله وقد يقيم من لا يعرف الخدام من الشيخ الخدام مقام الشيخ وربما جهل الخدام أيضاً حال نفسه فيحسب نفسه شيخاً لقلّة العلم واندراست علوم القوم في هذا الزمان وقناعة كثير من الفقراء من المشايخ باللقمة دون العلم والحال فكل من كان أكثر اطعاماً هو عندهم أحق بالمشيخة ولا يعلمون أنه خادم وليس بشيخ والخدام في مقام حسن وحظ صالح من الله تعالى (وقد ورد) ما يدل على فضل الخدام فيما أخبرنا الشيخ أبو زرعة ابن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي عن أبيه قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله المقرئ قال حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي قال حدثنا أبو حامد الحافظ قال حدثنا العباس بن محمد الدوري وأبو الأزهر قال حدثنا أبو داود قال حدثنا سفيان عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سامة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ أتى بطعام وهو عمر الظهران فقال لأبي بكر وعمر كلا فقالا أنا صائمان فقال ارحلا لصاحبيكما اعملا لصاحبيكما ادنوا فكلأ يعني انكما ضعفتما بالصوم عن الخدمة فاحتجتما إلى من يخدمكما فكلأوا خدما أنفسكما فالخدام يحرص على حيازة الفضل فيتوصل بالكسب تارة وبالاسترقاق والدروزة تارة أخرى وباستجلاب الوقف إلى نفسه تارة لعلمه أنه قيم بذلك صالح لا يصلح إلى الموقوف عليهم ولا يبالي أن يدخل في كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة ويرى الشيخ بنفوذ البصيرة وقوة العلم أن الاتفاق يحتاج إلى علم تام ومعانقة في تخليص النية عن شوائب النفس والشهوة الخفية ولو خلصت نيته ما رغب في ذلك لوجود مراده فيه وحاله ترك المراد واقامة مراد الحق (أخبرنا) أبو زرعة اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف اجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن الملي

يقول سمعت محمد بن الحسين بن الحشاش يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت
الجنيد يقول سمعت السري يقول أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة فقلت
له ما هو قال لا تسأل من أحد شيئا ولا تأخذ من أحد شيئا ولا يكن معك شيء
تعطى منه أحدا شيئا والخادم يرى إن من طريق الجنة الخدمة والبذل والايثار
فيقدم الخدمة على النوافل ويرى فضلها وللخدمة فضل على النافلة التي يأتي بها
العبد طالبا بها الثواب غير النافلة التي يتوخى بها صحة حاله مع الله تعالى لوجود
تهد قبل وعد (ومما يدل) على فضل الخدمة على النافلة ما أخبرنا أبو زرعة قال
أخبرني والدي الحافظ المقدسي قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد السمسار باصفهان قال
أنا إبراهيم بن عبد الله بن خرشيد قال حدثنا الحسين بن اسمعيل المحاملي
قال حدثنا أبو السائب قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا عاصم عن موريق
عن أنس قال كنا مع رسول الله ﷺ فنا الصائم ومنا المفطر فنزلنا منزلا
في يوم حار شديد الحر فنا من يتقى الشمس بيده وأكثرنا ظلا صاحب الكساء
يستظل به فنام الصائمون وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال
رسول الله ﷺ ذهب المفطرون اليوم بالأجر وهذا حديث يدل على فضل
الخدمة على النافلة والخادم له مقام عزيز يرغب فيه فأما من لم يعرف تخلص النية
من شوائب النفس ويتشبه بالخادم ويتصدى لخدمة الفقراء ويدخل في مداخل
الخدماء بحسن الإرادة بطلب التآخي بالخادم فتكون خدمته مشوبة منها ما يصيب
فيها لموضع إيمانه وحسن إرادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه
من مزج الهوى فيضع الشيء في غير موضعه وقد يخدم بهواه في بعض تصاريقه
ويخدم من لا يستحق الخدمة في بعض أوقاته ويحب الحمدة والثناء من الخلق
مع ما يحب من الثواب ورضا الله تعالى وربما خدم للثناء وربما امتنع من الخدمة
لوجود هوى يخارسه في حق من يلقاه بذكروه ولا يراعى واجب الخدمة في طرفي
الرضا والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخادم لا يتبع الهوى
في الخدمة في الرضا والغضب ولا يأخذه في الله لومة لائم ويضع الشيء موضعه
فاذن الشخص الذي وصفناه آتقا متخادم وليس بخادم ولا يميز بين الخادم

والمتخادم إلا من له علم بصحة النيات وتخليصها من شوائب الهوى والمتخادم النجيب يبلغ ثواب الخادم في كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخليقه عن حاله بوجود مزج هواه وأما من أقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقف إليه أو توفير رفق عليه وهو يخدم لمنال يصيبه أو حظ طاجل يدركه فهو في الخدمة لنفسه لا لغيره فلو انقطع رفقه ما خدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه ويحتاج إليه في المحافل يتكثربه ويقم به جاه نفسه بكثرة الاتباع والاشباع فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرص نهاره وليله في تمصيل ما يقيم به جاهه ويرضى نفسه وأهله وولده فيتسع في الدنيا ويتزيا بغير زى الخدام والفقراء وتنتشر نفسه بطلب الحظوظ ويستولى عليه حب الرياسة وكلما كثر رفقه كثرت مواد هواه واستطال على الفقراء ويحوج الفقراء إلى التملق المفرط له تطلبا لرضاه وتوقيا لفضيمه وميله عليهم بقطع ما ينوبهم من الوقف فهذا أحسن حاله أن يسمى مستخدما فليس بخادم ولا متخادم ومع ذلك كله ربما نال بركتهم باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وبالتماثل إليهم وقد أوردنا الخبر المسند الذي في سياقه هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم والله الموفق والمعين

﴿الباب الثاني عشر في شرح خرقه المشايخ الصوفية﴾

لبس الخرقه ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه والتحكيم سائغ في الشرع لمصالح دنيوية فإذا ينكر المنكر لبس الخرقه على طالب صادق في طلبه يتقصده شيئا بحسن ظن وعقيدة يحكمه في نفسه لمصالح دينه يرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجيد ويبصره بأفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو فيسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه فيلبسه الخرقه اظهارا للتصرف فيه فيكون لبس الخرقه علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنة المبايعة مع رسول الله ﷺ (أخبرنا) أبو زرعة قال أخبرني والدى الحافظ المقدسى قال أنا أبو الحسين أحمد بن محمد البراز قال أنا أحمد بن محمد أخى ميمى قال حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال حدثنا عمرو بن على بن حفظة قال سمعت عبد الوهاب

الثقفي يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة ابن الصامت قال أخبرني أبي عن أبيه قال بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا نتزعزع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا ولا نخاف في الله لومة لائم ففي الخرقعة معنى المبايعة والخرقة عتبة الدخول في الصحبة والمقصود الكلى هو الصحبة وبالصحبة يرعى للمريد كل خير (روى) عن أبي يزيد أنه قال من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان (وحكى الاستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي على الدقاق أنه قال الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير فارس فإنها تورق ولا تثمر وهو كما قال ويجوز أنها تثمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لها كبتها طعم فأكهة البساتين والغرس إذا نقل من موضع إلى موضع آخر يـكـون أحسن حالا وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب المعلم وأحل ما يقتله بخلاف غير المعلم (وسمعت) كثيرا من المشايخ يقولون من لم ير مفلحا لا يفلح ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله ﷺ كما روى عن بعض الصحابة علماء رسول الله ﷺ كل شيء حتى الخراءة فللمريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلحق بطن المريد ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينتقل الحال من الشيخ إلى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال ولا يكون هذا إلا للمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من ارادة نفسه وفنى في الشيخ بترك اختيار نفسه فبالإتلاف الإلهي يصير بين الصحاب والمصحب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة القطرية ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كلاً كان يفهم من الشيخ ومبدأ هذا الخبر كله الصحبة والملازمة للشيخ والخرقة مقدمة ذلك * ووجه لبس الخرقعة من السنة ما أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ أبي الفضل المقدسي قال أنا أبو بكر

أحمد بن علي بن خلف الأديب النيسابوري قال أنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال أنا محمد بن إسحق قال أنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله المصري قال حدثنا أبو الوليد قال حدثنا إسحق بن سعيد قال حدثنا أبي قال حدثني أم خالد بنت خالد قالت أتى النبي عليه السلام بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال من ترون اكسو هذه فمكت القوم فقال رسول الله ﷺ ائتوني بأم خالد قالت فأتي بي فألبسنيها بيده فقال أبل وأخلق يقولها مرتين وجعل ينظر إلى علم في الخميصة أصفر وأحمر ويقول يا أم خالد هذا سناه والسناه هو الحسن بلسان الحبشة ولا خفاء أن لبس الخرق على الهيئة التي يعتمدها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله ﷺ وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث مارويناه والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذي ذكرناه وأي اقتداء برسول الله ﷺ أتم وأكد من الاقتداء به في دعاء الخلق إلي الحق وقد ذكر الله تعالى في كلامه القديم تحكيم الأمة رسول الله ﷺ وتحكيم المرید شيخه إحياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وسبب نزول هذه الآية أن الزبير بن العوام رضى الله عنه اختصم هو وآخر إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة والشراج مسيل الماء كان يسيقان به النخل فقال النبي عليه السلام للزبير اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الرجل وقال قضى رسول الله لابن عمته فأنزله الله تعالى هذه الآية يعلم فيها الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط عليهم في الآية التسليم وهو الانقياد ظاهرا ونفي الحرج وهو الانقياد باطنا وهذا شرط المرید مع الشيخ بعد التحكيم فلبس الخرقه يزبل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ويحذر الاعتراض على الشيوخ فانه السهم القاتل للمریدين وقل أن يكون المرید يعترض على الشيخ بباطنه فيفعلح ويذكر المرید في كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر عليه السلام كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها يان لموسى وجه الصواب في ذلك فهكذا ينبغي للمرید أن يعلم أن كل تصرف أشكل

عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة ويد الشيخ في لبس الخرقة تنوب عن يد رسول الله ﷺ وتسليم المرید له تسليم لله ورسوله قال الله تعالى (ان الذين يبائعونك إنما يبيعونك الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه) يأخذ الشيخ على المرید عهد الوفاء بشرائط الخرقة ويعرفه حقوق الخرقة فالشيخ للمرید صورة يستشف المرید من وراء هذه الصورة المطالبات الالهية والمراضى النبوية ويعتقد المرید أن الشيخ باب فتحة الله تعالى إلى جناب كرمه منه يدخل وإليه يرجع وينزل بالشيخ أسوانحه ومهامه الدينية والدنيوية ويعتقد أن الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المرید به ويرجع في ذلك إلى الله للمرید كما يرجع المرید إليه وللشيخ باب مفتوح من المكاملة والمحاذثة في النوم واليقظة فلا يتصرف الشيخ في المرید بهواه فهو أمانة الله عنده ويستغيث إلى الله بحوائج المرید كما يستغيث بحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه قال الله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) فإرسال الرسول يختص بالأنبياء والوحي كذلك والكلام من وراء حجاب بالالهام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيخ والراسخين في العلم (واعلم) ان للمریدین مع الشيخ أوان ارتضاع وأوان فطام وقد سبق شرح الولادة المعنوية فأوان الارتضاع أوان لزوم الصحبة والشيخ يعلم وقت ذلك فلا ينبغي للمرید أن يفارق الشيخ إلا باذنه قال الله تعالى تأديبا للأمة (إنما المؤمنین الذین آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذین يستأذنونك أولئک الذین يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم) وأي أمر جامع أعظم من أمر الدين فلا يأذن الشيخ للمرید في المفارقة إلا بعد علمه بأن آله وأوان الفطام وأنه يقدر ان يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه ان يفتح له باب الفهم من الله تعالى فاذا بلغ المرید رتبة انزال الحوائج والمهام بالله والفهم من الله تعالى بتعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أوان فطامه ومتى فارق قبل أوان الفطام يناله من الاعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا متابعة الهوى ما ينال المقطوم لغير أوانه في الولادة الطبيعية وهذا التلازم بصحبة المشايخ للمرید الحقيقي والمرید الحقيقي يلبس خرقة

الارادة واعلم ان الخرقه خرقتان خرقه الارادة وخرقة التبرك والاصل الذي قصده المشايخ للمريدين خرقه الارادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الارادة فخرقة الارادة للمريد الحقيقي وخرقة التبرك للمتشبه ومن تشبه بقوم فهو منهم وسر الخرقه ان الطالب الصادق اذا دخل في صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع الوالد يريه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الاشراف على البواطن فقد يكون المريد يلبس الخشن كشياب المتقشفين المتزهدين وله في تلك الهيئة من الملبوس هوى كامن في نفسه ليرى بعين الزهادة فأشد ما عليه لبس الناعم وللنفس هوى واختيار في هيئة مخصوصة من الملبوس في قصر الكم والذيل وطوله وخشونته ونعومته على قدر حسبائها وهو اها فيلبس الشيخ مثل هذا الراكن لتلك الهيئة ثوبا يكسر بذلك على نفسه هواها وعرضها وقد يكون على المريد ملبوس ناعم أو هيئة في الملبوس يشرب النفس إلى تلك الهيئة بالعادة فيلبسه الشيخ ما يخرج النفس من عاداتها وهو اها فتصرف الشيخ في الملبوس كتصرفه في المطعوم وكتصرفه في صوم المريد وافتطاره وكتصرفه في أمر دينه إلى ما يرى له من المصلحة من دوام الذكر ودوام التثقل في الصلاة ودوام التلاوة ودوام الخدمة وكتصرفه فيه برده إلى الكسب أو الفتوح أو غير ذلك فللشيخ اشراف على البواطن وتنوع الاستعدادات فيأمر كل مريد من أمر معاشه ومعهاده بما يصلح له ولتنوع الاستعدادات تنوعت مراتب الدعوة قال الله تعالى (ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فالحكمة رتبة في الدعوة والموعظة كذلك والمجادلة كذلك فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالموعظة ومن يدعى بالموعظة لا تصلح دعوته بالحكمة فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع المقرين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى في التخشن أو في التنعيم فيخلع المريد من عاداته ويخرجه من مضيق هوى نفسه ويطعمه باختياره ويلبسه باختياره ثوبا يصلح له وهيئة تصلح له ويدأوى بالخرقة المخصوصة والهيئة المخصوصة داه هواه ويتوخي بذلك تقر يربه إلي رضا مولاه فالمرید الصادق الملتزم باطنه بنا

الارادة في بدء أمره وحدة ارادته كالمسوع الحريص على من يرقيه ويداويه فإذا صادف شيخا انبعث من باطن الشيخ صدق العناية به لاطلاعه عليه وينبعث من باطن المريد صدق المحبة بتألف القلوب وتشام الارواح وظهور سر السابقة فيهما باجتماعهما لله وفي الله وبالله فيكون القميص الذي يلبس المريد خرقة تبشر المريد بمحسن عناية الشيخ به فيعمل عند المريد عمل قيص يوسف عند يعقوب عليهما السلام (وقد نقل) إن ابراهيم الخليل عليه السلام حين ألقى في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فأناه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه إياه وكان ذلك عند ابراهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فجعل يعقوب عليه السلام ذلك القميص في تعويذ وجعله في عنق يوسف فكان لا يفارقه لما ألقى في البئر عريانا جاءه جبريل وكان عليه التعويذ فأخرج القميص منه وألبسه إياه (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن اسمعيل القزويني اجازه قال أنا أبو سعد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا الحسن ابن علويه قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحق بن بشر عن ابن السدي عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى من أن لا يعلم أن قميصه لا يرد على يعقوب بصره ولكن ذاك كان قميص ابراهيم وذكر ما ذكرناه قال فأمره جبرائيل أن أرسل بقميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو سقيم إلا صح وعوفي فتكون الخرقة عند المريد الصادق متحملة اليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحة لله ويرى لبس الخرقة من عناية الله به وفضل من الله فأما خرقة التبرك فيطلبها من مقصوده التبرك بزى القوم ومثل هذا لا يطالب بشرائط الصحة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة ليعود عليه بركتهم ويتأدب بأدابهم فسوف يرقيه ذلك إلى الأهلية لخرقة الارادة فعلى هذا خرقة التبرك مبذولة لكل طالب وخرقة الارادة ممنوعة إلا من الصادق الراغب ولبس الأزرق من استحسان الشيوخ في الخرقة فان رأي شيخ أن يلبس مریدا غير الأزرق فليس لأحد أن يعترض عليه لأن المشايخ آراؤهم فيما يفعلون بحكم

الوقت (وكان) شيخنا يقول كان الفقير يلبس قصير الأكمام ليكون أعون على الخدمة ويجوز للشيخ أن يلبس المريء خرقا في دفعات على قدر ما يتلحج من المصلحة للمريد في ذلك على ما أسلفناه من تداوى هواه في الملبوس والملون فيختار الأزرق لأنه أوفق للفقير لكونه يحمل الوسخ ولا يحوج إلى زيادة الغسل لهذا المعنى فحسب وما عدا هذا من الوجوه التي يذكرها بعض المتصوفة في ذلك كلام اقناعي من كلام المتصنعين ليس من الدين والحقيقة بشيء (سمعت) الشيخ سديد الدين أبالفخر الحمداني رحمه الله قال كنت ببغداد عند أبي بكر الشروطي فخرج الينا فقير من زاويته عليه ثوب وسخ فقال له بعض الفقراء لم لا تغسل ثوبك فقال يا أخى ما أتفرغ فقال الشيخ أبو الفخر لا أزال أتذكر حلاوة قول الفقير ما أتفرغ لأنه كان صادقا في ذلك فأجد لذة لقوله وبركة بتذكاري ذلك فاختاروا الملون لهذا المعنى لانهم من رعاية وقتهم في شغل شاغل وإلا فأى ثوب ألبس الشيخ المريء من أبيض وغير ذلك فللشيخ ولاية ذلك بحسن مقصده ووفور علمه وقد رأينا من المشايخ من لا يلبس الخرقه ويسلك بأقوام من غير لبس الخرقه ويؤخذ منه العلوم والآداب وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقه ولا يلبسونها المریدین فمن يلبسها فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ومن لا يلبسها فله رأيته وله في ذلك مقصد صحيح وكل تصارييف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولا تخلو عن نية صالحة فيه والله تعالى ينفع بهم وبآثارهم ان شاء الله تعالى

﴿ الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الرباط ﴾

قال الله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) قيل ان هذه البيوت هي المساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي عليه الصلاة والسلام (وقيل) لما نزلت هذه الآية قام أبو بكر رضي الله عنه وقال يا رسول الله هذه البيوت منها بيت على وفاطمة قال نعم أفضلها (وقال) الحسن بقاع الأرض كلها جعلت مسجدا لرسول الله عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الاعتبار بالرجال الدارين لا بصور البقاع

وأى بقعة حوت رجالا بهذا الوصف هى البيوت التى أذن الله أن ترفع * روى أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بعضاً هل سر بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن قائلة نعم ومن قائلة لا فإذا قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلاً وما من عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض أو صلى لله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت (وقيل) فى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكى عليهم ولا تبكى على من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فسكان الرباط هم الرجال لأنهم ربطوا نفوسهم على طاعة الله تعالى وانقطعوا إلى الله فأقام لهم الدنيا خادمة (روى) عمران ابن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله كفاه الله مؤنته وورقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها وأصل الرباط ما ربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط فالجهاد المرباط يدفع عمن وراءه والمقيم فى الرباط على طاعة الله يدفع به وبدوائه البلاء عن العباد والبلاد (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبى العباس الخليلي قال أخبرنا القاضى محمد ابن سعيد الفرخزاذى قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أنا الحسين بن محمد قال حدثنا أبو بكر بن خريجة قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو حميد الحمصى قال حدثنا يحيى بن سعيد ٣ ألقطار ٣ قوله بالهامش القطار هكذا بنسخة وفى أخرى العطار ولعله القطان بالنون وليحرر قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه البلاء (وروى) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لولا عباد الله ركن وصيبة رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباحاً ثم رضى رضا ٧ (وروى) جابر ابن عبد الله قال قال النبي ﷺ ان الله تعالى ليصلح بالصلاح الرجل ولده وولد وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون فى حفظ الله مادام فيهم (وروى) داود بن صالح قال

لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا قلت لا قال يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط لجهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه قال الله تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده) قال عبد الله ابن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر على ما روى في الخبر أن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر * (وقيل) * ان بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى الغزو فكتب إليه يا أخى كل الثغور مجتمعة لى فى بيت واحد والباب على مردود فكتب إليه أخوه لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته اختلت أمور المسلمين وغلب الكفار فلا بد من الغزو والجهاد فكتب إليه يا أخى لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا فى زواياهم على سجادتهم الله أكبر انهدم سور قسطنطينية (وقال بعض الحكماء) ارتفاع الأصوات فى بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ماعقدته الأفلاك الدائرات فاجتماع أهل إذ الربط أصح على الوجه الموضوع له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الأوقات وتوقى ما يفسد الأعمال واعتماد ما يصحح الأحوال عادت البركة على البلاد والعباد (قال سري السقطي) فى قوله تعالى (اصبروا وصابروا ورابطوا) اصبروا عن الدنيا رجاى السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا اهواء النفس اللوامة واتقوا ما يعقب لكم الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة وقيل اصبروا على بلائى وصابروا على نعمائى ورابطوا فى دار أعدائى واتقوا محبة من سوائى لعلكم تفلحون غدا ببقائى * وهذه شرائط ساكن الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتسابا كنفاء بكفالة مسبب الأسباب وحبس النفس عن المحالطات واجتناب التبعات وطائق ليله ونهاره العبادة متعوضاً بها عن كل عادة شغله حفظ الأوقات وملازمة الأوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطاً مجاهداً (حدثنا) شيخنا أبو النجيب السهروردي قل أنا ابن نبهان عم السكاكيب قال أنا

الحسن بن شاذان قال أنا دعلج قال أنا البغوى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا صفوان عن الحرث عن سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اسبغ الوضوء في المسكاره وأعمال الاقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا * وفي رواية ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا وترفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسبغ الوضوء في المسكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط

باب الرابع عشر في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة

قال الله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) هذا وصف أصحاب رسول الله ﷺ قيل لهم ماذا كنتم تصنعون حتى أثنى الله عليكم بهذا الثناء قالوا كنا نتبع الماء الحجر وهذا وأشباه هذا من آداب وظيفه صوفية الربط يلزمونه ويتأهدونه والرباط بيئتهم ومضرهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك على ما أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أحمد ابن محمد البزازى قال أنا عيسى بن علي الوزير قال حدثنا عبد الله البغوى قال حدثنا وهبان بن بقية قال حدثنا خالد بن عبد الله عن داود بن أبي هند عن أبي الحرث حرب بن أبي الأسود عن طلحة رضى الله عنه قال كان الرجل إذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه فإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الربط لهذا المعنى أن يكون سكنها بوصف مقال الله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) والمقابلة باستواء السر والعلانية ومن أضرر لأخيه غلا فليس بمقابل له وإن كان وجهه إليه فأهل الصفة هكذا كانوا لأن مثار الغل والحقود وجود الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع فزال الأحقاد والغل عن بواطنهم وهكذا أهل الربط متقابلون بظواهرهم ولهم بواطن

مجتمعون على الألفة والمودة مجتمعون للكلام ويجتمعون للطعام ويتعرفون بركة
 الاجتماع (روى) وحشى بن حرب عن أبيه عن جده أنهم قالوا يا رسول الله إنا نأكل
 ولا نشبع قال لعلمكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا الله تعالى يبارك
 لكم فيه (وروى) أنس بن مالك رضى الله عنه قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق فقيل فعلى أى شيء كانوا يأكلون قال
 على السفر فالعباد والزهاد طلبوا الاتفراد لدخول الآفات عليهم بالاجتماع وكون
 نفوسهم تقتلق للأهوية والخوض فيما لا يعنى فرأوا السلامة فى الوحدة والصوفية
 لقوة عملهم وصحة حالهم نزع عنهم ذلك فرأوا الاجتماع فى بيوت الجماعة على
 السجادة فسجادة كل واحد زاويته وهم كل واحد منهم ولعل الواحد منهم لا يتخطى
 همه سجاداته ولهم فى اتخاذ السجادة وجه من السنة (روى) أبو سامة بن عبد الرحمن
 عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرا من الليف
 يصلى عليه من الليل وروت ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان
 رسول الله ﷺ تبسط له الخمرة فى المسجد حتى يصلى عليها والرباط يحتوى على
 شبان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالشايخ بالزوايا ألبق نظرا إلى ما تدعو
 إليه النفس من النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات فللنفس شوق إلى
 التفرد والاسترسال فى وجوه الرفق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود فى بيت
 الجماعة والانكشاف لنظر الاغيار لتكثر العيون عليه فيتقيد ويتأدب ولا يكون
 هذا إلا إذا كان جمع الرباط فى بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات وضبط الأنفاس
 وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله ﷺ لكل امرئ منهم يومئذ
 شأن يغنيه كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض ببعض
 وهكذا ينبغى لأهل الصدق والصوفية أن يكون اجتماعهم غير مضر بوقتهم فاذا
 تخلل أوقات الشبان اللغو واللغط فالأولى أن يلزم الشاب الطالب الوحدة والعزلة
 ويؤثر الشيخ الشاب بزوايته وموضع خلوته ليحبس الشاب نفسه عن دواعى الهوى
 والخوض فيما لا يعنى ويكون الشيخ فى بيت الجماعة لقوة حاله وصبره على مداراة الناس
 وتخلصه من تبعات الخالطة وحضور وقاره بين الجمع فينضبط به الغير ولا يتكدر
 هو وأما الخدمة فشأن من دخل الرباط مبتدئا ولم يذق طعم المعاملة ولم يتنبه

لنفائس الأحوال أن يؤثر بالخدمة لتكون عبادته خدمته ويجذب بحسن الخدمة قلوب أهل الله إليه فتشمله بركة ذلك وبعين الاخوان المشتغلين بالعبادة (قال) رسول الله ﷺ المؤمنون إخوة يطلب بعضهم إلى بعض الحوائج فيقضى بعضهم إلى بعض الحوائج يقضى الله لهم حاجاتهم يوم القيامة فيحتفظ بالخدمة عن البطالة التي تميمت القلب والخدمة عند القوم من جملة العمل الصالح وهى طريق من طرق المواجيد تكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطوعاً إلى الاهتداء بهديهم (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح قال أنا أبو الفضل حميد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا علي بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عبيد قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن أبي هلال الطائي عن وثيق بن الرومي قال كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فكان يقول لي اسلم فانك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين فانه لا ينبغي أن أستمع على أماناتهم بمن ليس منهم قال فأبيت فقال عمر لا إكراه في الدين فلما حضرته الوفاة أعتقني فقال اذهب حيث شئت فالقوم يكرهون خدمة الأغيار ويأبون مخالطتهم أيضاً فان من لا يحب طريقهم ربما استضر بالنظر اليهم أكثر مما ينتفع فانهم بشر وتبدو منهم أمور بمقتضى طبع البشر وينكرها الغير لئلا علمه بمقاصدهم فيكون آباؤهم لموضع الشفقة على الخلق لا من طريق التعزز والترفع على أحد من المسلمين والشاب الطالب إذا خدم أهل الله المشغولين بطاعته يشاركهم في الثواب وحيث لم يؤهل لأحوالهم السنية يخدم من أهل لها فخدمته لأهل القرب علامة حب الله تعالى (أخبرنا) الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا أبو بكر بن خلاد قال حدثنا الحرث بن أبي اسامة قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو اسحق عن حميد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قال حين دنا من المدينة ان بالمدينة أقواما ماسرتم من مسير ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم في المدينة قال نعم حبسهم العذر فالتأثم بالخدمة القوم تعوق عن باوغ درجاتهم بعذر القصور وعدم الأهلية فقام حول الحمى باذلاً مجوده في الخدمة يتعلل بالآثر

حيث منع النظر فجزاه الله على ذلك أحسن الجزاء وأنا له من جزيل العطاء وهكذا كان أهل الصفة يتعاونون على البر والتقوى ويحتمدون على المصالح الدينية ومواساة الاخوان بالمال والبدن

❦ الباب الخامس عشر في خصائص أهل الربط والصوفية

فيما يتعاهدون ويختصون به ❦

اعلم أن تأسيس هذه الربط من زينة هذه الملة الهادية المهديّة ولسكان الربط أحوال تميزوا بها عن غيرهم من الطوائف وهم على هدى من ربهم قال الله تعالى (أولئك الذين هدى الله) فبهداهم اقتده وما يرى من التقصير في حق البعض من أهل زماننا والتخلف عن طريق سلفهم لا يقدح في أصل أمرهم وصحة طريقهم وهذا القدر الباقي من الأثر واجتماع المتصوفة في الربط وماهياً الله تعالى لهم من الرفق بركة جمعية بواطن المشايخ الماضين وأثر من أثار منح الحق في حقهم وصورة الاجتماع في الربط الآن على طاعة الله والترسم بظاهر الآداب عكس نور الجمعية من بواطن الماضين وسلوك الخلف في مناهج السلف فهم في الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوائف قل الله تعالى في وصف المؤمنين كأنهم بنيان مرصوص وبالعكس ذلك وصف الاعداء فقال تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى (روى) النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إنما المؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع وإذا اشتكى مؤمن اشتكى المؤمنون فالصوفية وظيفتهم اللازمة من حفظ اجتماع اجتماع البواطن وإزالة التفرقة بازالة شعث البواطن لأنهم بنسبة الأرواح اجتمعوا ورباطة التأليف الإلهي اتفقوا وبمشاهدة القلوب تواطوا ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب في الرباط رابطوا فلا بد لهم من التألف والتودد والنصح (روى) أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف (أخبرنا) أبو زرعة طاهر بن الحافظ. أبي الفضل المقدسي عن أبيه قال حدثنا أبو القاسم الفضل بن أبي حرب قال أنا أحمد بن الحسين الحيري قال أنا (٦ - عوارف المعارف)

أبو سهل بن زياد القطان قال حدثنا الحسين بن مكرم قال حدثنا يزيد بن هرون الواسطي قال حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ الأرواح جنود مجنونة فما تعارفت منها ائتلفت وما تناكر منها اختلف فهم باجتماعهم تجتمع بواطنهم وتتقيد نفوسهم لأن بعضهم عين على البعض على ماورد المؤمن مرآة المؤمن فأى وقت ظهر من أحدهم أثر التفرقة ناقروه لأن التفرقة تظهر بظهور النفس وظهور النفس من حق تضييع الوقت فأى وقت ظهرت نفس الفقير علموا منه خروجه عن دائرة الجمعية وحكموا عليه بتضييع حكم الوقت وإهمال السياسة وحسن الرعاية فيقاد بالمناقرة إلى دائرة الجمعية (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر السهروردي اجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت رويما يقول لا يزال الصوفية بخير ما تناقروا فإذا اصطلحوا هلكوا وهذه إشارة من رويم إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض اشفاقا من ظهور النفوس يقول إذا اصطلحوا أو دفعوا المناقرة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن المساهلة المرأة ومشاحمة البعض البعض في إهمال دقيق آدابهم وبذلك تظهر النفوس وتستولى وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الى عيوبى (وأخبرنا) أبوزرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الهروى قال أنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنا أبو القاسم البغوى قال حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيرى قال حدثنى ابراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن محمد بن زهمان أخبر بأن عمر قال فى مجلس فيه المهاجرون والانصار أرايتم لو ترخصت فى بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال فسكتنا قال فقال ذلك مرتين أو ثلاثا أرايتم لو ترخصت فى بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال بشر بن سعد لو فعلت ذلك قومناك تقويم القسح فقال عمر أنتم إذن أنتم وإذا ظهرت نفس الصوفى بغضب وخصومة مع بعض الاخران فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس إذا قوبلت بالقلب انمحست مادة الشر وإذا قوبلت النفس بالنفس ثارت.

الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا) ثم الشيخ أو الخادم إذا شكك إليه فقير من أخيه فله أن يعاتب أيهما شاء فيقول للمعتدي لم تعديت ولمعتدي عليه ما الذي أذنبت حتى تعدى عليك وسلط عليك وهلا قابات نفسه بالقلب رفقا بأخيك واعطاء للفتوة والصحبة حقها فكل منهما جان وخارج عن دائرة الجمعية فيرد إلى الدائرة بالنقار فيعود إلى الاستغفار ولا يسلك طريق الاصرار دوت مائشة رضى الله عنها قالت كان يقول رسول الله ﷺ اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أسأؤا استغفروا فيكون الاستغفار ظاهرا مع الاخوان وباطنا مع الله تعالى ويرون الله في استغفارهم فلهذا المعنى يقفون في صف النعال على أقدامهم تواضعا وانكسارا وسمعت شيخنا يقول للفقير إذا جرى بينه وبين بعض إخوانه وحشة قم واستغفر فيقول الفقير ما أرى باطنى صافيا ولا أوثر القيام للاستغفار ظاهرا من غير صفاء الباطن فيقول أنت قم فبركة سعيك وقيامك ترزق الصفاء فكان يحد ذلك ويرى أثره عند الفقير وترق القلوب وترقع الوحشة وهذا من خاصية هذه الطائفة لا يبيتون والبواطن منظوية على وحشة ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضرر وحشة ولا يرون الاجتماع ظاهرا في شيء من أمورهم إلا بعد الاجتماع بالبواطن وذماب التفرقة والشعث إذا قام الفقير للاستغفار لا يجوز رداستغفاره بحال (روى) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم (وللصوفية) في تقبيل يد الشيخ بعد الاستغفار أصل من السنة (روى) عبد الله بن عمر قال كنت في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاص الناس حصة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فردنا من الزحف وبؤنا بالغضب ثم قلنا لو دخلنا المدينة فتبنا فيها ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كان لنا توبة وإلا ذهبنا فآتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال من القوم قلنا نحن الفرادون قل لا بل انتم العكارون أنا فئتكم المسلمين يقال عكر الرجل إذا والعكار العطاف والرجاع قال فآتيناه حتى قبلنا يده وروى ان أبا عبيدة بن الجراح تولى ثم كر راجعا

قبل يد عمر عند قدومه وروى عن أبي مرثد الغنوى انه قال آتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت إليه وقبلت يده فهذا رخصة في جواز تقبيل اليد. ولكن أدب الصوفى انه متى رأى نفسه تتعزز بذلك أو تظهر بوصفها أن يمتنع من ذلك فان سلم من ذلك فلا بأس بتقبيل اليد ومعانقتهم للاخوان عقيب الاستغفار لجوعهم إلى الالفة بعد الوحشية وقدمهم من سفر الهجرة بالترقة إلى أوطان الجمعية فبظهور النفس تغربوا وبعثوا وبغية النفس والاستغفار قدموا وزاجعوا ومن استغفر إلى أخيه ولم يقبله فقد اخطأ فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وعيد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من اعتذر إليه أخوه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب المكوس (وروى) جابر أيضاً عن رسول الله ﷺ من تنصل إليه فلم يقبل لم يرد الخوض ومن السنة أن يقدم للاخوان شيئاً بعد الاستغفار روى ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان من توبتى أن أخلع من مالى كله واهجر دار قومى التى فيها أتيت الذنب فقال له النبي عليه الصلاة والسلام يحزبك من ذلك الثلث فصارت سنة الصوفية المطالبة بالغرامة بعد الاستغفار والمناقرة وكل قصدهم رعاية التألف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كما ان ظواهرهم على الاجتماع وهذا أمر تفردوا به من بين طوائف الاسلام ثم شرط الفقير الصادق إذا سكن الرباط وأراد أن يأكل من وقفه أو مما يطلب لسكانه بالدروزة ان يكون عنده من الشغل بالله ما لا يسعه الكسب والا إذا كان للبطالة والخوض فيما لا يعنى عنده مجال ولا يقوم بشروط أهل الارادة من الجد والاجتهاد فلا ينبغي له ان يأكل من مال الرباط بل يكتسب ويأكل من كسبه لان طعام الرباط لا قوام كمل شغلهم بالله فخدمتهم الدنيا لشغلهم بخدمة مولاهم الا ان يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق ينتفع بصحبته ويهتدى يهديه فيرى الشيخ أن يطعمه من مال الرباط فلا يكون تصرف الشيخ إلا بصحة بصيرة ومن جملة ما يكون للشيخ في ذلك من النية أن يشغله بخدمة الفقراء فيكون ماياً كله في مقابلة خدمته ﴿ روى ﴾ عن أبي عمرو الزجاجى قال أمت عند الجنيد مدة فما رآنى قط الا وأنا مشغول بنوع من العبادة فما كلنى حتى كان يوم من

الأيام خلا الموضع من الجماعة فقامت ونزعت ثيابي وكندست الموضع ونظفته ورششته وغسلت موضع الطهارة فرجع الشيخ ورأى على أثر الغبار فدخل ورحب بي. وقال أحسنت عليك بها ثلاث مرات ولا يزال مشايخ الصوفية يندبون الشباب إلى الخدمة حفظاً لهم عن البطالة وكل واحد يكون له حظ من المعاملة وحظ من الخدمة **(روى)** أبو محذورة قال جعل رسول الله ﷺ لنا الأذان والسقاية لبني هاشم والحجاجة لبني عبد الدار وبهذا يقتدى مشايخ الصوفية في تفريق الخدم على الفقراء ولا يعذر في ترك نوع من الخدمة إلا كامل الشغل بوقته ولا نعى بكامل الشغل شغل الجوارح ولكن نعى به دوام الرطابة والمحاسبة والشغل بالقلب والقلب وقتاً وبالقلب دون القلب وقتاً وتفقد الزيادة من النقصان فإن قيام الفقير بحقوق الوقت شغل تام وبذلك يؤدي شكر نعمة الفراغ ونعمة الكفاية وفي البطالة كفران نعمة الفراغ والكناية (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر اجازة قال أنا عمر بن أحمد بن منصور قال أنا أحمد بن خلف قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال سمعت أبا الفضل بن حمدون يقول سمعت علي بن عبد الحميد الفخائري يقول سمعت السري يقول من لا يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم (وقد يعذر) الشيخ العاجز عن الكسب في تناول طعام الرباط ولا يعذر الشاب هذا في شرط طريق القوم على الإطلاق فإما من حيث فتوى الشرع فإن كان شرط الوقف على المتصوفة وعلى من تزا بزى المتصوفة وعلى خرقتهم فيجوز أكل ذلك لهم على الإطلاق فتوى وفي ذلك القناعة بالخصصة دون العزيمة التي هي شغل أهل الارادة وإن كان شرط الوقف على من يسلك طريق الصوفية صملاً وحالاً فلا يجوز أكله لأهل البطالات والراكنين إلى تضييع الأوقات وطرق أهل الارادة عند مشايخ الصوفية مشهورة (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف قال حدثنا جعفر الرياني قال حدثنا محمد بن الحسين البلخي بسمرقند قال حدثنا عبد الله ابن المبارك قال حدثنا سعيد بن أبي أيوب الخزازي قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن أبي سليمان الليثي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال مثل المؤمن كمثل

الفرس في آخيته يحول ويرجع إلى آخيته وان المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الايمان فاطعموا طعامكم الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين

❦ الباب السادس عشر في ذكر اختلاف أحوال مشايخهم في السفر والمقام ❦
 اختلف أحوال مشايخ الصوفية فمنهم من سافر في بدايته وأقام في نهايته ومنهم من قام في بدايته وسافر في نهايته ومنهم من أقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الإقامة ونشر حال كل واحد منهم ومقصده فيما رام فأما الذي سافر في بدايته وأقام في نهايته فقصده بالسفر لمعان منها تعلم شيء من العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى اما كان سفره ضائعاً (ونقل) ان جابر ابن عبد الله رحل من المدينة إلى مصر في شهر الحديث بلغه ان أنسا يحدث به عن رسول الله ﷺ وقد قال عليه السلام من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع (وقيل) في تفسير قوله تعالى المائجون انهم طلاب العلم (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي املأ قال أنا أبو الفتح عبد الملك الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا وكيع قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أبي هرون قال كنا نأتى أبا سعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله ﷺ ان النبي عليه السلام قال ان الناس لكم تبع وان الرجال يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً وقال عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم وروت عائشة رضی الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الله تعالى أوحى إلي انه من سلك مسلكاً في طلب العلم سهلت له طريقاً إلى الجنة * ومن جملة مقاصدهم في البداية لقاء المشايخ والاخوان الصادقين فلم يريد بلقاء كل صادق مزيد وقد ينفعه لحظ الرجال كما ينفعه لفظ الرجال (وقد قيل) من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لظه وهذا القول فيه وجهان أحدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر ما يكلم بلسان قوله فإذا نظر الصادق إلى تصاريفه في مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينفعه بالنظر إليه فهو نفع اللحظ ومن

لا يكون حاله وأفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها والوجه الثانى ان نظر العلماء الراسخين فى العلم والرجال البالغين ترياق نافع ينظر أحدهم إلى الرجل الصادق فيستكشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستئماله لمواهب الله تعالى الخاصة فيقع فى قلبه محبة الصادق من المريدين وينظر إليه نظر محبة عن بصيرة وهم من جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم أحوالا سنية يهبون وآثار مرضية وماذا يذكر المنكر من قدرة الله ان الله سبحانه وتعالى كما جعل فى بعض الأفاعى من الخاصة انه إذا نظر إلى انسان يملكه بنظره ان يجعل فى نظر بعض خواص عباد الله انه إذا نظر إلى طالب صادق يكسبه حالا وحياة وقد كان شيخنا رحمه الله يطوف فى مسجد الخيف بمعنى ويتصفح وجوه الناس فقليل له فى ذلك فقال لله عباد إذا نظروا إلى الشخص أ كسبوه سعادة فأنا أطلب ذلك ومن جملة المقاصد فى السفر ابتداء قطع المألوفات والانسلاخ من ركوب النفس إلى معهود ومعلوم والتحامل على النفس بتجبرع مرارة فرقة الآلاف والخلان والأهل والأوطان فمن صبر على تلك المألوفات محتسبا عند الله أجرا فقد حاز فضلا عظيما أخبرنا أبو زرعة بن أبى الفضل الحافظ المقدسى عن أبيه قال أنا القاضي أبو منصور محمد بن أحمد الفقيه الاصفهاني قال أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن خرشيد قوله قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زيادة النيسابورى قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب قال حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال ليته مات بغير مولده قالوا ولم ذاك يا رسول الله قال ان الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره من الجنة * ومن جملة المقاصد فى السفر استكشاف دقائق النفوس واستخراج دعواتها ودعوايها لأنها لا تكاد تتبين حقائق ذلك بغير السفر وسمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق وإذا وفق على دأبه يتشمر لدوائه وقد يكون أثر السفر فى نفس المبتدى كثر النوافل من الصلاة والصوم واتهم جد وغير ذلك وذلك ان المتأمل سائر إلى الله تعالى من أوطان الغفلات إلى محل القربات والمسافر يقطع

المسافات ويتقلب في المفاز والقلوب بحسن النية لله تعالى سائرا إلى الله تعالى بمراغمة الهوى ومهاجرة ملاذ الدنيا (أخبرنا) شيخنا اجازة قال أنا عمر بن احمد قال أنا احمد بن محمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السامعي قال سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت علي بن عبد الرحيم يقول سمعت النوري يقول التصوف ترك كل حظ النفس فاذا سافر المبتدى تاركاً حظ النفس تطمئن النفس وتلين كاتلين بدوام النافلة ويكون لها بالسفر دباغ يذهب عنها الخشونة واليبوسة الجبلية والعفونة الطبيعية كالجلد يعود من هيئة الجلود إلى هيئة النياب فتعود النفس من طبيعة الطفيان إلى طبيعة الايمان * ومن جملة المقاصد في السفر رؤية الآثار والعبر وتسريح النظر في مسارح الفكر ومطالعة أجزاء الأرض والجبال وموانئ أقدام الرجال واستماع التسبيح من ذرات الجمادات والفهم من لسان حال القطع المتجاورات فقد تتجدد اليقظة بتجدد مستودع العبر والآيات وتتوفر بمطالعة المشاهد والمواقف الشواهد والدلالات قال الله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقد كان السري يقول للصوفية إذا خرج الشتاء ودخل أدار وأورقت الأشجار طاب الانتشار * ومن جملة المقاصد بالسفر إثبات الحمول وإطراح حظ القبول فصدق الصادق ينم على أحسن الحال ويرزق من الخلق حسن الاقبال ولما يكون صادق متمسك بعروة الاخلاص ذو قلب عامر إلا ويرزق اقبال الخلق على لآني أبلغ نفسى حظها من الهوى فاني لا أبالي أقبلا أو أدبروا ولكن لكون اقبال الخلق علامة تدل على صحة الحل فاذا ابتلى المرید بذلك لا يأمن نفسه أن تدخل عليه بطريق الركون إلى الخلق وربما يفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق البر والدخول في الأسباب المحموده وتزیه فيه وجه المصلحة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل الموجود ولا تزال النفس به والشيطان حتى يجراه إلى السكون إلى الأسباب واستحلاء قبول الخلق وربما قويا عليه فجراه إلى التنصم والتعمل ويتسع الخرق على الرافع (وسمعت) ان بعض الصالحين قال لمريده أنت الآن وصلت إلي مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ولكن يدخل عليك من طريق الخير وهذا مزلة عظيمة للاقدام فالله تعالى يدرك الصادق إذا ابتلى بشيء من ذلك ويزعجه بالعناية السابقة والمعونة اللاحقة إلى السفر فيفارق

المعارف والموضع الذي فتح عليه هذا الباب فيه ويتجرد لله تعالى بالخروج إلى السفر وهذا من أحسن المقاصد في الاسفار للصادقين فهذه جل المقاصد المطلوبة للمشايخ في بداياتهم ماعدا الحج والغزو وزيارة بيت المقدس (وقد نقل) أن ابن عمر خرج من المدينة قاصدا إلى بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم أسرع راجعا إلى المدينة من الغد * ثم إذا من الله على الصادق بأحكام أمور بدايته قلبه في الاسفار ومنحه الحظ من الاعتبار وأخذ نصيبه من العلم قدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتقى في قلبه فوائد النظر إلى حال المتقين وتعطر باطنه باستنشاق عرف معارف المقربين وتحصن بحماية نظر أهل الله وخاصته وسير أحوال النفس وأسفر السفر عن دقائق أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يغلب ولا يغلب كما قال الله تعالى اخبارا عن موسى (ففررت منكم لما خفتكم فوهد لي ربي حكما وجعلني من المرسلين) فعند ذلك يرد الحق إلى مقامه ويمدح بمجزي انعامه ويجعله إماما للمتقين به يقتدى وعالما للمؤمنين به يهتدى * وأما الذي أقام في بدايته وسافر في نهايته يكون ذلك شخصا يسر الله له في بداية أمره صحة صحيحة وقبض له شيئا طالما يسلك به الطريق ويدرجه إلى منازل التحقيق فيلازم موضع ارادته ويلتزم بصحبة من يرد عنه عاداته وقد كان الشبلي يقول للحصري في ابتداء أمره أن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فحرام عليك أن تحضرني فن رزق مثل هذه الصحبة يحرم عليه السفر فالصحبة خير له من كل سفر وفضية يقصدها (أخبرنا) رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال أنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري عن والده الاستاذ أبي القاسم قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت عياش بن أبي الصخر يقول سمعت أبا بكر الرقاق يقول لا يكون المرید مریدا حتي لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة فمن رزق صحبة من يندبه إلى مثل هذه الأحوال السنية والعزائم القوية يحرم عليه المفارقة واختيار السفر ثم إذا أحكم أمره في الابتداء بلزوم الصحبة وحسن الاقتداء وارتوى من الأحوال وبلغ مبلغ الرجال وانبعس من قلبه عيون ماء الحياة وصارت نفسه مكسبة للسعادات يستنشق نفس الرحمن من صدور الصادقين

من الاخوان في أقطار الأرض وشاسع البلدان يشرب إلى التلاق وينبعث إلى الطواف في الآفاق يسيره الله تعالى في البلاد لفائدة العباد ويستخرج بمغناطيس حاله خبء أهل الصدق والمتطلعين إلى من يحجر عن الحق ويبدد في أراضى القلوب بذرا الفلاح ويكثر ببركة نفسه وصحبته أهل الصلاح وهذا مثل هذه الأمة الهادية في الانجيل كزرع أخرج شطئه فأزده فاستغلظ فاستوي على سوقه تعود بركة البعض على البعض وتسري الأحوال من البعض إلى البعض ويكون طريق الوراثة معمورا وعلم الافادة منشورا (أخبرنا) شيخنا قال أنا الإمام عبد الجبار البيهقي في كتابه أنا أبو بكر البيهقي قال أنا أبو علي الروذبادي قال حدثنا أبو بكر بن داسمه قال حدثنا أبو داود قال أنا يحيى بن أيوب قال حدثنا اسماعيل بن جعفر قال أخبرني العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من دعى إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيء ومن دعى إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا فأما من أقام ولم يسافر يكون ذلك شخصا رباه الحق سبحانه وتعالى وتولاه وفتح عليه أبواب الخير وجذبه بعنايته (وقد ورد) جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين ثم لما علم منه الصدق ورأى حاجته إلي من ينتفع به ساق إليه بعض الصديقين حتى أيده بلفظه ولفظه وتداركه بالحظه ولتجده بقوة حاله وكفاه يسير الصحبة لكمال الاهلية في الصاحب والمصحوب واجراء سنة الله تعالى في اعطاء الأسباب حقها لاقامة رسم الحكمة يحوج إلى يسير الصحبة فيتنبه بالقليل للكثير ويغنيه اليسير من الصحبة عن اللحظ الكثير ويكتفي بوافر حظ الاستبصار عن الاسفار ويتعوض بأشعة الأنوار عن مطالعة العبر والآثار كما قال بعضهم الناس يقولون افتحوا أعينكم وأبصروا وأنا أقول غمضوا أعينكم وأبصروا (وسمعت) بعض الصالحين يقول لله عباد طور سيناءم ركبهم تكون رؤسهم على ركبهم وهم في محال القرب فمن نبع له معين الحياة في ظلمة خلوته فاذا يصنع بدخول الظلمات ومن اندرجت له أطباق السموات في طي شهوده ماذا يصنع بتقلب طرفه في السموات ومن جمعت أحداق بصيرته متفرقات الكائنات ماذا يستفيد من طي الفلوات ومن خلص

بخاصية فطرته إلى جمع الأرواح ماذا تفيد زيارة الاشباح (قيل) أرسل ذو النون المصري إلى أبي يزيد رجلا وقال قل له إلي متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة فقال للرسول قل لأخي الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة فقال ذو النون هنيئا له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا (وكان) بشر يقول يامعشر القراء سيحوا واطيبوا فإن الماء إذا كثر مكث في موضع تغير وقيل قال بعضهم عند هذا الكلام صر بجزرا حتى لا تتغير فإذا أدام المريد سيرا الباطن يقطع مسافة النفس الأمانة بالسوء حتى قطع منازل آفاتهما وبدل أخلاقها المذمومة بالمحمودة وعانق الاقبال على الله تعالى بالصدق والاخلاص اجتمع له المتفرقات واستفاد في حضره أكثر من سفره لكون السفر لا يخلو من متاعب وكلف ومشوشات وطوارق ونوازل يتجدد الضعف، عن سياستها بالعلم للضعفاء ولا يقدر على تسليط العلم على متجددات السفر وطوارقه إلا الأقوياء (قال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه للذي زكى عنده رجلا هل صحبتته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا قال ما أراك تعرفه فإذا حفظ الله عبده في بداية أمره من تشويش السفر ومتعه بجمع الهم وضمن الاقبال في الحضر وساق اليه من الرجال من اكتسب به صلاح الحال فقد أحسن اليه (قيل) في تفسير قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) هو الرجل المنقطع إلى الله يشكل عليه شيء من أمر الدين فيبعث الله اليه من يحمل أشكاله فإذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو في المقام من غير سفر ثمرات النهاية فيستقر في الحضر انتهاء وابتداء وأقيم في هذا المقام جمع من الصالحين وأما الذي أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة حاله في ذلك يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد ولا تموت إلا بين منزلين * وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم في بلد أكثر من أربعين يوما وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوما يفسد عليه توكله فكان علم الناس ومعرفتهم إياه يراه سببا ومعلوما (وحكى) عنه أنه قال مكنت في البادية أحد عشر يوما لم آكل وتطلعت نفسي أن آكل من حشيش البر فرأيت الخضرة مقبلا نحوى فهربت منه ثم التفت فإذا هو رجع عنى فقيل لم هربت.

منه قال تشوفت نفسي أن يغيبني هؤلاء الفرارون بدينهم (اخبِرنا) أبو زرعة طاهر ابن الحافظ أبي الفضل المقدسي عن أبيه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي قال أنا أبو عبد الله ابن يوسف بن نامويه قال حدثنا أبو محمد الزهري القاضي قال حدثنا محمد بن عبد الله ابن اسباط قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا محمد يعني ابن مسلم عن عثمان بن عبد الله ابن أوس عن سليمان بن هرمز عن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال أحب شيء إلى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يجتمعون إلي عيسى بن مريم يوم القيامة وهذه كلها أحوال اختلعت واتبع أربابها الصحة وحسن النية مع الله وحسن النية يقتضى الصدق والصدق لعينه محمود كيف تقلبت الأحوال فمن سافر ينبغي أن يتفقد حاله ويصح نيته ولا يقدر على تخليص النية من شوائب النفس إلا كثير العلم تام التقوي وافر الحظ من الزهد في الدنيا ومن انطوى على هوى ومن لم يستقص في الزهد لا يقدر على تصحيح النية فقد يدعوه إلى السفر نشاط جبلي نفساني وهو يظن أن ذلك داعية الحق ولا يميز بين داعية الحق وداعية النفس ويحتاج الشخص في علم صحة النية إلى العلم بمعرفة الخواطر وشرح الخواطر وعلمها يحتاج إلى باب مفرد لنفسه ونومى الآن إلى ذلك برمز يدرکه من نازله شيء من ذلك فأكثر الفقراء من علم ذلك ومعرفة على بعد * إعلم أن ما ذكرناه من نشاط النفس واقع للفقير في كثير من الأمور فقد يجد الفقير الروح بالخروج إلى بعض الصحاري والبساتين ويكون ذلك الروح مضرا به في ناني الحال وإن كان يترأى له طيبة القلب في الوقت وسبب طيبة قلبه في الوقت أن النفس تنفسح وتتسع ببلوغ غرضها وتيسر يسير هواها بالخروج إلى الصحراء والتنزه وإذا اتسعت بعدت عن القلب وتنحت عنه متشوفة إلى متعلق هواها فيتروح القلب لا بالصحراء بل ببعد النفس منه كشخص تباعد عنه قرين يستنقله ثم إذا عاد الفقير إلى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستور حاله يجد النفس مقادنة للقلب بمزيد ثقل موجب لتبرمه بها وكلما ازداد ثقلها تكدر القلب وسبب زيادة ثقلها استرسالها في تناول هواها فيصير الخروج إلى الصحراء عين بالداء ويظن الفقير أنه ترويح ودواء فلوصبر على الوحدة والخلوة ازدادت النفس

ذوبانا وخفت ولطفت وصارت قرينا صالحا للقلب لا يمتثلها وعلى هذا يقاس
 التروح بالاسفار فللنفس وثبات إلى توهم التروحات فن فطن لهذه الدقيقة لا يغتر
 بالتروحات المستعارة التي لا تحمد طاقبتها ولا تؤمن غائلتها ويتثبت عند ظهور
 خاطر السفر ولا يكثر بالخطر بل يطرحه بعدم الالتفات مسيئا ظنه بالنفس
 وتمويلاتها ومن هذا القبيل والله أعلم قول رسول الله ﷺ ان الشمس تطلع
 من بين قرني الشيطان فيكون للنفس عند طلوع الشمس وثبات تستند تلك
 الوثبات والنهضات من النفس إلى المزاج والطبائع ويطول شرح ذلك ويعمق
 ومن ذلك القبيل خفة مرض المريض غدوة بخلاف العشيات فيتشكل اهتزاز النفس
 بنهضات القلب ويدخل على الفقير من هذا القبيل آفات كثيرة يدخل في مداخل
 باهتزاز نفسه ظنا منه ان ذلك حكم نهوض قلبه وربما يترأى له انه بالله يصول وبالله
 يقول وبالله يتحرك فقد ابتلى بنهضة النفس ووثوبها ولا يقع هذا الاشتباه
 إلا لأرباب القلوب وأرباب الأحوال وغير أرباب القلب والحال عن هذا بمعزل
 وهذه مزية قدم مختصة بالخواص دون العوام فاعلم ذلك فانه عزيز علمه وأقل
 مراتب الفقراء في مبادي الحركة للسفر لتصحیح وجه الحركة ان يقدموا صلاة
 الاستخارة وصلاة الاستخارة لاتحمل وان تبين للفقير صحة خاطره أو تبين له وجه
 المصلحة في السفر ببيان أوضح من الخاطر فلا تقوم مراتب في التبيين من العلم
 بصحة الخاطر ومما فوق ذلك في ذلك كله لاتحمل صلاة الاستخارة اتباعا للسنة
 ففي ذلك البركة وهو من تعليم رسول الله ﷺ على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين
 أبو النجيب السهروردي املاء قال أنا أبو القاسم ابن عبد الرحمن في كتابه ان
 أباسعيد الكنجرودي أخبرهم قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا أحمد
 ابن الحسين الصوفي قال حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال حدثنا عبد الرحمن
 ابن أبي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن قال إذا هم أحدكم
 بالأمر أو أراد الأمر فليصل ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى أستخيرك
 بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر

وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر يسميه بعينه خير لي في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلمه شرا لي مثل ذلك فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان

❦ الباب السابع عشر فيما يحتاج إليه الصوفي في سفره

من الفرائض والفضائل ❦

فأما من الفقه وإن كان هذا يذكر في كتب الفقه وهذا الكتاب غير موضوع لذلك ولكن نقول على سبيل الإيجاز تيمناً بذكر الأحكام الشرعية التي هي الأساس الذي يبنى عليه لا بد للصوفي المسافر من علم التيمم ومسح على الخفين والقصر والجمع في الصلاة (أما التيمم) فحائز للرخص والمسافر في الجنابة والحديث عند عدم الماء أو الخوف من استعماله تلقا في النفس أو المال أو زيادة في المرض على القول الصحيح من المذاهب أو عند حاجته إلى الماء الموجود لعطشه أو عطش دابته أو رفته في هذه الأحوال كلها يصلي بالتيمم ولا إعادة عليه والخائف من البرد يصلي بالتيمم ويعيد الصلاة على الأصح ولا يجوز التيمم إلا بشرط الطلب للماء في مواضع الطلب ومواضع الطلب مواضع تردد المسافر في منزله للاحتطاب والاحتشاش ويكون الطلب بعد دخول الوقت والسفر القصير في ذلك كالطويل وإن صلى بالتيمم مع يقين الماء في آخر الوقت جاز على الأصح ولا يعيد مهما صلى بالتيمم وإن كان الوقت باقياً ومهما توهم وجود الماء بطل تيممه كما إذا طلع ركب أو غير ذلك وإن رأى الماء في أثناء الصلاة لا تبطل صلاته ولا تلزمه الإعادة ويستحب له الخروج منها واستئنافاً بالوضوء على الأصح ولا يتيمم للفرس قبل دخول الوقت ويتيمم لكل فريضة ويصلي مهما شاء من النوافل بتيمم واحد ولا يجوز أداء الفرض بتيمم النافلة ومن لم يجد ماء ولا تراباً يصلي ويعيد عند وجود أحدهما ولكن إن كان محدثاً لا يمسه المصحف وإن كان جنباً لا يقرأ القرآن في الصلاة بل يذكر الله تعالى عوض القراءة ولا يتيمم إلا بتراب طاهر غير مغالط للرمل والجص ويجوز بالغبار على ظهر الحيوان والثوب ويسمى الله تعالى عند التيمم وينوي استباحة الصلاة قبل ضرب اليد على التراب ويضم أصابعه لضربة الوجه ويمسح بجميع الوجه

فلو بقي شيء من محل الفرض غير ممسوح لا يصح التيمم ويضرب ضربة لليدين مبسوط الأصابع ويعم بالتراب محل الفرض وإن لم يقدر إلا بضربتين فبمساعد كيف أمكنه لا بد أن يعم التراب محل الفرض ويمسح إذا فرغ إحدى راحتين بالأخرى حتى تصيرا ممسوحتين وعر اليد على ما نزل من اللحية من غير إيصال التراب إلى المنابت (وأما المسح) فيمسح على الخف ثلاثة أيام ولياليهن في السفر والمقيم يوماً وليلة وابتداء المدة من حين الحدث بعد لبس الخف لا من حين لبس الخف ولا حاجة إلى النية عند لبس الخف بل يحتاج إلى كمال الطهارة حتى لو لبس أحد الخفين قبل غسل الرجل الأخرى لا يصح أن يمسح على الخف ويشترط في الخف إمكان متابعة المشى عليه وستر محل الفرض ويكفي مسح يسير من أعلى الخف والأولى مسح أعلاه وأسفله من غير تكرار ومتى ارتفع حكم المسح بانقضاء المدة أو ظهور شيء من محل الفرض وإن كان عليه لفافة وهو على الطهارة يغسل القدمين دون استئناف الوضوء على الأصح والمسح في السفر إذا أقام يمسح كالمقيم وهكذا المقيم إذا سافر يمسح كالمسافر واللبد إذا ركب جورباً ونعل يجوز المسح عليه ويجوز على المشرح إذا ستر محل الفرض ولا يجوز على المنسوج وجهه الذي يستر بعض أقدامه والباقي باللفافة (فأما القصر والجمع) فيجمع بين الظهر والعصر في وقت أحدهما ويتيمم لكل واحدة ولا يفصل بينهما بكلام وغيره وهكذا الجمع بين المغرب والعشاء ولا قصر في المغرب والصبح بل يصلحهما كهيئتهما من غير قصر وجمع السنن الرواتب يصلحها بالجمع بين السننتين قبل الفريضة للظهر والعصر وبعد الفراغ من الفريضة يصلح ما يصلح بعد الفريضة من الظهر ركعتين أو أربعاً وبعد الفراغ من المغرب والعشاء يؤدي السنن الرواتب لهما ويوتر بهما (ولا يجوز) أداء الفرض على الدابة بحال إلا عند التحام القتال للغزى ويجوز ذلك في السنن الرواتب والنوافل وتكفيه الصلاة على ظهر الدابة وفي الركوع والسجود الإيماء ويكون إيماء السجود أخفض من الركوع إلا أن يكون قادراً على التمكن مثل أن يكون في محارة وغير ذلك ويقوم توجهه إلى الطريق مقام استقبال القبلة ولا يوجهها إلى غير الطريق إلا للقبلة حتى لو حرف دابته عن الصوب المتوجه إليه لا إلى نحو القبلة بطلت صلاته * والماشي يتنفل في السفر ويقنعه استقبال القبلة عند الأحرام لا يجزئه في الأحرام إلا

الاستقبال ويقنعه الايماء للركوع والسجود وراكب الدابة لا يحتاج الى استقبال القبلة
للأحرام أيضاً * وإذا أصبح المسافر مقيماً ثم سافر فعليه إتمام ذلك اليوم في الصوم
وهكذا ان أصبح مسافراً ثم أقام والصوم في السفر أفضل من الفطر وفي الصلاة القصر
أفضل من الإتمام * فهذا القدر كاف للصوفي أن يعلمه من حكم الشرع في مهام سفره
(فأما المندوب والمستحب) فينبغي أن يطلب لنفسه رقيقاً في الطريق يعينه على
أمر الدين وقد قيل الرفيق ثم الطريق ونهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحده
إلا أن يكون صوفياً طالماً بأفة نفسه يختار الوحدة على بصيرة من أمره فلا بأس بالوحدة
وإذا كانوا جماعة ينبغى أن يكون فيهم متقدم أمير قال رسول الله ﷺ إذا كنتم
ثلاثة في سفر فأمرؤ أحدكم والذي يسميه الصوفية ببشر وهو الأمير وينبغي أن
يكون الأمير أزهج الجماعة في الدنيا وأوفر هم حظاً من التقوى وأتمهم مروءة وسخاوة
وأكثرهم شفقة * روى عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال خير الأصحاب عند
الله خيرهم لصاحبه * نقل عن عبد الله المروزي أن أبا علي الرباطي صحبه فقال على أن
أكون أنا الأمير أو أنت فقال بل أنت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبي علي على ظهره
وأمرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رقيقه يغطيه بكسائه عن
المطر وكما قال لا تفعل يقول ألسنت الأمير وعليك الانقياد والطاعة فأما ان كان
الأمير يصحب الفقراء لمحبة الاستتباع وطلب الرياسة والتعزز ليتسلط على الخدام
في الربط ويبلغ نفسه هواها فهذا طريق أرباب الهوى الجهال المبائين لطريق
الصوفية وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فيتمخذه لنفسه رفقاء مائلين إلى الدنيا يجتمعون
التحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والظامة للتوصل إلي تحصيل ما رب
النفس ولا يخلوا اجتماعهم هذا عن الخوض في الغيبة والدخول في المداخل المكروهة
والتنقل في الربط والاستمتاع والزهة وكما كثر المعلوم في الرباط أطالوا المقام
وإن تعذرت أسباب الدين وكما قل المعلوم رحلوا وإن تيسرت أسباب الدين وليس
هذا طريق الصوفية ومن المستحب أن يودع إخوانه إذا أراد المفرو ويدعو لهم
بدعاء رسول الله ﷺ (قال) بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة إلى المدينة
فلما أردت مفارقتة شيعني وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال لقمان لابنه

يا بني إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه وإنى أستودع الله دينك وأمانتك
 وخواتيم عملك (وروى) زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا أراد
 أحدكم سفراً فليودع أخوانه فإن الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة (وروى)
 عنه عليه السلام أيضاً أنه كان إذا ودع رجلاً قال زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك
 للخير حيثما توجهت وينبغي أن يعتقد أخوانه إذا دعا لهم واستودعهم الله أن
 الله يستجيب دعاءه فقد روي أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم إذ
 جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحداً أشبه بأحد من هذا بك فقال الرجل
 أحدثك عنه يا أمير المؤمنين اني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت
 تخرج وتدعنى على هذه الحالة فقلت أستودع الله ما فى بطنك فخرجت ثم قدمت
 فإذا هى قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها فقلت للقوم ما هذه
 النار فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله انها كانت صوامة قوامة
 فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا وإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب
 قليل ان هذا وديعتك ولو كنت استودعتنا أمه لوجدتها فقال عمر لهو أشبه
 بك من الغراب بالغراب * وينبغي ان يودع كل منزل يرحل عنه بركعتين
 ويقول اللهم زدنى التقوى واغفرلى ذنوبى ووجهنى للخير أينما توجهت
 (وروى) أنس بن مالك قال كان رسول الله عليه الصلاة والسلام لا ينزل
 منزلاً إلا ودعه بركعتين فينبغى ان يودع كل منزل ورباط يرحل عنه بركعتين
 وإذا ركب الدابة فليقل سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين بسم الله
 والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم انت الحامل
 على الظهر وأنت المستعان على الأمور والسنة أن يرحل من المنازل بكرة ويتدىء
 بيوم الخميس روى كعب بن مالك قال قلما كان رسول الله ﷺ يخرج إلى السفر
 إلا يوم الخميس وكان إذا أراد أن يبعث سرية بعثها أول النهار ويستحب كلما أشرفه
 على منزل أن يقول اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقلن ورب
 الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير
 (٧ - عوارف المعارف)

هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر أهله وإذا نزل فليصل ركعتين ومما ينبغى للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قيسل كان إبراهيم الخواص لا يفارقه أربعة أشياء فى الحضر والسفر الركوة والحبل والابرة وخيوطها والمقراض وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء المرأة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفى رواية المقراض والصوفية لا تفارقهم العصا وهى أيضا من السنة روى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتخذ منبرا فقد اتخذ إبراهيم وان اتخذ العصا فقد اتخذها إبراهيم وموسى وروى عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما انه قال التوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء كان لرسول الله ﷺ عصا يتوكأ عليها ويأمر بالتوكؤ على العصا وأخذ الركوة أيضا من السنة روى جابر بن عبدالله قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ من ركوة إذ جهش الناس نحوه أى أسرعوا نحوه والأصل فيه البكاء كالصبي يتلازم بالأم ويسرع إليها عند البكاء قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم قالوا يا رسول الله ما نجد ماء نشرب ولا نتوضأ به الا ما بين يديك فوضع يده فى الركوة فنظرت وهو ينفور من بين أصابعه مثل العيون قال فتوضأ القوم منه قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة فى غزوة الحديبية ومن سنة الصوفية شد الوسط وهو من السنة روى أبو سعيد قال حج رسول الله ﷺ وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة وقال اربطوا على أوساطكم بازركم فربطنا ومشينا خلقه الهرولة * ومن ظاهر آداب الصوفية عند خروجه من الربط أن يصلى ركعتين فى أول النهار يوم السفر بكرة كما ذكرنا يودع البقعة بالركعتين ويقدم الخف وينفضه ويشمر الكم اليمنى ثم اليسرى ثم يأخذ الميا ينبند الذى يشد به وسطه ويأخذ خريطة المدارس وينفضها ويأتى الموضع الذى يريد ان يلبس الخف فيفرش السجادة طاقين ويحك نعل أحد المداسين بالآخر ويأخذ المداس اليسار والخريطة باليمين ويضع المداس فى الخريطة اعقابه إلى أسفل ويشد رأس الخريطة ويدخل المداس بيده اليسرى من كفه الأيسر ويضعه خلف ظهره ثم يقعد على السجادة ويقدم الخف بيساره وينفضه ويتدلى باليمنى فيلبس

ولا يدع شيئاً من الران أو المنطقة يقع على الأرض ثم يغسل يديه ويجعل وجهه إلى
الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضرين فإن أخذ بعض الاخوان روايته إلى خارج
الرباط لا يمنعه وهكذا العصا والابريق ويودع من شيعته ثم يشد الراوية برفع يده
اليمنى ويخرج اليسرى من تحت ابطه الايمن ويشد الراوية على الجانب الايسر ويكون
كتفه الايمن خالياً وعقدة الراوية على الجانب الايمن فاذا وصل في طريقه إلى موضع
شريف أو استقبله جمع من الاخوان أو شيخ من الطائفة يحل الراوية ويحطها
ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم إذا جاوزوه يشد الراوية وإذا دنا من منزل رباطاً كان
أوغیره يحل الراوية ويحملها تحت ابطه الايسر وهكذا العصا والابريق يحسب
بيساره وهذه الرسوم استحسناها فقراء خراسان والجبل ولا يتعهدها أكثر فقراء
العراق والشام والمغرب ويمجى بين الفقراء مشاحنة في رعايتها فن لا يتعاهد بها
يقول هذه رسوم لا تلزم والالتزام بها وقوف مع الصور وغفلة عن الحقائق ومن
يتعهدها يقول هذه آداب وضعها المتقدمون وإذا رأوا من يخل بها أو بشيء منها
ينظرون إليه نظر الازدراء والحقارة ويقال هذا ليس بصوفي وكلا الطائفتين
في الانكار يتعدون الواجب والصحيح في ذلك ان من يتعاهد بها لا ينكر عليه
فليس بمنكر في الشرع وهو أدب حسن ومن لم يلتزم بذلك فلا ينكر عليه فليس
بواجب في الشرع ولا مندوب إليه وكثير من فقراء خراسان والجبل يبالغ في رعايتها
هذه الرسوم إلى حد يخرج إلى الافراط وكثيراً ما يخل بها فقراء العراق والشام
والمغاربة إلى حد يخرج إلى التفريط والالقي ان ما ينكره الشرع ينكر وما لا ينكره
لا ينكر ويجعل لتصاريف الاخوان اعداء ما لم يكن فيها منكر أو اخلال بمندوب
إليه والله الموفق

﴿ الباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه ﴾

ينبغي للفقير إذا رجع من السفر أن يستعيز بالله تعالى من آفات المقام كما يستعيز
به من وعناء السفر * ومن الداء المأثور اللهم اني أعوذ بك من وعناء السفر
وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد وإذا أشرف على بلدير يد المقام
بها يشير بالسلام على من بها من الأحياء والأموات ويقرأ من القرآن ما تيسر

ويجعله هدية للأحياء والأموات ويكبر فقد روى أن رسول الله ﷺ كان إذا قتل من غزوا وحج يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث مرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تأيئون عابدون ساجدون ربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ويقول إذا رأى البلدا اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ولو اغتسل كان حسنا اقتداء برسول الله ﷺ حيث اغتسل لدخول مكة ﴿وروى﴾ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب ونزل المدينة نزع لامته واغتسل واستحجم والافليجدد الوضوء ويتنظف ويتطيب ويستعد للقاء الإخوان بذلك وينوي التبرك بمن هنالك من الأحياء والأموات ويزورهم ﴿وروى﴾ أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ خرج رجل يزور أخاه في الله فارصدا الله بمدرجته ملكا وقال أين تريد قال أزور فلانا قال لقرابة قال لا قال لنعمة له عندك تشكرها قال لا قال فيم تزوره قال اني أحبه في الله قال فاني رسول الله إليك بأنه يحبك بحبك إياه وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا عاد الرجل أخاه أوزاره في الله قال الله له طبت وطاب لمشاك ويتبوا من الجنة منزلا (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكروا الآخرة فيحصل للفقير فائدة الأحياء والأموات بذلك فإذا دخل البلد ببئدي بمسجد من المساجد يصلي فيه ركعتين فإن قصد الجامع كان أكمل وأفضل وقد كان رسول الله ﷺ إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت والرباط للفقير بمنزلة البيت ثم يقصد الرباط فقصد الرباط من السنة على ما رويناه عن طلحة رضي الله عنه قال كان الرجل إذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه وان لم يكن له بها عريف نزل الصفة فكنت ممن انزل الصفة فإذا دخل الرباط يعضى إلى الموضع الذي يريد نزع الخلف فيه فيحل وسطه وهو قائم ثم يخرج الخريطة يبساره من كفه اليسار ويحل رأس الخريطة باليمين ويخرج المداس اليسار ثم يضع المداس على الأرض ويأخذ الميائين بند ويلقيها في وسط الخريطة ثم ينزع خفه اليسار فان كان على الوضوء يغسل قدميه بعد نزع الخف من تراب الطريق والعرق وإذا قدم على

المجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصلي ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يبطأ بها موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة التي استحسناها بعض الصوفية لا ينكر على من يتقيد بها لأنه من استحسان الشيوخ ونيتهم الظاهرة في ذلك تقيد المريد في كل شيء بهيئة مخصوصة ليكون أبداً مفتقداً لحركاته غير قادم على حركة بغير قصد وعزيمة وأدب ومن اخل من الفقراء بشيء من ذلك لا ينكر عليه ما لم يخل بواجب أو مندوب لأن أصحاب رسول الله ﷺ ما تقيدوا بكثير من رسوم المتصوفة وكون الشبان يطالبون الوارد عليهم بهذه الرسوم من غير نظر لهم إلى النية في الأشياء غلط فلعل الفقير يدخل الرباط غير مشعر اكمامه وقد كان في السفر لم يشمر الاكمام فينبه ان لا يتعاطى ذلك لنظر الخلق حيث لم يخل بمندوب إليه شرعاً وكون الآخر يشمر الاكمام يقيس ذلك على شد الوسط وشد الوسط من السنة كما ذكرنا من شد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوساطهم في سفرهم بين المدينة ومكة فتشمير الاكمام في معناه من الخفة والارتفاق به في المشي فمن كان مشدود الوسط مشمراً يدخل الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط أو كان راكباً لم يشد وسطه فمن الصدق أن يدخل كذلك ولا يعتمد شد الوسط وتشمير الاكمام لنظر الخلق فانه تكلف ونظر إلى الخلق ومبنى التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق ومما ينكر على المتصوفة انهم إذا دخلوا الرباط لا يتدؤن بالسلام ويقول المنكر هذا خلاف المندوب ولا ينبغي للمنكر أن يبادر إلى الانكار دون أن يعلم مقاصدهم فيما اعتمدوه وتركهم السلام يحتمل وجوهاً أحدها أن السلام إسم من أسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال مر رجل على النبي ﷺ وهو يقول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى كاد الرجل أن يتوارى فضرب يده على الخائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فسح بها ذراعيه ثم رد على الرجل السلام وقال انه لم يمنعني أن أرد عليك السلام الا اني لم أكن على طهر وروى انه لم يرد عليه حتى توضعاً ثم اعتذر اليه وقال اني كرهت ان اذكر الله تعالى الا على طهر وقد يكون جمع من الفقراء مصطحبين في السفر وقد يتفق لأحدهم حدث فلو سلم المتوضىء ولمسك المحدث ظهر حاله فيترك السلام

حتى يتوضأ من يتوضأ ويغسل قدمه من يغسل سترًا للحال على من أحدث حتى يكون سلامهم على الطهارة اقتداء برسول الله ﷺ وقد يكون بعض المقيمين أيضًا على غير طهارة فيستعد لجواب السلام أيضًا بالطهارة لأن السلام إسم من أسماء الله تعالى وهذا من أحسن ما يذكر من الوجوه في ذلك ومنها أنه إذا قدم يعانقه الإخوان وقد يكون معه من آثار السفر والطريق ما يكره فيستعد بالوضوء والنظافة ثم يسلم ويعانقهم ومنها أن جمع الرباط أرباب مراقبة وأحوال فلو هجم عليهم بالسلام قد ينزعج منه مراقب ويتشوش محافظ والسلام يتقدمه استئناس بدخوله واشتغاله بغسل القدم والوضوء وصلاة ركعتين فيتأهب للجمع له كما يتأهب لهم بعد مسابقة الاستئناس وقد قال الله تعالى حتى تستأنسوا واستئناس كل قوم على ما يليق بحالهم ومنها أنه لم يدخل على غير بيته ولا هو بغريب منهم بل هم إخوانه والألفة بالنسبة المعنوية الجامعة لهم في طريق واحد والمنزل منزله والموضع موضعه فيرى البركة في استفتاح المنزل بمعاملة الله قبل معاملة الخلق وكما عهد عذرهم في ترك السلام ينبغي لهم أن لا ينكروا على من يدخل ويبتدئ بالسلام فكما أن من ترك السلام له نية فالذي سلم له أيضًا نية وللقوم آداب ورد بها الشرع ومنها آداب استحضنها شيوخهم فما ورد به الشرع ما ذكرنا من شد الوسط والعصا والركوة والابتداء باليمين في لبس الخف وفي نزعها باليسار (روى) أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إذا انتعلتم فابدؤا باليمين وإذا خلعتهم فابدؤا باليسار أو اخلعها جميعا أو اخلعها جميعا (روى) جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخلع اليسرى قبل اليمين ويلبس اليمين قبل اليسرى وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون أحدهم لا يقعد على سجادة الآخر مشروع وهسنون وقد ورد في حديث طويل لا يؤم الرجل في سلطانه ولا في أهله ولا يجلس على تكرسته إلا بإذنه وإذا سلم على الإخوان يعانقهم ويعانقونه فقد روى جابر بن عبد الله قال لما قدم جعفر من أرض الحبشة عانقه النبي ﷺ وإن قبلهم فلا بأس بذلك (روى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خير أسرمني بقدم جعفر ويصافح إخوانه فقد قال عليه السلام قبله المسلم أخاه المصافحة (وروى)

أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله الرجل يلقي صديقه وأخاه ينحني له قال لا قيل يلزمه ويقبله قال لا قيل فيصاحفه قال نعم ويستحب للفقراء المقيمين في الرباط أن يتلقوا الفقراء بالترحيب (روى) عكرمة قال قال رسول الله ﷺ يوم جئته مرحبا بالراكب المهاجر مرتين وإن قاموا إليه فلا بأس وهو مسنون (روى) عنه عليه السلام أنه قام لجعفر يوم قدومه * ويستحب للخادم أن يقدم له الطعام (روى) لقيط ابن صبرة قال وفدنا على رسول الله ﷺ فلم نصادفه في منزله وصادفنا عائشة رضي الله عنها فأمرت لنا بالحريرة فصنعت لنا وأتينا بقناع فيه تمر والقناع الطبق فأكلنا ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصبتم شيئا قلنا نعم يا رسول الله ويستحب للقادم أن يقدم للفقراء شيئا لحق القدوم (ورد) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزورا وكراهيتهم لقدم القدام بعد العصر وجهه من السنة منع النبي ﷺ عن طروق الليل والصوفية بعد العصر يستعدون لاستقبال الليل بالطهارة والانسكاب على الاذكار والاستغفار (روى) جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ إذا قدم أحدكم من سفر فلا يطرقن أهله ليلا (وروى) كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ كان لا يقدم من السفر الانهارا في الضحى فيستحبون القدوم في أول النهار فإن فات من أول النهار فقد يتفق تعويق من ضعف بعضهم في المشى أو غير ذلك فيعذر الفقير بقية النهار إلى العصر لاحتمال التعويق فإذا صار العصر ينسب إلى تقصيره في الاهتمام بالسنة وقدام أول النهار فانهم يكرهون الدخول بعد العصر والله أعلم فإذا صار العصر يؤخر القدوم إلى الغد ليكون عاملا بالسنة للقدم ضحوة وأيضا فيه معنى آخر وهو أن الصلاة بعد العصر مكروهة ومن الأدب أن يصلي القادم ركعتين فلذلك يكرهون القدوم بعد صلاة العصر وقد يكون من الفقراء القادمين من يكون قليل الدراية بدخول الرباط ويناله دهشة فمن السنة التقرب إليه والتودد وطلاقة الوجه حتى ينبسط وتذهب عنه الدهشة ففي ذلك فضل كثير (روى) أبو رفاعة قال أتيت رسول الله ﷺ وهو يخطب فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه قال فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم على وترك خطبته ثم أتى بكرسى قوائمه من حديد فقعده

رسول الله ثم جعل يعلمني ماعلمه الله ثم آتي خطبته وأتم آخرها فاحسن أخلاق
الفقراء الرفق بالمسلمين واحتمال المكروه من المسموع والمرئى وقديدخل فقير
بعض الربط ويخل بشيء من مراسم المتصوفة فينهر ويخرج وهذا خطأ كبير
فقد يكون خلق من الصالحين والأولياء لا يعرفون هذا الترسيم الظاهر ويقصدون
الرباط بنية صالحة فإذا استقبلوه بالمكروه يخشى أن تشوش بواطنهم من الأذى
ويدخل على المنكر عليه ضرر في دينه ودنياه فليحذر ذلك وينظر إلى أخلاق النبي
صلى الله عليه وسلم وما كان يعتمد مع الخلق من المداراة والرفق وقد صرح أن
اعرابيا دخل المسجد وبأل فأمر النبي عليه السلام حتى آتي بذنوب نصب على ذلك
ولم ينهر الاعرابي بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين والفظاظة والتغليظ
والتسلط على المسلمين بالقول والفعل من النفوس الخبيثة وهو ضد حال المتصوفة
ومن دخل الرباط ممن لا يصلح للمقام به رأسا يصرف من الموضع على ألطف وجه
بعد أن يقدم له طعام ويحسن له الكلام فهذا الذي يليق بسكان الرباط وما يعتمد
الفقراء من تغميز القادم فخلق حسن ومعاملة صالحة وددت به السنة روى عمر رضي
الله عنه قال دخلت على رسول الله ﷺ وغلام له حبشي يغمز ظهره فقلت
يا رسول الله ما شأنك فقال إن الناقة اقتحمت بي فقد يحسن الرضا بذلك ممن يغمز
في وقت تعب وقدومه من السفر فأما من يتخذ ذلك عادة ويحب التغميز ويستجلب
به النوم ويساكنه حتى لا يفوته فلا يليق بحال الفقراء وإن كان في الشرع جائزا
وكان بعض الفقراء إذا استرسل في الغمز واستلذه واستدعاه يحتمل فيرى ذلك
الاحتلام عقوبة استرساله في التغميز ولأرباب العزائم أمور لا يسعهم فيها الركون
إلى الرخص * ومن آداب الفقير إذا استقر وقعد بعد قدومه أن لا يبتدئ
بالكلام دون أن يسأل ويستحب أن يمكث ثلاثة أيام لا يقصد زيارة ومشهدا
أو غير ذلك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب عنه وغناء السفر ويعود بطنه
إلى هيئته فقد يكون بالسفر وعوارضه تغير بطنه وتكدر حتى تجتمع في الثلاثة
الأيام همته وينصلح بطنه ويستعد للقاء المشايخ والزيارات بتنوير الباطن فان بطنه
إذا كان منورا يستوفي حظه من الخير من كل شيخ وأخ يزوره (وقد) كنت

سمع شيخنا يوحى الأصحاب ويقول لا تكلموا أهل هذا الطريق إلا فى اصفى أوقاتكم وهذا فيه فائدة كبيرة فان نور الكلام على قدر نور القلب ونور السمع على قدر نور القلب فاذا دخل على شيخ أو أخ وزاره ينبغى أن يستأذنه إذا أراد الانصراف فقد روى عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقوم من حتى يستأذنه وان نوى أن يقيم أياما وفي وقته سعة ولنفسه إلى البطالة وترك العمل تشوف بطلب خدمة يقوم بها وان كان دائم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط الا باذن المتقدم فيه ولا يفعل شيأ دون ان يأخذ رأيه فيه فهذه جملة اعمال يعتمدها الصوفية وأرباب الربط والله تعالى بفضله يزيدهم توفيقاً وتأييداً

﴿الباب التاسع عشر فى حال الصوفى المتسبب﴾

اختلف أحوال الصوفية فى الوقوف مع الأسباب والاعراض عن الأسباب فغنىهم من كان على الفتوح لا يركن إلى معلوم ولا يتسبب بكسب ولا سؤال ومنهم من كان يكتب ومنهم من كان يسأل فى وقت فاقته ولهم فى كل ذلك أدب وحد يرعون به ولا يتعدونه وإذا كان الفقير يسوس نفسه بالعلم يأتية الفهم من الله تعالى فى الذى يدخل فيه من سبب أو ترك سبب فلا ينبغى للفقير أن يسأل مهما أمكن فقد حث النبي عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فأما الترغيب فما روى ثوبان قال قال رسول الله ﷺ من يضمن لى واحدة أتكفل له الجنة قال ثوبان قلت أنا قال لا تسأل الناس شيئاً فكان ثوبان تستطع علاقة سوطه فلا يأمر أحداً يناوله وينزل هو ويأخذها (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيحتطب على ظهره فيأكل ويتصدق خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه فان اليد العليا خير من السفلى (أخبرنا) الشيخ الصالح أبو زرعة طاهر بن أبى الفضل الحافظ المقدسى قال أخبرني والدى قال أنا أبو عبد الصيرفى ببغداد قال أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا شعبة عن أبى حمزة قال سمعت هلال بن حصين قال أتيت المدينة فنزلت دار أبى سعيد فضمنى وإياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فأصبح وقد عصب

على بطنه حجرًا من الجوع فقالت لي امرأتي أئت رسول الله ﷺ فقد أتاه فلان فأعطاه وأتاه فلان فأعطاه قال فأتيته وقلت التمس شيئًا فذهبت أطلب فأنتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب ويقول من يستعف يعفه الله ومن يستغن يعفه الله ومن سألنا شيئًا فوجدناه أعطيناه وواسيناه ومن استعف عنه واستغنى فهو أحب إلينا ممن سألنا قال فرجعت وماسألته فرزقني الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالنا وأما من حيث الترهيب والتحذير فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال لا تزال المسئلة بأحدكم حتى يلقي الله وليس في وجهه مزعة لحم وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ليس المسكين الذي ترده الأكلة والآكلتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس ولا يفتن بمكانه فيعطى هذا هو حال الفقير الصادق والمتصوف المحقق لا يسأل الناس شيئًا ومنهم من يلزم الأدب حتى يؤديه إلى حال يستحي من الله تعالى أن يسأله شيئًا من أمر الدنيا حتى إذا همت النفس بالسؤال ترده الهيبة ويرى الاقدام على السؤال جراءة فيعطيه الله تعالى عند ذلك من غير سؤال كما نقل عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه جاءه جبريل وهو في الهواء قبل أن يصل إلى النار فقال هل لك من حاجة فقال أما إليك فلا فقال له فسل ربك فقال حسبي من سؤال الله عما يحالي وقد يضعف عن مثل هذا فيسأل الله عبودية ولا يرى سؤال الخلق فيسوق الله تعالى إليه من القسم من غير سؤال مخلوق * بلغنا عن بعض الصالحين أنه كان يقول إذا وجد الفقير نفسه مطالبة بشيء لا تخلو تلك المطالبة إما أن تكون لرزق يريد الله أن يسوقه إليه فمتنبه النفس له فقد تتطلع نفوس بعض الفقراء إلى ما سوف يحدث وكأنها تخبر بما يكون وإما أن يكون ذلك عقوبة لذنوب وجد منه فإذا وجد الفقير ذلك وألحت النفس بالمطالبة فليقم وليسبغ الوضوء ويصلي ركعتين ويقول يارب إن كانت هذه المطالبة عقوبة ذنب فاستغفرك وأتوب إليك وإن كانت لرزق قدرته فيعجل وصوله إلى فان الله تعالى يسوقه إليه إن كان رزقه وإلا فتذهب المطالبة عن باطنه فشأن الفقير أن ينزل حوائجه بالحق فاما أن يرزقه الشيء أو الصبر أو يذهب ذلك عن قلبه فله سبحانه وتعالى أبواب من طريق الحكمة وأبواب من طريق القدرة فان فتح بابا من طريق الحكمة والا فيفتح بابا من طريق القدرة ويأتيه

الشيء بحرق العادة كما كان يأتي مریم عليها السلام كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مریم انى لك هذا قالت هو من عند الله * حكى عن بعض الفقهاء قال جئت ذات يوم وكان حالى أن لأسأل فدخلت بعض المحال ببغداد مجتازا متعرضا لعل الله تعالى يفتح لى على يد بعض عبادہ شيئا فلم يقدر فتمت جائعا فأتى آت فى منامى فقال لى اذهب إلى موضع كذا وعين الموضع ثم خرقة زرقاء فيها قطيعات أخرجهما فى مصالحك فمن تجرد عن المخلوقين وتقر بالله فقد اتفرد بغنى قادر لا يعجزه شيء يفتح عليه من أبواب الحكمة والقدرة كيف شاء وأولى من سأل نفسه يسألها الصبر الجميل فان الصادق تجبیه نفسه * وحكى شيخنا رحمه الله تعالى أن ولده جاء إليه ذات يوم وقال له أريد حبة قال فقلت له ما تفعل بالحبة فذكر شهوة يشتريها بالحبة ثم قال عن إذئك أذهب وأستقرض الحبة قال قلت نعم استقرضها من نفسك فى أولى من أقرض وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال

إن شئت أن تستقرض المال منفقاً على شهوات النفس فى زمن العسر
فسل نفسك الاتفاق من كنز صبرها عليك وارفقاً إلى زمن اليسر
فان فعلت كنت الغنى وإن أبت فكل منوع بعدها واسع العذر
فاذا استنفد الفقير الجهد من نفسه وأشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل
مولاه ولم يقدر له بشيء ووقته يضيق عن الكسب من شغله بحاله فعند ذلك يقرع
باب السبب ويسأل فتمدكان الصالحون يفعلون ذلك عند فاقهم (نقل) عن أبى سعيد
الخرائز أنه كان يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شيء لله ونقل عن أبى جعفر الحداد وكان
أستاذا للجنيد أنه كان يخرج بين العشاءين ويسأل من باب أو باين ويكون ذلك معلومه
على قدر الحاجة بعد يوم أو يومين ونقل عن ابراهيم بن آدم أنه كان معتكفاً بجامع
البصرة مدة وكان ينظر فى كل ثلاث ليال ليلة وليلة افطاره يطلب من الأبواب ونقل
عن سفیان الثورى أنه كان يسافر من الحجاز إلى صنعاء اليمن ويسأل فى الطريق وقال
كنت أذكر لهم حديثا فى الضيافة فيقدم لى الطعام فأتناول حاجتى وأترك مابقى
(وقد ورد) من جاع ولم يسأل فات دخل النار ومن غنده علم وله مع الله حال لا يبلى
بمثل هذا بل يسأل بالعلم ويمسك عن السؤال بالعلم * وحكى بعض مشايخنا عن

شخص كان مصرا على المعاصي ثم انقبه وتاب وحسنت توبته وصار له حال مع الله تعالى قال غزمت أن أحج مع القافلة ونويت أن لا أسأل أحدا شيئا وأكتفى بعلم الله بحالي قال فبقيت أيلما في الطريق ففتح الله علي الماء والزاد في وقت الحاجة ثم وقف الأمر ولم يفتح الله علي بشيء فجعت وعطشت حتى لم يبق لي طاقة فضعفت عن المشي وبقيت أناخر عن القافلة قليلا قليلا حتى مرت القافلة فقلت في نفسي هذا الآن منى القاء النفس إلى التهلكة وقد منع الله من ذلك وهذه مسألة الاضطرار أسأل فلما هممت بالسؤال انبعث من باطني انكار لهذه الحال وقلت عزيزة عقدتها مع الله لا أنقضها وهان على الموت دون نقض عزمي فقصدت شجرة وقعدت في ظلها وطرحت رأسي استطرأ للموت وذهبت القافلة فبينما أنا كذلك إذ جاءني شاب متقلد بصيف وحر كني فقلت وفي يده أداة فيها ماء فقال لي اشرب فشربت ثم قدم لي طعاما وقال كل فأكلت ثم قال لي أتريد القافلة فقلت من لي بالقافلة وقد عبرت فقال لي قم وأخذ بيدي ومشى معي خطوات ثم قال لي اجلس فالقافلة إليك تحييء فجلسب ساعة فاذا أنا بالقافلة ورأني متوجهة إلى هذا شأن من يعامل مولاه بالصدق (وذكر) الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله ان بعض الصوفية أول قول رسول الله ﷺ أحل ما أكل المؤمن من كسب يده بأنه المسئلة عند النفاة وأنكر الشيخ أبو طالب هذا التأويل من هذا الصوفي وذكر أن جعفر الخلدي كان يحكي هذا التأويل عن شيخ من شيوخ الصوفية ووقع لي والله أعلم ان الشيخ الصوفي لم يرد بكسب اليد ما أنكر الشيخ أبو طالب منه وإنما أراد بكسب اليد دفعها إلى الله تعالى عند الحاجة فهو من أحل ما يأكله إذا أجاب الله سؤاله وساق إليه رزقه وقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال وقال محمد الباقر رحمه الله قائلها وأنه محتاج إلى شق تمره وروى عن مطرف أنه قال أما والله لو كان عند نبي الله شيء ما اتبع المرأة ولكن حملة على ذلك الجهد وذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي عن النصر اباذي أنه قال في قوله (اني لما أنزلت إلي من خير فقير) لم

يسأل الكليم الخلق وانما كان سؤاله من الحق ولم يسأل غذاء النفس انما أراد
سكون القلب وقال أبو سعيد الخراز الخلق مترددون بين ما لهم وبين ما إليهم من
نظر إلى ماله تكلم بلسان الفقر ومن شاهد ما إليه تكلم بلسان الخلاء والفخر
ألا ترى حال الكليم عليه السلام لما شاهد خواص ما خاطبه به الحق كيف قال
أرني أنظر إليك ولما نظر إلى نفسه كيف أظهر الفقر وقال إني لما أنزلت إلى من
خير فقير * وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية فخشع وخضع وتكلم
بلسان الافتقار بما ورد على سره من الأنوار افتقار العبد إلى مولاه في جميع
أحواله لا افتقار سؤال وطلب وقال الحسين فقير لما خصصتني من علم اليقين أن
ترقيني إلى عين اليقين وحقه ووقع والله أعلم في قوله لما أنزلت إلي من خير فقير
ان الانزال مشعر ببعده رتبته عن حقيقة القرب فيكون الانزال عين الفقر فـ
قنع بالمنزل وأراد قرب المنزل ومن صح فقره فققره في أمر آخرته كفقره في أمره
دنياه ورجوعه إليه في الدارين وإياه يسأل حوائج المنزلين وتتساوى عند الحاجة ان فلما
له مع غير الله شغل في الدارين

﴿الباب العشرون في ذكر من يأكل من الفتوح﴾

إذا كمل شغل الصوفي بالله وكمل زهده لكامل تقواه يحكم الوقت عليه بترك
التسبب وينكشف له صريح التوحيد وصحة الكفالة من الله الكريم فيزول عن
باطنه الاهتمام بالأقسام ويكون مقدمة هذا أن يفتح الله له بابا من التعريف بطريق
المقابلة على كل فعل يصدر منه حتى لو جرى عليه يسير من ذنب بحسب حاله أو
الذنب مطلقا مما هو منهي عنه في الشرع يجذب ذلك في وقته أو يومه كان يقول
بعضهم اني لأعرف ذنبي في سوء خلق غلامي وقيل ان بعض الصوفية قرض الفأر خقه
فلما رآه تألم وقال

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى بنو اللقيطة من ذهل ابن شيبان
إشارة منه الى أن الداخل عليه مقابلة له على شيء استوجب به ذلك فلا تزال
به المقابلات متضمنة للتعريفات الالهية حتى يتحصن بصدق المحاسبة وصفاء
المراقبة عن تضییع حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ويتجرد له حكم فعل الله

وتتمحى عنده أفعال غير الله فيرى المعطى والمانع هو الله سبحانه ذوقاً وحالاً لا علماً وإيماناً ثم يتداركه الحق تعالى بالمعونة ويوفقه على صريح التوحيد وتجريد فعل الله تعالى كما حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق فخرج إلي بعض الصحارى فرأى قنبرة عمياء عرجاء ضعيفة فوقف متعجباً منها متفكراً فيما تأكل مع عجزها عن الطيران والمشي والروية فبينما هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت سكرجتان في أحدهما سمسم نقي وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من السمسم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغابت السكرجتان قال فلما رأيت ذلك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق فاذا أوقف الحق عبده في هذا المقام يزيل عن باطنه الاهتمام بالأقسام ويرى الدخول في التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة العوام ويصير مسلوب الاختيار غير متطلع إلى الاغيار ناظراً إلى فعل الله تعالى منتظراً لأمر الله فتساق إليه الأقسام وينتج عليه باب الانعام ويكون بدوام ملاحظته لفعل الله وترصده ما يحدث من أمر الله تعالى مكاشفاً له تجليات من الله تعالى بطريق الأفعال والتجلى بطريق الأفعال رتبة من القرب ومنه يترقى إلى التجلى بطريق الصفات ومن ذلك يترقى إلى تجلى الذات والاشارة في هذه التجليات إلى رتب في اليقين ومقامات في التوحيد شئ فوق شئ وشئ أصفى من شئ فالتجلى بطريق الأفعال يحدث صفو الرضا والتسليم والتجلى بطريق الصفات يكسب الهيبة والانس والتجلى بالذات يكسب الفناء والبقاء وقد يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء يعنون به فناء الارادة والهوى والارادة الطاف أقسام الهوى وهذا الفناء هو الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون في محلى الذات وهو أكمل أقسام اليقين في الدنيا فأما تجلى حكم الذات فلا يكون إلا في الآخرة وهو المقام الذى حظى به رسول الله ﷺ ليلة المعراج ومنع عنه موسى بلن تراني فليعلم أن قولنا في التجلى اشارة إلى رتب الحظ من اليقين ورؤية البصيرة فاذا وصل العبد إلى مبادئ أقسام التجلى وهو مطالعة الفعل الالهى مجرداً عن فعل سواه يكون تناوله الأقسام من انفتوح * روى عن رسول الله ﷺ أنه قال من وجه اليه شئ من هذا الرزق من غير مسألة ولا اشراف فليأخذه وليوسع به في رزقه

فان كان عنده غنى فليدفعه الي من هو أحوج منه وفي هذا دلالة ظاهرة على ان العبد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه الى غيره وكيف لا يأخذ وهو يرى فعل الله تعالى ثم اذا أخذ فثمنهم من يخرجهم الى المحتاج ومنهم من يقف في الاخراج أيضا حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق وإخراجه بالحق (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة طاهر قال أنبأنا والدي الحافظ أبو الفضل المقدسي قال أنا أبو اسحق ابراهيم بن سعيد الحبال قال أنا محمد بن عبد الرحمن بن سعيد قال أنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن عمرو قال أنا يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا عمرو بن الحرث عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن حبيب بن عبد العزى عن عبيد الله السعدي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أفقر مني فقال رسول الله ﷺ خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير متشرف ولا سائل نخذه ومالا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه درج رسول الله ﷺ الأصحاب بأوامره إلى رؤية فعل الله تعالى والخروج من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى (سئل) سهل ابن عبد الله التستري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض (وروى) زيد بن خالد قال قال رسول الله ﷺ من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا اشراف نفس فليقبله فانما هو شيء من رزق الله تعالى ساقه الله اليه وهذا العبد الواقف مع الله تعالى في قبول ماساق الحق آمن ما يخشى عليه أنما يخشى على من يرد لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بعين الزهد في أخذه اسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي اخراجه الى الغير اثبات حقيقة فلا يزال في كلا الحالين زاهدا يراه الغير بعين الرغبة لقلة العلم بحاله وفي هذا المقام يتحقق الزهد في الزهد ومن أهل الفتوح من يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه فثمنهم من لا يتناول من الفتوح إلا اذا تقدمه علم بتعريف من الله إياه ومنهم من يأخذ غير متطلع الى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينتظر تقدم العلم فوق من ينتظر تقدمه العلم لتمام صحبته مع الله والنسلاخه من ارادته وعلم حاله في ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا بتقدمه العلم ولا رؤية تجرد

الفعل من الله ولكن يرزق شربا من المحبة بطريق رؤية النعمة وقد يتكدر شرب هذا بتغير معهود النعمة وهذا حال ضعيف بالاضافة الى الحالين الاولين لانه علة في المحبة ووليجة في الصدق عند الصديقين وقد ينتظر صاحب الفتوح العلم في الاخراج أيضا كما ينتظر في الاخذ لأن النفس تظهر في الاخراج كما تظهر في الاخذ وأتم من هذا من يكون في اخراجه مختارا وفي أخذه مختارا بعد تحققه بصحة التصرف فان انتظار العلم انما كان لموضع اتهام النفس وهو ببقية هوى موجود فاذا زال الاتهام بوجود صريح العلم يأخذ غير محتاج الي علم متجدد ويخرج كذلك وهذه حال من تعمق بقول رسول الله ﷺ حاكيا عن ربه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا فيسمع وبى يبصر وبى ينطق الحديث فلما صح تعرفه صح تصرفه وهذا أعز في الأحوال من الكبريت الأحمر (وكان) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي رحمه الله يحكى عن الشيخ حماد الدباس أنه كان يقول أنا لا آكل إلا من طعام الفضل فكان يرى الشخص في المنام أن يحمل اليه شيئا وقد كان يعين للرأى في المنام أن يحمل الي حماد كذا وكذا وقيل أنه بقى زمانا يرى هو في واقعه أو منامه انك أحلت على فلان بكذا وكذا وحكى عنه أنه كان يقول كل جسم تربى بطعام الفضل لا يتسلط عليه البلاء ويعنى بطعام الفضل ما شهد له صحة الحال من فتوح الحق ومن كانت هذه حاله فهو غنى بالله (قال) الواسطى الافتقار الى الله أعلى درجة المريردين والاستغناء بالله أعلى درجة الصديقين (وقال) أبو سعيد الخراز العارف تديره فنى في تدبير الحق فالواقف مع الفتوح واقف مع الله ناظر إلى الله وأحسن ما حكى في هذا ان بعضهم رأى النورى يمد يده ويسأل الناس قال فاستعظمت ذلك منه واستقبحت له فأنتيت الجنيد أخبرته فقال لى لا يعظم هذا عليك فان النورى لم يسأل الناس إلا ليعطيهم سؤلهم فى الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره وقول الجنيد ليعطيهم كقول بعضهم اليد العليا يدا لاخذ لأنه يعطى الثواب قال ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مئة درهم ثم قبض قبضة فالتقاها على المائة ثم قال احملها إليه فقلت فى نفسى انما يزن ليعرف مقدارها فكيف خلط الجهول بالوزون وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت بالبصرة إلى النورى فقال هات الميزان فوزن مئة درهم وقال ردها عليه وقل له أنا لا أقبل

منك شيئاً وأخذ مازاد على المائة قال فزاد تعجبى فسألته عن ذلك فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلباً للشواب وطرح عليها خبضة بلا وزن لله فأخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها على الجنيد فبكى وقال أخذ ماله ورد ما لنا (ومن لطائف) ما سمعت من أصحاب شيخنا أنه قال ذات يوم لأصحابه نحن محتاجون إلى شيء من المعلوم فارجعوا إلى خلواتكم واسألوا الله تعالى وما يفتح الله تعالى لكم أثبوني به ففعلوا ثم جاءه من بينهم شخص يعرف باسمعيل البطائحي ومعه كاغد عليه ثلاثون دائرة وقال هذا الذي فتح الله لي في واقعتي فأخذ الشيخ الكاغد فلم يكن إلا ساعة فإذا بشخص دخل ومعه ذهب فقدمه بين يدي الشيخ ففتح القرطاس وإذا هو ثلاثون صحيحاً فترك كل صحيح على دائرة وقال هذا فتوح الشيخ اسمعيل أو كلاماً هذا معناه (وسمعت) أن الشيخ عبد القادر رحمه الله بعث إلى شخص وقال لفلان عندك طعام وذهب أثبني من ذلك بكذا ذهباً وكذا طعاماً فقال الرجل كيف أتصرف في وديعة عندي ولو استفتيتك ما افتيتني في التصرف فألزمه الشيخ بذلك فأحسن الظن بالشيخ وجاء إليه بالذي طلب فلما وقع التصرف منه جاءه مكتوب من صاحب الوديعة وهو خائب في بعض نواحي العراق أن أحمل إلى الشيخ عبد القادر كذا وكذا وهو القدر الذي عينه الشيخ عبد القادر فعاتبه الشيخ بعد ذلك على توقفه وقال ظننت بالفقراء أن إشاراتهم تكون على غير صحة وعلم فالعبد إذا صح مع الله تعالى يرفع الله عن جأطه هموم الدنيا ويجعل الغنى في قلبه ويفتح عليه أبواب الرفق وكل الهموم المتسلطة على بعض الفقراء لكون قلوبهم ما استكملت الشغل بالله والاهتمام برعاية حقائق العبودية فعلى قدر ما خلت من الهم بالله ابتليت بهم الدنيا ولو امتلأت من هم الله ما عذبت بهموم الدنيا وقنعت وارتقت (روى) أن عوف بن عبد الله المسعودي كان له ثلثمائة وستون صديقاً وكان يكون عند كل واحد يوماً وآخر كان له ثلاثون صديقاً يكون عند كل واحد يوماً وآخر كان له سبعة أخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد فكان أخوانهم معلومهم والمعلوم إذا أقامه الحق للناظر

الى الله السكامل توحيدده يكون نعمة هنيئة (جاء رجل) إلى الشيخ أبى السعود رحمه الله وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين فى الأشياء مع فعل الله تعالى متمكنا من حاله تاركا لاختياره ولعله سبق كثيرا من المتقدمين فى تحقيق ترك الاختيار رأينا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيئا كل يوم من الخبز أحمله اليك ولكنى قلت الصوفية يقولون المعلوم شؤم قال الشيخ نحن ما نقول المعلوم شؤم فان الحق يصفى لنا وفعله نرى فكل مايقسم لنا نراه مبارك ولا نراه شؤما (أخبرنا) أبو زرعة اجازة قال أنا أبو بكر بن أحمد بن خلف الشيرازى اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر بن شاذان قال سمعت أبا بكر الكتاني قال كنت أنا وعمرو المكي وعياش بن المهدي نصطحب ثلاثين سنة نصلى الغداة على طهر العصر وكنا قعودا بمكة على التجريد ما لنا على الأرض مايساوى فلسا وربما كان يصحبنا الجوع يوما ويومين وثلاثة وأربعة وخمسة ولا نسأل أحدا فان ظهر لنا شيء وعرفنا وجهه من غير سؤال ولا تعريض قبلناه وأكلناه وإلا طوينا فاذا اشتد بنا الأمر وخفنا على أنفسنا التقصصان فى القرأض قصدنا أباسعيد الخراز فيتخذ لنا ألوانا من الطعام ولا نقصد غيره ولا تنبسط إلا اليه لما نعرف من تقواه ودوعه (وقيل) لأبي يزيد ما زارك تشتغل بكسب فن أنى معاشك فقال مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق أبا يزيد (قال السلمى) سمعت أبا عبد الله الرازى يقول سمعت مظفرا القرميسى يقول الفقير الذى لا يكون له عند الله حاجة * وقيل لبعضهم ما الفقير قال وقوف الحاجة على القلب ومحوها من كل أحد سوى الرب (وقال) بعضهم أخذ الفقير الصدقة ممن يعطيه لا يمن تصل اليه على يده ومن قبل من الوسائط فهو المترسم بالفقر مع دناءة همته (أنبأنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى قال أنا عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى قال أنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت أناباسليمان الداراني كان يقول آخر أقدام الزاهدين أول أقدام المتوكلين (روى) أن بعض العارفين زهد فبلغ من زهده أن فارق الناس وخرج من الأمصار وقال لا أسأل أحدا

شيئاً حتى يأتي رزقي فأخذ يسميح فأقام في سفح جبل سبعاً لم يأت به شيء حتى كاد أن يتلف فقال يارب ان أحببتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك فألممه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لا أرزقك حتى تدخل الأمصار وتقيم بين الناس قد دخل المدينة وأقام بين ظهراني الناس خجاء هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه من ذلك فسمع هاهما أردت أن تبطل حكمته بزهده في الدنيا أما علمت أن رزق العباد بأيدي العباد أحب إليه من أن يرزقهم بأيدي القدرة فالواقف مع الفتوح استوى عنده أيدي الآدميين وأيدي الملائكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب القفار والتوصل إلى قطع الأسباب من الارتهاق برؤية الأسباب وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الإنسان (أخبرنا) شيخنا قال أنا أبو حفص عمر قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا محمد بن أحمد بن حمدان العكبري قال سمعت أحمد بن محمد بن اليسري يقول سمعت محمد الأسكاف يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى الخلقين (قال) بعض المتقطعين كنت ذا صنعة جليلة فأريد مني تركها فحاك في صدري من أين المعاش فهمت بي هائف لا أراه تنقطع إلى وتمحني في رزقك على أن أخدمك ولما من أوليائي أو أسخر لك منافقا من أعدائي فلما صح حال الصوفي وانقطعت أطعمته وسكنت عن كل تشوف وتطلع خدمته الدنيا وصلحت له الدنيا خادمة وما رضيها بخدمة فصاحب الفتوح يرى حركة النفس بالتشوف جنانية وذنبا (دوى) أن أحمد بن حنبل خرج ذات يوم إلى شارع باب الشام فاشترى دقيقتاً ولم يكن في ذلك الموضع من يحمله فوافي أيوب الخمال فحمله ودفع إليه أحمد أجرته فلما دخل الدار بعد إذنه له اتفق أن أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرآه أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلي أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما قال أحمد ضعهما ثم صبر قليلاً ثم قال خذها فألقه بهما فلحقها فآخذها فرجع صالح متعجباً فقال له أحمد عجبت من رده وأخذه قال نعم قال هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرفت فهمسه إليه فلما أعطيناه مع الاستشراف رده ثم أيسر فردناه إليه بعد الإياس فقبل هذا حال أرباب الصدق إن سألوا سألوا يعلم وإن أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال

وإن قبلوا قبلوا بعلم فن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم فأما السائل مستكثرًا فوق الحاجة لا في وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء *
 سمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل فقال لمن عنده ألم أقل لك عش السائل فقال قد عشيته فنظر عمر فإذا تحت أبطه مخلاة مملوءة خبزًا فقال عمر ألك عيال فقال لا فقال عمر لست بسائل ولكنك تاجر ثم نثر مخلاته بين يدي أهل الصدقة وضربه بالدرّة (وروى) عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال إن الله تعالى في خلقه مثوبات فقر وعقوبات فقر فن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويمصى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط للقضاء فحال الصوفية حسن الأدب في السؤال والفتوح والصدق مع الله على كل حال كيف تقلب

﴿الباب الحادى والعشرون في شرح حال المتجرد والمتأهل﴾

من الصوفية وصحة مقاصدهم ﴿﴾

الصوفى يتزوج لله كما يتجرد لله فلتجرده مقصد وأوان ولتأهله مقصد وأوان والصادق يعلم أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجوح للصوفى ملجم بإجماع العلم مهما يصلح له التجرد لا يستعجله الطبع إلى التزوج ولا يقدم على التزوج إلا إذا انفصلت النفس واستحقت ادخال الرفق عليها وذلك إذا صارت منقادة مطوعة مجيبة إلى ما يراى منها بمثابة الطفل الذى يتعاهد بما يروى له ويمنع عما يضره فإذا صارت النفس محكومة مطوعة فقد فاءت إلى أمر الله وتنصلت عن مشاحة القلب فيصالح بينهما بالعدل وينظر فى أمرهما بالتسقط ومن صبر من الصوفية على العذوبة هذا الصبر إلى حين بلوغ الكتاب أجله ينتخب له الزوجة انتخابا ويهيبه الله له أعوانا وأسبابا وينعم برفيق يدخل عليه ورزق يساق إليه ومتى استعجل المريد واستنزفه الطبع وخامره الجهل بشوران دخان الشهوة المطفئة لشعاع العلم وانحط من أوج العزيمة الذى هو قضية حاله وموجب ارادته وشريطة صدق طلبه إلى حضيض الرخصة التى هى رحمة من الله تعالى لعامة خلقه يحكم عليه بالنقصان ويشهد له بالخدران ومثل هذا الاستعجال هو حضيض الرجال قال سهل بن عبد الله التستري إذا كان المريد مال

يتوقع به زيادة فدخل عليه الابتلاء فرجوه في الابتلاء إلى حال دون ذلك نقصان
وحدث وسمعت بعض الفقراء وقد قيل له لم لا تزوج فقال المرأة لا تصلح إلا للرجال
وأنا ما بلغت مبلغ الرجال فكيف أتزوج فالصادقون لهم أو أن بلوغ عنده يتزوجون
وقد تعارضت الأخبار وتماثلت الآثار في فضيلة التجريد والتزويج وتنوع كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك لتنوع الأحوال فمنهم من فضيلته في التجريد
ومنهم من فضيلته في التأهل وكل هذا التعارض في حق من نار توقانه برد وسلام لكمال
تقواه وقهره وهواه وإلا ففي غير هذا الرجل الذي يخاف عليه الفتنة يجب النكاح في حال
التوقان المفرط ويكون الخلاف بين الأئمة في غير التائق فالصوفي إذا صار متأهلاً يتعين
على الإخوان معاوئته بالإنثار ومساعدته في الاستكثار إذا روي ضعيف الحال قاصراً
عن رتبة الرجال كما وصفنا من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله (أخبرنا) أبو زرعة
عن والده أبي الفضل المقدسي الحافظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أنا
أبو الحسين محمد بن عبد الله بن أخي ميمى قال أنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز
قال حدثنا محمد بن هرون قال أنا أبو المغيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنا
عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله ﷺ إذا جاءه
في قسمه في يومه فأعطى المتأهل حظين والعزب حظاً واحداً فدعينا وكنت أدعى
قبل عمار بن ياسر فأعطاني حظين وأعطاه حظاً واحداً فسخط حتى عرف ذلك
رسول الله ﷺ في وجهه ومن حضره فبقيت معه سلسلة من ذهب فجعل رسول الله
ﷺ يرفعها بطرف عصاه وتسقط وهو يقول كيف أنتم يوم يكثركم من هذا فلم
يحببه أحد فقال عمار وددنا يا رسول الله لو قد أكره لنا من هذا فالتجريد عن الأزواج
والأولاد أعون على الوقت للفقير وأجمع لهمه وألذ لعيشه ويصلح للفقير في ابتداء أمره
قطع العلائق ومحو العوائق والتنقل في الأسفار وركوب الأخطار والتجريد عن الأسباب
والخروج عن كل ما يكون حجاباً والتزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ورجوع من
التروح إلى النقص وتقييد بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات
إلى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة (قال) أبو سليمان
الداراني ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشاً أو تزوج امرأة أو كتب

الحديث (وقال) ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فنبت على مرتبته (أخبرني) الشيخ طاهر قال أنا والدي أبو الفضل قال أنا محمد بن اسمعيل المقرئ قال أنا أحمد بن الحسن قال أنا حاجب الطوسي قال حدثنا عبد الرحيم قال حدثنا الفزاري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ما ترك بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء * وروى نبطاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورون بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن وأنعن الغنى وكفنن الفقير ما لا يحد * وقال بعض الحكماء معالجة العزوبة خير من معالجة النساء * وسئل سهل بن عبد الله عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن ولا صبر عليهن خير من الصبر على النار * وقيل في تفسير قوله تعالى (خلق الإنسان ضعيفا) لأنه لا يصبر على النساء وقيل في قوله تعالى (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) الغلبة فإن قدر انفقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر بحسن المعاملة في معالجة النفس وصبر عنهن فقد حاز الفضل واستعمل العقل واهتدى إلى الأمر السهل قال رسول الله ﷺ خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذي لا أهل له ولا ولد وقال بعض الفقهاء لما قيل له تزوج أنا إلى أن أطلق نفسي أحوج مني إلى التزويج وقيل لبشر بن الحرث ان الناس يتكلمون فيك فقال مليقوون قيل يقولون انه تارك للسنة يعني النكاح فقال قولوا لهم انا مشغول بالفرض عن السنة (وكان يقول) لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلادا على الجسر والصوفي مبتلى بالنفس ومطالبها وهو في شغل شاغل عن نفسه فاذا انضاف إلى مطالبات نفسه مطالبات زوجته يضعف طلبه وتكل ارادته وتفتقر عزيمته والنفس إذا أطمعت طمعت وإذا أقدمت قنعت فيستعين الشاب الطالب على حسم مواد خاطر النكاح بادامة الصوم فإن لا صوم أثرها ظاهرا في قمع النفس وقهرها وقد ورد أن رسول الله ﷺ مر بمجموعة من الشبان وهم يرفعون الحجارة فقال يا معشر الشبان من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء أصل الوجاء رض الخصيتين كانت العرب تحب الفحل من الغنم لتذهب فحولته ويسمن ومنه الحديث ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين

موجود أين وقد قيل هي النفس إن لم تشغلها شغلتك فاذا أدام الشاب المريد العمل وأذاب نفسه في العبادة نقل عليه خواطر النفس وأيضا شغله بالعبادة يشمر له حلاوة المعاملة ومحبة الاكثار منه ويفتح عليه باب السهولة والعيش في العمل فيغار على حاله ووقته أن يتكدر بهم الزوجة ومن حسن أدب المريد في عزوبته أن لا يمكن خواطر النساء من باطنه وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر إلى الله تعالى بحسن الانابة فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة العزيمة ويؤيده بمراغمة النفس بل ينعكس على نفسه نور قلبه ثوابا لحسن انابته فتسكن النفس عن المطالبة ثم يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل المذمومة المؤدية إلى الذل والهوان وأخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع بسبب التفتات الخواطر إلى ضبط المرأة وحراستها والكلف التي لا تنحصر * وقد سئل عبدالله بن عمر عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال وقد قيل كثرة العيال أحد الفقيرين وقلة العيال أحد اليسارين وكان ابراهيم بن أدهم يقول من تعود أخذا النساء لا يفلح ولا شك ان المرأة تدعو إلى الرفاهية والدعة وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر ومحبة الادخار وكل هذا بعيد عن المتجرد وقد ورد إذا كان بعد المائتين أبيحت العزوبة لأمي فان توالى على الفقير خواطر النكاح وزاحمت باطنه سيما في الصلاة والأذكار والتلاوة فليستعن بالله أولا ثم بالمشايخ والاخوان ويشرح الحال لهم ويسألهم مسألة الله في حسن الاختيار ويطوف على الأحياء والأموات والمساجد والمشاهد ويستعظم الأمر ولا يدخل فيه بقلة الا كثرات فانه باب فتنة كبيرة وخطر عظيم وقد قال الله تعالى (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) ويكثر الضراعة إلى الله تعالى ويكثر البكاء بين يديه في الخلوات ويكرر الاستخارة وإن رزق القوة والصبر حتى يستبين له من فضل الله الخيرة في ذلك فهو الكمال والتمام فقد يكشف الله تعالى للصادق ذلك منعا أو اطلاقا في منامه أو يقطئه أو على لسان من يثق إلى دينه وحاله أنه إذا أشار لا يشير إلا على بصيرة وإذا حكم لا يحكم إلا بحق فعند ذلك يكون تزوجه مدبرا معاناهيه (وسمعنا) أن الشيخ عبدالقادر الجيلي قال له بعض الصالحين لم تزوج فقال ما تزوجت حتى قال لي رسول الله ﷺ تزوج فقال له ذلك

الرجل الرسول ﷺ يأمر بالرخص وطريق القوم التزم بالعزيمة فلا أعلم ما قال الشيخ في جوابه ولكني أقول رسول الله ﷺ يأمره بالرخصة وأمره على لسان الشرع فأما من التجأ إلى الله تعالى وافتقر إليه واستخاره فيكشفه الله بتنبئه إياه في منامه وأمره هذا لا يكون أمر رخصة بل هو أمر يتبعه أرباب العزيمة لأنه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة ما وقع لي ما نقل عنه أنه قال كنت أريد الزوجة مدة من الزمان ولا اجترئ على التزوج خوفا من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله لي أربع زوجات ما فيهن إلا من تنفق على إرادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجميل الكامل فإذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والمخرج ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فإذا تزوج النقيير بعد الاستقصاء والا كثار من الضراعة والدعاء وورد عليه وارد من الله تعالى بإذن فيه فهو الغاية والنهاية وإن عجز عن الصبر إلى ورود الاذن واستنفذ جهده في الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حفظه من الله تعالى ويعان عليه لحسن نيته وصدق مقصده وحسن رجائه واعتماده على ربه وقد نقل عن عبد الله بن عباس أنه قال لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج ونقل عن شيخ من مشايخ خراسان أنه كان يكثر التزوج حتى لم يكن يخلو عن زوجتين أو ثلاث فعوتب في ذلك فقال هل يعرف أحد منكم أنه جاس يربدى الله تعالى جلوسه أو وقف وقفة في معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يصينا ذلك فقال لو رضيت في عمري كله بمنزل حالكم في وقت واحد ما تزوجت قط ولكني ما خطر على قلبي خاطر شهوة قط شغلني عن حالي إلا نفذته لأستريح منه وأرجع إلى شغلي ثم قال منذ أربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية فإلصاقون ما دخلوا في النكاح إلا على بصيرة وقصدوا حسم مواد النفس وقد يكون للأقوياء والعلماء الراسخين في العلم أحوال في دخولهم في النكاح تختص بهم وذلك أنهم بعد طول المجاهدات والمراقبات والرياضات تطمئن نفوسهم وتقبل قلوبهم وللالوب إقبلا وإدبار يقول بعضهم ان للقلوب اقبالا وإدبارا فإذا أدبرت روح بالارفاق وإذا أقبلت ردت إلى الميثاق فتبقى قلوبهم دائمة الاقبال إلا اليسير ولا يدوم اقبالها إلا لطمأنينة النفوس وكفها عن المنازعة وترك التشبث في التلوب فإذا اطمأننت النفوس واستقرت من طيشها

ونفورها وشراستها توفرت عليها حقوقها وربما يصير من حقوقها حظوظها لأن في أداء الحق اقتناعا وفي أخذ الحظ اتساعا وهذا من دقيق علم الصوفية فانهم يتسعون بالنكاح المباح إيصالا إلى النفس حظوظها لأنها ما زالت تخالف هواها حتى صار داؤها وصارت الشهوات المباحة واللذات المشروعة لا تضرها ولا تقتر عليها عزمها بل كلما وصلت النفوس الزكية إلى حظوظها ازداد القلب انشراحا وانفساحا ويصير بين القلب والنفس موافقة يعطف أحدهما على الآخر ويزداد كل واحد منهما بما يدخل على الآخر من الحظ كلما أخذ القلب حظه من الله خلع على النفس خلع الطمأنينة فيكون مزيد السكينة للقلب مزيد الطمأنينة للنفس وينشد

ان السماء إذا اكتست كست الثرى حللا يدبجها الغمام الراهم
وكما أخذت النفس حظها تروح القلب تروح الجار المشفق براحة الجار (سمعت)
بعض الفقهاء يقول النفس تقول للقلب كن معي في الطعام أكن معك في الصلاة وهذا من الأحوال العزيزة لا تصلح إلا لعالم رباني وكمن مدع يهلك بتوهمه هذا في نفسه ومثل هذا العبد يزداد بالنكاح ولا ينقص والعبد إذا كمل علمه يأخذ من الأشياء ولا تأخذ الأشياء منه وقد كان الجنيد يقول أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام (وسمعت) بعض العلماء بعض الناس يطعن في الصوفية فقال يا هذا ما الذي ينهضهم عندك فقال يا كلون كثيرا فقال وأنت أيضاً لو جمعت كما يجمعون أكلت كما يأكلون ثم قال ويتزوجون كثيرا قال وأنت أيضاً لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال وأي شيء أيضاً قال يسمعون القول قال وأنت أيضاً لو نظرت كما ينظرون سمعت كما يسمعون (وكان سفیان بن عیینة) يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لأن علياً رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله ﷺ وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول خير هذه الأمة أكثرها نساء (وقد ذكر في أخبار الأنبياء) ان ما بدا تبطل للعبادة حتى فاق أهل زمانه فذكر لنبي ذلك الزمان فقال نعم الرجل لولا انه تارك لشيء من السنة فمضى ذلك إلى العابد فأهمه فقال ما تنفعني عبادتي وأنا تارك السنة فجاء إلى النبي عليه السلام فسأله فقال نعم انك تارك الزوج فقال ما تركته لأنني أحرمه وما منعني منه إلا أنني فقير لشيء لي وأنا عيال على الناس

يطعمني هذا مرة وهذا مرة فأكره أن أتزوج بامرأة أعضلها أو أرهقها جهداً فقال
له النبي عليه الصلاة والسلام وما يمنعك إلا هذا قال نعم فقال أنا أزوجك ابنتي فزوجه
النبي عليه السلام ابنته وكان عبد الله بن مسعود يقول لولم يبق من عمري إلا عشرة أيام
أحببت أن أتزوج ولا ألقى الله عزباً وما ذكر الله تعالى في القرآن من الأنبياء إلا المتأهلين
(وقيل) أن يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج لأجل السنة ولم يكن يقربها (وقيل)
أن عيسى عليه السلام سينكح إذا نزل إلى الأرض ويولده (وقيل) أن ركعة من متأهل
خير من سبعين ركعة من عزب (أخبرنا) الشيخ الطاهر بن أبي الفضل قال أنا
أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم المقومى القزويني قال أنا أبو طلحة
القاسم بن أبي البدر الخطيب قال حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان قال
حدثنا أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه قال حدثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا آدم قال
حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ
النكاح سنن فمن لم يعمل بسنن فليس مني فتزوجوا فاني مكاثركم الأمم ومن كان
ذا طول فليترك ومن لم يجد فعله بالصيام فإن الصوم له وجاء وما ينبغي للمتأهل أن
يحذر من الإفراط في المحالطة والمعاشرة مع الزوجة إلى حد ينقطع عن أوراده وسياسة
أوقاته فإن الإفراط في ذلك يقوى النفس وجنودها ويفتر ناهض الهمة (وللمتأهل)
بسبب الزوجة فتنتان فتنة لعموم حاله وفتنة لخصوص حاله ففتنة عموم حاله الإفراط
في الاهتمام بأسباب المعيشة (كان الحسن) يقول والله ما أصبح اليوم رجل يطيع
امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله على وجهه في النار (وفي الخبر) يأتي على الناس زمان يكون
هالك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعبرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل
في المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك (وروى) أن قوما دخلوا على يونس عليه السلام
فأضافهم وكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت
فعجبوا من ذلك وها بوه أن يسألوه فقال لا تعجبوا من هذا فاني سألت الله فقلت
يا رب ما كنت معاقب به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان
تزوج بها فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون فاذا أفرط الفقير في الإدارة ربما تعدى
حد الاعتدال في وجوه المعيشة متطلباً رضا الزوجة فهذا فتنة عموم حاله وفتنة

خصوص حاله الافراط في المجالسة والمخالطة فتنتطلق النفس عن قيد الاعتدال وتسترق الغرض بطول الاسترسال فيستولى على القلب بسبب ذلك السهو والغفلة ويستجلس مقدار المهلة فيقل الوارد لقلة الأوراد ويتكدر الحال لاهمال شروط الأعمال والطف من هذين الفتنتين فتنة أخرى تختص بأهل القرب والحضور وذلك ان للنفوس امتزاجا وبرا بطة الامتزاج تعتضد وتشتد وتتطرى طبيعتها الجامدة وتلهب نارها الخامدة فدواء هذه الفتنة أن يكون المتأهل عند المجالسة عينان باطنان ينظر بهما إلى مولاه وعينان ظاهران يستعملهما في طريق هواه وقد قالت رابعة في معنى هذا نظما اني جعلتك في القواد محبتي وأبحت جسمي من أراد جلوسي فالجسم مني للجليلس مؤانس وحبيب قلبي في القواد أنيسي (وألف من هذا فتنة أخرى) يخشاها المتأهل وهو أن يصير للروح استرواح إلى لطف الجمال ويكون ذلك الاسترواح موقوفا على الروح ويصير ذلك وليجة في حب الروح الخصوص بالتعلق بالحضرة الالهية فتبتلد الروح وينسد باب المزيد من الفتوح وهذه البلادة في الروح يعزل الشعور بها فلتحذر ومن هذا القبيل دخلت الفتنة على طائفة قالوا بالمشاهدة وإذا كان في باب الحلال وليجة في الحب يتولد منها بلادة الروح في القيام بوظائف حب الحضرة الالهية فما ظنك فمن يدعى ذلك في باب غير مشروع بغره سكون النفس فيظن انه لو كان من قبيل الهوى ماسكنت النفس والنفس لا تسكن في ذلك دائما بل تسلب من الروح ذلك الوصف وتأخذه إليها على أني استبحنت عما يبتلى به المفتونون بالمشاهدة فوجدت المحمى من ذلك من صورة الفسق عنده رغبة شراب الشهوة إذ لو ذهب علة الشراب ما بقيت الرغبة فليحذر ذلك جدا ولا يسمع ممن يدعى فيه حالا وصحة فانه كذاب مدع ولهذا المعنى قال الاطباء الجماع يسكن هيجان العشق وان كان من غير المعشوق فليعلم ان مستنده الشهوة ويكذب من يدعى فيه حالا وهذه فتنة المتأهل وفتنة العزب مرور النساء بخاطره وتصورهن في متخيله ومن أعطى الطهارة في باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة وإذا سنع الخاطر يحجوه بحسن الانابة واللياذ بالهرب ومتى سامر الفكر كشف الخاطر وخرج من القلب إلى الصدر وغند ذلك يحذر احساس العضو

بالخاطر فيصير ذلك عملاً خفياً وما أقبح مثل هذا بالصادق المتطلع إلى الحضور واليقظة فيكون ذلك فاحشة الحال وقد قيل مرور الفاحشة بقباب العارفين كفعل الفاعلين لها والله أعلم

﴿ الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولاً وإثارة ﴾

قال الله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) قيل أحسنه أى اهده وارشده وقال عز وجل (وإذا سمعوا ما نزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لأنه تارة يثير حزناً والحزن حار وتارة يثير شوقاً والشوق حار وتارة يثير ندماً والندم حار فاذا انما السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين أبكى وأدمع لان الحرارة والبرودة إذا اصطدما عصرا ماء فاذا ألم السماع بالقلب تارة يخف المامه فيظهر أثره في الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب أثره إلى فوق نحو الدماغ كالخبر للعقل فيعظم وقع المتجدد الحادث فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب أثره إلى الروح فتعوج منه الروح موجاً يكاد يضيق عنه نطاق القلب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذا كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب المحال (روى) ان عمر رضى الله عنه كان دعاماً بآية في ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضاً فالسماع يستجلب الرحمة من الله الكريم روى زيد بن أسلم قال قرأ أبي بن كعب عند رسول الله ﷺ فرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتتموا الدماء عند الرقة فانها رحمة من الله تعالى وروت أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحمات عنه الذنوب كاتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وورد أيضاً إذا اقشعر الجلد من خشية الله حرمه الله تعالى على النار وهذه جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها إنما الاختلاف في استماع الاشعار

بالإحسان وقد كثرت الأقوال في ذلك وتباينت الأحوال فمن منكر يلحقه بالفسق ومن مولع به يشهد بانه واضح الحق ويتجاذبان في طرفي الإفراط والتفريط * قيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيدي وسرى السقطي وذو النون يسمعون فقال كيف أنكروا السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير مني فقد كان جعفر الطيار يسمع وإنما المنكر للهو واللعب في السماع وهذا قول صحيح ﴿ أخبرنا ﴾ الشيخ طاهر بن أبي الفضل عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو القاسم الحسين بن محمد ابن الحسن الخوافي قال أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف قال حدثنا أبو بكر بن وثاب قال حدثنا عمرو بن الحرث قال حدثنا الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ان أبا بكر دخل عليها وعندهما جاريان تغنيان وتضربان بدين ورسول الله ﷺ مسجى بثوبه فاتهرها أبو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يأبأ بكر فانها أيام عيد وقالت عائشة رضي الله عنها رأيت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا أسأهم وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله ما يدل على تجويزه ونقل عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم وقول الشيخ أبي طالب المكي يعتبر لو فور علمه وبكال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريمه الأصوب والأولى وقال في السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه ومن سمعه بقلب يشاهد معاني تدله على الدليل ويشهده طرقات الجليل فهو مباح وهذا قول الشيخ أبي طالب المكي وهو الصحيح فاذا لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع كفعل القراء المتزهدين المبالغين في الانكار ولا يفسح فيه على الإطلاق كفعل بعض المستهترين به المهملين شروطه وآداب المقيمين على الاصرار وتفصل الأمر فيه تفصيلا ونوضح الماهية فيه تحريما وتحليلا فأما الدف والشبابة وان كان فيهما في مذهب الشافعي فسحة فالأولي تركهما والأخذ بالاحوط والخروج من الخلاف وأما غير ذلك فان كان من القصاص في ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار

وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل إلى الانكار ومن ذلك القبيل قصائد الغزاة والحجاج في وصف الغزو والحج مما يثير كامن العزم من الغاوى وساكن الشوق من الحاج وأما ما كان فيه ذكر القدود والحدود ووصف النساء فلا يليق بأهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك وأما ما كان من ذكر الهجر والوصل والقطيعة والصد مما يقرب حمله على أمور الحق سبحانه وتعالى من تلون أحوال المريدين ودخول الآفات على الطالبين فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات أو تجدد عنده عزم لما هو آت فكيف ينكر سماعه وقد قيل ان بعض الواجدین يقتات بالسماع ويتقوي به على الطي والوصل ويثير عنده من الشوق ما يذهب عنه لهب الجوع فاذا استمتع السبيل إلى بيت من الشعر وقلبه حاضر فيه كان يسمع الحادى يقول مثلاً

أتوب إليك يا رحمن انى أسأت وقد تضاعفت الذنوب

فأما من هوى ليلى وحى زيارتها فانى لأتوب

فطاب قلبه لما يجده من قوة عزه على الثبات فى أمر الحق إلى الممات يكون فى سماعه هذا ذكر الله تعالى * قال بعض أصحابنا كنا نعرف مواجيد أصحابنا فى ثلاثة أشياء عند المسائل وعند الغضب وعند السماع وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم يأكلون عن فاقة وعند المذاكرة لأنهم يتحاورون فى مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً وسئل رويم عن وجد الصوفية عند السماع فقال يتنبهون للمعاني التى تعزب عن غيرهم فيشير إليهم إلى فيتنعمون بذلك من الفرح ويقع الحجاب للوقت فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم من يمزق ثيابه ومنهم يبكي ومنهم من يصيح ﴿ أخبرنا ﴾ أبو زرعة اجازة عن ابن خلف اجازة عن السلمى قال سمعت أباسهل محمد بن سليمان يقول المستمع بين استتار وتجل فالاستتار يورث التلهب والتجلي يورث المزید فالاستتار يتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف والعجز والتجلي يتولد منه السكون للواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين وكذلك محل الحضرة ليس فيه إلا الذبول تحت موارد الهيبة قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى

سمعت جدى يقول المستمع ينبغي أن يستمع بقلب حى ونفس ميتة ومن كان قلبه ميتاً ونفسه حياً لا يحل له السماع وقيل فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء الصوت الحسن وقال عليه السلام الله أشد اذناً بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قينته نقل عن الجنيد قال رأيت إبليس فى النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشيء أو تنال منهم شيئاً فقال انه يعسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئاً إلا فى وقتين قلت أى وقت قال وقت السماع وعند النظر فانى استرق منهم فيه وأدخل عليهم به قال خكيت رؤبى لبعض المشايخ فقالوا لو رأيته قلت له يا أحمق من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر أترج أنت عليه شيئاً أو تظفر بشيء منه فقلت صدقت (وروت) عائشة رضى الله عنها قالت كانت عندي جارية تسمعى فدخل رسول الله ﷺ وهى على حالها ثم دخل عمر فقرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله فحدثته حديث الجارية فقال لا أبرح حتى أسمع ما سمع رسول الله فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسمعته * وذكر الشيخ أبو طالب المكي قال كان لعطاء جاريته تلتحنان وكان اخوانه يجتمعون إليهما وقال أدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن التلحين اعدهن للصوفية وهذا القول نقلته من قول الشيخ أبي طالب فقال وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهو لا يسلم الا بشرط طهارة القلب وغيض البصر والوفاء بشرط قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وما هذا القول من الشيخ أبي طالب المكي الامستغرب عجيب والتنزه عن مثل ذلك هو الصحيح وفى الحديث فى مدح داود عليه السلام انه كان حسن الصوت بالنياحة على نفسه وبتلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه آلاف من الجنائز * وقال عليه السلام فى مدح أبي موسى الأشعرى لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود (وروي) عنه عليه السلام انه قال ان من الشعر لحكمة ﴿ ودخل ﴾ رجل على رسول الله ﷺ وعنده قوم يقرؤن القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال يا رسول الله قرآن وشعر فقال من هذا مرة ومن هذا مرة ﴿ وأنشد ﴾ النابغة عند رسول الله ﷺ أبياته التى فيها

ولاخير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه ان يكدر
ولاخير في امرء إذا لم يكن له حكيم إذا ما أورد الأمر أصدر

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنت يا أبا ليلى لا يفيض الله فاك
فعاش أكثر من مائة سنة وكان أحسن الناس ثغرا وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد فيقوم على المنبر قائما يهجو الذين كانوا يهجون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول النبي ﷺ ان روح القدس مع حسان مادام
ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ورأى﴾ بعض الصالحين أبا العباس الخضر
قال فقلت له ما تقول في السماع الذي يختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفا الزلال
لا يثبت عليه الا أقدام العلماء ﴿ونقل﴾ عن ممشاد الدينورى قال رأيت
رسول الله ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال
ما انكره ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن
فقلت يا رسول الله انهم يؤذونى وينبسطون فقال احتملهم يا أبا على هم أصحابك
فكان ممشاد يفتخر ويقول كنانى رسول الله ﷺ وأما وجه الانكار فيه فهو
ان يري جماعة من المريدين دخلوا في مبادئ الارادة ونفوسهم ما عرت على صدق
الجهادة حتى يحدث عندهم علم بظهور صفات النفس وأحوال القلب حتى تنضب
حركاتهم بقانون العلم ويعلمون ما لهم وعليهم مشتغلين به ﴿حكى﴾ ان ذا النون
لما دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوال فاستأذنه ان يقول شيئا فاذن له فاشد

القوال صغير هو اك عذبنى فكيف به إذا احتسكا

وأنت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا

أما ترى لمكتتب إذا ضحك الخلى بكى فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على جبهته
والدم يقطر من جبهته ولا يقع على الأرض ثم قام واحد منهم فنظر إليه ذوالنون
فقال اتق الذى يراك حين تقوم فجلس الرجل وكان جلوسه لموضع صدقه وعلمه انه
غير كامل الحال غير صالح للقيام متواجدا فيقوم أحدهم من غير تدبر وعلم في قيامه
وذلك إذا سمع ايقاعا موزونا بسمع يؤدى ماسمعه إلي طبع موزون فيتحرك
بالطبع الموزون للصوت الموزون والايقاع الموزون وينسبل حجاب نفسه

المنبسط. باتبساط الطبع على وجه القلب ويستفزه النشاط المنبعث من الطبع فيقوم
 برقص موزونا ممزوجا بتصنع وهو محرم عند أهل الحق ومحسب ذلك طيبة للقلب
 وما زاد أى وجه القلب وطيبته بالله تعالى ولعمري هو طيبة القلب ولكن قاب ملون
 بلون النفس ميال إلى الهوى موافق للردى لا يهتدى إلى حسن النية في الحركات
 ولا يعرف شروط صحة الارادات ولمثل هذا الرقص قيل الرقص نقص لأنه رقص
 بمصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة لاسيما إذا انضاف إلى ذلك شوب حركاته
 بصرح النفاق بالتودد والتقرب إلى بعض الحاضرين من غير نية بل دلالة نشاط
 النفس من المعانقة وتقبيل اليد والقدم وغير ذلك من الحركات التي لا يعتمد عليها من
 المتصوفة إلا من ليس له من التصوف إلا مجرد زى وصورة أو يكون القوال امرد
 تنجذب النفوس إلى النظر إليه وتستلذ ذلك وتضرر خواطر السوء أو يكون للنساء
 أشراف على الجمع وتتراسل البواطن المملوءة من الهوى بسفارة الحركات والرقص
 وإظهار التواجد فيكون ذلك عين الفسق المجمع على تحريره فاهل المواخير حينئذ
 أرجى حالا ممن يكون هذا ضميره وحركاته لأنهم يرون فسقهم وهذا لا يراه ويرى
 عبادة لمن لا يعلم ذلك أفترى أحدا من أهل الديانات يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا
 الوجه توجه المنكر الانكار وكان حقيقاً بالاعتذار فكم من حركات موجبة للعنت
 وكم من نهضات تذهب رونق الوقت فيكون انكار المنكر على المرید الطالب بمنعه
 عن مثل هذه الحركات ويحذره من مثل هذه المجالس وهذا انكار صحيح
 وقد يرقص بعض الصادقين بايقاع ووزن من غير اظهار وجد وحال ووجه نيته
 في ذلك انه ربما يوافق بعض الفقراء في الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع
 بها حالا ووجدا يجعل حركته في طرف الباطل لأنها وان لم تكن محرمة في حكم
 الشرع ولكنها غير محملة بحكم الحال لما فيها من اللهو فتصير حركاته ورقصه من
 قبيل المباحات التي تجرى عليه من الضحك والمداعبة وملاعبة الأهل والولد
 ويدخل ذلك في باب الترويح للقلب وربما صار ذلك عبادة بحسن النية إذا نوى به
 استجرام النفس كما نقل عن أبي الدرداء انه قال انه لاستجيم نفسه بشيء من الباطل

(٩ - عوارف المعارف)

ليكون ذلك عوناً على الحق ولموضع الترويح كرهت الصلاة في أوقات ليستريح
عمال الله وترتفع النفوس ببعض ما ربه من ترك العمل وتمتطيط أوطان المهمل
والآدى بتركيبه المختلف وترتيب خلقه المتنوع بتنوع أصول خلقته وقدمسبق
شرحه في غير هذا الباب لاتنى قواه بالصبر على الحق الصرف فيكون التفسح
في أمثال ما ذكرناه من المباح الذي ينزع إلى هوما باطلا يستعان به على الحق فان
المباح وان لم يكن باطلا في حقيقة الشرع لأن حد المباح ما استوى طرفاه واعتدل
جانباه ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت في بعض كلام سهل بن عبد الله
يقول في وصفه للصادق يكون جهله مزيدا لعلمه وباطله مزيدا لحقه ودنياء
مزيدا لآخرته ولهذا المعنى حجب إلى رسول الله ﷺ النساء ليكون ذلك حظ
نفسه الشريفة الموهوب لها حظوظها الموفر عليها حقوقها لموضع طهارتها
وقدسها فيكون ما هو نصيب الباطل الصرف في حق الغير من المباحات المقبولة
برخصة الشرع المردودة بعزيمة الحال في حقه ﷺ متسما بسمة العبادات وقد ورد
في فضيلة النكاح ما يدل على انه عبادة ومن ذلك من طريق القياس اشتماله على المصالح
الدينية والدنيوية على ما أطنب في شرحه الفقهاء في مسألة التخلي لنوافل العبادات
فاذا يخرج هذا الرافض بهذه النية المتبريء من دعوى الحال في ذلك من زمن
انكار المنكر فيكون رقصه لاعليه ولاله وربما كان بحسن النية في الترويح بصير
عبادة سيما ان اضمر في نفسه فرحاً بربه ونظر إلى شمول رحمته وعطفه ولكن لا يليق
الرقص بالشيوخ ومن يقتدى به لمافيه من مشابة الله والهوى لا يليق بمنصبهم
وبيان حال المتمكن مثل ذلك وأما وجه منع الانكار في الجماع فهو أن المنكر للسمع
على الاطلاق من غير تفصيل لا يخلو من أحد أمور ثلاثة اما جاهل بالسنن والآثار
واما مغتر بما أتيج له من أعمال الاختيار واما جامد الطبع لا ذوق له فيصر على الانكاد
وكل واحد من هؤلاء الثلاثة يقابل بما سوف يقبل اما الجاهل بالسنن والآثار
فيرى بما أسلفناه من حديث عائشة رضي الله عنها وبالاخبار والآثار الواردة
في ذلك وفي حركة بعض المتحركين تعرف رخصة رسول الله ﷺ للحبشة في الرقص
ونظر عائشة رضي الله عنها إليهم مع رسول الله ﷺ هذا إذا سلمت الحركة من

المكاره التي ذكرناها وقد روى أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه أنت مني وأنا منك فنجعل وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي فنجعل وقال يزيد أنت أخوة ومولانا فنجعل وكان خجل جعفر في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها على وجعفر وزيد وأما المنكر المغرور بما أتيج له من أعمال الأخبار فيقال تقربك إلى الله بالعبادة لشغل جوارحك بها ولولا نية قلبك ما كان لعمل جوارحك قدر فاعلم الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى والنية لنظرك إلى ربك خوفاً أو رجاءاً فالسامع من الشعر بيتاً يأخذ منه معنى يذكره رباً إما فرحاً أو حزناً أو انكساراً أو افتقاراً كيف يقرب قلبه في أنواع ذلك ذاكرة لربه ولو سمع صوت طائر طاب له ذلك الصوت وتفكر في قدرة الله تعالى وتسويته خنجر الطائر وتسخير حلقه ومنشأ الصوت وتأديته إلى السماع كان في جميع ذلك الفكر مسجماً مقدساً فاذا سمع صوت آدمي وحضره مثل ذلك الفكر وامتلأ بطلنه ذكره وفكره كيف ينكر ذلك (حكى بعض الصالحين) قال كنت معتكفاً في جامع جدّه على البحر فرأيت يوماً طائفة يقولون في جانب منه شيئاً فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله تعالى يقولون الشعر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر وإذا أبو بكر يقول شيئاً من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يسمعون وهذا رسول الله ﷺ يسمع وأبو بكر إلى جنبه يقول فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول هذا حق بحق أو حق من حق بلى إذا كان ذلك الصوت من أمرد يخشى بالنظر إليه الفتنة أو من امرأة غير محرم وإن وجد من الأذكاء والأفكار ما ذكرنا يحرم سماعه لخوف الفتنة لا لمجرد الصوت ولكن يجعل سماع الصوت حريم الفتنة ولكل حرام حريم ينسحب عليه حكم المنع لوجه المصلحة كالقبة للشباب الصائم حيث جعلت حريم حرام الوقاع والخلوة بالأجنبية وغير ذلك فعلى هذا قد تقتضي المصلحة المنع من السماع إذا علم حال السامع وما يؤديه إليه سماعه فيجعل المنع حريم الحرام هكذا وقد ينكر السماع جامد الطبع عديم

الدوق فيقال له العنين لا يعلم لذة الواقع والمكفوف ليس له بالجمال البارع استمتاع
وغير المصاب لا يتكلم بالاسترجاع فاذا ينكر من محب تربي باطنه بالشوق والمحبة
ويرى انحباس روحه الطيارة في مضيق قفص النفس الامارة يمر بروحه نسيم أئس
الأوطان وتلوح له طوابع جنود العرفان وهو بوجود النفس في دار الغربة
يتجرع كأس الهجران يئن تحت اعباء المجاهدة ولا تحمل عنه سوانح المشاهدة
وكما قطع منازل النفس بكثرة الأعمال لا يقرب من كعبة الوصال ولا يكشف له
المسبل من الحجاب فيتروح بنفس الصعداء ويرتاح باللائح من شدة البرحاء
ويقول مخاطبا للنفس والشيطان وهما المانعان

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلي نسيمها
فإن الصبا ربح إذا ما تنسمت على قلب محزون تجلت همومها
أجد بردها أو أشف منى حرارة على كبد لم يبق الا صميمها
ألا ان ادوائى بليلى قديمة واقتل داء العاشقين قديمها

ولعل المنكر يقول هل المحبة الا امتثال الأمر وهل يعرف غير هذا وهل هناك
الا الخوف من الله وينكر المحبة الخاصة التى تختص بالعلماء الراسخين والابدال
المقربين ولما تقرر في فهمه القاصر ان المحبة تستدعى مثالا وخيالا وأجناسا
وأشكالا أنكر محبة القوم ولم يعلم ان القوم بلغوا في رتب الايمان إلى آتم من
المحموس وجادوا من فرط الكشف والعيان بالأرواح والنفوس * روى أبوهريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما كان في بنى اسرائيل
على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله قال من خلق الأرض قالت الله قال
من خلق الجبال قالت الله قال من خلق الغيم قالت الله فقال اني أسمع لله شأنا
ورخي بنفسه من الجبل فتقطع فالجمال الأزلئ الالهى منكشف للأرواح غير
مكيف للعقل ولا مفسر للفهم لأن العقل موكل بعالم الشهادة لا يهتدى من الله
سبحانه الا الى مجرد الوجود ولا يتطرق الى حريم الشهود المتجلى في طى الغيب
المنكشف للأرواح بلا ريب وهذه الرتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة وأعم
منها من رتبة المحبة الخاصة دون العامة مطالعة جمال الكمال من الكبرياء والجلال

والاستقلال بالمنح والنوال والصفات المنقسمة الى مظاهر منها في الآباد ولازم
الذات الازال فللكمال جمال لا يدرك بالحواس ولا يستنبط بالقياس وفي مطالعة
ذلك الجمال أخذ طائفة من المحبين خصوا بتجلى الصفات ولهم بحسب ذلك ذوق
وشوق ووجد وسماع والأولون منحوا قسطا من تجلى الذات فكان وجدهم على
قدر الوجود وسماعهم على حد الشهود (وحكى) بعض المشايخ قال رأينا جماعة
ممن يمشي على الماء والهواء يسمعون السماع ويمجدون به ويتولهون عنده (وقال)
بعضهم كنا على الساحل فسمع بعض اخواننا فجعل يتقلب على الماء يمره ويمجيء
حتى رجع الى مكانه (ونقل) ان بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا
يحس بها (ونقل) ان بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمعة فجعلها
في عينه . قال الناقل قربت من عينه أنظر فرأيت نارا أو نورا يخرج من عينه يرد
نار الشمعة (وحكى) عن بعضهم انه كان اذا وجد عند السماع ارتفع الأرض في
الهواء أذرا يمر ويمجيء فيه (وقال) الشيخ أبوطالب المسكي رحمه الله في كتابه
ان أنكرنا السماع مجحلا مطلقا غير مقيد مفصل يكون انكارا على سبعين صديقا
وان كنا نعلم ان الانكار أقرب الى قلوب القراء والمتعبدين الا انا لانفعل ذلك
لأننا نعلم مالا يعلمون وسمعنا عن السلف من الأصحاب والتابعين مالا يسمعون
وهذا قول الشيخ عن علمه الوافر بالسنن والآثار مع اجتهاده وتحريه الصواب
ولكن نبسط لأهل الانكار لسان الاعتذار ونوضح لهم الفرق بين سماع يؤثر
وبين سماع ينكر (وشح) الشبلى قائلا يقول

أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له علم بها أين تنزل

فزق الشبلى وقال لا والله ما في الدارين عنه مخبر (وقيل) الوجد سر صفات
الباطن كما ان الطاعة سر صفات الظاهر. وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات
الباطن الأحوال والأخلاق وقال أبو نصر السراج أهل السماع على ثلاث طبقات
فقوم يرجعون في سماعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون وقوم يرجعون
فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم فهم مرتبطون بالعلم
ومطالبون بالصدق فيما يشيرون الله من ذلك وقوم هم الفقراء المجردون الذين

قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بحجة الدنيا والجمع والمنع فهم يسمعون لطيفة قلوبهم ويليق بهم السماع فهم أقرب الناس الى السلامة واسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف وسئل بعضهم عن التكلف في السماع فقال هو على ضربين تكلف في المستمع لطلب جاه أو منفعة دنيوية وذلك تلبس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكي المندوب اليه وقول القائل ان هذه الهیئة من الاجتماع بدعة يقال له انما البدعة المحذورة الممنوع منها بدعة تراحم سنة مأمورا بها وما لم يكن هكذا فلا بأس به وهذا كالقيام للداخل لم يكن فكان في عادة العرب ترك ذلك حتى نقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل ولا يقام له وفي البلاد التي فيها هذا القيام لهم عادة اذا اعتمد ذلك لتطيب القلوب والمدارة لا بأس به لأن تركه يوحش القلوب ويوغر الصدور فيكون ذلك من قبيل العشرة وحسن الصحبة ويكون بدعة لا بأس بها لأنها لم تراحم سنة مأمورة

﴿الباب الثالث والعشرون في القول في السماع ردا وانكارا﴾

قد ذكرنا وجه صحة السماع وما يليق منه بأهل الصدق وحيث كثرت الفتنة بطريقه وزالت العصمة فيه وتصدى للحرص عليه أقوام قلت أعمالهم وفسدت أحوالهم وأكثروا الاجتماع للسمع وربما يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لا رغبة للقلوب في السماع كما كان من سير الصادقين فيصير السماع معلولا تركن اليه النفوس طلباً للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والغفلات ويقطع ذلك على المرید طلب المزيد ويكون بطريقه تضییع الأوقات وقلة الحظ من العبادات وتكون الرغبة في الاجتماع طلباً لتناول الشهوة واسترواحا لأولي الطرب واللهو والعشرة ولا يخفى ان هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق وكان يقال لا يصح السماع الا لعارف مكن ولا يباح لمرید مبتدي * وقال الجنيد رحمه الله تعالى إذا رأيت المرید يطلب السماع فاعلم ان فيه بقية البطالة وقيل ان الجنيد ترك السماع فقليل له كنت تستمع فقال مع من قيل له تسمع لنفسك فقال ممن لأنهم كانوا لا يسمعون إلا من أهل مع أهل فلما فقد الاخوان ترك فما

اختاروا السماع حيث اختاروه الا بشروط وقيود وآداب يذكرون به الآخرة
ويرغبون في الجنة ويحذرون من النار ويزداد به طلبهم وتحسن به أحوالهم ويتفق
لهم ذلك اتفاقا في بعض الأحيان لا أن يجعلوه دأبا وديدنا حتى يتركوا لأجله
الأوراد (وقد نقل) عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال في كتاب القضاء الغناء
لهو مكروه يشبه الباطل وقال من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته (واتفق)
أصحاب الشافعي أن المرأة غير المحرم لا يجوز الاستماع اليها سواء كانت حرة أو
مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب * ونقل عن الشافعي رضي الله
عنه انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعه الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن
وقال لا بأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصوت بها بأي وجه كان وعند مالك
رضي الله عنه اذا اشترى جارية فوجدتها مغنية فله أن يردها بهذا العيب وهو
مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وسماع
الغناء من الذنوب وما أباحه الا نفر قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا
لم ير اعلانه في المساجد والبقاع الشريفة * (وقيل) * في تفسير قوله تعالى (ومن
الناس من يشتري لهو الحديث) قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه هو الغناء
والاستماع اليه * (وقيل) * في قوله تعالى (وأتمم سامدون) أي مغنون رواه
عكرمة عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وهو الغناء بلغة حمير يقول أهل
اليمن سعد فلان اذا غنى وقوله تعالى (واستفزز من استطعت منهم بصوتك)
قال مجاهد الغناء والمزامير (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان
ابليس أول من نال وأول من تغنى (وروى) عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
أن النبي ﷺ قال انما نهيت عن صوتين فاجرين صوت عند نعمة وصوت عند
مصيبة * وقد روى عن عثمان رضي الله عنه انه قال ما غنيت ولا تمنيت ولا
مصمت ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم * وروى عن
عبدالله بن مسعود رضي الله عنه انه قال الغناء ينبت النفاق في القلب * وروى
أن ابن عمر رضي الله عنه مر عليه قوم وهم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال
ألا لا سمع الله لكم ألا لا سمع الله لكم * وروى أن انسانا سأل القاسم بن محمد عن

الغناء فقال أنهلك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر يا ابن أخي إذا ميز الله الحق والباطل في أيهما يجعل الغناء * وقال الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا * وعن الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب * وقال بعضهم إياك والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المكر وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع الموزون يفيق بالغناء والأوزان ويستحسن صاحب الطبع عند المماع ما لم يكن يستحسنه من الفرقة بالأصابع والتصفيق والرقص وتصدر منه أفعال تدل على سخافة العقل (وروى) عن الحسن انه قال ليس الدف من سنة المسلمين والذي نقل عن رسول الله ﷺ انه سمع الشعر لا يدل على اباحة الغناء فان الشعر كلام منظوم وغيره كلام منثور فخصه حسن وقبيحه قبيح وانما يصير غناء بالألحان وان أنصف المنصف وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المعنى بدفه والمشبب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بمحضرة رسول الله ﷺ وهل استحضروا اقوالا وقعدوا مجتمعين لاستماعه لاشك بأنه ينكر ذلك من حال رسول الله ﷺ وأصحابه ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجتمع لها لم يحظ بدوق معرفة أحوال رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين واستروح الى استحسان بعض المتأخرين ذلك وكثيرا ما يغلط الناس في هذا وكلما احتج عليهم بالسلف الماضين محتجون بالتأخرين وكان السلف أقرب إلي عهد رسول الله ﷺ وهديهم أشبه بهدي رسول الله ﷺ وكثيرا من الفقراء يستمع عند قراءة القرآن بأشياء من غير غلبة * قال عبدالله بن عروة بن الزبير قلت لجدي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما وصفهم الله تعالى تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال قلت ان ناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وروى) ان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما مر برجل من أهل العراق يتساقط قال ما لهذا قالوا انه إذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله تعالى سقط فقال ابن عمر رضى الله عنهما انا لنخشى

الله وما نسقط ان الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما هكذا كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد واحد منهم على ظهر بيت باسطة رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق وليس هذا القول منهم انكارا على الاطلاق إذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن للتصنع المتوهم في حق الأكثرين وقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء ويكون من البعض لقصور علم ومخامرة جهل ممزوج بهوى يلم بأحدهم يسير من الوجد فيتبعه زيادات يجهل ان ذلك يضر بدينه وقد لا يجهل ان ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استرقا خفيا تخرج الوجد عن الحد الذي ينبغي أن يقف عليه وهذا يباين الصدق (نقل) ان موسى عليه السلام وعظ قومه فشق رجل منهم قميصه فقبل لموسى عليه السلام قل لصاحب القميص لا يشق قميصه ويشرح قلبه * وأما إذا انضاف إلى السماع أن يسمع من أمرد فقد توجهت الفتنة وتعين على أهل الديانات انكار ذلك قال بقية ابن الوليد كانوا يكرهون النظر إلى الغلام الأمرد الجليل وقال عطاء كل نظرة يهاها القلب فلا خير فيها وقال بعض التابعين ما أنا أخوف على الشاب التائب من السبع الضاري خوفي عليه من الغلام الأمرد يقعد اليه وقال بعض التابعين أيضا اللوطية على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصاحفون وصنف يعملون ذلك العمل فقد تعين على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتقاء مواضع التهم فان التصوف صدق كله وجد كله يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخلطود بشيء من الهزل فهذه الآثار دلت على اجتناب السماع وأخذ الحذر منه والباب الأول بما فيه دل على جوازه بشروطه وتنزيهه عن المسكاره التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقنا بين القصائد والغناء وغير ذلك وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا ينكرون على من يسمع بنية حسنة ويراعى الأدب فيه

❦ الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترفعا واستغناء ❦

اعلم ان الوجد يشعر بسابقة فقد فمن لم يفقد لم يجد وانما كان الفقد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقاياه فلو تمحض عبدا بتمحض حرا ومن تمحض

حرا أفلت من شرك الوجد فشرك الوجد يصطاد البقايا ووجود البقايا لتخلف شيء
 من العطايا (قال) الحصري رحمه الله ما أدون حال من يحتاج إلى مزعج بزجة فالوجد
 بالسمع في حق الحق كالوجد بالسمع في حق المبطل من حيث النظر إلى انزاجه
 وتأثير الباطن به وظهور أثره على الظاهر وتغييره للعبد من حال إلى حال وإنما يختلف
 الحال بين المحقق والمبطل ان المبطل يجد لوجود هوى النفس والمحقق يجد لوجود
 ارادة القلب ولهذا قيل السماع لا يحدث في القلب شيئا وإنما يحرك ما في القلب فمن
 متعلق باطنه بغير الله يحركه السماع فيجد بالهوى ومن متعلق باطنه بحجة الله يجد
 بالارادة ارادة القلب فالمبطل محجوب بحجاب النفس والحق محجوب بحجاب
 القلب وحجاب النفس حجاب ارضى ظلماني وحجاب القلب حجاب سماوي
 نوراني ومن لم يفقد بدوام التحقق بالشهود ولا يتعثر بأذيال الوجود فلا يسمع
 ولا يجد ومن هذه المطالعة قال بعضهم الوجد نادم كلى لا ينفذ في قول *
 ومر ممشاد الدينوري رحمه الله يقوم فيهم قوال فلما رأوه أمسكوا فقال ارجعوا
 إلى ما كنتم فيه فوالله لو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شفي بعض
 ما بي فالوجد صراخ الروح المبتلى بالنفس تارة في حق المبطل وبالقلب تارة في حق
 الحق فنثار الوجد الروح الروحاني في حق الحق والمبطل ويكون الوجد تارة من فهم
 المعاني يظهر وتارة من مجرد النفثات والالخان فما كان من قبيل المعاني تشارك
 النفس الروح في السماع في حق المبطل ويشارك القلب في حق الحق وما كان من
 قبيل مجرد النفثات تتجرد الروح للسمع ولكن في حق المبطل تسترق النفس السمع
 وفي حق الحق يسترق القلب السمع ووجه استلذاذ الروح النفثات ان العالم الروحاني
 مجمع الحسن والجمال ووجود التناسب في الاكوان مستحسن قولا وفعلًا ووجود
 التناسب في الهياكل والصور ميراث الروحانية فتى سمع الروح النفثات اللذيذة
 والالخان المتناسبة تأثر به لوجود الجنسية ثم يتقيد ذلك بالشرع بمصالح عالم الحكمة
 ورعاية الحدود للعبد عين المصلحة عاجلا وآجلا * ووجه آخر * إنما يستلذ
 الروح النفثات لان النفثات بها لطق النفس مع الروح بالإيماء الخفي اشارة ورمزين
 للمتعاشقين وبين النفوس والارواح تعاشق أصلى ينزع ذلك إلى أنوثة النفس

وذكورة الروح والميل والتعاشق بين الذكر والانثى بالطبيعة واقع قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن إليها وفي قوله سبحانه منها اشعار بتلازم وتلاصق موجب للائتلاف والتعاشق والنفحات يستلذهما الروح لأنها منافاة بين المتعاشقين وكما ان في عالم الحكمة كونت حواء من آدم في عالم القدرة كونت النفس من الروح الروحاني فهذا التألف من هذا الأصل وذلك ان النفس روح حيواني تجنس بالقرب من الروح الروحاني وتجنسها بان امتازت من أدواح جنس الحيوان بشرف القرب من الروح الروحاني فصارت نفسا فاذا تكون النفس من الروح الروحاني في عالم القدرة كتكون حواء من آدم في عالم الحكمة فهذا التألف والتعاشق ونسبة الانوثة والذكورة من ههنا ظهر وبهذا الطريق استطابت الروح النفحات لأنها مراسلات بين المتعاشقين ومكلمة بينهما وقد قال القائل

تكلم منا في الوجود عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلم
فاذا استلذ الروح النعمة وجدت النفس المعالولة بالهوى وتحركت بما فيها
الحدوث العارض ووجد القلب المعالول بالارادة وتحرك بما فيه لوجود العارض
في الروح

شربنا وأهرقنا على الأرض جرعة وللأرض من كأس الكرام نصيب
فنفس المبطل أرض لسما قلبه وقلب الحق أرض لسما روحه فالبالغ مبلغ
الرجال والمتجوهر المتجرد من أعراض الأحوال خلع نعل النفس والقلب بالوادي
المقدس وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر استقر وعرس واحرق بنور العيان
اجرام الالحان ولم تصنع روحه إلى منافاة حاشقه لشغله بمطالعة آثار محبوبه فالهائم
المشتاق لا يسمعه كشف ظلامه العشاق ومن هذا حاله لا يحركه السماع رأسا وإذا
كانت الالحان لا تلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها وخفي لطف مناجاتها كيف
يلحقه السماع بطريق فهم المعاني وهو اكشف ومن يضمف عن حمل لطيف
بالاشارات كيف يتحمل ثقل اعباء العبارات واقرب من هذا عبارة تقرب إلى
الافهام الوجد وارد يرد من الحق سبحانه وتعالى ومن يريد الله لا يقنع بما
من عند الله ومن صار في محل القرب متحققا به لا يلهيه ولا يحركه ماورد من عند الله

فالوارد من عند الله مشعر ببعد والقريب واجد فيما يصنع بالوارد والوجدان والقلب
للوأجد ربه نور والنور ألطف من النار والكشيف غير مسيطر على اللطيف فهادم
الرجل البالغ مستمرا على جادة استقامته غير منحرف عن وجه معبوده بنوازع
وجوده لا يدركه الوجد بالسمع فان دخل عليه فتور أو عاقه قصور بدخول الابتلاء
عليه من المبلى المحسن يتألف الحزن من تقاريق صور الابتلاء أي بدخل عليه وجود
يدركه الوجد لعود العبد عند الابتلاء إلى حجاب القلب فمن هو مع الحق إذا زل
وقع على القلب ومن هو مع القلب إذا زل وقع على النفس ﴿ سمعت ﴾ بعض
مشايخنا يحكي عن بعضهم انه وجد من السماع فقيل له اين حالك من هذا فقال دخل
على داخل أوردني هذا المورد ﴿ قال ﴾ بعض أصحاب سهل صحبت سهلا سنين
مارأيت تغيير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في آخر عمره قرىء
عنده فالיום لا يؤخذ منكم فدية فارتعد وكاد يسقط فسألته عن ذلك قال نعم لحقني
ضعف وسمع مرة الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فسأله ابن سالم وكان صاحبه
قال قد ضعفت فقيل له ان كان هذا من الضعف فما القوة قال القوة ان الكامل لا يرد
عليه واردا لا يبتلعه بقوة حاله فلا يغيره الوارد * ومن هذا القبيل قول
أبي بكر رضي الله عنه هكذا كنا حتى قسمت القلوب لما رأى الباكي يبكي عند قراءة
القرآن وقوله قست أي تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما استغربه
حتى تغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم حالى قبل الصلاة كحالى فى الصلاة
إشارة منه إلى استمرار حال الشهود فهكذا فى السماع كقبل السماع (وقد قال) الجنيد
لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد (وبلغنا) عن
الشيخ حماد رحمه الله انه كان يقول البكاء من بقية الوجود وكل هذا يقرب البعض
من البعض فى المعنى لمن عرف الإشارة فيه وفهم وهو عزيز الهم عزيز الوجود
(واعلم) ان للباكين عند السماع مواجيد مختلفة فمنهم من يبكى خوفا ومنهم من
يبكى شوقا ومنهم من يبكى فرحا كما قال القائل : طفق السرور على حتى اننى * من عظم
ما قد سرنى أبكاني * قال الشيخ أبو بكر السكتاني رحمه الله سماع العوام على متابعة الطبع
وسماع المريدين رغبة ورهبة وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنعماء وسماع العارفين

على المشاهدة وسماع أهل الحقيقة على الكشف والاميان ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام (وقال أيضاً) الموارد ترد فتصادف شكلا أو موافقا فأى وارد صادف شكلا مازجه وأى وارد صادف موافقا ساكنه وهذه كلها مواجيد أهل السماع وما ذكرناه حال من ارتفع عن السماع وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التى ذكرناها من الخوف والشوق والفرح وأعلاها بكاء الفرح بمنابة قادم يقدم على أهله بمد طول غربته فعند رؤية الأهل يبكي من قوة الفرح وكثيرته وفى البكاء رتبة أخرى اعز من هذه يعز ذكرها ويكره نشرها لقصور الافهام عن ادراكها فربما يقابل ذكرها بالانكار ويخفى بالاستكبار ولكن يعرفها من وجدها قدما ووصولا أو فهمها نظرا كثيرا ومثولا وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدوث ذلك فى بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين فى الدنيا الملمات يسيرة فيوجد البكاء فى بعض مواطنه لوجود تغاير وتباين بين المحدث والقديم فيكون البكاء رشحا هو من وصف الحدثنان لوهج سطوة عظمة الرحمن ويقرب من ذلك مثلا فى الشاهد قطر الغمام يتلاقى مختلف الاجرام وهذا وان عزم شعر ببقية تقدر فى صرف الفناء نعم قد يتحقق العبد فى الفناء متجردا عن الآثار بمنغمسا فى الأنوار ثم يرتقى منه إلى مقام البقاء ويرد إليه الوجود مطهرا فتعود إليه أقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا ووجدانا بمشاكل صورها ومباينة حقائقها بفرق لطيف يدركه أربابه وعند ذلك يعود عليه من السماع أيضا قسم وذلك القسم مقدور له مقهور معه يأخذه إذا أراد ويرده إذا أراد ويكون هذا السماع من المتمكن بنفس اطمان واستنارت وباينت طبيعتها واكتسبت طمأنينتها وأكسبها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تمتع للنفس كتمتعها بمباحات اللذات والشهوات لأن يأخذ السماع منه أوزير يديه أو يظهر عليه منه أثر فتكون النفس فى ذلك بمنابة الطفل فى حجر الوالد يفرحه فى بعض الأوقات ببعض ما كره ومن هذا القبيل ما نقل ان أباجيد الراشى كان يشغل أصحابه بالسماع وينزل عنهم ناحية يصلى فقد تطرق هذه النغمات مثل هذا المصلى فتتدلى إليها النفس متمنعة بذلك فيزداد مورد الروح من الانس صفاء عند ذلك لعبد النفس عن الروح فى تمتعها فانها مع طمأنينتها بوصف من الأجنبية بوضعها

وجلبتها وفي بعدها توفر قسام الروح من الفتوح ويصكون طروق الالخان سمعه في الصلاة غير محيل بينه وبين حقيقة المناجاة وفهم تنزيل الكلمات وتصل الأقسام إلى محالها غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسعة شرح الصدر بالايان والله المحسن المنان ولهذا قيل السماع لقوم كالدواء ولقوم كالغذاء ولقوم كالمروحة ومن عود أقسام البكاء ما روى أن رسول الله ﷺ قال لأبي اقرأ فقال أقرأ عليك وعليك أنزل فقال أحب أن أسمعه من غيري فافتتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فاذا عيناه تهملان (وروى) أن رسول الله ﷺ استقبل الحجر واستلمه ثم وضع شفثيه عليه طويلا يبكى وقال يا عمر ههنا تسكب العبرات والمتمكن تعود إليه أقسام البكاء وفي ذلك فضيلة سألها النبي ﷺ فقال اللهم ارزقني عينين هطاليتين ويكون البكاء في الله فيكون لله ويكون بالله وهو الأتم لعوده إليه بوجود مسأف موهوب له من الكريم المنان في مقام البكاء

❦ الباب الخامس والعشرون في القول في السماع تأديبا واعتناء ❦

ويتضمن هذا الباب آداب السماع وحكم التخريق واشارات المشايخ في ذلك وما في ذلك من المأثور والمحذور * مبني التصوف على الصدق في سائر الأحوال وهو حد كله لا ينبغي لصادق أن يعتمد الحضور في مجمع يكون فيه سماع إلا بعد أن يخلص النية لله تعالى ويتوقع به مزيدا في ارادته وطلبه ويحذر من ميل النفس لشيء من هواها ثم يقدم الاستخارة للحضور ويسأل الله تعالى إذا عزم البركة فيه وإذا حضر يلزم الصدق والوقار بسكون الأطراف * قال أبو بكر الكتاني رحمه الله المستمع يجب أن يكون في سماعه غير مستروح إليه يهيج منه السماع وجدا أو شوقا أو غلبة أو واردا والوارد عليه يفنيه عن كل حركة وسكون فيتقى الصادق استدعاء الوجد ويجتنب الحركة فيه مهما أمكن سيما بحضرة الشيوخ (حكى) أن شابا كان يصحب الجنيد رحمه الله وكما سمع شيئا زعق وتغير فقال له يوما انظر منك شيء بعد هذا فلا تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه وربما كان من كل شجرة منه تقطر قطرة عرق فلما كان يوما من الأيام زعق زعقة فخرج روحه فليس من الصدق

أخاهما والوجد من غير وجد نازل أو ادعاء الحال من غير حال حاصل وذلك عين النفاق (قيل) كان النصر اباً ذى رحمه الله كثير الولع بالسمع فعوتب في ذلك فقال نعم هو خير من أن تقعد وتغترب فقال له أبو عمرو بن بجميد وغيره من أخوانه هيهات يا أبا القاسم زلة في السماع شر من كذا كذا سنة تغتاب الناس وذلك أن زلة السماع إشارة إلى الله تعالى وترويح للحال بصريح المحال وفي ذلك ذنوب متعددة منها أنه يكذب على الله تعالى أنه وهب له شيئاً وما وهب له والكذب على الله من أقبح الزلات ومنها أن يغتر بعض الحاضرين فيحسن به الظن والغرور خيانة قال عليه السلام من غشنا نليس منا ومنها أنه إذا كان مبطلا ويرى بعين الصلاح فسوف يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة المعتقد فيه فيفسد عقيدته في غيره ممن يظن به الخير من أمثاله فيكون سبباً إلى فساد العقيدة في أهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فينقطع عنه مدد الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة يعثر عليها من يبحث عنها ومنها أنه يحجج الحاضرين إلى موافقته في قيامه وقعوده فيكون متكافئاً مكلفاً للناس بباطله ويكون في الجمع من يرى بنور الفراسة أنه مبطل ويحمل على نفسه الموافقة للجمع مدارياً ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليتق الله ربه ولا يتحرك إلا إذا صارت حركته حركة المراتعش الذي لا يمجّد سبيلاً إلى الإمساك وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة وتكون حركته بمنابة النفس الذي يدعوه إليه داعية الطبع قهراً (قال السري) شرط الواجد في زعقته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع وقد يقع هذا البعض الواجد نادرًا وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة ولكن زعقته تخرج كالتنفس بنوع ارادة ممزوجة بالاضطرار فهذا الضبط من رعاية الحركات ورد الزعقات وهو في تمزيق الثياب أكد أن ذلك يكون اتلاف المال وانتاق المحال وهكذا رمى الخرقه إلى الحادي لا ينبغي أن يفعل إلا إذا حضرته نية يجتنب فيها التكلف والمراآة وإذا حسنت النية فلا بأس بالتقاء الخرقه إلى الحادي فقد روى عن كعب بن زهير أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأنشده أبياته التي أولها

* بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *

حتى انتهى إلى قوله فيها

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
فقال له رسول الله ﷺ من أنت فقل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا
رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه بردة كانت
عليه فلما كان زمن معاوية بعث إلى كعب بن زهير بعنا بردة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف فوجه اليه ما كنت لأوثر بثوب رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألفا
وأخذ البردة وهى البردة الباقية عند الامام الناصر لدين الله اليوم طادت بركتها
على أيامه الزاهرة * وللمتصوفة آداب يتعاهدونها ورعايتها حسن الأدب فى
الصعبة والمعاشرة وكثير من السلف لم يكونوا يعتمدون ذلك ولكن كل
شيء استحسناه وتواطئوا عليه ولا ينكره المبرع لالوجه للانكار فيه فمن ذلك
أن أحدهم إذا تحرك فى السماع فوقعت منه خرقة أو نازله وجد ورمى عمامته إلى
الحادى فالمستحسن عندهم موافقة الحاضرين له فى كشف الرأس إذا كان ذلك من
مقدم وشيخ وان كان ذلك من الشبان فى حضرة الشيوخ فليس على الشيوخ
موافقة الشبان فى ذلك وينسحب حكم الشيوخ على بقية الحاضرين فى ترك الموافقة
للشبان فإذا سكتوا عن السماع يرد الواجد إلى خرقة وبوافقه الحاضرون برفع
العمائم ثم زدها على الرؤوس فى الحال للموافقة والخرقة إذا رميت إلى الحادى هى
للحادى إذا قصد اعطاءه إياها وان لم يقصد اعطاءها للحادى فليل
لأن المحرك هو ومنه صدر الموجب لرمى الخرقة وقال بعضهم هى للجمع والحادى
واحد منهم لأن المحرك قول الحادى مع بركة الجمع فى أحداث الوجد وأحداث
الوجد لا يتقاصر عن قول القائل فيكون الحادى واحدا منهم فى ذلك * روى
أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر من وقف بمكان كذا فله كذا ومن قتل فله
كذا ومن أسر فله كذا فتسارع الشبان وأقام الشيوخ والوجوه عند الرايات فلما
فتح الله على المسلمين طلب الشبان أن يجعل ذلك لهم فقال الشيوخ كنا ظهرا لكم

ورداً فلا تذهبوا بالغنائم دوننا فانزل الله تعالى يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فقسم النبي ﷺ بينهم بالموية وقيل إذا كان القوال من القوم يجعل كواحد منهم وإذا لم يكن من القوم فما كان له قيمة يؤثر به وما كان من خرق الفقراء يقسم بينهم وقيل إذا كان القوال أجيراً فليس له منها شيء وإن كان متبرعاً يؤثر بذلك وكل هذا إذا لم يكن هناك شيخ يحكم فأما إذا كان هناك شيخ يهاب ويمتثل أمره فالشيخ يحكم في ذلك بما يرى فقد تختلف الأحوال في ذلك وللشيخ اجتهاد فيفعل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه وإن فداها بعض المحبين أو بعض الحاضرين فرضى القوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم إلى خرقته فلا بأس بذلك وإذا أصر واحد على الايثار بما خرج منه لنية له في ذلك يؤثر بخرقته الحادى وأما تمزيق الخرقه المجروحة التي مزقها واجد صادق عن غلبة سلبت اختياره كغلبة النفس فن يعتمد امساكه فنيته في تفرقتها وتمزيقها والتبرك بالخرقة لان الوجد أثر من آثار فضل الحق وتمزيق الخرقه أثر من آثار الوجد فصارت الخرقه متأثرة بأثر رباني من حقها أن تغدى بالنفوس وتترك على الرؤوس اكراما واعزازا تضوع أرواح نحمد من ثيابهم يوم القدوم لقرب العهد بالدار كان رسول الله ﷺ يستقبل الغيث ويتبرك به ويقول حديث عهد بربه فالخرقة الممزقة حديثه العهد فحكم المجروحة أن تفرق على الحاضرين وحكم ما يتبعها من الخرق الصحاح أن يحكم فيها الشيخ إن خصص بشيء منها بعض الفقراء فله ذلك وإن خرقه خرقاً فله ذلك ولا يقل هذا تفريط وسرف فان الخرقه الصغيرة ينتفع بها في موضعها عند الحاجات كالكبيرة (وروى) عن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال أهدى لرسول الله ﷺ حلة حرير فأرسل بها إلى نخرجت فيها فقال لى ما كنت لأكره لنفسى شيء أرضاه لك فشققها بين النساء خيراً وفي رواية أئيمته فقلت ما أصنع بها البسها قال لا ولكن اجعلها خيراً بين القوامم أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت حمزة وفي هذه الرواية أن الهدية كانت حلة مكفوفة بحرير وهذا وجه في السنة لتمزيق

(١٠ - عواف المعارف)

الثوب وجعله خرقة (حكى) أن الفقهاء والصوفية بنيسابور اجتمعوا في دعوة فوقعت الخرقه وكان شيخ الفقهاء الشيخ أنا محمد الجويني وشيخ الصوفية الشيخ أبا القاسم القشيري فقسمت الخرقه على عاداتهم فالتفت الشيخ أبو محمد إلى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سرف واضاعة للعدل فسمع أبو القاسم القشيري ولم يقل شيء حتى فرغت القسمة ثم استدعى الخادم وقال النظر في الجمع من معه سجادة خرق ائتني بها فجاءه بسجادة ثم احضر رجلا من أهل الخبرة فقال هذه السجادة بكم تشتري في المزاد قال بدينار قال ولو كانت قطعة واحدة كم تساوى قال نصف دينار ثم التفت إلى الشيخ أبي محمد وقال هذا لا يسمى اضاعة المال والخرقه المخرقة تقسم على جميع الحاضرين من كان من الجنس أو من غير الجنس إذا كان حسن الظن بالقوم معتقدا للتبرك بالخرقه (روى) طارق بن شهاب أن أهل البصرة غزوا نهاوند وأمدهم أهل الكوفة وعلى أهل الكوفة عمار بن ياسر فظهروا وأراد أهل البصرة أن لا يقسموا لأهل الكوفة من الغنيمة شيئا فقال رجل من بني تميم لعمار أيها الأجدع تريد أن تشاركنا في غنائمنا فكتب إلي عمر بذلك فكتب عمر رضى الله عنه ان الغنيمة لمن شهد الوقعة وذهب بعضهم إلي أن المجروح من الخرق يقسم على الجمع وما كان من ذلك صحيحا يعطى للقوال واستدل بما روى عن أبي قتادة قال لما وضعت الحرب أوزارها يوم حنين وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ من قتل قتيلًا فله سلبه وهذا له وجه في الخرقه الصحيحة فأما المجروحة فحكما أسهام الحاضرين والقسمة لهم ولو دخل على الجمع وقت القسمة من لم يكن حاضرا قسم له (روى) أبو موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه قال لما قدمنا على رسول الله ﷺ بعد خيبر بثلاث فأسهم لنا ولم يسهم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره للقوم حضور غير الجنس عندهم في السماع كمتزهد لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر أو صاحب دنيا يحوج إلى المداواة والتكلف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده (أخبرنا) أبو زرعة طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ المقدسى قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفرى بسرجس قال أخبرنا أبو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدى السمرقندى اجازة قال حدثنا

الهيثم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال حدثنا سعيد بن عامر عن
شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل
عليه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل
الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ففرح رسول الله ﷺ فقال هل فيكم من
ينشدنا فقال بدوي نعم يا رسول الله فقال هات فأنشأ الأعرابي

قد لست حية الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راق

الا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبه
فلما فرغوا أوى كل واحد منهم إلى مكانه قال معاوية ابن أبي سفيان ما أحسن
لعبكم يا رسول الله فقال مه يا معاوية ليس بكريم من لم يمتز عند سماع ذكر الحبيب
ثم قسم رداؤه رسول الله ﷺ على من حضرهم بأربعمائة قطعة فهذا الحديث
أوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث وما وجدنا
شيء نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم
وهيئتهم إلا هذا وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم
الخرق وقسمتها أن لو صح والله أعلم ونخالج سرى أنه غير صحيح ولم أجد فيه
ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا
الحديث وبأبي القلب قبوله والله أعلم بذلك

❦ الباب السادس والعشرون في خاصية الأربعينية

التي يتعاهدها الصوفية ❦

ليس مطلوب القوم من الأربعين شيئا مخصوصا لا يطلبونه في غيرها ولكن لما
طرقهم مخالقات حكم الأوقات أحبوا تقييد الوقت بالأربعين رجاء أن ينسحب حكم
الأربعين على جميع زمانهم فيكونوا في جميع أوقاتهم كهيئتهم في الأربعين على أن الأربعين
خصت بالله كرم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلص لله أربعين صباحا
ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقد خص الله تعالى الأربعين بالذكر في قصة
موسى عليه السلام وأمره بتخصيص الأربعين بمزيد تبتل قال الله تعالى (وواعدنا

موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربك أربعين ليلة) وذلك أن موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل وهم بمصر ان الله تعالى إذا أهلك عدوهم واستنقذهم من أيديهم بأنهم بكتاب من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والأحكام فلما فعل الله ذلك وأهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوما وهو ذو القعدة فلما تمت الثلاثون ليلة أنكر خلوف فيه فتسوك بعود خرنوب فقالت له الملائكة كنا نשמ من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام بالهار وأكله بالليل بل طوى الأربعين من غير أكل فدل على ان خلو المعدة من الطعام أصل كبير فى الباب حتى احتاج موسى إلى ذلك مستعدا لمكاملة الله تعالى والعلوم الدينية فى قلوب المنقطعين إلى الله تعالى ضرب من المكاملة ومن انقطع إلى الله أربعين يوما مخلصا متعاهدا نفسه بخفة المعدة يفتح الله عليه العلوم الدينية كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك غير ان تعيين الأربعين من المدة فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أمر الله تعالى موسى عليه السلام بذلك والتحديد والتقييد بالأربعين لحكمة فيه ولا يطلع أحد على حقيقة ذلك الا الأنبياء وإذا عرفهم الحق ذلك أو من يخصه الله تعالى بتعريف ذلك من غير الأنبياء ويلرح فى سر ذلك معنى والله أعلم وذلك ان الله تعالى لما أراد بتكوين آدم من تراب قدر التخميم بهذا القدر من العدد كما ورد خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا فكان آدم لما كان مستصلحا لعمارة الدارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيبا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه الدار الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تأتي منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة فن التراب كونه وأربعين صباحا خمر طينته ليبعد بالتخميم أربعين صباحا بأربعين حجابا من الحضرة الالهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتعوق به عن الحضرة الالهية ومواطن القرب إذ لو لم يتعوق بهذا الحجاب ما عمرت الدنيا فتأصل البعد عن مقام القرب فيه لعمارة عالم الحكمة وخلافة الله تعالى فى الأرض فالتبتل لطاعة الله تعالى والاقبال

عليه والانتزاع عن التوجه الى أمر المعاش بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى فيه مودع وعلى قدر زوال كل حجاب ينجذب ويتخذ منزلا في القرب من الحضرة الالهية التي هي مجمع العلوم ومصدرها فإذا تمت الأربعون زالت الحجب وانصبت اليه العلوم والمعارف انصبابا ثم العلوم والمعارف هي أعيان انقلبت أنوارا باتصال اكسير نور العظمة الالهية بها فانقلبت أعيان حديث النفس علوما إلهامية وتصدت اجرام حديث النفس لقبول أنوار العظمة فلولا وجود النفس وحديثها ما ظهرت العلوم الالهية لأن حديث النفس وماء وجودي لقبول الأنوار وما للقلب في ذاته لقبول العلم شيء وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أشار إلي القلب باعتبار أن القلب وجهها إلي النفس باعتبار توجهه إلى عالم الشهادة وله وجه إلى الروح باعتبار توجهه إلى عالم الغيب فيستمد القلب العلوم المسكونة في النفس ويخرجها إلى الانسان الذي هو ترجمانه فظهور العلوم من القلب لأنها متصلة فيه فالقلب والروح مراتب من قرب الملهم سبحانه وتعالى فوق رب الالهام فالعبد بانقطاعه إلى الله تعالى واعتزال الناس يقطع مسافات وجوده ويستنبط من معدن نفسه جواهر العلوم وقد ورد في الخبر الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا ففي كل يوم باخلاصه في العمل لله يكشف طبقة من الطباق انترابية الجبلية المبعدة عن الله تعالى إلى أن يكشف باستكمال الأربعين أربعين طبقة في كل يوم طبقة من أطباق حجاب وآية صحة هذا العبد وعلامة تأثره بالأربعين ووفائه بشروط الاخلاص أن يزهد بعد الأربعين في الدنيا ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود لأن الزهد في الدنيا من ضرورة ظهور الحكمة ومن لم يزهد في الدنيا ماظفر بالحكمة ومن لم يظفر بالحكمة بعد الأربعين تبين انه قد أخل بالشروط ولم يخلص لله تعالى ومن لم يخلص لله ما عبد الله لأن الله تعالى أمرنا بالاخلاص كما أمرنا بالعمل فقال تعالى وما أسروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين (أخبرنا) الشيخ طاهر بن أبي الفضل اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال أنا أبو منصور الضبعي قال حدثنا محمد بن أشرس قال حدثنا حفص بن

عبد الله قال حدثنا ابراهيم بن طهمان عن حاصم عن زر عن صفوان بن عسال
رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إذا كان يوم القيامة يحجىء الاخلاص والشرك
يحنون بين يدي الرب عز وجل فيقول الرب للاخلاص انطلق أنت وأهلك إلي
الجنة ويقول للشرك انطلق أنت وأهلك إلى النار وبهذا الاسناد قال السلمي
سمعت علي بن سعيد وسألته عن الاخلاص ماهو قال سمعت ابراهيم الشقيقي وسألته
عن الاخلاص ماهو قال سمعت محمد بن جعفر الخفاف وسألته عن الاخلاص ماهو
قال سألت أحمد بن بشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبي يعقوب الشروطي
عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ماهو قال سألت
أحمد بن علي الهجيمي عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن
الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن
الاخلاص ماهو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال
سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص
ماهو قال هو سر من سرى أودعته قلب من أحببت من عبادي فن الناس من
يدخل الخلوة على مراغمة النفس إذ النفس بطبعها كارهة للخلوة ميالة الى مخالطة
الخلق فاذا أزغعها عن مقام عاداتها وجبسها على طاعة الله تعالى يعقب كل مرادة
تدخل عليها حلاوة في القلب (قال) ذوالنون رحمه الله لم أر شيئا أبعث على الاخلاص
من الخلوة ومن أحب الخلوة فقد استمسك بعمود الاخلاص وظفر بركن من
أركان الصديق وقال الشبلي رحمه الله لرجل استوصاه الزم الوحدة وامح اسمك
عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت (قال) يحجىء بن معاذ رحمه الله الوحدة منية
الصديقين ومن الناس من ينبعث من باطنه داعية الخلوة وتنجذب النفس إلى ذلك
وهذا أتم وأكمل وأدل على كمال الاستعداد * وقد روي من حال رسول الله ﷺ
ما يدل على ذلك فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أخبرنا الحافظ
اسماعيل بن احمد المقرئ قال أنا جعفر بن الحكك المكي قال أنا أبو عبد الله الصنعاني
قال أنا أبو عبد الله البغوي قال أنا اسحق الديري قال أنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني
الزهرى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت أول ما بدى به رسول الله ﷺ من

الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ فقال رسول الله ﷺ ما أنا بقارىء فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق) حتى بلغ (مالم يعلم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة مالي وأخبرها الخبر فقال قد خشيت على عقلي فقالت كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتته به ورقة بن نوفل وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يا عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره الخبر رسول الله ﷺ فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى ياليتني جذما ليتني فيها أكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال ورقة نعم أنه لم يأت أحد قط بما جئت به إلا عودي وأوذى واني يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا * وحدث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأبي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئنت منه رعبا فرجعت فقلت زملوني زملوني فذرني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر) إلى (والرجز فاهجر) وقد نقل أذن رسول الله ﷺ ذنب مرارا كي يردى نفسه من شواهد الجبال فكلمها وافي ذروة جبل لكي يلتقي نفسه منه تبسدي له جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد إنك لرسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وإذا طالت عليه

فترة الوحي عاد لمثل ذلك فيتبدى له جبريل فيقول له مثل ذلك فهذه الأخبار المنبئة عن بدء أمر رسول الله ﷺ هي الأصل في إثبات المشايخ الخلوة للمريدین والطالبین فانهم إذا أخلصوا لله تعالى في خلواتهم يفتح الله عليهم ما يؤنسهم في خلوتهم تعويضا من الله إياهم عما تركوا لأجله ثم خلوة القوم مستمرة وانما الأربعون واستكمالها له أثر ظاهر في ظهور مبادئ بشائر الحق سبحانه وتعالى وسنوح مواهبه السنية

﴿الباب السابع والعشرون في ذكر فتوح الأربعينية﴾

وقد غلط في طريق الخلوة والأربعينية قوم وحرفوا الحكم عن مواضعه ودخل عليهم الشيطان وفتح عليهم بابا من الغرور ودخلوا الخلوة على غير أصل مستقيم من تأدية حق الخلوة بالاخلاص وسمعوا أن المشايخ والصوفية كانت لهم خلوات وظهرت لهم وقائع وكوشفوا بغرائب وعجائب فدخلوا الخلوة لطلب ذلك وهذا عين الاعتلال ومحض الضلال وانما القوم اختاروا الخلوة والوحدة لسلامة الدين وتقصد أحوال النفس واخلاص العمل لله تعالى (نقل) عن أبي عمرو الانطاطي انه قال لمن يصفو للعاقل فهم الاخير إلا بأحكامه ما يجب عليه من اصلاح الحال الاول والمواطن التي ينبغى أن يعرف منها أمزداد هو أم منتقص فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكي لا يعارضه شاغل فيفسد عليه ما يريده (أنبأنا) طاهر بن أبي الفضل أجازة عن أبي بكر بن خلف أجازة قال أنبأنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا تميم المغربي يقول من اختار الخلوة على الصحبة فينبغى أن يكون خاليا من جميع الافكار إلا ذكر ربه عز وجل وخاليا من جميع المرادات إلا مراد ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب فان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنه أو بليسة (أخبرنا) أبو زرعة أجازة قال أنا أبو بكر أجازة قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصورا يقول سمعت محمد بن حاتم يقول جاء رجل إلى زيارة أبي بكر الوراق وقال له أوصني فقال وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والثقة ووجدت شرها في الكثرة والاختلاط فمن دخل الخلوة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان وسول له أنواع الطغيان وامتلأ من الغرور والحال فظن أنه

على حسن الحال فقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا على ذكر من الاذكار واستجموا نفوسهم بالعزلة عن الخلوة ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع الهم لها تأثير في صفاء الباطن مطلقا فما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله ﷺ أنتج تنوير القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالاخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله ﷺ ينتج صفاء في النفس يستعان به على اكتساب علوم الرياضة مما يعتنى به الفلاسفة والدهريون خذلهم الله تعالى وكلما أكثر من ذلك بعد عن الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية أو بما قد يترأى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه الركون التام ويظن أنه فاز بالمقصود ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليس هو المقصود من الخلوة بقول بعضهم ان الحق يريد منك الاستقامة وأنت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين شيء من خوارق العادات وصدق الفراسة ويتبين ما سيحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم عدم ذلك وانما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة فافتح من ذلك على الصادقين يصير سببا لمزيد ايقانهم والداعى لهم إلى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدراؤه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربة الاسلام عن عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن أن المقصود من البعادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة الرسول ﷺ ثم يتدرج من ذلك إلى تلحد وتزندق نعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لأقوام خيالات يظنونها وقائع ويشبهونها بوقائع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك فمن أراد تحقيق ذلك فليعلم أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقعد في الخلوة أربعين يوما أو أكثر ففهم من يباشر باطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كما قال قائلهم رأى قلبى ربى وقد يصل إلى هذا المقام تارة باحياء

الأوقات بالصالحات وكف الجوارح وتوزيع الأوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات وتارة يبادئه الحق لموضع صدقه وقوة استعداده ومبادئه من غير عمل وجد منه وتارة يجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الأذكار لأنه لا يزال يردد ذلك الذكر ويقول وتكون عبادته الصلوات الخمس بسننها الراتبة فحسب وسائر أوقاته مشغولة بالذكر الواحد لا يتخللها فتور ولا يوجد منه قصور ولا يزال يردد ذلك الذكر ملتزما به حتى في طريق الوضوء وساعة الأكل لا يفتر عنه واختار جماعة من المشايخ من الذكر كلمة لا إله إلا الله وهذه الكلمة لها خاصية في تنوير الباطن وجمع الهم إذا داوم عليها صادق مخلص وهي من مواهب الحق لهذه الأمة وفيها خاصية لهذه الأمة فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين أملاء قال أنا أبو القاسم للدمشقي الحافظ قال أنا عبد الكريم بن الحسين قال أنا عبد الوهاب الدمشقي قال أنا محمد بن خريم قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا الوليد بن مسلم قال أنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه أن عيسى بن مريم عليه السلام قال رب أنبئني عن هذه الأمة المرحومة قال أمة محمد عليه الصلاة والسلام علماء أخفياؤا أتقياء حلماؤه أصفياؤه حكماء كأنبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنها لم تذلل ألسن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم تذلل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت رقابهم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال إن هذه الآية مكتوبة في التوراة (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزا للمؤمنين وكنزا للأئمة أنت عبيدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غايظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وإن أقبضه حتى تقام به الملة المعوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتحوا أعيننا عميا وأذاننا صما وقلوبا غلفا فلا يزال العبد في خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متصلة في القلب منزلة الحديث النفس ينوب معناها في القلب عن حديث النفس فإذا استوتت الكلمة ومهتت على اللسان يتشربها القلب فلو سكت اللسان لم يسكت القلب ثم تهتجوه في انساب وبتجوهره

يستكن نور اليقين في القلب حتي إذا ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوهرًا ويتخذ الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبجانه وتعالى ويصير الذكر حينئذ ذكر الذات وهذا الذكر هو المشاهدة والمكاشفة والمعاينة أعني ذكر الذات بتجوهر نور الذكر وهذا هو المقصد الأقصى من الخلوة وقد يحصل هذا من الخلوة لا بذكر الكلمة بل بتلاوة القرآن إذا أكثر من التلاوة واجتهد في مواطاة القلب مع اللسان حتى تجري التلاوة على اللسان ويقوم معنى الكلام مقام حديث النفس فيدخل على العبد سهولة في التلاوة والصلاة ويتنور الباطن بتلك السهولة في التلاوة والصلاة ويتجوهر نور الكلام في القلب ويكون منه أيضا ذكر الذات ويحتمع نور الكلام في القلب مع مطالعة عظمة المتكلم سبجانه وتعالى ودون هذه الموهبة ما يفتح على العبد من العلوم الالهامية المدنية وإلى حين بلوغ العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة إذا صفا باطنه قد يغيب في الذكر من كمال أنسه وحلاوة ذكره حتى يلتحق في غيبته في الذكر بالنائم وقد تتجلى له الحقائق في لبسه الخيال أولا كما تنكشف الحقائق للنائم في لبسه الخيال كمن رأى في المنام أنه قتل حية فيقول له المعبر تظفر بالعدو وفظفره بالعدو هو كشف كاشفه الحق تعالى به وهذا الظفر روح مجرد صاغ ملك الرؤيا له جسدا لهذا الروح من خيال الحية فالروح الذي هو كشف الظفر أخبار الحق ولبسة الخيال الذي هو بمثابة الجسد مثال انبعث من نفس الزاني في المنام من استصحاب القوة الوهمية والخيالية من اليقظة فيتألف روح كشف الظفر مع جسد مثال الحية فاقترن إلى التعبير إذ لو كشف بالحقيقة التي هي روح الظفر من غير هذا المثال الذي هو بمثابة الجسد ما احتاج إلى التعبير فكان يري الظفر ويصح الظفر وقد يتجرد الخيال باستصحاب الخيال والوهم من اليقظة في المنام من غير حقيقة فيكون المنام أضغاث أحلام لا يعبر وقد يتجرد لصاحب الخلوة الخيال المنبعث من ذاته من غير أن يكون وعاء لحقيقة فلا يبني على ذلك ولا يلتفت إليه فليس ذلك واقعة وإنما هو خيال فأما إذا غاب الصادق في ذكر الله تعالى حتى يغيب عن المحسوس بحيث لو دخل عليه داخل من الناس لا يعلم به لغيبته في الذكر فعند ذلك

قد ينبعث في الابتداء من نفسه مثال وخيال ينفخ فيه روح الكشف فاذا عاد من غيبته فلما يأتيه تفسيره من باطنه موهبة من الله تعالى وإما يفسره له شيخه كما يعبر المعبر المنام ويكون ذلك واقعة لأنه كشف حقيقة في لبسة مثال وشرط صحة الواقعة الاخلاص في الذكر أو لائم الاستغراق في الذكر ثانيا وعلامة ذلك الزهد في الدنيا وملازمة التقوى لأن الله جعله بما يكشف به في واقعة مورد الحكمة والحكمة تحكم بالزهد والتقوى وقد يتجرد للذاكر الحقائق من غير لبسة المثال فيكون ذلك كشفا واخبارا من الله تعالى اياه ويكون ذلك تارة بالرؤية وتارة بالسمع وقد يسمع من باطنه وقد يطرق ذلك من الهواء لامن باطنه كالهوائف يعلم ذلك أمرا يريد الله احدا له أو لغيره فيكون اخبار الله اياه بذلك مزيدا ليقينه أو يرى في المنام حقيقة الشيء ﴿نقل﴾ عن بعضهم انه أتى بشراب في قدح فوضعه من يده وقال قد حدث في العالم حدث ولا أشرب هذا دون ان أعلم ماهو فأنكشف له ان قوما دخلوا مكة وقتلوا فيها ﴿وحكى﴾ عن أبي سليمان الخواص قال كنت راكبا حمارا لي يوما وكان يؤذيه الذباب فيطاطي رأسه فكنت أضرب رأسه بخشبة كانت في يدي فرفع الحمار رأسه إلى وقال أضرب فانك على رأسك أضرب قيل له يا أبا سليمان وقع لك ذلك أو سمعته فقال سمعته يقول كما سمعته (وحكى) عن أحمد بن عطاء الروزباري قال كان لي مذهب في أمر الطهارة فكنت ليلة من الليالي استنجي إلى ان مضى ثلث الليل ولم يطب قلبي فتضجرت فبكيت وقلت يا رب العفو فسمعت صوتا ولم أر احدا يقول يا أبا عبد الله العفو في العلم وقد يكشف الله تعالى عبده بآيات وكرامات تربية للعبد وتقوية ليقينه وإيمانه (قيل) كان عند جعفر الخلدي رحمه الله فصل له قيمة وكان يوما من الأيام راكبا في السارية في دجلة فهم ان يعطى الملاح قطعة وحل الخرقه فوق الفص في الدجلة وكان عنده دعاء للضالة مجرب وكان يدعوه فوجد الفص في وسط أوراق كان تصحفها والدعاء هو أن يقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتي ﴿وسمعت﴾ شيخنا بهمدان حكى له شيخه انه كوشف في بعض خلواته يولده في جيحون كان يسقط في الماء من السفينة قال فزجرته فلم يسقط وكان هذا للشيخ بنواحي همدان وولده بجيحون فلما قدم الولد أخبرانه كاد يسقط في الماء

فسمع صوت والده فلم يسقط ﴿﴾ وقال عمر ﴿﴾ رضي الله عنه ياسارية الجبل على المنبر بالمدينة وسارية بنها ونده فأخذ سارية نحو الجبل وظفر بالعدو فقبل لسارية كيف علمت ذلك فقال سمعت صوت عمر وهو يقول ياسارية الجبل (سئل) ابن سالم وكان قد قال للإيمان أربعة أركان ركن منه الإيمان بالقدره وركن منه الإيمان بالحكمة وركن منه التبرئ من الخول والقوة وركن منه الاستعانة بالله عز وجل في جميع الأشياء قيل له ما معنى قولك الإيمان بالقدره فقال هو أن تؤمن ولا تنكر أن يكون لله عبد بالمشرق قائما على يمينه ويكون من كرامة الله أن يعطيه من القوة ما ينقلب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب تؤمن بجواز ذلك وكونه * وحكي لي فقير أنه كان بمكة وأرجف على شخص ببغداد أنه قدم أن فكشفه الله بالرجل وهو راكب يمشى في سوق بغداد فأخبر أخوانه أن الشخص لم يمت وكان كذلك حتى ذكر لي هذا الشخص أنه في تلك الحيلة التي كوشف بالشخص راكبا قال رأيته في السوق وأنا أسمع بأذني صوت المطرقة من الحداد في سوق بغداد وكل هذه مواهب الله تعالى وقديك كشف بها قوم وتعطى وقديكون فوق هؤلاء من لا يكون له شيء من هذا لأن هذه كلها تقوية اليقين ومن منح صرف اليقين لا حاجة له إلى شيء من هذا فكل هذه التكرارات دون ما ذكرناه من تجوهر الذكر في القلب ووجود ذكر الذات فإن تلك الحكمة فيها تقوية للبريدين وتربية للسالكين ليزدادوا بها يقينا يجذبون به إلى مراغمة النفوس والسلا عن ملاذ الدنيا ويمتنع منهم بذلك ساكن عزمهم لمهارة الأوقات بالقربات فيتروحوون بذلك ويرقون لطريقة من كوشف بصرف اليقين من ذلك لمكان أن نفسه أسرع اجلبة وأسهل انقيادا وأتم استعدادا والأولون استلين بذلك منهم ما استوعر واستكشف منهم ما استتر وقد لا يمنع صور ذلك الرهايين والبراهمة ممن هو غير مستهجن سبل الهدى وراكب طريق الردى ليكون ذلك في حقهم مكررا واستدراجا لئلا يتحسنوا حالهم ويستقروا في مقام الطرد والبعد ابقاء لهم فيما أراد الله منهم من العمى والضلال والردى والوبال حتى لا يغتر السالك بيسير شيء فيفتحه ويعلم أنه لو مشى على الماء والهواء لا ينقعه ذلك حتى يؤدى حق التقوى والزهدي فاما من تعوق بخيال أوقع بحال ولم يحكم

أساس خلوته بالأخلاص يدخل الخلوة بالزور يخرج بالفرور فيرفض العبادات
 ويستحقرها ويطلبه الله تعالى لهذه المعاملة وتذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح
 في الدنيا والآخرة فليعلم الصادق أن المقصود من الخلوة التقرب إلى الله تعالى بعبادة
 الأوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة ادامة
 الأوراد وتوزيعها على الأوقات ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم
 دوام المراقبة ويصلح لقوم الانتقال من الذكر إلى الأوراد ولقوم الانتقال من
 الأوراد إلى الذكر ومعرفة مقادير ذلك يعلمه المصحب للشيخ المطلع على
 اختلاف الأوضاع وتنويعها مع نصحه للأمة وشفقته على الكافة يريد المريد لله
 لا لنفسه غير مبتلى بهوى نفسه محبا للاستتباع ومن كان محبا للاستتباع فإفسده
 مثل هذا أكثر مما يصلحه

﴿الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الأربعينية﴾

روى أن داود عليه السلام لما ابتلى بالخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما وليته
 حتى أتاه الغفران من ربه وقد تقرر أن الوحدة والعزلة ملاك الأمر ومتمسك
 أبواب الصديق فمن استمرت أوقاته على ذلك فجميع عمره خلوة وهو الأسلم لديه
 فإن لم يتيسر له ذلك وكان مبتلى بنفسه أولا ثم بالأهل والأولاد ثانيا فليجعل لنفسه
 من ذلك نصيبا (نقل) عن سفيلان الثوري فيما روي أحمد بن حرب عن خالد بن زيد
 عنه أنه كان يقال ما أخلص عبد الله أربعين صباحا إلا أنبت الله سبحانه الحكمة في قلبه
 وزهده الله في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره داء الدنيا ودواءها فيتعاهد العبد
 نفسه في كل سنة مرة وأما المريد الطالب إذا أراد أن يدخل الخلوة فأكمل الأمر في
 ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما يملكه ويغتسل غسلا كاملا بعد الاحتياط
 للشوب والمصلى بالنظافة والطهارة ويصلي ركعتين ويتوب إلى الله تعالى من ذنوبه بىكاه
 وتضرع واستكانة وتخضع ويسوى بين السريرة والعلاية ولا ينطوي على غل وغش
 وحقد وحسد وخيانة ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج إلا للصلاة الجمعة وصلاة
 الجماعة فترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فإن وجدت فرقة في خروجه يكون
 له شخص يصلى معه جماعة في خلوته ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفردا البتة فترك

الجماعة يخشى عليه آفات وقد دأبنا نحن بنشوش عقله في خلوته ولعل ذلك بشؤم اصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه ينبغي أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذا كر لا يفتر عن الذكر ولا يكثر ارسال الطرف إلى ما يرى ولا يصنى إلى ما يسمع لأن القوة الحافظة والمتخيلة كلوح ينتقش بكل مرئي ومسموع فيكثر ذلك الوسوسة والفتنة النفس والخيال ويجهتد أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الإمام تكبيرة الأحرام فإذا سلم الإمام وانصرف ينصرف إلى خلوته ويتق في خروجه استجلاء نظر الخلق إليه وعلمهم بمجلوسه في خلوته فقد قيل لا تطمع في المنزلة عند الله وأنت تريد المنزلة عند الناس وهذا أصل ينفسد به كثير من الأفعال إذا أهمل وينصلح به كثير من الأحوال إذا اعتبر ويكون في خلوته جاءلاً وقته شيئاً واحداً وهو بالله بإدامة فعل الرضا إما تلاوة أو ذكر أو صلاة أو مراقبة وأي وقت فتر عن هذه الأقسام ينام فإن أراد تخفيف أعداد من الركعات ومن التلاوة والذكر أتى بذلك شيئاً فشيئاً وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يعتمد أخف ما على قلبه من هذه الأقسام فإذا افتر عن ذلك ينام وإن أراد أنه يبقى سجود واحد أو ركوع واحد أو ركعة واحدة أو ركعتين ساعة أو ساعتين فعلى ويلزم في خلوته ادامة الوضوء ولا ينام إلا عن غلبة بعد أن يدفع النوم عن نفسه مرات فيكون هذا شغله ليله ونهاره وإذا كان ذا كرا للكلمة لا إله إلا الله وسئمت النفس الذكر باللسان يقولها بقلبه من غير حركة اللسان وقد قال سهل بن عبد الله إذا قلت لا إله إلا الله مد الكلمة وانظر إلى قدم الحق فأثبتته وأبطل ما سواه وليعلم أن الأمر كالمسلسلة يتداعى حلقة حلقة فليكن دائماً التزم بفعل الرضا * وأما قوت من في الأربعينية والخلوة فالأولى أن يقتنع بالخبز والملح ويتناول كل ليلة رطلاً واحداً بالبغدادى يتناوله بعد العشاء الآخرة وإن قسمه نصفين يأكل أول الليل نصف رطل وآخر الليل نصف رطل فيكون ذلك أخف للمعدة وأعون على قيام الليل وأحيائه بالذكر والصلاة وإن أراد تأخير فطوره إلى السحر فليفعل وإن لم يصبر على ترك الأدام يتناول الأدام وإن كان الأدام شيئاً يقوم مقام الخبز ينقص من الخبز بقدر ذلك وإن أراد التقليل من هذا القدر أيضاً ينقص كل ليلة دون اللقمة بحيث ينتهى تقلله في العشر الأخير من الأربعين إلى نصف رطل وإن قوى قنع النفس بنصف رطل من أول الأربعين

ونقص يسيرا كل ليلة بالتدريج حتى يعود فطوره الى ربيع رطل في العشر الأخير (وقد اتفق) مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء قلة الطعام قلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان أحدهما آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يجعلها بعد العشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس اثنتين وسبعين ساعة فيكون الطي ليلتين والافطار في الليلة الثالثة ويكون لكل يوم ويلة ثلث رطل وبين هذين الوقتين وقت وهو أن يفطر من كل ليلتين ليلة ويكون لكل يوم ويلة نصف رطل وهذا ينبغي أن يفعله إذا لم ينتج ذلك عليه سائمة وضجرا وقلة الشراح في الذكر والمعاملة فإذا وجد شيئا من ذلك فليفطر كل ليلة ويأكل الرطل في الوقتين أو الوقت الواحد فالنفس إذا أخذت بالافطار من كل ليلتين ليلة ثم ردت إلى الافطار كل ليلة تنقع وإن سوحت بالافطار كل ليلة لاتنقع بالرطل وتطلب الالام والشهوات ونقص على هذا فهي إن أطمعت طمعت وإن أقنعت قنعت (وقد كان) بعضهم ينقص كل ليلة حتى يرد النفس إلى أقل قوتها ومن الصالحين ومن كان يعير القوت بنوى التمر وينقص كل ليلة نواة ومنهم من كان يعير يعود رطب وينقص كل ليلة بقدر زشاف العود ومنهم من كان ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتى ينفى الرغيف في شهر ومنهم من كان يؤخر الأكل ولا يعمل في تقليل القوت ولكن يعمل في تأخيرها بالتدريج حتى تندرج ليلة في ليلة وقد فعل ذلك طائفة حتى انتهى طيهم إلى سبعة أيام وعشرة أيام وخمسة عشر يوما إلى الأربعين وقد قيل لسهل ابن عبد الله هذا الذي يأكل في كل أربعين وأكثر أكلة أين يذهب لطلب الجوع عنه قال بطمئة النور وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لي كلاما بعبارة دلت على أنه يجد فرحا بربه يتطفي معه لطلب الجوع وهذا في الخلق واقع أن الشخص بطرقه فرح وقد كان جائعا فيذهب عنه الجوع وهكذا في طرق الخوف يقع ذلك ومن فعل ذلك ودرج نفسه في شيء من هذه الاهتمام التي ذكرناها لا يؤثر ذلك في نقصان عقله واضطراب جسمه إذا كان في حماية الصديق والاخلاص وإنما يخشى في ذلك وفي دوام الذكر على من لا يخلص لله تعالى * وقد قيل حد الجوع أن لا يميز بين

الخبز وغيره مما يؤكل ومتى عبت النفس الخبز فليس بمجائع وهذا المعنى قد يوجد في آخر الحدين بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب الغذاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرائض العبودية ويكون هذا أحد الضرورة لمن لا يجتهد في التقليل بالتدريج فأما من درج نفسه في ذلك فقد يصبر على أكثر من ذلك إلى الأربعين كما ذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع أن يبرزق فإذا لم يقع الذباب على بزاقه يدل هذا على خلو المعدة من الدسومة وصفاء البزاق كالماء الذي لا يقصده الذباب روى أن سفيان الثوري وأبراهيم بن أدهم رضي الله عنهما كانا يطويان ثلاثاً ثلاثاً وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوى ستاً وكان عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه يطوى سبعة أيام (واشتهر) حال جدنا محمد بن عبد الله المعروف بعموية رحمه الله وكان صاحب أحمد الأسود الدينوري أنه كان يطوى أربعين يوماً وأقصى ما بلغ في هذا المعنى الطي رجل أدركنا زمانه وما رأيت أنه كان في أبهر يقال له الزاهد خيفة كان يأكل في كل شهر لوزة ولم نسمع أنه بلغ في هذه الأمة أحد بالطي والتدريج إلى هذا الحد وكان في أول أمره على ما حكى ينقص القوت بنشاف العود ثم طوى حتى انتهى إلى اللوزة في الأربعين ثم أنه قد يسلك هذا الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا لوجود هوى مستكن في بطنه يهون عليه ترك الأكل إذا كان له استجلاء لنظر الخلق وهذا عين النفاق نعوذ بالله من ذلك والصادق ربما يقدر على الطي إذا لم يعلم بحاله أحد وربما تضعف عزيمته في ذلك إذا علم بأنه يطوي فإن صدقه في الطي ونظره إلى من يطوى لأجله يهون عليه الطي فإذا علم به أحد تضعف عزيمته في ذلك وهذا علامة الصادق فهما أحسن في نفسه أنه يحب أن يرى بعين التقليل فليتهم نفسه فإن فيه شائبة النفاق ومن يطوى لله يعوضه الله تعالى فرحاً في بطنه ينسيه الطعام وقد لا ينسى الطعام ولكن امتلاء قلبه بالأنوار يقوى جاذب الروح الروحاني فيجذب به إلى مركزه ومستقره من العالم الروحاني وينفر بذلك عن أرض الشهوة النفسانية وأما أثر جاذب الروح إذا تخلف عنه جاذب النفس عند كمال طمأنينتها

(١١ - عوارف المعارف)

وانعكاس أنوار الروح عليها بواسطة القلب المستنير فأجل من جذب المغناطيس للحديد إذ المغناطيس يجذب الحديد لروح في الحديد مشا كل للمغناطيس فيجذبه بنسبة الجنسية الخاصة فإذا تجنست النفس بعكس نور الروح الواصل اليها بواسطة القلب يعير في النفس روح استمدها القلب من الروح وأداها إلي النفس فتجذب الروح النفس بجنسية الروح الحادثة فيها فيزدرى الاطعمة الدنيوية والشهوات الحيوانية ويتحقق عنده قول رسول الله ﷺ أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا يقدر على ما رصفناه إلا عبد نصير أعماله وأقواله وسائر أحواله ضررة فيتناول من الطعام أيضا ضروره ولو تكلم مثلا بكلمة من غير ضروره التهم فيه نار الجوع التهاب الحلقاء بالنار لان النفس الراقدة تستيقظ بكل ما يوقظها وإذا استيقظت نزعته إلى هواها فالعبد المراد بهذا إذا فطن لسياسة النفس ورزق العلم سهل عليه الطي وتداركته المعونة من الله تعالى لاسيما ان كوشف بشيء من المنح الالهية * وقد حكى لي فقير أنه اشتد به الجوع وكان لا يطلب ولا يتسبب قال فلما انتهى جوعى الى الغاية بعد أيام فتح الله على بتفاحة قال فتناول التفاحة وقصدت أكلها فلما كسرتها كوشفت بنحوراء نظرت اليها عقيب كسرها فحدث عندي من الفرح بذلك ما استغنيت عن الطعام أياما وذكر لي أن الحوراء خرجت من وسط التفاحة والايمان بالقدرة ركن من أركان الايمان فسلم ولا تنكر (وقال) سهل ابن عبد الله رحمه الله من طوى أربعين يوما ظهرت له القدرة من الملكوت وكان يقول لا يزهد العبد حقيقة الزهد الذي لامشوية فيه إلا بمشاهدة قدرة من الملكوت وقال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله عرفنا من طوى أربعين يوما برابضة النفس في تأخير القوت وكان يؤخر فطره كل ليلة إلى نصف سبع الليل حتى يطوى ليلة في نصف شهر فيطوى الأربعين في سنة وأربعة أشهر فتندرج الأيام والليالي حتى يكون الأربعين بمنزلة يوم واحد * وذكر لي ان الذي فعل ذلك ظهرت له آيات من الملكوت وكوشف بمعاني قدرة من الجبروت نجلى الله بها له كيف شاء واعلم ان هذا المعنى من الطي والتقلل لوانه عين الفضيلة ما فأت أحدا من الأنبياء وكان رسول الله ﷺ يبلغ من ذلك إلى أقصى غاياته ولا شك ان لذلك

فضيلة لا تنكر ولكن لا ينحصر مواهب الحق تعالى في ذلك فقد يكون من يأكل كل يوم أفضل ممن يطوى أربعين يوما وقد يكون من لا يكشف بشيء من معاني القدرة أفضل ممن يكشف بها إذا كشفه الله بصرف المعرفة فالقدرة أثر من القادر ومن أهل لقرب القادر لا يستغرب ولا يستنكر شيئا من القدرة ويرى القدرة تتجلى له من سجع أجزاء علم الحكمة فإذا أخلص العبد لله تعالى أربعين يوما واجتهد في ضبط أحواله بشيء من الأنواع التي ذكرنا من العمل والذكر والقوت وغير ذلك تعود بركة تلك الأربعين على جميع أوقاته وساعاته وهو طريق حسن اعتمده طائفة من الصالحين وكان جماعة من الصالحين يختارون للأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وهي أربعون موسى عليه السلام (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب اجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك ابن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن ابن علي الجوهري اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد ابن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا أبو معاوية الضرير قال حدثنا الحجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه

﴿الباب التاسع والعشرون في أخلاق الصوفية وشرح الخلق﴾

الصوفية أوفر الناس حظا في الاقتداء برسول الله ﷺ وأحقهم باحياء سنته والتخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن الاقتداء واحياء سنته على ما أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين شيخ الاسلام أبو أحمد عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتوح عبد الملك بن أبي القاسم الهروي قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياق قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي قال حدثنا مسلم بن حاتم الأنصاري البصري قال حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد ابن المسيب قال قال أنس بن مالك رضي الله عنه قال لي رسول الله ﷺ يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي

ومن أحياء سنتي فقد أحيائي ومن أحيائي كان معي في الجنة فالصوفية أحيوا سنة رسول الله ﷺ لانهم وفقوا في بدايتهم لرعاية أقواله وفي وسط حالهم اقتدوا بأعماله فأثمر لهم ذلك ان تختقوا في نهاياتهم باخلاقه وتحسين الأخلاق لايتأتى الا بعد تزكية النفس وطريق التزكية بالاذعان لسياسة الشرع وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ وانك لعلى خلق عظيم لما كان أشرف الناس وأزكاهم نفسا كان أحسنهم خلقا قال مجاهد على خلق عظيم أى على دين عظيم والدين مجموع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة (سئلت) عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن قال قتادة هو ما كان ياتر به من أمر الله تعالى وينتهى عما نهى الله عنه وفي قول عائشة كان خلقه القرآن سر كبير وعلم غامض مانطقت بذلك الا بما خصها الله تعالى به من بركة الوحي السماوى وصحبة رسول الله ﷺ وتخصيصه اياها بكلمة خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء وذلك ان النفوس مجبولة على غرائز وطبائع هى من لوازمها وضرورتها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت من ماء ولها بحسب ذلك طبع وهكذا من حمامسون ومن صلصال كالفضار وبحسب تلك الأصول التى هى مبادئ تكونها استفادت صفات من البهيمية والسبعية والشيطانية وإلى صفة الشيطنة فى الانسان اشارة بقوله تعالى من صلصال كالفضار لدخول النار فى الفخار وقد قال الله تعالى وخلق الجن من نار والله تعالى بخفى لظنه وعظيم عنايته نزع نصيب الشيطان من رسول الله ﷺ على ما ورد فى حديث حليلة ابنة الحرث انها قالت فى حديث طويل فبينما نحن خائف بيوتنا ورسول الله ﷺ مع أخ له من الرضاعة فى بهم لنا جاءنا أخوه يشتد فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فاضطجعاه فشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشد نحوه فنجده قائما ممتعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أى بنى ماشأناك قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بياض فاضطجعانى فشقا بطنى ثم استخرجاه منه شيئا فطرحاه ثم ردها كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليلة لقد خشيت ان يكون ابنى هذا قد أصيب انطلقى بنا فلترده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت فاحتملناه فلم ترع أمه إلا وقد قدمنا به عليها قالت مارد كما قد كنتما عليه حريصين قلنا لا والله

لأضير إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذي كان علينا وقلنا نخشى
الأتلاف والاحداث زرده إلى أهله فقالت ماذا بك بما فصدفاني شأنكما فلم تدعنا
حتى أخبرناها خبره فقالت خشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل
وإنه لكائن لابني هذا شأن ألا أخبركما بخبره قلنا بلى قالت حملت به فما حملت حملا
قط أخف منه قالت قاريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور قد أضأت به
قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا لم يقعه المولود معتمدا على يديه رافعا رأسه
إلى السماء فدعاه عنكما فبعد أن طهر الله رسوله من نصيب الشيطان بقيت النفس
الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات وأخلاق مبقاة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات في نفوس الأمة يزيد
من الظامة لتفاوت حال رسول الله ﷺ وحال الأمة فاستمدت تلك الصفات المبقاة
بظهورها في رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنزيل الآيات المحكمات بازائها لقمعها
تأديبا من الله لنبيه رحمة خاصة له وعامة للأمة موزعة لنزول الآيات على الآفاه
والأوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة
كذلك لنثبت به فؤادك وترتلناه ترتيلا وتنبئت الفؤاد بعد اضطرابه بحركة النفس
بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة خلق
صالح سنى إما تصريرا أو تعريضا كما تحركت النفس الشريفة النبوية لما كسرت
رباعيته وصار الدم يسيل على الوجه ورسول الله ﷺ يمسحه ويقول كيف يفلح
قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر
شيء فاكتمسى القلب النبوي لباس الاضطراب وفاء بعد الاضطراب إلى القرار فلما
توزعت الآيات على ظهور الصفات في مختلف الأوقات صفت الأخلاق النبوية
بالقرآن ليكون خلقه القرآن ويكون في ابقاء تلك الصفات في نفس رسول الله
ﷺ معنى قوله عليه السلام إنما أنسى لاسن فظهور صفات نفسه الشريفة وقت
استنزال الآيات للتأديب نفوس الأمة وتهذيبها رحمة في حقهم حتى تتزكى
قهومهم وتشر ف أخلاقهم قال رسول الله ﷺ الأخلاق مغزونة عند الله
تعالى فاذا أراد الله تعالى يعيد خيرا منحه منها خلقا وقال ﷺ إنما بعثت لأتمم

مكارم الاخلاق وروى عنه عليه السلام أن الله تعالى مائة وبضعة عشر خلقا من آتاه واحدا منها دخل الجنة فتقديرها وتمديدتها لا يكون الا بوحى سماوى المرسل ونبي والله تعالى أبرز الى الخلق أسماءه منبئة عن صفاته سبحانه وتعالى وما أظهرها لهم الا ليدعوهم اليها ولولا أن الله تعالى أودع في القوى البشرية التخلق بهذه الاخلاق ما أبرزها لهم دعوة لهم اليها يختص برحمته من يشاء ولا يبعد والله أعلم أن قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وإيماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية أن تقول كان متخلقا بأخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبجات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور علمها وكمال أدبها ويزن قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وبين قوله (وانك لعلى خلق عظيم) مناسبة مشعرة بقول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن (قال) الجنيد رحمه الله كان خلقه عظيما لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطى رحمه الله تعالى لأنه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لأنه عليه السلام عاشر الخلق بخلقهم وباينهم بقلبه وهذا ما قاله بعضهم فى معنى التصوف التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الأكوان فى عينه بمشاهدة مكنونها وقيل سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه (وقد) ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته الى حسن الخلق فى حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذى قال حدثنا احمد بن الحسين بن خراش قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثنى عبد الله ابن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من أحبكم إلي وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم إلي وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفهبون قالوا يا رسول الله علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفهبون قال المتكبرون والثرثار هو المكثار من الحديث والمتشدد المتناول على الناس فى الكلام (قال الواسطى رحمه الله) الخلق العظيم

أن لا يخاصم ولا يخاصم وقال أيضا وإنك لعلی خلق عظیم لوجدانك حلاوة المطالعة على شرك وقال أيضاً لأنك قبلت فنون ما أسديت إليك من نعمي أحسن مما قبله غيرك من الأنبياء والرسل (وقال الحسين) لأنه لم يؤثر فيك جفاء الخلق مع مطالعة الحق وقيل الخلق العظيم لباس التقوى والتخاق بأخلاق الله تعالى إذ لم يبق للأعواض عنده خطر (وقال) بعضهم قوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين) أتم لأنه حيث قال وإنك أحضره وإذا أحضره أغفله وحجبه وقوله لأخذنا أتم لأن فيه فناء وفي قول هذا القائل نظر فهلا قال إن كان في ذلك فناء ففي قوله وإنك بقاء وهو بقاء بعد فناء والبقاء أتم من الفناء وهذا أليق بمنصب الرسالة لأن الفناء إنما عز لمزاحمة وجود مذموم فاذا زرع المذموم من الوجود وتبدلت النعوت فأى عزة تبقى في الفناء فيكون حضوره بالله لا بنفسه فأى حجة تبقى هنالك (وقيل) من أوتى الخلق العظيم فقد أوتي أعظم المقامات لأن المقامات ارتباطا عاما والخلق ارتباط بالنعوت والصفات (وقال الجنيد) اجتمع فيه أربعة أشياء السخاء والآلفة والنصيحة والشفقة (وقال ابن عطاء) الخلق العظيم أن لا يكون له اختيار ويكون تحت الحكم مع فناء النفس وفناء المألوفات (وقال أبو سعيد) القرشي العظيم هو الله ومن أخلاقه الجود والكرم والصفح والعفو والاحسان ألا ترى إلى قوله عليه السلام إن الله مائة وبضعة عشر خلقا من أتى بواحد منها دخل الجنة فلما تخلق بأخلاق الله تعالى وجد الثناء عليه بقوله وإنك لعلی خلق عظیم (وقيل) عظم خلقتك لأنك لم ترض بالأخلاق وسرت ولم تسكن إلى النعوت حتى وصلت إلى الذات (وقيل) لما بعث محمد عليه الصلاة والسلام إلى الحجاز حجهز بها عن اللذات والشهوات وآلفاه في العربية والجفوة فلما صفا بذلك عن دنس الأخلاق قال له وإنك لعلی خلق عظیم (وأخبرنا) الشيخ الصالح أبو زرعة بن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي عن أبيه قال أنا أبو عمر المليحي قال أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال حدثنا جعفر بن الحجاج الرقي قال أنا أيوب بن محمد الوزان قال حدثني الوليد قال حدثني ثابت عن يزيد عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان نبي الله ﷺ يقول مكاد من الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا

تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة صدق الحديث وصدق اليأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان واعطاء السائل والمكافأ بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذمم للصاحب واقراء الضيف ورأسهن الحياء * وسئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال الغم والفرح يكون هذا الغم غم فوات الحظوظ العاجلة لأن ذلك يتضمن التسخيط والتعجز وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح المشار إليه الفرح بالحظوظ العاجلة الممنوع منه بقوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وهو الفرح الذي قال الله تعالى (إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) لما رأى من أممهم تنوء بالعصبة أولى القوة فأما الفرح بالاقسام الآخروية فيحمود بنافس فيه قال الله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته) فبذلك فليفرحوا وفسر عبدالله بن المبارك حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى فالصوفية راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى أجابت إلى تحسين الأخلاق وكمن نفس تحبيب إلى الأعمال ولا تحبيب إلى الأخلاق فنفس العباد أجابت إلى الأعمال وجمحت عن الأخلاق ونفوس الزهاد أجابت إلى بعض الأخلاق دون البعض ونفوس الصوفية أجابت إلى الأخلاق الكريمة كلها * أخبرنا الشيخ أبو زرعة اجازة عن أبي بكر ابن خلف اجازة عن السلمي قال سمعت حسين بن احمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر الكتاني يقول التصوف خلق فمن زاد عليك بالخلق زاد عليك بالتصوف فالعباد أجابت نفوسهم إلى الأعمال لانهم يسلكون بنور الاسلام والزهاد أجابت نفوسهم إلى بعض الأخلاق لكونهم سلكوا بنور الايمان والصوفية أهل القرب سلكوا بنور الاحسان فلما باشر بواطن أهل القرب والصوفية نور اليقين وتأصل في بواطنهم ذلك انصلح القلب بكل ارجائه وجوانبه لأن القلب يبيض بعرضه بنور الاسلام وبعضه بنور الايمان وكله بنور الاحسان والايقان فاذا ابيض القلب وتنور انعكس نوره على النفس والقلب وجه الى النفس ووجه الى الروح وللنفس وجه الى القلب ووجه الى الطبع والغريزة والقلب إذا لم يبيض كله لم يتوجه الى الروح بأكمله ويكون ذا وجهين

وجه إلى الروح ووجه إلى النفس فإذا ابيض كله توجه إلى الروح بكله فيتداركه مدد الروح ويزداد اشراقا وتنورا وكلما انجذب القلب إلى الروح انجذبت النفس إلى القلب وكلما انجذبت توجهت إلى القلب بوجهها الذي يليه وتنور النفس لتوجهها إلى القلب بوجهها الذي يلي القلب وعلامة تنورها طمأنينتها قال الله تعالى (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) وتنور وجهها الذي يلي القلب بمناجاة حورانية أحد وجهي الصدف لاكتساب النورانية من اللؤلؤ وبقاء شيء من الظلمة على النفس للنسبة وجهها الذي يلي الغريزة والطبع كبقاء ظاهر الصدف على ضرب من الكدر والنقصان مخالفا لنورانية باطنه وإذا تنور أحد وجهي النفس لجأت إلى تحسين الاخلاق وتبديل النعوت ولذلك سمي الابدال ابدالاً والسر الالكبر في ذلك ان قلب الصوفي بدوام الاقبال على الله ودوام الذكر بالقلب واللسان يرتقى إلى ذكر الذات ويصير حينئذ بمنابة العرش فالعرش قلب الكائنات في عالم الخلق والحكمة والقلب عرش في عالم الامر والقدرة (قال) سهل بن عبد الله تسترئ القلب كالعرش والصدر كالكرسي * وقد ورد عن الله تعالى « لا يسعني ارضى ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن » فإذا اكتحل القلب بنور ذكر الذات وصار بحراً مواجا من فسحات القرب جرى في جداول اخلاق النفس صفاء النعوت والصفات وتمحى التخلق بأخلاق الله تعالى (حكى) عن الشيخ أبي علي الفارمزي أنه حكى عن شيخه أبي القاسم الكركاني أنه قال ان الاسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل ويكون الشيخ عنى بهذا ان العبد يأخذ من كل اسم وصفا يلائم ضعف حال البشر وقصوره مثل أن يأخذ من اسم الله تعالى الرحيم معنى من الرحمة على قدر قصور البشر وكل اشادات المشايخ في الاسماء والصفات التي هي أعز غلوهم على هذا المعنى والتفسير وكل من توهم بذلك شيئاً من الحلول تزدق وألحد وقد أوصى رسول الله ﷺ معاذاً بوصية جامعة لمحاسن الاخلاق فقال له يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجوارور رحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل وقصد العمل وزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح

وإياك أن تسب حليماً أو تكذب صادقاً أو تطمع آثماً أو تعصي إماماً عادلاً أو
تفسد أرضاً أو هيكاً باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل
ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم
الأخلاق ومحاسن الآداب (وروى) معاذ أيضاً عن رسول الله ﷺ قال حفة
الاسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي بإسناده المتقدم إلى الترمذي رضي الله عنه قال أنبأنا أبو كريب قال
حدثنا قبيصة بن الليث عن مطرف عن عطاء عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال سمعت
النبي عليه السلام يقول ما من شيء يوضع في الميزان أنقل من حسن الخلق وإن صاحب
حسن الخلق ليلبغ به درجة صاحب الصوم والصلاة (وقد كان) من أخلاق رسول الله
ﷺ أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من
يعطيه ويأتيه الليل لا يأوى إلى منزله حتى يبرأ منه ولا ينال من الدنيا وأكثر قوت
عامه من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع ما عدا ذلك في سبيل الله لا يسئل شيئاً
الا يعطى ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام (وكان)
يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهم (وكان) أشد
الناس حياء وأكثرهم تواضعاً فصولات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

﴿ الباب الثلاثون في تفصيل أخلاق الصوفية ﴾

من أحسن أخلاق الصوفية التواضع ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع
ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كل أحد مقداراً يعلم أنه يقيمه
ويقيم كل أحد على ما عنده من نفسه ومن رزق هذا فقد استراح وأراح وما
يعقلها الا العالمون (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا عثمان
ابن عبد الله قال أنا عبد الرحمن بن إبراهيم قال حدثنا عبد الرحمن بن حمدان قال
حدثنا أبو حاتم الرازي قال حدثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لهيعة عن يزيد
ابن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال إن الله تعالى
أوحى إلي أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض وقال عليه السلام في قوله
تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) قال على البر والتقوى والهبة وذلة النفس

(وكان) من تواضع رسول الله ﷺ أن يجيب دعوة الحرو والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرة لبن أو نخد أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يستكبر عن اجابة الأمة والمسيكين (وأخبرنا) أبو زرعة اجازة عن ابن خلف اجازة عن السلمي قال أنا أحمد بن علي المقرئ قال أنا محمد بن المنهال قال حدثني أبي عن محمد بن جابر الجعفي عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ ان من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وان ترضي بالدون من المجلس وأن لا تمحب المدح والتزكية والبر (وورد) أيضا عنه عليه السلام طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة (سئل الجنيد) عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب (وسئل) الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه (وقال أيضا) من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب (وقال) وهب بن منبه مكتوب في كتب الله اني أخرجت الدر من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا إلى من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته وكلته (وقيل) من عرف كوامن نفسه لم يطمع في العلو والشرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو حنص من أحب أن يتواضع قلبه فيصحب الصالحين وليلتزم بحرماتهم فمن شده تواضعهم في أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر (وقال لقمان عليه السلام) لكل شيء مطية ومطية العمل التواضع (وقال النوري خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وفقه صوفي وغني متواضع وفقير شاكِر وشريف سني (وقال الجلاء) لو لا شرف التواضع كنا إذا مشينا نخطر وقال يوسف ابن أسباط وقد سئل ما غاية التواضع قال ان تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيته خيرا منك ورأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه في سفره إلى الشام وقد بعث بعض أبناء الدين له طعاما على رؤوس الاسارى من الافرنج وهم في قيودهم فلما مدت السفرة والاسارى ينتظرون الأواني حتى تفرغ قال للخادم احضر الاسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاءهم وأقعدهم على السفرة صفوا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى إليهم وقعد بينهم كالواحد منهم فأكل وأكلوا

وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله والانكسار في نفسه وانسلاخه من
 التكبر عليهم بإيمانه وعلمه وعمله (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبي بكر بن خاف اجازة
 عن السلمي قال سمعت أبا الحسين القاسمي يقول سمعت الجريري يقول صح عند أهل
 المعرفة ان للدين رأس مال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر
 فصدق في اللسان وسخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى واحتماله بلا
 إباء وأما اللواتي في الباطن فخب وجود سيده وخوف الفراق من سيده ورجاء
 الوصول الى سيده والتندم على فعله والحياء من ربه وقال يحيى بن معاذ التواضع في الخلق
 حسن ولكن في الأغنياء أحسن والتكبر سمج في الخلق ولكن في الفقراء أسمج
 (وقال ذو النون) ثلاثة من علامات التواضع تصغير النفس معرفة بالعيب وتظيم لباس
 حرمة للتوحيد وقبول الحق والنصيحة من كل واحد (وقيل) لأبي يزيد متى يكون
 الرجل متواضعا ذل إذا لم ير لنفسه حقما ولا حالا من علمه بشرها وازدراءها ولا
 يري أن في الخلق شرا منه (قل) بعض الحكماء وجدنا التواضع مع الجهل والبخل
 أحمد من التكبر مع الادب والسخاء وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد
 عليها وبلاء لا يرحم صاحبه عليه قال نعم أما النعمة فالتواضع وأما البلاء فالتكبر
 والكشف عن حقيقة التواضع أن التواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعفة
 فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعفة وضع الانسان نفسه مكانا يزرى به
 وينفضى إلي تضييع حقه وقد انهم من كثير من اشارات المشايخ في شرح التواضع
 أشياء إلى حد أقاموا التواضع فيه مقام الضعة ويلوح فيه الهوى من أوج الافراط
 إلى حضيض التفريط ويوهم انحرافا عن حد الاعتدال ويكون قصدهم في ذلك المبالغة
 في قمع نفوس المريدين خوفا عليهم من العجب والكبر فقل أن ينفعك مرید في مبادئ
 ظهور سلطان الحال من العجب حتى لقد نقل عن جمع من الكبار كلمات مؤذية بالعجاب
 وكل ما نقل من ذلك القبيل من المشايخ لبقايا السكر عندهم وانحمارهم في مضيق سكر
 الحال وعدم الخروج إلى فضاء الصحو في ابتداء أمرهم وذلك إذا حقد صاحب
 البصيرة نظره يعلم أنه من استراق النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا
 استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يحفهو على الوقت

وصلاقة الحال فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلى وقول بعضهم قدنى على رقبة جميع الاولياء وكقول بعضهم أسرجت وألجت وطلعت في أقطار الارض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلي أحد اشارة منه في ذلك إلى تفرده في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم انه من استراق النفس السمع فايزن ذلك بميزان أصحاب رسول الله ﷺ وتواضعهم واجتنابهم أمثال هذه الكلمات واستبعادهم أن يجوز للعبد انتظام بشيء من ذلك ولكن يجعل لكلام الصادقين وجه في الصحة ويقال ان ذلك طمع عليهم في سكر الحال وكلام السكارى يحمل فاشياخ أرباب التمكن لما علموا في النفوس هذا الداء الدفين بالغوا في شرح التواضع إلى حد الحقوه بالضعفة تدوايا المريرين والاعتدال في التواضع أن يرضى الانسان بمنزلة دوين ما يستحقه ولو أمن الشخص جموح النفس لأوقفها على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجحوش في جبلية الناس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتدوى بالتواضع وإيقافها دوين ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالكبر ظن الانسان أنه أكبر من غيره والتكبر اظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها الا الله تعالى ومن ادعاها من المخلوقين يكون كاذبا والكبر يتولد من الاعجاب والاعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد عظم الله تعالى شأن الكبر بقوله تعالى (انه لا يحب المتكبرين) وقال تعالى (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) وقد ورد بقول الله تعالى « الكبرياء زدائي والعظمة ازادى فن نازعنى واحد منهما قصمته » وفي رواية قذفته في نار جهنم * وقال عز وجل ردا للانسان في طغيانه إلى حده (ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) وقال تعالى (فلينظر الانسان مم خالق خلق من ماء دافق) وأبلغ من هذا قوله تعالى (قتل الانسان ما كفره من أى شيء خلقته من نطفة خلقه فقدره) وقد قال بعضهم لبعض المتكبرين أراك نطفة مذرة وآخرك جينة قدرة وأنت فيما بين ذلك حامل العذرة وقد نظم الشاعر هذا المعنى كيف يزود من رجيعة * أبد الدهر ضجيعة * واذا ارتحل التواضع من القاب وسكن الكبر انتشر

اثره في بعض الجوارح ويرشح الاناء بما فيه فتارة يظهر اثره في العنق بالتمايل وتارة في الخد بالتصغير قال الله تعالى (ولا تصغر خدك للناس) وتارة يظهر في الرأس عند استعصاء النفس قال الله تعالى (لووا رؤسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون) وكما ان الكبر له انقسام على الجوارح والأعضاء تتشعب منه شعب فكذلك بعضها أكتشف من البعض كالتيه والزهو والعزة وغير ذلك الا أن العزة أشد بالكبر من حيث الصورة وتختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعف والتواضع محمود والضعف مذموم والكبر مذموم والعزة محمودة قال الله تعالى (والله العزة ولو سوله وللعؤمنين) والعزة غير الكبر ولا يحل لمؤمن أن يذل نفسه فالعزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه وكرامها أن لا يضعها لأغراض عاجلة دنيوية كما ان الكبر جهل الانسان بنفسه وازالها فوق منزلتها (قال بعضهم) للحسن ما أعظمك في نفسك قال لست بعظيم ولكني عزيز ولما كانت العزة غير مذمومة وفيها مشاكلة بالكبر قال الله تعالى (تستكبرون في الأرض بغير الحق) فيه اشارة خفية لاثبات العزة بالحق فالوقوف على حد التواضع من غير انحراف إلى الضعة وقوف على صراط العزة المنصوب على متن نار الكبر ولا يؤيد في ذلك ولا يثبت عليه الا أقدام العلماء الراسخين والسادة المقربين ورؤساء الابدال والمصدقين (قال بعضهم) من تكبر فقد أخبر عن ندالة نفسه ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه (وقال الترمذي) التواضع على ضربين الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونهيه فان النفس لطلب الراحة تتلهى عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نهيه فاذا وضع نفسه لأمره ونهيه فهو تواضع والثاني أن يضع نفسه لعظمة الله فان اشتهت نفسه شيئاً مما أطلق له من كل نوع من الانواع منعها ذلك وجملة ذلك أن يتترك مشيئته لمشيئة الله تعالى * واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتطيع للحق والخلق لحوائرها وسكون وجهها وغبارها وكان الحظ الأوفر من التواضع لنبيينا عليه السلام في أوطان القرب كما روى عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الطويل قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما بأخذ النساء من الغيرة فلما منى أنه عند بعض أزواجه فطلبته في حجر نسائه فلم أجده فوجدته

في المسجد ساجدا كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادى وخيالى
وأمن بك فؤادى وقر بك لسانى وها أنا ذا بين يديك يا عظيم يا غافر الذنب العظيم
وقوله عليه السلام سجد لك سوادى وخيالى استقصاء في التواضع بمحو آثار الوجود
حيث لم تخلف ذرة منه عن السجود ظاهرا وباطنا ومتى لم يكن للصوفى حظ من
التواضع الخاص على بساط القرب لا يتوفر حظه من التواضع للخلق وهذه سماعات
ان أقبلت جاءت بكليتها والتواضع من أشرف أخلاق الصوفية (ومن أخلاق الصوفية)
المدارة واحتمال الأذى من الخلق وبلغ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه وجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على من الحق بل وداه بمائة
ناقة من قبله وان بأصحابه لحاجة إلى بيعير واحديتقوون به * وكان من حسن مداراته
أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على
قال أنا أبو الفضل الكرخي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا أبو العباس
المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال حدثنا جعفر بن سليمان عن
ثابت عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى
أف قط وما قال لى لىء صنعته لم صنعتته ولا لىء تركته لم تركته وكان رسول الله
ﷺ من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من
كف رسول الله ﷺ ولا شممت مساقط ولا عطر اكان أطيب من عرق رسول الله
ﷺ فلمدارة مع كل أحد من الأهل والاولاد والجيران والاصحاب والخلق كافة
من أخلاق الصوفية واحتمال الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل لكل شىء جوهر
وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر (أخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبيه
الحافظ المقدسى قال أنا أبو محمد الصرفينى قال أنا أبو القاسم عبيد الله بن حبابه قال أنا
أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا على بن الجعد قال أنا شعبة عن
الاعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ قلت من هو قال
ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال إؤمن الذى يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من
الذى لا يخاطهم ولا يصبر على أذاهم (وفى الخبر) أيعجز أحدكم أن يكون كائى ضمضم
قيل ماذا كان يصنع أبو ضمضم قال كان إذا أصبـح قال اللهم انى تصدقت اليوم بعرضى

على من ظلمني فمن ضربني لا أضربه ومن شتمني لا أشتمه ومن ظلمني لا أظلمه
 (وأخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب قال أنا أبو الفتح الهروي قال حدثنا الترياق
 قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا ابن أبي عمر قال
 حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت استأذن
 رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بئس ابن العشيرة أو أخو
 العشيرة ثم أذن له فألأن له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم ألت له
 القول قال يا عائشة ان من شر الناس من يتركه الناس أو يدعه الناس اتقاء خشه
 (وروى) أبو زر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اتق الله حيثما كنت
 وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن * فما شئ يستدل به على قوة
 عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن المداراة والنفس لا تزال تشمئز من يعكس
 مرادها ويستفزها الغيظ والغضب وبالمداراة قطع حمة النفس ورد طيشها وتقورها *
 وقد ورد من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس
 الخلائق حتى يخيره في أى الحور شاء (وروى) جابر رضى الله عنه عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم على من تحرم النار على كل حين لين سهل قريب (وروى)
 أبو مسعود الانصارى رضى الله عنه قال أتى النبي عليه السلام برجل فكلمه فأرعد
 فقال هون عليك فأتى لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد
 (وعن بعضهم) في معنى لين جانب الصوفية

هينون لينون اليسار بنو يسر سواس مكرمة أبناء اليسار

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا ولا يمارون ان ماروا با كئار

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى

(وروى) أبو الدرداء عن النبي ﷺ قال من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى
 حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير (حدثنا) شيخنا
 ضياء الدين أبو النجيب املاء قال حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله المدينى قل
 أنا أبو الحسين عبد الرحمن بن أبى طلحة الداودى قال أنا أبو محمد عبد الله الحموى
 السرخسى قال أنا أبو عمران عيسى بن عمر السمرقندى قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن

الدارمي قال أنا محمد بن أحمد بن أبي خلف قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله ﷺ يوم حنين وفي رجل نعل كشيقة فوطئت بها على رجل رسول الله ﷺ فنفختني نفخة بسوط في يده وقال بسم الله أوجعتني قال فبت لنفسي لآيما أقول أوجعت رسول الله ﷺ قال فبت لبيلة كما يعلم الله فلما أصبحنا إذا رجل يقول أين فلان قلت هذا والله الذي كان مني بالأمس قال فانطلقت وأنا متخوف فقال لي انك وطئت بمنلك على رجلي بالأمس فأوجعتني فنفختك نفخة بالسوط فهذه ثمانون نفخة فغذاها بها * ومن أخلاق الصوفية الايتار والمواساة ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعاً وقوة اليقين شرعا يثرون بالموجود ويصبرون على المفقود * قال أبو يزيد البسطامي ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجاً فقال لي يا أبا يزيد ما أحد الزهد عندهم قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت له وما أحد الزهد عندهم قال إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا (وقال ذوالنون) من علامة الزاهد المشروح صدره ثلاث تقريبات المجموع وترك طلب المفقود والايتار بالقوت (روى) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ يوم النصير للأَنْصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وأشاركونهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم تقسم لكم شيئاً من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقيم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولانشاركم فيها فأَنْزل الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله اني جائع فاطعمني فبعث النبي ﷺ إلى أزواجه هل عندكن شيء فكلهن قلن والذي بعثك بالحق نيباً ما عندنا إلا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندنا ما نطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله فأتي به منزله فقال لأهله هذا ضيف رسول الله ﷺ فاكرميه ولا تدخرى عنه شيئاً فقالت

ما عندنا إلا قوت الصبية فقال فقوى عليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعمون شيئاً ثم اسرجى فإذا أخذ الضيف ليأكل قومي كانك تصلحين السراج فاطفئيه وتعالى فتمضغ ألسنتنا لضيف رسول الله حتى يشبع ضيف رسول الله فقامت إلي الصبية فعلتهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيئاً ثم قامت فائردت وأسرجت فلما أخذ الضيف ليأكل قامت كأنها تصلح السراج فاطفأته فجعل يعضغان ألسنتهما لضيف رسول الله وظن الضيف أنهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما أصبحوا غدوا إلى رسول الله ﷺ فلما نظر إليهما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة وأنزل الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (وقال) أنس رضي الله عنه اهدي لبعض أصحابه رأس شاة مشوى وكان مجهوداً فوجه به إلى جاره فتداوله سبعة أنفاس ثم عاد إلى الأول فأنزلت الآية لذلك * وروى أن أبا الحسن الانطاكي اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية بقرى الريح وله أرغنة ممدودة لم تشبع خمسة منهم فكسروا الرغمان واطفأوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفعوا الطعام فإذا هو بحال لم يأكل أحد منهم إيثاراً منه على نفسه ﴿ وحكى ﴾ عن حذيفة العدوي قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لي ومعى شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رmq سقيته ومسحت وجهه فإذا أنا به فقلت أسقيك فأشار إلى نعم فإذا رجل يقول آه فقال ابن عمي انطلق به إليه فجيئت إليه فإذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به إليه فجيئت إليه فإذا هو قدمات ثم رجعت إلى هشام فإذا هو أيضاً قدمات ثم رجعت إلى ابن عمي فإذا هو أيضاً قدمات (وسئل) أبو الحسين البوشنجي عن الفتوة فقال الفتوة عندى ما وصف الله تعالى به الأنصار في قوله والذين تبوءوا الدار والايمان قال ابن عطاء يؤثرون على أنفسهم جوداً وكرماً ولو كان بهم خصاصة يعنى جوداً وفقراً (قال) أبو حفص الأيثار هو أن يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة (وقال) بعضهم الايثار لا يكون عن اختيار إنما الايثار أن تقدم حقوق الخلق اجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة (وقال يوسف) ابن الحسين من رأى لنفسه

ملكاً لا يصح منه الايثار لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه إنما الايثار ممن يرى الأشياء كلها للحق فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك إليه يرى نفسه ويده فيه يد امانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤديها إليه وقال بعضهم حقيقة الايثار ان تؤثر بحظ آخرتك على اخوانك فان الدنيا أقل خطراً من أن يكون لا يثارها محل أو ذكر ومن هذا المعنى ما نقل ان بعضهم رأى أخاه فلم يظهر البشر الكثير في وجهه فانكر أخوه ذلك منه فقال يا أخى سمعت ان رسول الله ﷺ قال إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة تسعون لأكثرهما بشراً وعشرة لأقلهما بشراً فأردت ان أكون أقل بشراً منك ليكون لك الأكثر (أخبرنا) الشيخ ضياء الدين أبو النجم اجازة قال أنا أبو حفص عمر بن الصنفار النيسابورى قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السامى قال سمعت أبا القاسم الرازى يقول سمعت أبا بكر بن أبى سعدان يقول من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده (وقال سهل بن عبدالله) الصوفي من يرى دمه هدرًا وملكه مباحًا وقال روم التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختبار (قيل) لما سعى بالصوفية وتميز الجنيد بالفقه وقبض على الشجام والرقام والنوري وبسط النطع لضرب رقابهم تقدم النورى فقبل له إلى ماذا تبادر فقال أوثر اخوانى بفضل حياة ساعة وقيل دخل الروذبارى دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق فقال صوفى وله باب مغلق اكسروا الباب فكسروه وأمر بجميع ما وجدوا فى البيت أن يباع فانفذوه إلى السوق واتخذوا رفقا من الثمن وقعدوا فى الدار فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئا ودخلت امرأته وعليها كساء فدخلت بيتا فرمت بالكساء وقالت هذا أيضا من بقية المتاع فبيعه فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك قالت اسكت مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء ندخره عنه (وقيل) مرض قيس بن سعد فاستبطأ اخوانه فى عيادته فسأل عنهم فقالوا انهم يستحيون بمالك عليهم من الدين فقال اخزى الله ما لا يمنع الاخوان عن الزيارة ثم أمر مناديا ينادى من كان لقيس عليه مال فهو منه فى حل

فكسرت عتبة داره بالعشي لثائرة عواده (وقيل) آتي رجل صديقاله ودق عليه الباب فلما خرج قال لماذا جئتني قال لاربعمائة درهم دين على فدخل الدار ووزن أربعمائة درهم وأخرجهما إليه ودخل الدار باكيا فقالت امرأته هلا تعلمت حين شق عليك الاجابة فقال انما أبكى لانى لم أتفقد حاله حتى احتاج أن يفتحنى به (وأخبرنا) الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا محمد بن محمد بن محمد إمام جامع أصفهان قال حدثنا أبو عبد الله الجرجاني قال أنا أبو طاهر محمد بن الحسن الحمد اباضى قال حدثنا أبو البحتري قال حدثنا أبو اسامة قال حدثنا بر يدة بن أبي بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ ان الاشعريين إذا أرملوا في الغزو وقل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم افترسوا في اناه واحد بالسوية منهم منى وأنامهم (وحدث) جابر عن رسول الله ﷺ انه إذا أراد أن يغزو قل يا معشر المهاجرين والأنصار ان من اخوانكم قوما ليس لهم مل ولاعدة فليضم أحدكم إليه الرجل والرجلين والثلاثة فما لاحدكم من ظهر جملة الاعقبة كعقبة أحدكم قال فضممت إلى اثنين أو ثلاثة مالى لإعقبة كعقبة أحدكم من جملة (وروى) أنس قال لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة آخى النبي عليه السلام بينه وبين سعد بن الربيع فقال له افسمك مالى نصفين ولى امرأتان فأطلق احدها فاذا انقضت عدتها تزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك فى أهلاك ومالك فا حمل الصوفى على الايثار الاطهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعالى صوفيا إلا بعد ان سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخى يوشك ان يصير صوفيا لان السخاء صفة الغريزة وفى مقابله الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون حكم بالفلاح لمن يوق الشح وحكم بالفلاح لمن أتق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين والنبي عليه السلام نبى بقوله ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فجعل إحدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل بمجرد الشح يكون مهلكا بل يكون مهلكا إذا كان مطاعا فاما كونه موجودا في النفس غير مطاع فانه لا ينسرك ذلك لأنه من لوازم النفس مستمدا من أصل جبلتها الترابي

وفي التراب قبض وامسك وليس ذلك بالعجب من الآدمي وهو جبلي فيه وإنما العجب وجود السخاء في الغريزة وهو لنفوس الصوفية الداعي لهم إلى البذل والايثار والسخاء أتم وأكمل من الجود ففي مقابلة الجود البخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة الغريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزّه عن الغريزة والجود يتطرق إليه الرياء ويأتي به الانسان متطلعا إلى عوض من الخلق أو الحق بمقابل مامن الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق إليه الرياء لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا وآخرة لأن طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بطلب العوض فأتاح سقاء فالسخاء لأهل الصفاء والايثار لأهل الأنوار ويجوز أن يكون قوله تعالى (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) انه نفى في الآية الاطعام لطلب الاعواض حيث قال لا نريد بعد قوله لوجه الله فما كان لله لا يشعر بطلب العوض بل الغريزة لطهارتها تنجذب إلى مراد الحق لا للعوض وذلك أكمل السخاء من أظهر الغرائز روت أسماء بنت أبي بكر ذلكت يا رسول الله ليس لي من شيء إلا ما أدخل على الزبير فأعطى قال نعم لا توكني فبوكي عليك * ومن أخلاق الصوفية التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة (قال) سفيان الاحسان ان تحسن إلي من اساء إليك فان الاحسان إلى المحسن متاجرة كنفقد السوق خذ شيئا وهات شيئا وقال الحسن الاحسان ان تم ولا تخاص كالشمس والريح والنيث (وروى) أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبرائيل لمن هذه قال لا كاطمين الغيظ والعافين عن الناس (روى) أبو هريرة رضي الله عنه ان أبا بكر رضي الله عنه كان مع النبي ﷺ في مجلس فجاء رجل فوقع في أبي بكر وهو ساكت والحي عليه السلام يتبسم ثم رد أبو بكر عليه بعض الذي قال فغضب النبي وقام فلحقه أبو بكر فقال يا رسول الله شتمني وأنت تتبسم ثم رددت عليه بعض ما قال فغضبت وقت فقال انك حيث كنت ساكنا كان معك ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع الشيطان فلم أكن لأقعد

في مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم عظمة فيعزو عنها إلا
أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة وليس
عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها كثرة (أخبرنا)
حمية الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا الكروخي قال أنا الترياق قال أنا الجراحي قال
أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا أبو هشام الرافعي قال حدثنا محمد
ابن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل عن حذيفة قال قال رسول الله
ﷺ لا تكونوا أمة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن
وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أسأوا فلا تظلموا (وقل) بعض
الصحابة يارسول الله الرجل أمر به فلا يقربني ولا يضيئني فيمر بي أفأجزبه قال لا
أقره * وقال الفضيل الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان وقال رسول الله ﷺ
ليس الواصل المكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها (وروى) عن
رسول الله ﷺ من كاد الأخلق أن تعفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتطى
من حرمك * ومن أخلاق الصوفية البشر وطلاقة الوجه الصوفي بكأوه في خلوته
وبشره وطلاقة وجهه مع الناس فالبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه وقد تنازل
باطن الصوفي منازل إلهية ومواهب قدسية يرتوي منها القلب ويمتلئ فرحاً
ومروراً قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والمرور إذا تمكن من القلب فاض
على الوجه آثاره قال الله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) أي مضيئة مشرقة مستبشرة
أي فرحة قيل أشرقت من طول ما أغبرت في سبيل الله ومثال فيض النور على الوجه
من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج
والروح مصباح فإذا تنعم القلب بلذيق المسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى
(تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي نضارته وبريقه يقال أنضرت النبات إذا أزهـر
ونور وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فلما نظرت نضرت فأرباب المشاهدة
من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها
نور الجمال الأزلي وإذا شرقت الشمس على المرأة المصقولة استنارت الجدران قال
الله تعالى (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) وإذا تأثر الوجه بسجود الظلال

وهي القوالب في قول الله تعالى (وظلالهم بالغدو والآصال) كيف لا يتأثر بشهود الجمال (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا الكروخي قال أنا الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال حدثنا المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك في أناء أخيك (وقال) سعد بن عبد الرحمن الزبيدى يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحك فأما من تلتاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر الله في القراء مثله (ومن أخلاق الصوفية) السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف وقد روى في ذلك عن رسول الله ﷺ أخبار وأخلاق الصوفية تحاكي أخلاق رسول الله ﷺ وكان يقول عليه الصلاة والسلام أما أني أمزح ولا أقول إلا حقا * وروى أن رجلا يقال له زاهر ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأتي إلى رسول الله ﷺ إلا جاء بطرفة يهديها إلى رسول الله ﷺ فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله ﷺ في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام فقبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري العبد فقال إذا تجدي كاسدا يارسول الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام (وأخبرنا) أبو زرعة طاهر بن الحافظ المقدسى عن أبيه قال أنا المطهر بن محمد الفقيه قال أنا أبو الحسن قال أنا أبو عمرو بن حكيم قال أنا أبو أمية قال حدثنا عبيد بن اسحق العطار قال حدثنا سنان بن هرون عن حميد عن أنس قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله احملى على جمل فقال احملك على ابن الناقة قال احملك على ابن الناقة قال احملى على جمل وتقول احملك على ابن الناقة فقال عليه السلام فالجمل ابن الناقة (وروى صهيب) فقال أتيت رسول الله ﷺ وبين يديه تمر يأكل فقال أصب من هذا الطعام فجعلت آكل من التمر فقال أنا كل وأنت رمد فقلت إذا أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم (وروى) أنس أن رسول الله ﷺ قال له ذات يوم يا ذا الأذنين (وسئلت) عائشة رضى الله عنها

كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان أليز الناس بساما ضحكا (وروت) أيضاً أن رسول الله ﷺ سابتها فسبقتها ثم سابتها بعد ذلك فسبقتها فقال هذه بتلك (وأخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذي قال حدثنا عبد الله بن الوضاح الكوفي قال حدثنا عبد الله بن إدريس عن شعبة عن أبي التياح عن أنس رضي الله عنه قال إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى أنه كان يتول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير والنغير عصفور صغير (وروى) أن عمر سابق زبيرا رضي الله عنهما فسبقه الزبير فقال سبقتك ورب الكعبة ثم سابتها مرة أخرى فسبقه عمر فقال عمر سبقتك ورب الكعبة * وروى عبد الله بن عباس قال قال لي عمر تعال أنا فسك في الماء أينما أطول نفساً ونحن محرمون (وروى) بكر بن عبد الله قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يتمازحون حتى يتبادحون بالبطين فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال يقال بدح يبدح إذا رمى أي يترامون بالبطين (وأخبرنا) أبو زرعة عن أبيه قال أنا الحسن ابن أحمد الكرخي قال حدثنا أبو طالب محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله قال حدثني اسحق الحربي قال حدثنا أبو سلمة قال حدثنا حماد بن خالد قال أنبأنا محمد بن عمرو بن علقمة قال حدثنا أبو الحسن بن محسن الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة قال إن مائشة رضي الله عنها قالت أتيت النبي ﷺ بجريرة طبختها له وقالت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي فأبت فقلت لتأكلن أو لأطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدي في الحريرة فلطخت بها وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه وقال لسودة أطخي وجهها فلطخت بها وجهي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فر عمر رضي الله عنه على الباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي ﷺ أنه سيدخل فقال قوما فاعسلا وجهكما فقالت مائشة رضي الله عنها فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ إياه ووصف بعضهم ابن طاوس فقال كان مع الصبي صبيبا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحه إذا خلا (وروى) معاوية بن عبد الكريم قال كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان

يقول ونمزج عنده ويمازحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا إذا دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكي فهذه الأخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم إلى سعة رحمة الله فاذا خلوا وقفوا موقف الرجال واكتسبوا ملابس الأعمال والأحوال ولا يقف في هذا المعنى على حد الاعتدال إلا صوفي قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها يوفور العلم حتى يقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط ولا يصلح الاكثار من ذلك للمريد المبتدئين لقلة علمهم ومعرفةهم بالنفس وتعليمهم حد الاعتدال فللنفس في هذه المواطن نهضات ووثبات تجر إلى الفساد وتجنح إلى العناد فالنزول إلى طباع الناس يحسن بمن صعد عنهم وترقى لعلو حاله ومقامه فينزل إليهم وإلى طباعهم حتى ينزل بالعلم فأما من لم يصعد بصفاء حاله عنهم وفيه بقية مزح من طباعهم وتوسمهم الجاحجة الأماردة بالسوء إذا دخلت في هذه المداخل أخذت النفس حظها واغتمت مأربها واستروحت إلى الرخصة والنزول إلى الرخصة يحسن لمن يركب العزيمة غالب أوقاته وليس ذلك شأن المبتدئ فللصوفية العلماء فيما ذكرناه تروج يعلمون حاجة القلب إلى ذلك والشئ إذا وضع للحاجة يتقدر بقدر الحاجة ومعيار مقدار الحاجة في ذلك علم غامض لا يسلم لكل أحد (قال) سعيد بن العاص لا يفتقد في مزاحك فالإفراط فيه يذهب بالبهاء ويجري عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤمنين ويوحش المخالطين * قال بعضهم المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للاخاء وكما يصعب معرفة الاعتدال في ذلك يصعب معرفة الاعتدال في الضحك والضحك من خصائص الانسان ويميزه عن جنس الحيوان ولا يكون الضحك إلا عن سابقة تعجب والتعجب يستدعي الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه في العلم ولهذا قيل إياك وكثرة الضحك فانه يعميت القلب وقيل وكثرة الضحك من الرعونة (وروى) عن عيسى عليه السلام أنه قال ان الله تعالى يبعث الضحاك من غير عجب والمشاء في غير ارب وذكرك فرق بين المداعبة والمزاح فقل المداعبة ما لا يفضي جده والمزاح ما يفضي جده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة في الصلاة من الذنب

وحكم بطلان الوضوء بها وقال يقوم الاثم مقام خروج الخارج فلا اعتدال في المزاح والضحك لا يتأتى إلا إذا خلص وخرج من مضيق الخوف والقبض والهيبة فانه يقوم بكل مضيق من هذه المضايق بعض التقويم فيعتدل الحال فيه ويستقيم بالبسط والرجاء ينشئان المزاح والضحك والخوف والقبض يحكمان فيه بالعدل * ومن أخلاق الصوفية ترك التكلف وذلك ان التكلف نصنع وتعمل وتمايل على النفس لأجل الناس وذلك يبين حال الصوفية وفي بعضه خفي منازعة للأقدار وعدم الرضا بما قسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأو الصادقين (روي) أنس بن مالك قال شهدت وليمة لرسول الله ما فيها خبز ولا لحم (وروي) عن جابر أنه أناه ناس من أصحابه فأناهم بخبز وخل وقال كلوا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم الا دام الخل وعن سفیان بن سامة قال دخلت على سلمان الفارسي فأخرج إلى خبز وملحاً وقال كل لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن يتكلف أحد لأحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم في جميع الأشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غيرنية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التملق الذي صار دأب أهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك الا آحاد وأفراد وكمن متعلق لا يعرف أنه تملق ولا يفتن له فقد يتملق الشخص إلى حد يخرج به إلى صريح النفاق وهو مبين لحال الصوفي (أخبرنا) الشيخ العالم منيأه الدين عبد الوهاب بن علي قال أنبأنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى حدثنا أحمد بن منيع قال حدثنا يزيد بن هرون عن محمد بن مطرف عن حسان بن عطية عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحياء والعى شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق البذاء انفس وأراد بالبيان ههنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق وثناء عليهم و اظهار التصفح وذلك ليس من شأن أهل الصدق (وحكى) عن أبي وائل قال مضيت مع صاحبلى نزود سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ سعترأ فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقك لم تكن

مطهرتى مرهونة وفي هذا من سامان ترك التكلف قولاً وفعلاً وفي حديث يونس
الذي عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسراً من خبز شعير وجز لهم بقل
كان يزعه ثم قال لولا أن الله لعن المتكافئين لتكاثرت لكم قال بعضهم إذا قصدت
للزيارة فقدم محضر وإذا استزرت فلا تبقي ولا تذر (وروى) الزبير بن العوام
قال نادى مناد رسول الله ﷺ يوماً اللهم اغفر للذين يدعون لأموات أمتي ولا
يتكلمون ألا اني يرى من التكلف وصالحوا أمتي وروى أن عمر رضى الله عنه قرأ
قوله تعالى (فأنبئنا فيها حبا وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلًا وحدائق غلباً وفاكهة
وأبا) ثم قال هذا كله قد عرفناه فما الأب قال ويبد عمر نصاة فضر بها الأرض
ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فخذوا أيها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم اعملوا
به ومن لم تعرفوا فكلوا علمه إلى الله * ومن أخلاق الصوفية الاتفاق من غير اقتدار
وترك الادخار وذلك ان الصوفي يرى خزائن فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطئ
بحر والمقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء في قربه وراويته (روى) أبوهريرة رضى الله
عنه عن رسول الله ﷺ انه قال ما من يوم الا له ملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم اعط
منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً * وروى أنس قال كان رسول الله
ﷺ لا يدخر شيئاً لغد * وروى انه أهدى لرسول الله ﷺ ثلاث طوافاً طعم
خادمه طيراً فلما كان الغد أتاه به فقال رسول الله ﷺ ألم أنحك أن تحبباً شيئاً لغد فان الله
تعالى يأتي برزق كل غد * وروى أبوهريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل
على بلال وعنده صبرة من تمر فقال ما هذا يا بلال فقال ادخر يا رسول الله قال أما
تحشى أنفق بلالاً ولا تحشى من ذى العرش أقلالاً * وروى ان عيسى بن مريم
ﷺ كان يأكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا
بيت يخرب ولا يحب شيئاً لغد فالصوفي كل خباياه في خزائن الله لصدق توكله وثقته
بربه فالدنيا للصوفي كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار * قال عليه
السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفاصاً وتروح بطاناً
(أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله
الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله المرخسي قال

أنبأنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن يوسف
 عن سفيان عن أبي المنكدر عن جابر قال سألت النبي ﷺ شيئاً قط فقال لا قال
 ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد وبلا سناد عن الدارمي قال أنا يعقوب بن حميد قال أنا
 عبد العزيز بن محمد عن ابن أخي الزهري قال أن جبريل عليه السلام قال ما في الأرض
 أهل عشيرة من أبيات إلا قلبتهم فما وجدت أحداً أشد اتفاقاً لهذا المال من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا
 (قال ذوالنون المصري) من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقال
 بشر بن الحرث لولم يكن في القناعة إلا التمتع بالعز لكفى صاحبه وقال بنان الحال الحر
 عبد ماطع والعبد حر ما قنع * وقال بعضهم انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم
 من عدوك بالقصاص * وقال أبو بكر المراغي العاقل من دبر أسر الدنيا بالقناعة
 والتسوية ودبر أسر الآخرة بالحرص والتعجيل * وقال يحيى بن معاذ من قنع
 بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه * وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله
 وجهه القناعة سيف لا ينبو (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا
 أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخلال ببغداد قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال
 حدثنا أبو القاسم البغوي قال حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن
 الربيع عن عمارة بن غزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول مقل وكفى خيراً مما كثر وألهمي (وروي)
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال قد أفاح من أسلم وكان رزقه كفافاً ثم صبر
 عليه (وروي) أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال
 اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا (وروي) جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال القناعة مال لا ينفد (وروي) عن عمر رضي الله عنه أنه قال كونوا أوعية
 الكتاب وينايع الحكمة وعدوا أنفسكم في الموتى واسألوا الله تعالى الرزق يومابيوم
 ولا يضركم أن لا يكثر لكم (وأخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبي الفضل والده أنا أبو القاسم
 اسمعيل بن عبد الله الشاوي قال أنا أحمد بن علي الحافظ قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال
 حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا عمرو بن مالك البصري قال حدثنا مروان بن معاوية

قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي سلمة الانصاري قال أخبرني سلمة بن عبد الله بن محسن عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا (وقيل) في تفسير قوله تعالى (فلنحيينه حياة طيبة) هي القناعة فالصوفي قوام على نفسه بالقسط عالم بطبائع النفس وجدوى القناعة والتوصل الى استخراج ذلك من النفس لعلمه بدائها ودوائها (وقال) أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كما ان الورع من الزهد * ومن أخلاق الصوفية ترك المراء والمجادلة والغضب إلا بحق واعتماد الرفق والحلم وذلك ان النفوس تثب وتظهر في الممارين والصوفي كلما رأى نفس صاحبه ظاهرة قابلها باللمب وإذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة وانطقت الفتنة قال الله تعالى تعلما لعباده (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ولا ينزع المراء إلا من نفوس زكية انتزع منها الغل ووجود الغل في النفوس مرء الباطن وإذا انتزع المراء من الباطن ذهب من الظاهر أيضا وقد يكون الغل في النفس مع من يشاكله ويمثله لوجود المنافسة ومن استقصى في تذويب النفس بنار الزهادة في الدنيا ينمحي الغل من باطنه ولا يبقى عنده منافسة دنيوية في حظوظ عاجلة من جاه ومال قال الله تعالى في وصف أهل الجنة المتقين (ونزعنا ما في صدورهم من غل) قال أبو حفص كيف يبقى الغل في قلوب ائمتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره فان تلك قلوب صافية من هو اجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت اخوانا فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتمعين على الكلمة الواحدة ومن التزم بشروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق * والناس رجلان رجل طالب ما عند الله تعالى ويدعو إلى ما عند الله نفسه وغيره فما للمحقق الصوفي مع هذا من فسة ومرء وغل فان هذا معه في طريق واحد ووجه واحد وأخوه ومعينه والمؤمنون كالبنين يشد بعضهم بعضاً ورجل مفتتن بشيء من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فما للصوفي مع هذا منافسة لأنه زهد فيما فيه رغب فمن شأن الصوفي أن ينظر إلي مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوباً مفتتناً فلا ينطوى له على غل ولا يعاربه في الظاهر على شيء لعلمه بظهور نفسه الأمانة بالسوء في المراء والمجادلة (أخبرنا) الشيخ العالم

ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر التبرقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا المحاربي عن ليث عن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمارى أخاك ولا تعده موعدا فتخلفه وفي الخبر من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له في وسطها ومن حسن خلقه بنى له في أعلاها (وأخبرنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن السهروردي محمد بن أبي عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي قال أنا أبو عمران عيسى السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا يحيى بن بسطام عن يحيى بن حمزة قال حدثني النعمان بن مكيحول عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله الله تعالى جهنم * انظر كيف جعل رسول الله ﷺ الماراة مع السفهاء سببا لدخول النار وذلك بظهور نفوسهم في طلب القهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة في الآدمي (وقال بعضهم) المجادل المار يوضع في نفسه عند الخوض في الجدل أن لا يقنع بشيء ومن لا يقنع إلا أن لا يقنع فما إلى قناعته سبيل فنفس الصوفي تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمأنينة (روى) عن رسول الله ﷺ أنه قال والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه انظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب والاسان وروى عنه عليه السلام أنه مر بقوم وهم يجدون حجرا قال ما هذا قالوا هذا حجر الأشداء قال ألا أخبركم بأشد من هذا رجل كان بينه وبين أخيه غضب فأتاه فغلب شيطانه وشيطان أخيه فكلمه * وروى أنه جاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجل شاة فقال أبو ذر من كسر رجل هذه الشاة فقال أنا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا فعلت قال ولم قال أغيتك فتضر بنى فتأثم فقال أبو ذر لأغيظن من خضك على غيظي فأعتقه (وروى) الأصمعي عن اعرابي

قال اذا أشكل عليك أمران لاتدرى أيهما أرشد نخالف أقربهما إلى هواك فان أكثر ما يكون الخطأ من متابعة الهوى (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن احمد بن علي قال أنا خورشيد قال حدثنا ابراهيم بن عبدالله قال حدثنا احمد بن محمد بن سليم قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا سعيد بن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وعجاب المرء بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح الا من عالم رباني أمير على نفسه يصرفها بعقل حاضر وقلب يقظان ونظر الى الله بحسن الاحتساب (نقل) انهم كانوا يتوضئون عن ايذاء المسلم يقول بعضهم لأن أتوضأ من كلمة خبيثة أحب إلي من أن أتوضأ من طعام طيب (وقال) عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الحدث حدثان حدث من فرجك وحدث من فيك فلا يحمل جوة الوقار والحلم الا الغضب ويخرج عن حد العدل إلى العدوان يتجاوز الحد فبالغضب ينور دم القلب فان كان الغضب على من فوقي مما يعجز عن انقاذ الغضب فيذهب الدم من ظاهر الجلد واجتمع في القلب ويصير منه الهم والحزن والانكاد ولا ينطوي الصوفي على مثل هذا لأنه يرى الحوادث والاعراض من الله تعالى فلا ينسكد ولا يغتم والصوفي صاحب الرضا صاحب الروح والراحة والنبي عليه السلام أخبر ان الهم والحزن في الشك والسخط (سئل) عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن الغم والغضب قال مخرجهما واحدا واللفظ يختلف فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضباً ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزناً والحرد غضب أيضاً ولكن يستعمل إذا قصد المنسوب عليه وان كان الغضب على من يشا كله ويمأئله ممن يتردد في الانتقام منه يتردد دم القلب بين الانقباض والانبساط فيتولد منه الغل والحقد ولا يأوى مثل هذا إلى قلب الصوفي قال الله تعالى (وزعنا ما في صدورهم من غل) وسلامة قلب الصوفي وحاله يقذف زبد الغل والحقد كما يقذف البحر الربد لما فيه من تلاطم أمواج الانس والهبة وان كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه نار دم القلب والقلب

إذا نار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ومنه تحمر الوجنتان لأن الدم في القلب نار وطلب الاستعلاء وانتفخت منه العروق فظهر عكسه وأثره على الخلد فيتعدى الحدود حينئذ بالضرب والشتم ولا يكون هذا في الصوفي الا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فأما في غير ذلك فينظر الصوفي عند الغضب إلى الله تعالى ثم تقواه تحمله على أن يزن حركته وقوله بميزان الشرع والعدل ويتهم النفس بعدم الرضا بالقضاء (قيل) لبعضهم من أقهر الناس لنفسه قال أرضاهم بالمقدور وقال بعضهم أصبحت وما لي سرور إلا مواقع القضاء وإذا اتهم الصوفي النفس عند الغضب تداركه العلم وإذا لاح علم العلم قوى القلب وسكنت النفس وعاد دم القلب إلى موضعه ومقره واعتدل الحال وغاضت حمرة الخلد وبانت فضيلة العلم قال عليه السلام السمت الحسن والتؤدد والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزء من النبوة * وروى حارثة بن قدامة قال قلت يا رسول الله أوصني وأقلل لعلني أعيه قال لا تغضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تغضب قال عليه السلام ان الغضب حمرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه من وجد ذلك منكم فان كان قائما فليجلس وإن كان جالسا فليضطجع (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنبأنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو النصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن المفضل عن قرة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي ﷺ قال لا شج عبد القيس ان فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة * ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والموافقة مع الاخوان وترك المخالفة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله ﷺ (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال الله تعالى (لو أنفق ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) والتودد والتألف من ائتلاف الأرواح على ماورد في الخبر الذى أوردناه فما تعارف منها ائتلف قال الله تعالى (فأصبحتم بنعمته اخوانا) وقال سبحانه وتعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال عليه السلام المؤمن آلف مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف * وقال

عليه السلام مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليمين تغسل أحدهما الأخرى وما
التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا (وقال) أبو إدريس الخولاني
لمعاذ إني أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر
ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفرحون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل من هؤلاء يا رسول الله قال المتحابون في الله
(وقيل) لو تحاب الناس وتعاطوا أسباب المحبة لاستغنوا بها عن العدالة وقيل العدالة
خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة وقيل طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة
فإن طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية
مؤثرة من البعض في البعض لأنهم لما تحابوا في الله تواصلوا بمحاسن الاخلاق ووقع
القبول بينهم لوجود المحبة فانتفع لذلك المرید بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا المعنى
أمر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد أهل كل درب وكل
محلة وفي الجامع في الأسبوع مرة أهل كل بلد وانضم أهل السواد إلى البلدان في
الاعياد في جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج
كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين وقال عليه السلام المؤمن
للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضا (أخبرنا) أبو زرعة قال أنا والدي أبو الفضل
قال أنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن حمش الزیادی قال أنا
أبو العباس عبد الله بن يعقوب الكرمانی قال حدثنا يحيى الكرمانی قال حدثنا حماد
ابن زيد عن مجالد بن سعد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ
يقول ألا إن مثل المؤمنين في توادهم وتحابهم وتراحهم كمثل الجسد إذا اشتكى
عضو منه تداعى سائرُه بالسهر والحمى والتألف والتودد يؤكد أسباب الصحبة
والصحبة مع الأخبار مؤثرة جدا (وقد قيل) لقاء الإخوان لقاح ولا شك إن
البواطن تتلقح ويتقوى البعض بالبعض بل بمجرد النظر إلى أهل الصلاح يؤثر
صلاحا والنظر في الصور يؤثر أخلاقا مناسبة خلق المنظور إليه كدوام النظر إلى

المحزون يحزن ودوام النظر إلى المسرور يسر (وقد قيل) من لا ينفك لحظه لا ينفك لفظه والجلل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجلل الذلول فالمقارنة لها تأثير في الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف والزرع تنف عن أنواع العروق في الأرض والنبات لموضع الافساد بالمقارنة وإذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الأشياء ففي النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيرا وسمى الانسان انسانا لأنه يألس بما يراه من خير وشر والتألف والتودد مستجلب للمزيد وانما العزلة والوحدة تحمد بالنسبة إلى أراذل الناس وأهل الشر فأما أهل العلم والصفاء والوفاء والأخلاق الحميدة فيغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كما ان محبتهم محبة الله والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع فالصوفي مع غير الجنس كائن بأئن ومع الجنس كائن معاين والمؤمن مرآة المؤمن إذا نظر إلى أخيه يستشف من وراء أقواله وأعماله وأحواله تجليات إلهية وتعريفات وتلويحات من الله الكريم خفية غابت عن الاغيار وأدركها أهل الأنوار * ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربههم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الاغيار ورؤيتهم النعم من المنعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله ﷺ على ما ورد أن رسول الله ﷺ خطب فقال ما من الناس أحدا من علينا في صحبتته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذًا خليلا لا تتخذت أبا بكر خليلا وقال مانفعني مال كمال أبي بكر فاخلق حجبوا عن الله بالخلق في المنع والعطاء فالصوفي في الابتداء يفنى عن الخلق ويرى الأشياء من الله حيث طالع ناصيته التوحيد وخرق الحجاب الذي منع الخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعا ولا عطاء ويحجبه الحق عن الخلق فاذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجودا في المنع والعطاء بعد أن يرى المسبب أولا وذلك لسعة علمه وقوة معرفته يثبت الوسائط فلا يحبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه الحق عن الخلق كأرباب الارادة والمبتدئين فيكون شكره للحق لأنه المنعم والمعطى والمسبب ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أول ما يدعى إلى الجنة الحامدون الذين يحمدون الله تعالى في السراء والضراء وقال عليه السلام من عطش أو تجشى فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى به سبعين داء أهنها الجذام (وروى) جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من عبد ينعم عليه بنعمة فحمد الله إلا كان الحمد أفضل منها فقله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتمل أن يرضى الحق بها شكرا ويحتمل أن الحمد أفضل منها نعمة فتكون نعمة الحمد أفضل من النعمة التي حمد عليها فإذا شكروا المنعم الأول يشكرون الواسطة المنعم من الناس ويدعون له (روى) أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أفطر عند قوم قال أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ونزلت عليكم السكينة (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه قال أنا أحمد ابن محمد بن أحمد البزار قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن محمد البغوى قال أنا عمرو بن زرارة قال حدثنا عيينة بن يونس عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال لأخيه جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء * ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والمسلمين كافة فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتا وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة في اصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخاطبتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لصوفى تام الحال عالم رباني (روى) عن زيد ابن أسلم أنه قال كان نبي من الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس (وقال عطاء) لأنى يرانى الرجل سنين فيكتسب جاها يعيش فيه مؤمن آم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن أن يفتتن به خلق من الجهال المدعين ولا يصح هذا إلا لعبد اطلع الله على باطنه فعلم منه أن لا رغبة له فى شيء من الجاه والمال ولو أن ملوك الأرض وقفوا فى خدمته ما طغى ولا استطال ولو دخل إلى أتون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلا لآحاد من الخلق وأفراد من الصادقين ينسلخون عن ارادتهم واختيارهم ويكشفهم الله تعالى بمراده منهم فيدخلون فى الأشياء

بمراد الله تعالى فاذا علموا أن الحق يريد منهم المخالطة وبذل الجاه يدخلون في ذلك بغيبة صفات النفس وهذا لأقوام ماتوا ثم حشروا وأحكموا مقام الفناء ثم رقوا إلى مقام البقاء فيكون لهم في كل مدخل ومخرج برهان وبيان وإذن من الله تعالى فهم على بصيرة من ربهم وهذا ليس فيهم ارتياب لصاحب قلب مكاشف بصرح المراد في خفي الخطاب فيأخذ وقته أبدا من الأشياء ولم تأخذ الأشياء من وقته ولا يكون في قطر من الأقطار الا واحد متحقق بهذا الحال (قال) أبو عثمان الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه في أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل ولمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه (قال) سهل بن عبد الله لا يستحق الانسان الرياسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال يصرف جهله عن الناس ويحتمل جهل الناس ويترك ما في أيديهم ويبذل ما في يده لهم وهذه الرياسة ليست عين الرياسة التي زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه وانما هذه رياسة أقامها الحق لصلاح خلقه فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله تعالى

﴿ الباب الحادي والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف ﴾

روى عن رسول الله ﷺ انه قال ادبني ربّي فاحسن تأديبي فالأدب تهذيب الظاهر والباطن فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا أديبا وإنما سميت المأدبة مأدبة لاجتماعها على أشياء ولا يتكامل الأدب في العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق ومكارم الأخلاق مجموعها من تحسين الخلق فالخلق صورة الانسان والخلق معناه فقال بعضهم الخلق لاسبيل إلى تغييره كالخلق وقد ورد فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والأجل وقد قال تعالى لا تبدل خلق الله والأصح ان تبدل الأخلاق يمكن مقدور عليه بخلاف الخلق وقد روي عن رسول الله ﷺ انه قال حسنوا أخلاقكم وذلك ان الله تعالى خلق الانسان وهبأه لقبول الصلاح والفساد وجعله أهلا للأدب ومكارم الأخلاق ووجود الأهلية فيه كوجود النار في الزناد ووجود للنخل في النوى ثم ان الله تعالى بقدرته ألهم الانسان ومكانه من اصلاحه بالترية إلي ان يصير النوى نخلا والزناد بالعلاج حتى يخرج منه نار وكما جعل في نفس

الإنسان صلاحية الخير جعل فيها صلاحية الشر حال الإصلاح والافساد فقال سبحانه وتعالى (ونفس وما سواها فأطعمها فجورها وتقواها) فتسويتها بصلاحيتها للشيئين جميعاً ثم قال عز وجل (قد أفلح من زكاهما وقدخاب من دساها) فإذا تركت النفس تدبر بالعقل واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة وتهذبت الأخلاق وتكونت الآداب فالآداب استخراج مافي القوة إلى الفعل وهذا يكون لمن ركبت السجية الصالحة فيه والسجية فعل الحق لاقدره للبشر على تكوينها كتكون النار في الزناد إذ هو فعل الله المحض واستخراجه بكسب الآدمي فهكذا الآداب منبعها المجايا الصالحة والمنح الالهية ولما هيأ الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجاياء فيها توصلوا بحسن الممارسة والريضة إلى استخراج مافي النفوس مركزوز بخلق الله تعالى إلى الفعل فصاروا مؤدبين مهذبين والآداب تقع في حق بعض الأشخاص من غير زيادة ممارسة وريضة لقوة ما أودع الله تعالى في غرائزهم كما قال رسول الله ﷺ أدبني ربي فأحسن تأديبي وفي بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لتقصان قوي أصولها في الغريرة فلهذا احتاج المريدون إلى صحبة المشايخ لتكون الصحبة والتعلم عوناً على استخراج مافي الطبيعة إلى الفعل قال الله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) قال ابن عباس رضى الله عنهما فقهوم وأدبوم وفي لفظ آخر قال رسول الله ﷺ أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * قال يوسف ابن الحسين بالآداب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى (قيل) لما ورد أبو حفص العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقفا على رأسه ياتمرون لأمره لا يخطيء أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الآداب في الظاهر عنوان الآداب في الباطن قال أبو الحسين النوري ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تمتقط معها آداب الشريعة وآداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك

أدب الخدمة أعز من الخدمة (حكى) عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكننت ربما أقعد بمخاء الكعبة وربما كنت أستلقى وأمد رجلى لجاءتنى عائشة المكية فقالت لي يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم أقبل منى كلمة لا تجالسها إلا بآداب والأفيمحى اسمك من ديوان القرب قال أبو عبيد وكانت من العارفات وقال ابن عطاء النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب والنفس تجري بطباعها في مدان المخالفة والعبد يردها بمجتهده إلى حسن المطالبة فمن اعرض عن الجهد فقد أطلق عنان النفس وغفل عن الزاوية ومهما احاطه فهو شريكها وقال الجنيد من احاط نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه لأن العبودية ملازمة الأدب والطفيان سوء الأدب (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو النصر التبرقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال حدثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع (وروي) أيضا أنه قال عليه السلام ما نحل والد ولدا من نخلة أفضل من أدب حسن (وروت) عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه (وقال) أبو علي الدقاق العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبآدبه في طاعته إلى الله تعالى (قال) أبو القاسم القشيري رحمه الله كان الأستاذ أبو علي لا يستند إلى شيء فكان يوما في مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لاني رأيت غير مستند فتتجى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توفي الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقه أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلت أنه لا يستند إلى شيء أبدا (وقال) الجلالى البصرى التوحيد يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والإيمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد (وقال) بعضهم إنهم ألزم الأدب ظاهرا وباطنا فإساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب ظاهرا وإساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا قال بعضهم هو غلام الدقاق أنظرت إلي غلام أمرد فنظر إلى الدقاق وأنا أنظر إليه فقال لتجدن غيبها ولو بعد سنين قال

فوجدت غيبها بعد عشرين سنة إن أنسيت القرآن (وقال) سرى صليت وردى لية من الليالى ومددت رجلى فى الحراب فنوديت يامرى هكذا تجالس الملوك فضممت رجلى ثم قلت وعزتك لامتدت رجلى أبدا وقال الجنيد فبقى ستين سنة مامد رجله ليلا ولا نهارا (قال عبدالله) بن المبارك من تهاون بالادب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة (وسئل السرى) عن مسئلة فى الصبر فجعل يتكلم فيها فدب على رجله عقرب فجعلت تضربه بابرتهما فقبل له ألا تدفعها عن نفسك قال استحيى من الله ان اتكلم فى حال ثم أخالف ما أعلم فيه وقيل من أدب رسول الله ﷺ انه قال زويت لى الأرض فرأيت مشارفها ومغاربها ولم يقل رأيت (وقال) يس بن مالك الادب فى العمل علامة قبول العمل (وقال) ابن عطاء الآدب الوقوف مع المستحسنات قيل مامعناه قال ان تعامل الله سرا وعلمنا بالادب فاذا كنت كذلك كنت أديبا وان كنت أعجميا ثم أنشد

إذا نطقت جاءت بكل مليحة وإن سكنت جاءت بكل مליح

وقال الجريرى منذ عشرين سنة مامتدت رجلى فى الخلوة فان حسن الآدب مع الله أحسن وأولى * وقال أبو على ترك الآدب موجب للطرد فن أساء الادب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الادب على الباب رد إلى سياسة الدواب

❦ الباب الثانى والثلاثون فى آداب الحضرة الالهية لأهل القرب ❦

كل الآداب تتلقى من رسول الله ﷺ فانه عليه السلام مجمع الآداب ظاهرا وباطنا وأخبر الله تعالى عن حسن أدبه فى الحضرة بقوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) وهذه غامضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه المقدس فى الاعراض والاقبال اعرض عما سوى الله وتوجه إلى الله وترك وراء ظهره الأرضين والدار العاجلة بمحظوظها والسماوات والدار الآخرة بمحظوظها فما التفت إلى ما عرض عنه ولا لحقه الاسف على الغائب فى اعراضه قال الله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) فهذا الخطاب للعموم وما زاغ البصر أخبار عن حال النبي عليه السلام بوصف خاص من معنى ما خاطب به العموم

فكان مازاغ البصر حاله في طرف الاعراض وفي طرف الاقبال تلتى ماورد عليه في مقام قاب قوسين بالروح والقلب ثم فر من الله تعالى حياء منه وهيبة واجلالا وطوى نفسه بفراره في مطاوى انكساره واقتناده لكيلا تنبسط النفس فتطغى فان الطغيان عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى والنفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب تسترق السمع ومتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان يظهر منه فرط البسط والافراط في البسط يسد باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها عن المواهب فوسى عليه السلام صح له في الحضرة أحد طرفي مازاغ البصر وما التفت إلى مافاته وماطغى متأسفا لحسن أدبه ولكن امتلا من المنح واسترقت النفس السمع وتطلعت إلى القسط والحظ فلما حظيت النفس استغنت وطفح عليها ما وصل إليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال ارني أنظر إليك فنع ولم يطلق في فضاء المزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام وهذه دقيقة لارباب القرب والأحوال السنية فكل قبض بوجد عقوبة لأن كل قبض سدي وجه باب الفتوح والعقوبة بالقبض أوجبت الافراط في البسط ولو حصل الاعتدال في البسط ماجبت العقوبة بالقبض والاعتدال في البسط بإيقاف النازل من المنح على الروح والقلب والإيقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبي عليه السلام من تعيب النفس في مطاوى الانكسار فذلك الفرار من الله إلى الله وهو غاية الأدب حظى به رسول الله عليه الصلاة والسلام فمما قبله بالقبض فدام مز يده وكان قاب قوسين أو أدنى ويشا كل الشرح الذي شرحناه قول أبي العباس ابن عطاء في قوله تعالى (مازاغ البصر وماطغى) قال لم يره بطغيان يميل بل رآه على شروط اعتدال القوى وقال سهل ابن عبد الله التستري لم يرجع رسول الله ﷺ إلى شاهد نفسه ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكليته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبوت في ذلك المحل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز في ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي اجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن

أحمد بن منصور الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي قال
 أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر بن عبد الله بن علي السراج قال
 أنا أبو الطيب العكي عن أبي عبد الجري قال التمرع إلي استدرأك علم الانقطاع
 وسيلة والوقوف على حد الانحسار نجاة والياد بالهرب من علم الدنو وصلة واستقباح
 ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطاب تكلف وخوف
 فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حيز الاقبال مساءة والاصغاء إلى تلي
 ما ينفصل عن معدنه بعد والاستسلام عند التلاقى جراءة والانبساط في محل
 الانس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لاربابها وفي قوله تعالى مازاغ
 البصر وما طغى وجه آخر ألطف مما سبق مازاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة
 ولم يتقاصر وما طغى لم يسبق البصر البصيرة فيتجاوز حده ويتعدى مقامه بل
 استقام البصر مع البصيرة الظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والنظر مع القدم
 ففي تقدم النظر على القدم طغيان والمعنى بالنظر علم وبالقدم حال القالب فلم يتقدم
 النظر على القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف القدم عن النظر فيكون تقصيرا فلما
 اعتدلت الأحوال وصار قلبه كقلبه وقاله كقلبه وظاهره كباطنه وباطنه
 كظاهره وبصره كبصيرته حيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى
 انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره وآتي البراق ينتهي خطوه حيث ينتهي نظره
 لا يتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث المعراج فكان البراق بقلبه
 مشا كلا لمعناه ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه وأشار في حديث المعراج إلى
 مقامات الأنبياء ورأى في كل سماء بعض الأنبياء إشارة إلى تعويقهم وتخلفهم عن
 شأوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات فن هو في بعض السموات يكون
 قوله أرني أنظر إليك تجاوزا للنظر عن حد القدم وتخلقا للقدم عن النظر وهذا
 باهو الاخلال حد الوصفين من قوله تعالى مازاغ البصر وما طغى فرسول الله حمل
 مقترنا قدمه ونظره في حبال الحياء والتواضع ناظرا إلى قدمه قادما على نظره
 ولو خرج عن حبال الحياء والتواضع وتطال بالنظر متعديا حد التقدم تعوق في
 بعض السموات كتعوق غيره من الأنبياء فلم يزل ﷺ متجلس حجاله في خفارة

أدب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت إليه أقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب حجابا حجابا حتى استقام على صراط مازاغ البصر وماطنى فمر كالبرق الخاطف إلى مخدع الوصل واللطائف وهذا غاية في الأدب ونهاية في الأرب (قال) أبو محمد بن رويم حين سئل عن أدب المسافر فقال لا يجاوز همه قدمه فحيث وقف قلبه يكون مقره (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب اجازة قال أنا عمر بن أحمد قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال حدثنا القاضي أبو محمد يحيى بن منصور قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي قال حدثنا محمد بن رزام الابل قال حدثنا محمد بن عطاء الهجيمي قال حدثنا محمد بن نصير عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية رب أدنى أنظر إليك قال قال ياموسى انه لا يرانى حى الامات ولا يابس الاتدهده ولا رطب الاتفرق إنما يرانى أهل الجنة الذين لانموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يختص ببعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لان الله تعالى أمر بالدعاء وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب المآرب والحاجات النبوية حتى رفعه الحق مقاما في القرب وأذن له في الانبساط وقال أطلب منى ولو ملحا لمجيبك فلما بسط انبسط وقال رب انى لما أنزلت إلى من خير فقير لأنه كان يسأل حوائج الآخرة ويستعظم الحضرة ان يسأل حوائج الدنيا لحقارتها وهو في حجاب الحشمة عن سؤال المحقرات ولهذا مثال في الشاهد فان الملك المعظم يسأل المعظما ويحتشم في طلب المحقرات فلما رفع بساط حجاب الحشمة صار في مقام خاص من القرب يسأل الحقير كما يسأل الخطير قال ذو النون المصرى أدب العارف فوق كل أدب لأن معروفه مؤدب قلبه * وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى من أزمته القيام مع أسمائى وصفائى أزمته الأدب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتي أزمته العطب فاختر أيهما شئت الأدب أو العطب وقول القائل هذا يشير إلى ان الأسماء والصفات تستقل بوجود محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحفظ النفس ومع لمعان نور غضة الذات تتلاشى الآثار بالانواد

ويكون معنى العطب التحقق بالفناء وفي ذلك العطب نهاية الارب (وقال) أبو علي الدقاق في قوله تعالى وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين لم يقل ارحمنى لانه حفظ أدب الخطاط وقال عيسى عليه السلام (ان كنت قلتة فقد علمته) ولم يقل لم أقل رعاية لادب الحضرة * وقال أبو نصر السراج أدب أهل الخصوصية من أهل الدين في طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادى والعوائق واستواء السر والعلانية وحسن الادب في مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور والادب أدبان أدب قول وأدب فعل فمن تقرب إلى الله تعالى بادب فعله منحه محبة القلوب (قال ابن المبارك) نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الادب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف * وقال النورى من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ذوالنون إذا خرج المريد عن حداستعمال الأدب فانه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قدأكثر الناس فى الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه اشارة منه إلى ان النفس هى منبع الجهالات وترك الأدب من مخامرة الجهل فاذا عرف النفس صادف نورالعرفان على ماورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ولهذا النور لا تظهر النفس بجمالة الا ويقمعها بصريح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام باداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر

❦ الباب الثالث والثلاثون فى اداب الطهارة ومقدماتها ❦

قال الله تعالى فى وصف أصحاب الصفة فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قيل فى التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء قال الكلى هو غسل الادبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة روى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما نزلت هذه الآية ان الله تعالى قد اثنى عليكم فى الطهور فما هو قالوا اننا لمنتجى بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار وهكذا كان الاستنجاء فى الابتداء حتى نزلت الآية فى أهل قباء قيل لسلمان قد علمكم نبيكم كل شئ حتى الخراءة فقال سلمان

أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول. أو نستنجي باليمين أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو عظم (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أنا أبو منصور الحرملي قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا أبو علي اللؤلؤي قال أنا أبو داود قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا ابن المبارك عن ابن عجلان عن الققعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال عليه السلام إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب يمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة (والفرض) في الاستنجاء شيآن إزالة الخبث وطهارة المزبل وهو أن لا يكون رجيعة وهو الروث ولا مستعملا مرة أخرى ولا رمة وهي عظم الميتة ووتر الاستنجاء سنة فلما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية يحبون أن يتطهروا ولما سئلوا عن ذلك قالوا كنا نتبع الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضا طاهرة وترابا طاهرا * وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المخرج قبل ملاقة النجاسة ويمره بالمسح ويدبر الحجر في مره حتى لا ينقل النجاسة من موضع إلى موضع يفعل ذلك إلى أن ينتهي إلى مؤخر المخرج ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمسح إلى المقدمة ويأخذ الثالث ويدبره حول الممرية وان استجمر بحجر ذي ثلاث شعب جاز وأما الاستبراء إذا انقطع البول فيمد ذكره من أصله ثلاثا إلى الحشفة بالرفق لثلاثا يندفق بقية البول ثم ينثره ثلاثا ويحتاط في الاستبراء بالاستنقاء هو أن يتنحج ثلاثا لأن العروق ممتدة من الحلق إلى الذك وبالتنحج تتحرك وتقذف ما في مجرى البول فان مشى خطوات وزاد في التنحج فلا بأس ولكن يراعى حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بالسوسة فيضيع الوقت ثم يمسح الذك ثلاث مسحات أو أكثر إلى أن لا يرى الرطوبة وشبه بعضهم الذك بالضرع وقال لا يزال تظهر منه الرطوبة ما دام يمد فيراعى الحد في ذلك ويراعى الوتر في ذلك أيضاً والمسحات تكون على الأرض الطاهرة

أو حجر طاهر وإن احتاج إلى أخذ الحجر لصغره فليأخذ الحجر باليمين والدكر باليسار ويمسح على الحجر وتكون الحركة باليسار لاليمين لئلا يكون مستنجبا باليمين وإذا أراد استعمال الماء انتقل إلى موضع آخر وينقع الحجر ما لم ينتشر البول على الحشفة وفي ترك الاستنقاء في الاستبراء وعيد ورد فيما رواه عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستبرئ أو لا يستنزه من البول وأما هذا فكان يمشى بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنتين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا والعسيب الجريد وإذا كان في الصحراء يبعد عن العيون * روى جابر رضي الله عنه ان النبي ﷺ كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد * وروى المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأتى النبي عليه السلام حاجته فأبعد في المذهب * وروي ان النبي عليه السلام كان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل وكان يستتر بحائط أو نشز من الأرض أو كوم من الحجارة ويجوز أن يستتر الرجل براحتيه في الصحراء أو بذيله إذا حفظ الثوب من الرشاش ويستحب البول في أرض دمنة أو على تراب مهيل قال أبو موسى كنت مع رسول الله ﷺ فأراد أن يبول فأتي دمناء في أصل جدار فبال ثم قال إذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله وينبغي أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال القبلة في البنيان والاولى اجتنابه لذهاب بعض الفقهاء إلى كراهية ذلك في البنيان أيضا ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض ويتجنب مهاب الرياح احترازا من الرشاش * قال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا أحسبك تحسن الخراءة فقال بلى وأبيك اني بها لحاذق قال فصفها لي فقال أبعد الشر وأعد المدر وأستقبل الشيخ وأستدبر الريح وأقعى اقعاء الظبي وأجفل اجفال النعام يعني أستقبل أصول النباتات من الشيخ وغيره وأستدبر الريح احترازا من الرشاش والاقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه والاجفال أن يرفع عجزه * ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

وطهر قلبي من الرياء وحصن فرجي من الفواحش ويكره أن يبول الرجل في المغتسل * روى عبدالله بن مغفل أن النبي عليه السلام نهى أن يبول الرجل في مستحمة وقال أن عامة الوسواس منه * وقال ابن المبارك يوسع في البول في المستحمة إذا جرى فيه الماء وإذا كان في البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاء ويقول قبل الدخول بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث (حدثنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي قال أنا أبو منصور المقرئ قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا أبو علي اللؤلؤي قال أنا أبو داود قال حدثنا عمر وهو ابن مرزوق البصري قال حدثنا شعبة عن قتادة عن النضر ابن أنس عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه قال ان هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف في البيوت وقوله محتضرة أي يحضرها الشياطين وفي الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولغ بيده ولا يخط الأرض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا للحاجة إلى ذلك ولا يتكلم فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عوراتهما يتحدثان فإن الله تعالى يمقت على ذلك ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني مايؤذيي وأبقى على ماينفعني ولا يستصحب معه شيئاً عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس * روت عائشة رضي الله عنها عن أبيها أبي بكر رضي الله عنه أنه قال استحيوا من الله فاني لأدخل الكنيف فأزق ظهري وأغطي رأسي استحياء من ربي عز وجل

﴿الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره﴾

إذا أراد الوضوء يبتدئ بالسواك (حدثنا) شيخنا أبو النجيب قال أنا أبو عبدالله الطائي قال أنا الحافظ الفراء قال أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي قال أنا أبو منصور محمد بن أحمد قال أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار قال ثنا حميد بن زنجويه قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة بن

عبد الرحمن عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لأخرت العشاء إلى ثلث الليل وأمرتهم بالسواك عند كل مكتوبة وروت عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك والشوص ذلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير الفم من أزم وغيره وأصل الأزم امساك الأسنان بعضها على بعض وقيل للسكوت أزم لأن الأسنان تنطق وبذلك يتغير الفم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويندى السواك اليابس بالماء ويستاك عرضاً وطولاً فإن اقتصر فعرضاً فإذا فرغ من السواك يغسله ويجلس للوضوء والأولى أن يكون مستقبل القبلة ويتسدى بيسم الله الرحمن الرحيم ويقول رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ويقول عند غسل اليد اللهم إني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ويقول عند المضمضة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ويقول عند الاستنشاق اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأوجدني رائحة الجنة وأنت عني راض ويقول عند الاستنثار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك من روائح النار وسوء الدار ويقول عند غسل الوجه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويبض وجهي يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك وعند غسل اليمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وآتني كتابي يميني وحاسبني حساباً يسيراً وعند غسل الشمال اللهم إني أعوذ بك أن توثقني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري وعند مسح الرأس اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وغشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ويقول عند مسح الأذنين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم أسمعني منادى الجنة مع الأبرار ويقول في مسح العنق اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى اللهم

صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين ويقول
عند اليسرى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل قدمي عن
الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين وإذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه الى
السماء ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وغللت نفسي أستغفرك
وأتوب اليك فاغفر لي وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد واجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني صبورا
شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا * وفرائض الوضوء النية
عند غسل الوجه وغسل الوجه وحد الوجه من مبتدأ تمطيط الوجه الى منتهى الذقن
وما ظهر من اللحية وما استرسل منها ومن الأذن إلى الأذن عرضا ويدخل في الغسل
البياض الذي بين الاذنين واللحية وموضع الصلع وما انحسر عنه الشعر وما النزعتان
من الرأس ويستحب غسلهما مع الوجه ويوصل الماء الى شعر التحذيف وهو القدر
الذي يزيله النساء من الوجه ويوصل الماء الى العنققة والشارب والحاجب والعدار
وما عدا ذلك لا يجب ثم اللحية إن كانت خفيفة يجب ايصال الماء الى البشرة وحد
الخفيف أن ترى البشرة من تحته وان كانت كثيفة فلا يجب ويجتهد في تنقية
مجتمع الكحل من مقدم العين (الواجب الثالث) غسل اليدين الى المرفقين
ويجب ادخال المرفقين في الغسل ويستحب غسلهما الى انصاف العضدين وان طالت
الاظافر حتى خرجت من رءوس الاصابع يجب غسل ما تحتها على الاصح (الواجب
الرابع) مسح الرأس ويكفي ما يطلق عليه اسم المسح واستيعاب الرأس بالمسح
سنة وهو أن يلمص رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدها
إلى القفا ثم بردها إلى الموضع الذي بدأ منه وينصف بلل الكفين مستقبلا ومستدبرا
والواجب الخامس غسل القدمين ويجب ادخال الكعبين في الغسل ويستحب غسلهما
إلى انصاف الساقين ويقنع غسل القدمين من الكعبين ويجب تحليل الاصابع الملتفة
فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن القدم ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر
اليسرى وان كان في الرجل شقوق يجب ايصال الماء إلى باطنها وان ترك فيها عجينا

أو شحما يجب ازالة عين ذلك الشيء (الواجب السادس) الترتيب على النسق المذكور في كلام الله تعالى (الواجب السابع) التتابع في القول القديم عند الشافعي رحمه الله تعالى وحد التفريق الذي يقطع التتابع نشاف العضو مع اعتدال الهواء ﴿ وسن الوضوء ثلاثة عشر ﴾ التسمية في أول الطهارة وغسل اليدين إلى الكوعين والمضمضة والاستنشاق والمبالغة فيهما فيغرغر في المضمضة حتي يرد الماء إلى الغلصمة ويستمد في الاستنشاق الماء بالنفس إلى الخياشيم ويرفق في ذلك ان كان صائما وتحليل اللحية الكثيفة وتحليل الأصابع المنفرجة والبداة بالميا من واطالة الغرة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الأذنين والتثليث وفي القول الجديد التتابع ويحتمل ان يزيد على الثلاث ولا ينفذ اليد ولا يتكلم في اثناء الوضوء ولا يلطم وجهه بالماء لظا وتجديد الوضوء مستحب بشرط ان يصلى بالوضوء ماتيسر والا فمكروه

﴿ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء ﴾
 آداب الصوفية بعد التيام بمعرفة الأحكام * آدابهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة في الصلاة ومن آدابهم استدامة الوضوء والوضوء سلاح المؤمن والجوارح إذا كانت في حماية الوضوء الذي هو أثر شرعى يقل طروق الشيطان عليها * قال عدى بن حاتم ما أقيمت صلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء وقال أنس بن مالك قدم النبي عليه الصلاة والسلام المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان سنين فقال لي يابن ان استطعت أن لاتزال على الطهارة فافعل فإنه من أناء الموت وهو على الوضوء أعطى الشهادة فشأن العاقل أن يكون أبدا مستعدا للموت ومن الاستعداد لزوم الطهارة (وحكى) عن الحصرى انه قال مهما انتبه من الليل لا يحملنى النوم إلا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء لئلا يعود إلى النوم وأنا على غير طهارة وسمعت من صحب الشيخ على ابن الهيثمى انه كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما انتبه يقول لا أكون أسأت الأدب (١٤ - عوارف المعارف)

فيقوم ويمجدد الوضوء ويصلي ركعتين (وروى) أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دف لعليك بين يدي في الجنة قال ما عملت عملا في الاسلام أرجى عندي أني لم أظهر طهرا في ساعة ليل أو نهار الا صليت لربي عز وجل بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي ومن أدا بهم في الطهارة ترك الاسراف في الماء والوقوف على حد العلم (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أخبرنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو داود قال حدثنا خارجة ابن مصعب عن يونس بن عبيد عن الحسن عن يحيى بن ضمرة السعدي عن أبي ابن كعب عن النبي ﷺ أنه قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء قال أبو عبد الله الروذباري ان الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به أو ينقصوا عنه (وحكى) عن ابن الكرنبي انه اصابته جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة مخبئة غليظة فجاء إلى الدجلة وكان برد شديد فحرت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت ان لا أنزعها من بدني حتى تجف على فكنث عليه شهرا لثخانتها وغلظها أدب بذلك نفسه لما حرت عن الاتمار لأمر الله تعالى (وقيل) ان سهل بن عبد الله كان يحث أصحابه على كثرة شرب الماء وقلة صبه على الأرض وكان يرى ان في الاكثار من شرب الماء ضعف النفس وامانة الشهوات وكسر القوة ومن أفعال الصوفية الاحتياط في استبقاء الماء للوضوء (قيل) كان إبراهيم الخواص إذا دخل البادية لا يحمل معه الا ركة من الماء وربما كان لا يشرب منها إلا القليل يحفظ الماء للوضوء وقيل انه كان يخرج من مكة إلى الكوفة ولا يحتاج إلى التيمم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل للشرب وقيل إذا رأيت الصوفي ليس معه ركة أو كوز فاعلم انه قدم عزم على ترك الصلاة شاء أم أبي وحكى عن بعضهم أنه أدب نفسه في الطهارة إلى حد أنه أقام بين ظهرا نبي جماعة من النساك وهم مجتمعون في دار فما رآه أحد منهم أنه دخل الخلاء لأنه

كان يقضى حاجته إذا خلا الموضوع في وقت يريد تأديب نفسه وقيل مات الخواص في جامع الرى في وسط الماء وذلك انه كان به علة البطن وكلما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخله مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على الوضوء والطهارة * وقيل كان ابراهيم بن آدم به قيام فقام في ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة كل مرة بمجدد الوضوء ويصلي ركعتين وقيل ان بعضهم أدب نفسه حتى لا يخرج منه الريح الا في وقت البرازيراعى الادب في الخلوات واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه قوم وقالوا ان الوضوء يوزن وأجازه بعضهم ودليلهم ما أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر قال أنا أبو محمد قال أنا أبو العباس قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا عبد الوهاب بن وهب عن زيد بن حبان عن أبي معاذ عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان لرسول الله ﷺ خرقة ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء * وروى معاذ بن جبل قال رأيت رسول الله ﷺ إذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه واستقصاء الصوفية في تطهير البواطن من الصفات الرديئة والأخلاق المذمومة لا الاستقصاء في طهارة الظاهر إلى حد يخرج عن حد العلم وتوضأ عمر رضى الله عنه مع جرة نصرانية مع كون النصارى لا يحتززون عن الحجر وأجرى الأمر على الظاهر وأصل الطهارة وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يصلون على الأرض من غير سجادة ويمشون حفاة في الطرق وقد كانوا لا يجعلون وقت النوم بينهم وبين التراب حائلا وقد كانوا يقتصرون على الحجر في الاستنجاء في بعض الأوقات وكان أمرهم في الطهارة الظاهرة على التماهل واسقصاصهم في الطهارة الباطنة وهكذا شغل الصوفية وقد يكون في بعض الأشخاص تشدد في الطهارة ويكون مستند ذلك دعوة النفس فلو اتسخ ثوبه تخرج ولا يبالي بما في باطنه من الغل والحقد والكبر والعجب والرياء والنفاق ولعله ينسکر على الشخص لو داس الأرض حافيا مع وجود رخصة الشرع ولا ينسکر عليه ان يتكلم بكلمة غيبة يخرج بهادينه وكل ذلك من قلة العلم وترك التأدب بصحبة الصادقين من العلماء الراسخين وكانوا يكرهون كثرة الدلك في الاستبراء لأنه ربما يسترخي العرق

ولا يمسك البول ويتولد منه القطر المفرط (ومن حكاية) المتصوفة في الوضوء والطهارات أن أبا عمرو الزجاجي جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لا يتغوط في الحرم ويخرج إلى الحل وأقل ذلك فرسخ (وقيل) كان بعضهم على وجهه قرح لم يندمل اثنتي عشرة سنة لأن الماء كان يضربه وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة وبعضهم نزل في عينه الماء فحملوا إليه المداوى وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال المداوى يحتاج إلى ترك الوضوء أيا ما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء

﴿الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها﴾

(روى) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ثلاثا وشهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله ﷺ أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت وصلى بي الظهر واشتقاق الصلاة قيل من الصلّى وهو النار والخشبة المعوجة إذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفي العبد اعوجاج لوجود نفسه الأمارة بالسوء وسبحات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها المصلّى من وهج السطوة الإلهية والعظمة الربانية ما يزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراج به المصلّى كالمصطفى بالنار ومن اصطفى بنار الصلاة وزال بها اعوجاجه لا يعرض على نار جهنم إلا تحلة القسم (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن إسماعيل القزويني إجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس بن محمد بن أبي العباس الخليلي قال أنا أبو سعيد القرخزاذي قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أنا أبو القاسم الحسن بن محمد ابن الحسن قال أنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري قال حدثنا جعفر بن أحمد ابن الحافظ قال أنا أحمد بن نصير قال حدثنا آدم بن أبي إياس عن ابن سمعان عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عز وجل مجدي عبدي فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدي عبدي فإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اننى على عبدي فإذا قال مالك يوم الدين قال فوض إلي عبدي فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سأل * فالصلاة صلة بين الرب والعبد وما كان صلة بينه وبين الله خفى العبد أن يكون خاشعا لصولة الربوبية على العبودية وقد ورد أن الله تعالى إذا تجلى لشيء خضع له ومن يتحقق بالصلة في الصلاة تابع له طوابع التجلي فيخشع والفلاح للذين هم في صلاتهم خاشعون وبانتفاء الخشوع ينتفى الفلاح وقال الله تعالى (وأقم الصلاة لذكري) وإذا كانت الصلاة للذكر كيف يقع فيها النسيان قال الله تعالى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلى وقد نهى الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء لا بحضور عقل والغافل يصلى لا بحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى (فاخلع نعليك انك بالواذى المقدس طوى) قيل نعليك همك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون يمينا وشمالا فلما نزلت (الذين هم في صلاتهم خاشعون) جعلوا وجوههم حيث يسجدون وما رؤى بعد ذلك أحد منهم ينظر إلى الأرض (وروي) أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد إذا قام إلى الصلاة فانه بين يدي الرحمن فإذا التفت قال له الرب إلى من تلتفت إلى من هو خير لك منى ابن آدم أقبل إلى فأنا خير لك ممن تلتفت اليه * وأبصر رسول الله ﷺ رجلا يعبت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه وقد قال رسول الله ﷺ إذا صليت فصل صلاة مودع فالمصلى سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودنياه وكل شيء سواه والصلاة في اللغة هي الدماء فكان المصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها السنة يدعو بها ظاهرا

وباطنا ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب وفي الهيات تملقات متضرع
سائل محتاج فاذا دعا بكليته أجابه مولاه لأنه وعده فقال (ادعوني أستجب
لكم) كان خالد الربعي يقول عجبت لهذه الآية (ادعوني أستجب لكم) أمرهم
بالدعاء ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والاجابة هي تفوذ دعاء
العبد فان الداعي الصادق العالم بمن يدعو به بنور يقينه فتخرق الحجب وتقف
الدعوة بين يدي الله تعالى متقاضية للحاجة وخص الله تعالى هذه الامانة بانزال
فاتحة الكتاب وفيها تقديم الثناء على الدعاء ليكون أسرع إلى الاجابة وهي تعليم
الله تعالى عباده كيفية الدعاء وفاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن العظيم
قيل سميت مثاني لأنها نزلت على رسول الله ﷺ مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة
وكان لرسول الله ﷺ بكل مرة نزلت منها فهم آخر بل كان لرسول الله ﷺ
بكل مرة يقرأها على الترداد مع طول الزمان فهم آخر وهكذا المصلون المحققون
من أمتهم ينكشف لهم عجائب أسرارها وتتذف لهم كل مرة درر بحارها وقيل
سميت مثاني لأنها استئنيت من الرسل وهي سبع آيات * وروت أم رومان
قالت رأني أبو بكر وأنا آتميل في الصلاة فزجرني زجرا كدت أن أنصرف عن
صلاتي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليستكن
أطرافه لا يتميل تميل اليهود فان سكون الأطراف من تمام الصلاة وقال رسول الله
ﷺ تعوذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن
ونفاق القلب فأما تميل اليهود قيل كان موسى يعامل بني اسرائيل على ظاهر الأمور
لقلة ما في باطنهم فكان يهين الأمور ويعظمها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى اليه
أن يحلى التوراة بالذهب ووقع لي والله أعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في
صلاته ومحال مناجاته فيموج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم
الأمواج فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه
نسائم القلب وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الالهية فتهم بالاستعلاء
وللقالب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القلب ويتمايل فرأى اليهود ظاهره فتمايلوا
من غير حظ لبواطنهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ انكارا على

أهل الوسوسة هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بنى اسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وان الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيا لاهيا واعلم ان الله تعالى أوجب الصلوات الخمس وقد قال رسول الله ﷺ الصلاة عماد الدين فمن ترك الصلاة فقد كفر فبالصلاة تحقيق العبودية واداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل إلى تحقيق سر الصلاة * قال سهل بن عبد الله يحتاج العبد إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج إلى للنوافل لتكميل السنن ويحتاج إلى الآداب لتكميل النوافل ومن الأدب ترك الدنيا والذي ذكره سهل هو معنى ما قال عمر على المنبر ان الرجل ليشيب عارضا في الاسلام وما أكمل لله صلاه قيل وكيف ذاك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله فيها * وقد ورد في الأخبار ان العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكببيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم المصلي من ناجى ما التفت أو ما اتقتل وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة مافرق على أهل السموات فله ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله لا يرفعون من الركوع إلى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والقعود والعبد المتيقظ يتصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم وبينهم وفي غير الفريضة ينبغي للمصلي أن يعمك في ركوعه متلذذا بالركوع غير مهتم بالرفع منه فان طريقته سامة بحكم الجبلة استغفر منها ويستديم تلك الهيئة ويتطلع أن يذوق الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يترأى للراكع المحقق أنه ان سبق همه في حال الركوع أو السجود إلى الرفع منه ما وفى الهيئة حقها فيكون همه الهيئة مستغرقاً فيها مشغولاً بها عن غيرها من الهيات فبذلك يتوفر حظه من بركة كل هيئة فان السرعة التي يتقاضى بها الطبع تسد باب الفتوح ويقف في مهاب النفحات الالهية حتى يتكامل حظ العبد فتتمحى آثاره بحسن الاسترسال ويستقر في مقعد الوصال (وقيل) في الصلاة أربع هيات وستة أذكار

فأهليّات الأربع القيام والقعود والركوع والسجود والأذكار الستة التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فصارت عشرة كاملة تفرق هذه العشرة على صفوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف فيجتمع في الركعتين ما يفرق على مائة ألف من الملائكة

﴿الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب﴾

ونذكر في هذا الفصل كيفية الصلاة بهيأتها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على الكمال باقضى ما ينتهي إليه فهمنا وعلمنا على الوجه مع الاعراض عن نقل الأقوال في كل شيء من ذلك إذ في ذلك كثرة ويخرج عن حد الاختصار ولا يجاز المقصود فنقول وبالله التوفيق ينبغي للعبد أن يستعد للصلاة قبل دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء في وقت الصلاة فذلك من المحافظة عليها ويحتاج في معرفة الوقت إلى معرفة الزوال وتفاوت الأقدام لطول النهار وقصره ويعتبر الزوال بأن الظل مادام في الانتقاص فهو النصف الأول من النهار فإذا أخذ الظل في الازدياد فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس وإذا عرف الزوال وان الشمس على كم قدم تزول يعرف أول الوقت وآخره ووقت العصر ويحتاج إلى معرفة المنازل ليعلم طلوع الفجر ويعلم أوقات الليل وشرح ذلك يطول ويحتاج أن يفرد له باب فإذا دخل وقت الصلاة يقدم السنة الراتبية في ذلك سر وحكمة ذلك والله أعلم أن العبد تشعث باطنه وتفرق همه لما يلي به من المخالطة من الناس وقيامه بمهام المعاش وأوسه وجرى بوضع الجبلية أو صرف هم إلى أكل أو نوم بمقتضى العادة فإذا قدم السنة يجذب باطنه إلى الصلاة ويتهيأ للمناجاة ويذهب بالسنة الراتبية أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعداً للفريضة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ثم يحدد التوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة الكبائر والصغائر هما أوماً إليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة والخاصة ذنوب حال الشخص فكل عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله ويعرفها صاحبها وقيل حسنات الأبرار سيئات المقربين * ثم لا يصلي إلا جماعة قال رسول الله ﷺ تفضل صلاة الجماعة

صلاة الفذ بصبح وعشرين درجة ثم يستقبل القبلة بظاهره والحضرة الالهية بباطنه وقرأ قل أعوذ برب الناس وقرأ في نفسه آية التوجه وهذا التوجه قبل الصلاة والاستفتاح قبل الصلاة لوجهه الظاهر بانصرافه إلى القبلة وتخصيص جهته بالتوجه دون جهة الصلاة ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تكون كفاه حذو منكبيه واجهاماه عند شحمة أذنيه ورؤس الأصابع مع الأذنين ويضم الأصابع وان نشرها جاز والضم أولى فانه قيل النشر نشر الكف لانشر الأصابع ويكبر ولا يدخل بين باء أكبر ورأه ألفا ويجزم أكبر ويجعل المد في الله ولا يبلغ في صم الهاء من الله ولا يبتدىء بالتكبير إلا إذا استقرت اليدان حذو المنكبين ويرسلهما مع التكبير من غير تقض فالوقار إذا سكن القلب تشككت به الجوارح وتأيدت بالأولى والأصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير انه يصلي الصلاة بعينها (وحكى) عن الجنيد انه قال لكل شيء صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى وانما كانت التكبيرة صفوة لأنها موضع النية وأول الصلاة قال أبو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول النية بالله من الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد النية من العدو ونصيب العدو وإن كثرت لا يوازن بالنية التي هي لله بالله وإن قل (وسئل) أبو سعيد الخزاز كيف الدخول في الصلاة فقال هو أن تقبل على الله تعالى اقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدي من أنت واقف فانه الملك العظيم (وقيل) لبعض العارفين كيف تكبر التكبيرة الأولى فقال ينبغي إذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك في الله التعظيم مع الألف والهيبة مع اللام والمراقبة والقرب مع الهاء واعلم ان من الناس من إذا قال الله أكبر غاب في مطالعة العظمة والكبرياء وامتلاً بباطنه نورا وصار الكون بأسره في فضاء شرح صدره كخردلة بأرض فلاة ثم تلقى الخردلة فما يخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخيل في الباطن من السكون الذي صار بمثابة الخردلة فألقيت فكيف تراحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تراحم مطالعة العظمة والغيبوبة في ذلك كون النية غير أنه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز

بالنية فتكون النية موجودة بألطف صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج
الكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض بيده اليمنى يده اليسرى ويحملهما بين السرة
والصدر واليمنى لسكرامتها تجعل فوق اليسرى ويمد المصبحة والوسطى على الساعد
ويقبض بالثلاثة البواقى اليسرى من الطرفين وقد فسر أمير المؤمنين على رضى الله عنه
قوله تعالى (فصل ربك وانحر) قال انه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر وذلك ان تحت
الصدر عرقا يقال له الناحراى ضع يدك على الناحر وقال بعضهم (وانحر) أى استقبل
القبلة بنحرك وفى ذلك سر خفى يكشف به من وراء أستار الغيب وذلك ان الله تعالى
بلطيف حكمته خلق الآدمى وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد وحيه ونجبة
ما فى أرضه وسمائه روحانيا وجسمانيا أرضيا سماويا منتصب القسامة مرتفع الهيئة
فنصفه الأعلى من حد الفؤاد مستودع أسرار السموات ونصفه الأسفل مستودع
أسرار الأرض فجعل نفسه ومركزها النصف الأسفل ومحل روحه الروحاني والقلب
النصف الأعلى لجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتحادبان وباعتبار
تطاردهما وتغالبيهما تكون لمة الملك ولمة الشيطان ووقت الصلاة يكثر التطارد
لوجود التجاذب بين الايمان والطبع فيكشف المصلى الذى صار قلبه سماويا
مترددا بين الفناء والبقاء لجواذب النفس متصاعدة من مركزها وللجوارح
وتصرفها وحركتها مع معانى الباطن ارتباط وموازنة فبوضع اليمنى على الشمال
حصر النفس ومنع من صعود جواذبها وأثر ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال
حديث النفس فى الصلاة ثم إذا استوت جواذب الروح وتملكت من الفرق إلى
القدم عند كمال الأنس وتحقق قرة العين واستيلاء سلطان المشاهدة تصير النفس
مقهورة ذليلة ويستتير مركزها بنور الروح وتنقطع حينئذ جواذب النفس وعلى
قدر استئثار مركز النفس يزول كل العبادة ويستغنى حينئذ عن مقاومة النفس ومنع
جواذبها بوضع اليمين على الشمال فيسبل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم ما نقل عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان مسبلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم يقرأ
وجهته وجهى الآية وهذا التوجه انقاء لوجه قلبه والذي قبل الصلاة لوجه قلبه ثم
يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك اللهم أنت

الملك لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت
بذنبي فاغفر لى ذنوبي جميعاً انه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق
فانه لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف عنى سيئها إلا أنت
لبيك وسعديك فالخير كله بيدك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك ويطرق
رأسه فى قيامه ويكون نظره إلى موضع السجود ويكمل القيام بانتصاب القامة ونزع يسير
الانطواء عن الركبتين والخواصر ومعاطف البدن ويقف كأنه ناظر بجميع جسده
إلى الأرض فهذا من خشوع سائر الأجزاء ويتكون الجيد بتكون القلب من الخشوع
ورواح بين القدمين بمقدار أربع أصابع فان ضم الكعبين هو الصنف المنهى عنه ولا
يرفع احدى الرجلين فانه الصنف المنهى عنه نهى رسول الله ﷺ عن الصنف والصنف
وإذا كان الصنف منها عنه فى زيادة الاعتماد على احدى الرجلين دون الأخرى معنى
من الصنف فالأولى رعاية الاعتدال فى الاعتماد على الرجلين جميعاً ويكره اشتغال الصماء
وهو أن يخرج يده من قبل صدره ويجتنب السدل وهو أن يرخى أطراف الثوب إلى
الأرض ففيه معنى الخيلاء وقيل هو الذي يلتف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركم
ويسجد كذلك وفى معناه ما إذا جعل يديه داخل القميص ويجتنب الكف وهو أن يرفع
ثيابه بيده عند السجود ويكره الاختصار وهو أن يجعل يده على الخاصرة ويكره الصلب
وهو وضع اليدين جميعاً على الخصرين وتجاوى العضدين فاذا وقف فى الصلاة على الهيئة
التي ذكرناها مجتنباً للمكروه فقد تم القيام وكمله فيقرأ آية التوجه والدعاء كما ذكرناه
ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقولها فى كل ركعة أمام القراءة ويقرأ الفاتحة
وما بعدها بحضور قلب وجمع هم ومواطأة بين القلب واللسان يحفظ وافر من الوصلة
والدنو والهيبة والخشوع والخشية والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة وإن قرأ بين
الفاتحة وما يقرأ بعدها إذا كان إماماً فى السكتة الثانية اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما
باعدت بين المشرق والمغرب ونقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم
اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد فحسن وإن قالها فى السكتة الأولى فحسن * روى عن
النبي عليه السلام أنه قال ذلك وإن كان منفرداً يقولها قبل القراءة ويعلم العبد أن تلاوته
نطق اللسان ومعناها نطق القلب وكل مخاطب لشخص يتكلم بلسانه ولسانه يعبر عما فى

قلبه ولو أمكن المتكلم افهام من يكلمه من غير لسان فعل ولكن حيث تعذر الافهام إلا بالكلام جعل اللسان ترجمانا فاذا قال باللسان من غير مواعظ القلب فإلى اللسان ترجمانا ولا القارئ متكلماً قاصداً اسماع الله حاجته ولا مستمعاً إلى الله فأما عنه سبحانه ما يخاطبه وما عنده غير حر كة اللسان بقلب غائب عن قصد ما يقول فينبغي أن يكون متكلماً مناجياً أو مستمعاً واعياً فأقل مراتب أهل الخصوص في الصلاة الجمع بين القلب واللسان في التلاوة ووراء ذلك أحوال للخواص يطول شرحها (قال بعضهم) ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها غير ما أقول * وقيل لعاصم بن عبد الله هل تجدد في الصلاة شيئاً من أمور الدنيا فقال لأن تختلف على الأسنة أحب إلى من أن أجدد في الصلاة ما تجددون * وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من أمور الدنيا فقال لا في الصلاة ولا في غيرها ومن الناس من إذا أقبل على الله في صلاته يتحقق بمعنى الانابة لأن الله تعالى قدم الانابة وقال منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة فينبى إلى الله تعالى ويتقى الله تعالى ولتبرى عما سواه وقيم الصلاة بصدر منشرح بالاسلام وقلب منفتح بنور الانعام فتخرج الكلمة من القرآن من لسانه ويسمعا بقلبه فتقع الكلمة في فضاء قلب ليس فيه غير هافيتملكها القلب بحسن الفهم ولذيذ نعمة الاصغاء ويتشربها بحلاوة الاستماع وكمال الوعي ويدرك لطيف معناها وشریف فخواها معاني تطف عن تفصيل الذكر وتشكل بخفي الفكر ويصير الظاهر من معاني القرآن قوت النفس فالنفس المطمئنة متعرضة بمعاني القرآن عن حديثها لكونها معاني ظاهرة متوجهة إلى عالم الحكمة والشهادة تقرب مناسبتها من النفس المكونة لاقامة رسم الحكمة ومعاني القرآن الباطنة التي يكشفها من المملوك قوت القلب وتخلص إلى الروح المقدس إلى أوائل سرادقات الجبروت بمطالعة عظمة المتكلم وبمثل هذه المطالعة يكون كمال الاستغراق في لحج الأشواق كما نقل عن مسلم بن يسار أنه صلى ذات يوم في مسجد البصرة فوقعت اسطوانة تسمع بسقوطها أهل السوق وهو واقف في الصلاة لم يعلم بذلك ثم إذا أراد الركوع يفصل بين القراءة والركوع ثم يركع منطوى القامة والنصف الأسفل بحاله في القيام من غير انطواء الركبتين ويحافى مرفقيه عن جنبه ويمد عنقه مع ظهره ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الأصابع (روى) مصعب بن سعد قال صليت إلى جنب سعد

ابن مالك فجعلت يدي بين ركبتي وبين فخذي وطبقتهما فضرب بيدي وقال اضرب بكفك على ركبتيك وقال يا بني انا كنا نفعل ذلك فأمرنا أن نضرب بالأ كف على الركب ويقول سبحانه ربي العظيم ثلاثا وهو أدني الكمال والكمال أن يقول إحدى عشرة وما يأتي به من العدد يكون بعد التمكن من الركوع ومن غير أن يمزج آخر ذلك بالرفع ويرفع يديه للركوع والرفع من الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وانما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري وعظمي ونحي وعصبي ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والاحبات ثم يرفع رأسه قائلا سمع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فاذا استوى قائما يحمد ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ثم يقول أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجند منك الجند فان أطال في النافلة القيام بعد الرفع من الركوع فليقل لربي الحمد مكررا ذلك مهما شاء فأما في القرض فلا يطول تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ويقنع في الرفع من الركوع بتمام الاعتدال باقامة الصلب (ورد) عن رسول الله ﷺ أنه قال لا ينظر الله إلي من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود ثم يهوى ساجدا ويكون في هويته مكبرا مستيقظا حاضرا خاشعا عالما بما يهوى فيه وإليه وله فن الساجدين من يكشف أنه يهوى إلى تخوم الأرضين متغيبا في أجزاء الملك لا متلاء قلبه من الحياء واستشعار روحه عظيم الكبرياء كما ورد أن جبريل عليه السلام تستر بخافية من جناحه حياء من الله تعالى ومن الساجدين من يكشف أنه يطوى بسجوده بساط الكون والمكان ويسرح قلبه في فضاء الكشف والعيان فيهوى دون هويته أطباق السموات وتنمحي لقوة شهوده تماثيل الكائنات ويسجد على طرف رداء العظمة وذاك أقصى ما ينتهي إليه طائر الهمة البشرية وتفي بالوصول إليه القوى الانسانية ويتفاوت الأنبياء والأولياء في مراتب العظمة واستشعار كنهها لكل منهم على قدره حظ من ذلك وفوق كل ذي علم عليم ومن الساجدين من يتسع وطؤه وينتشر ضياؤه ويحظى بالصنفين ويبسط الجناحين فيتواضع بقلبه اجلالا ويرفع

بروحه اكراما وافضالا فيجتمع له الانس والهيمية والحضور والغيبة والقرار
 والقرار والاسرار والجهاز فيكون في سجوده ساجدا في بحر شهوده لم يتخلف منه
 عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سوادى وخيالى (ولله يسجد
 من فى السموات والأرض طوعا وكرها) الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأهلية
 والكره من النفس لما فيها من الأجنبية ويقول فى سجوده سبحان ربى الأعلى ثلاثا
 إلى العشر الذى هو الكمال ويكون فى السجود مفتوح العينين لأنهما يسجدان وفى
 الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه ويكون ناظرا نحو أرنبة أنفه فى السجود
 فهو أبلغ فى الخشوع للساجد ويباشركفى المصلى ولا يلفه فى الثوب ويكون رأسه
 بين كفيه ويدها حذو منكبيه غير متما من ومتياسر بهما ويقول بعد التسبيح اللهم لك
 سجدت وبك أمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره
 فتبارك الله أحسن الخالقين * وروى أمير المؤمنين على رضى الله عنه أن رسول الله
 ﷺ كان يقول فى سجوده ذلك وإن قال سبوح قدوس رب الملائكة والروح حسن
 (روت) عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول فى سجوده ذلك ويحافى
 مرفقيه عن جنبه ويوجه أصابعها فى السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الأبهام
 ولا يفرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب
 اليمنى موجها بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما
 وتقرى بهما ويقول رب اغفرلى وارحمنى واهدنى واجبرنى وطافنى واعف عني ولا
 يطيل هذه الجلسة فى الفريضة أما فى النافلة فلا بأس مهما أطال قائلا رب اغفر وارحم
 مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الاقعاء فى القعود وهو هنا أن
 يضع أليتيه على عقبه ثم إذا أراد النهوض إلى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة
 للاستراحة ويفعل فى بقية الركعات هكذا ثم يتشهد وفى الصلاة سر المعراج وهو
 معراج القلوب والتشهد مقرر الوصول بعد قطع مسافات الهيات على تدرىج طبقات
 السموات والتحيات سلام على رب البريات فليذهن لما يقول ويتأدب مع من يقول
 ويدور كيف يقول ويسلم على النبى ﷺ ويمثله بين عينى قلبه ويسلم على عباد الله
 الصالحين فلا يبتى عبد فى السماء ولا فى الأرض من عباد الله إلا ويسلم عليه بالنسبة

الروحية والخاصية الفطرية ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى مقبوضة الأصابع إلا المسبحة ويرفع المسبحة في الشهادة في إلا الله لافي كلمة النفي ولا يرفعها منتصبه بل مائلة برأسها إلى الفخذ منطوية فهذه هيئة خشوع المسبحة ودليل سراية خشوع القلب إليها ويدعو في آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين إن كان إماما ينبغى أن لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه وللمؤمنين ورأته فان الامام المتيقظ في الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراءه أصحاب الحوائج يسألهم ويعرض حاجاتهم والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا وبهذا وصفهم الله تعالى في كلامه بقوله سبحانه (كانوا بنيان مرصوص) وفي وصف هذه الأمة في الكتب السالفة وصفهم في صلاتهم كصفهم في قتالهم (حدثنا) بذلك شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي املاء قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن عيسى بن شعيب الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن ابن محمد المظفر الواعظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن احمد السرخسي قال أنا أبو عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا مجاهد بن موسى قال حدثنا معن هو ابن عيسى أنه سأل كعب الأحبار كيف تحمد نعت رسول الله ﷺ في التوراة قال نجد محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر لطيبة ويكون ملكة بالشام وليس بفحاش ولا سخاب في الأسواق ولا يكافي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر أمته الحمادون يحمدون الله في كل سرراء ويكبرون الله على كل نكد يوضئون أطرافهم ويأتزرون في أوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم دويهم في مساجدهم كدوي النحل يسمع مناديتهم في جو السماء فالامام في الصلاة مقدمة الصف في محاربة الشيطان فهو أولى المصلين بالخشوع والالتيان بوظائف الأدب ظاهرا وباطنا والمصابون المتيقظون كلما اجتمعت ظواهرهم تجتمع بواطنهم وتتناصر وتتعاقد وتسرى من البعض إلى البعض أنوار وبركات بل جميع المسلمين المصلين في أقطار الارض بينهم تعاقد وتناصر بحسب القلوب ونسب الاسلام ورابطة الايمان بل يمدحهم الله تعالى بالملائكة الكرام كما أمد رسول الله ﷺ بالملائكة المسومين فخاجتهم إلى محاربة الشيطان أمس من حاجتهم إلى محاربة الكفار ولهذا كان يقول رسول الله ﷺ رجعنا من الجهاد

الأصغر إلى الجهاد الأكبر فتداركهم الأملاك بل بأنفسهم الصادقة تماسك الأفلاك فإذا أراد الخروج من الصلاة يسلم على يمينه وينوى مع التسليم الخروج من الصلاة والسلام على الملائكة والحاضرين من المؤمنين ومؤمني الجن ويجعل خده مبينا لمن على يمينه بالواء عنقه ويفصل بين هذا السلام والسلام عن يسار فقد ورد النهي عن المواصل والمواصلة خمس اثنان تختص بالامام وهو أن لا يوصل القراءة بالتكبير والركوع بالقراءة واثنان على المأموم وهو أن لا يوصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة على الامام والمأمومين وهو أن يوصل تسليم الفرض بتسليم النفل ويجزم التسليم ولا يمد مدا ثم يدعو بعد التسليم بما شاء من أمر دينه ودنياه ويدعو قبل التسليم أيضا في صلب الصلاة فانه يستجاب ومن أقام الصلوات الخمس في جماعة فقد ملا البر والبحر عبادة وكل المقامات والأحوال زبدها الصلوات الخمس في جماعة وهي سر الدين وكفارة المؤمن وتمحيص للخطايا على ما أخبرنا شيخنا شيخ الاسلام ضياء الدين أبو النجيب السهروردي رحمه الله اجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس بن زكريا قال حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال حدثنا الحسين ابن الحسن المروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا يحيى بن عبد الله قال سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات للخطايا واقرؤا إن شئتم إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

❦ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها ❦

أحسن آداب المصلي أن لا يكون مشغول القلب بشيء قل أو كثر لأن الاكياس لم يرفضوا الدنيا إلا ليقيموا الصلاة كما أمروا لأن الدنيا واشتغالها لما كانت شاغلة للقلب رفضوها غيرة على محل المناجاة ورغبة في أوطان القربات واذنابا بالباطل لرب البريات لأن حضور الصلاة بالظاهر اذعان الظاهر وفراغ القلب في الصلاة عما سوى الله تعالى اذعان الباطل فلم يروا حضور الظاهر وتخلف الباطن.

حتى لا يختل اذعانهم فتتنحرم عبوديتهم فيجتنب أن يكون باطنه مرتبها بشيء ويدخل الصلاة (وقيل) من فقه الرجل أن يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ولهذا ورد إذا حضر العشاء والعشاء فقدموا العشاء على العشاء ولا يصلي وهو حافن يطالبه البول ولا حازق يطالبه الغائط والحزق أيضا ضيق الخلق ولا يصلي أيضا وخفه ضيق يشغل قلبه فقد قيل لا رأي لحازق قيل الذي يكون معه ضيق وفي الجملة ليس من الأدب أن يصلي وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال كهذه الأشياء التي ذكرناها والاهتمام المفرط والغصب (وفي الخبر) لا يدخل أحدكم في الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان فلا ينبغي للعبد أن يتلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الهيآت وأحسن لبسة المصلي سكون الأطراف وعدم الالتفات والاطراف ووضع اليمين على الشمال فما أحسنها من هيئة عبد ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب العزيمة يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركت يدي في الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عندنا ان العبد إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جمادا مجمدا لا يتحرك منه شيء * وقد جاء في الخبر سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والسوسة والتناؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشئ من الشيطان أيضا وقيل السهو والشك (وقد روى) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من على يمينه وشماله (ونقل عن سفيان) أنه قال من لم يخلص فسدت صلاته وروي عن معاذ بن جبل أشد من ذلك قال من عرف من عن يمينه وشماله في الصلاة متمعدا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة في حائط أو بساط في صلاته فصلاته باطلة قال بعضهم لان ذلك عدوه عملا وقيل في تفسير قوله تعالى (والذين هم على صلاتهم دائمون) قيل هو سكون الاطراف والطمأنينة (قال) بعضهم إذا كبرت التكبيرة الأولى فاعلم ان الله ناظر إلي شخصك عالم بما في ضميرك ومثل في صلاتك الجنة عن يمينك والناظر عن

(١٥ - عوارف المعارف)

شمالك وانما ذكرنا أن تمثل الجنة والنار لأن القلب إذا شغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تداوياً للقلب لدفع الوسوسة (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي اجازة قال أنبأنا عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قل سهل من خلا قلبه عن ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان فأما من باشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغنى بشاهده عن تمثيل مشاهدة قال أبو سعيد الخزاز إذا ركع فالأدب في ركوعه أن ينتصب ويدنو ويتدلى في ركوعه حتى لا يبقى منه مفصل إلا وهو منتصب نحو العرش العظيم ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم من الله تعالى ويصغر في نفسه حتى يكون أقل من الهباء وإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك (وقال أيضاً) ويكون معه في الخشية ما يكاد يذوب به (قال السراج) إذا أخذ العبد في التلاوة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى وقال السراج أيضاً من أدبهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض ونفى كل شيء غير الله تعالى فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكانهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس والعقل اللذين دخلوا في الصلاة بهما فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب فكانهم أبداً في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يتهيأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحد من أصحابه يعدد عليه كم ركعة صلى (وقيل) للصلاة أربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الأركان بلا ارتقاب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الأبواب وعند خضوع الأركان وجود الثواب فمن أتى الصلاة بلا حضور القلب فهو مصل لاه ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصل ساه ومن أتاها بلا خضوع النفس فهو مصل خاطيء ومن أتاها بلا خشوع الأركان فهو مصل جاف ومن أتاها كما وصف فهو مصل واف

(وقد ورد) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام العبد إلى الصلاة المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وإن الله ليغفر بغسل الوجه خطيئة أصابها وبغسل يديه خطيئة أصابها وبغسل رجله خطيئة أصابها حتى يدخل في صلاته وليس عليه وزر (وذكرت) السرقة عند رسول الله ﷺ فقال أي السرقة أقبح فقالوا الله ورسوله أعلم فقال أن اقبح السرقة أن يسرق الرجل من صلاته قالوا كيف يسرق الرجل من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها (وروي) عن أبي عمرو بن العلاء أنه قدم للإمامة فقال لا أصلح فلما ألحوا عليه كبر فغشى عليه فقدموا إماما آخر فلما أفاق سئل فقال لما قلت استوتوا هتف بي هاتف هل استويت أنت مع الله قط * وقال عليه السلام إن العبد إذا أحسن الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم صعدت ولها نور حتى تنتهي إلى السماء وحتى تصل إلى الله فتشفع لصاحبها وإذا أضعاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتني ثم صعدت ولها ظلمة حتى تنتهي إلى أبواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها (وقال أبو سليمان الداراني) إذا وقف العبد في الصلاة يقول الله تعالى ارفعوا الحجب فيما بيني وبين عبدي فإذا التفت يقول الله ارخوها فيما بيني وبينه وخلوا عبدي وما اختار لنفسه * وقال أبو بكر الوراق ربما أصلي ركعتين فانصرف منهما وأنا أستحي من الله حياء رجل انصرف من الزنا قوله هذا لعظيم الادب عنده ومعرفة كل انسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب (وقيل) لموسى بن جعفر إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بمعرهم بين يديك قال إن الذي أصلي له أقرب إلي من الذي يمشي بين يدي (وقيل) كان زين العابدين على بن الحسين رضي الله عنهما إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له ذلك فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقف * وروي عمار بن يسار عن رسول الله ﷺ أنه قال لا يكتب للعبد من صلاته الا ما يعقل وقد ورد في لفظ آخر منكم من يصلي الصلاة كاملة ومنكم من يصلي النصف والثلث والرابع والخمس حتى

ينبلغ العشر قال الخواص ينبغي للرجل أن ينوي نوافله لنقصان فرائضه فإن لم ينوها لم يحسب له منها شيء * بلغنا أن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدي فريضة يقول الله تعالى مثلكم كمثل العبد السوء بدأ بالهدية قبل قضاء الدين (وقال أيضا) انقطع الخلق عن الله تعالى بمحصلتين أحدهما أنهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية أنهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها وأبى الله تعالى أن يقبل من حامل عملا إلا بالصدق واصابة الحق وفتح العين في الصلاة أولى من تغميض العين إلا أن يتشتت همه بتفريق النظر فيغمض العين للاستعانة على الخشوع وإن تناب في الصلاة يضم شفقيه بقدر الامكان ولا يلزق ذقنه ب صدره ولا يزاحم في الصلاة غيره (قيل) ذهب المزحون بصلاة المزاحم (وقيل) من ترك الصف الأول مخافة أن يضيق على أهله فقام في الثاني أعطاه الله مثل ثواب الصف الأول من غير أن ينقص من أجورهم شيء (وقيل) ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل (وروت) عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل حتى كان يسمع في بعض سكك المدينة (وسئل) الجنيد ما فريضة الصلاة قال قطع العلائق وجمع اللهم والحضور بين يدي الله وقال الحسن ماذا يعز عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك (وقيل) أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء فقال إذا دخلت الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فاني قريب (وقال) أبو الخير الأقطع رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله أوصني فقال يا أبا الخير عليك بالصلاة فاني استوصيت ربي فأوصاني بالصلاة وقال لي ان أقرب ما أكون منك وأنت تصلي (وقال) ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان في تفكر خير من قيام ليلة (وقيل) ان محمد بن يوسف الفرغاني رأى حاتما الأصم واقفا يعظ الناس فقال له يا حاتم أراك تعظ الناس أفتحسن أن تصلي قال نعم قال كيف تصلي قال أقوم بالأمر وأمشي بالخشية وأدخل بالهيبة وأكبر بالعظمة وأقرأ بالترتيل وأركع بالخشوع وأسجد بالتواضع وأقعد للتشهد بالتمام وأسلم على السنة وأسلمها إلى ربي وأحفظها أيام

حياتي وأرجع باللوم على نفسي وأخاف أن لا تقبل مني وأرجو أن تقبل مني وأنا بين الخوف والرجاء وأشكر من علمني وأعلمها من سألني وأحمد ربّي إذ هداني فقال عهد ابن يوسف مثلك يصلح أن يكون واعظاً وقوله تعالى (ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) قيل من حب الدنيا وقيل من الاهتمام وقال عليه السلام من صلى ركعتين ولم يحدث نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وقال إن الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم اللهم فمن لا يفعل ذلك فهي خداج أي فاقصة * وقد ورد أن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعد عنه الشيطان في أقطار الأرض خوفاً منه لأنه تأهب للدخول على الملك فإذا كبر حجب عنه ابليس قيل يضرب بينه وبينه حرا دق لا ينظر إليه وواجهه الجبار بوجهه فإذا قال الله أكبر اطلع الملك في قلبه فإذا لم يكن في قلبه أكبر من الله تعالى يقول صدقت الله في قلبك كما تقول وتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش ويكشف له بذلك النور ملكوت السموات والأرض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات وإن الجاهل الغافل إذا قام إلى الصلاة احتوشته الشياطين كما تحموش الباب على نقطة العسل فإذا كبر اطلع الله على قلبه فإذا كان شيء في قلبه أكبر من الله تعالى عنده يقول له كذبت ليس الله تعالى أكبر في قلبك كما تقول فيشور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجاباً لقلبه من الملكوت فيزداد ذلك الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه * وفي الخبر لو لا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء والقلوب الصافية التي كل أدبها لكمال أدب قوا إليها تصير سماوية تدخل بالتكبير في السماء كما تدخل في الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب السماوي لا سبيل للشيطان إليه فتبتى هو اجس نفسانية عند ذلك لا تنقطع بالتحصن بالسماء كأنقطاع تصرف الشيطان والقلوب المرادة بالقرب بالدرج بالقرب وترجع في طبقات السموات وفي كل طبقة من أطباق السماء يتخاف شيء من ظلمة النفس وبقدر ذلك يقل الهاجس إلى أن يتجاوز السموات ويتف أمام العرش فعند ذلك يذهب بالكلية هاجس النفس بساطع نور العرش وتندرج ظلمات النفس في نور القلب اندراج الليل في النهار وتتأدي حينئذ حقوق الآداب على وجه الصواب (وما ذكرنا) من

أدب الصلاة يسير من كثير. وشأن الصلاة أكبر من وصفنا وأكمل من ذكرنا وقد غلط أقوام وظنوا ان المقصود من الصلاة ذكر الله تعالى وإذا حصل الذكر فأى حاجة إلى الصلاة وسلكوا طرقاً من الضلال وركنوا إلى أباطيل الخيال ومحو الرسوم والأحكام ورفضوا الحلال والحرام وقوم آخرون سلكوا في ذلك طريقاً أدته إلى نقصان الحال حيث سلموا من الضلال لأنهم اعترفوا بالفرائض وأنكروا فضل النوافل واغتروا بيسير روح الحال وأهملوا فضل الاعمال ولم يعلموا ان الله في كل هيئة من الهيات وكل حركة من الحركات أسراراً وحكماً لا توجد في شيء من الازكار فالاحوال والاعمال روح وجسمان وما دام العبد في دار الدنيا اعراضه عن الاعمال عين الطغيان فالاعمال تزكو بالاحوال والاحوال تنمو بالاعمال

﴿الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره﴾

روى عن رسول الله ﷺ انه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقيل ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويذهب برد المظالم إلا الصوم فانه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لى فلا يقتص أحد منه شيئاً (وفى الخبر) الصوم لى وأنا أجزى به قيل اضافته إلى نفسه لأن فيه خلقاً من أخلاق الصمدية وأيضاً لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى السامحون الصائمون لأنهم ساحوا إلى الله تعالى بمجوعهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب هم الصائمون لأن الصبر إسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم افراغاً ويمجازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم الصوم (وقال) يحيى بن معاذ إذا ابتلى المرید بكثرة الآكل بكت عليه الملائكة رجاء له ومن ابتلى بحرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها فإذا جوع بطنه وأخذ حلقه وراض نفسه ببس كل عضو أو احترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضائه وامكن الشيطان والشبع نهر في النفس ترده الشياطين والجوع نهر في الروح ترده الملائكة وينهزم الشيطان من جائع نائم

فكيف إذا كان قائماً ويعانق الشيطان شبعاناً قائماً فكيف إذا كان نائماً فقلب المرید الصادق يصرخ إلى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب * دخل رجل إلى الطيالسى وهو يأكل خبزاً يابساً قد بله بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهى هذا قال أدعه حتى أشتهيه (وقيل) من أسرف في مطعمه ومشربه يجعل الصغار والنمل إليه في دنياه قبل آخرته (وقال) بعضهم الباب العظيم الذى يدخل منه إلى الله تعالى قطع الغذاء (وقال بشر) أن الجوع يصفى القواد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق وقال ذوالنون ما أكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت الا عصيت الله أو هممت بمعصية وروى القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يأتي علينا الشهر ونصف شهر ما تدخل بيتنا ناراً لا لمصباح ولا لغيره قال قلت سبحان الله فبأى شيء كنتم تعيشون قالت بالتمر والماء وكان لنا جيران من الأنصار جزاهم الله خيراً كانت لهم منائح فرمنا واسونا بشيء (وروي) أن حفصة بنت عمر رضى الله عنهما قالت لا يبها أن الله قد أوسع الرزق فلو أكلت طعاماً أكثر من طعامك ولبست ثياباً ألين من ثيابك فقال لاني أخاصمك إلى نفسك ألم يكن من أمر رسول الله ﷺ كذا يقول مراراً فبككت فقال قد أخبرتك والله لا أشاركه في عيشه الشديد لعل أصيب عيشة الرخاء وقال بعضهم ما نخلت لعمردقيقاً الا وأنا له حاص (وقالت) عائشة رضى الله عنها ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام من خبز بر حتى مضى لسبيله وقالت عائشة رضى الله عنها أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت بالجوع والعطش والظما (وقيل) ظهر إبليس ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق فقال ما هذه قال الشهوات التى أصيب بها ابن آدم قال هل تجدى فيها شهوة قال لا غير انك شبعت ليلة فنقلناك عن الصلاة والذكر فقال لا جرم انى لا أشبع أبدا قال إبليس لا جرم انى لا أنصح أحدا أبدا ﴿ وقال ﴾ شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها الجوع وقال لقمان لابنه إذا ملئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة (وقال) الحسن لا تجمعوا بين الأدمين فانه من طعام المنافقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغذية فيكره للمريد أن يوالى في الافطار أكثر من أربعة أيام فان النفس

عند ذلك تركن إلى العادة وتتسع بالشهوة (وقيل) الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا وقال عليه السلام ماملا آدمى وهاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرايه وثلث لنفسه وقال فتح الموصلي صحبت ثلاثين شيخا كل يوصيني عند مفارقتي اياه بترك عشرة الا'حداث وقلة الا'كل

❦ الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والافطار ❦

جمع من المشايخ الصوفية كانوا يديعون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى وكان أبو عبد الله بن جابر قد صام نيفا وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فجهد به أصحابه يوما فأفطروا فاعتل من ذلك أياما فاذا رأى المرید صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائما ويدع للافطار جانبا فهو عون حسن له على ما يريد (روى) أبو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا وعقدت سبعين أى لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد في ذلك ما رواه أبو قتادة قال سئل رسول الله ﷺ كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر وأول قوم ان صوم الدهر هو أن لا يفطر العيدين وأيام التشريق فهو الذي يكره وإذا أفطر هذه الايام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله ﷺ ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد أفضل الصيام صوم أخى داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر * ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم يوما ويفطر يومين ومنهم من كان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة (وقيل) كان سهل بن عبد الله يأكل في كل خمسة عشر يوما مرة وفي رمضان يأكل أكلة واحدة وكان يفطر بالماء القراح للسنة (وحكى) عن الجنيد أنه كان يصوم على الدوام فاذا دخل عليه اخوانه أفطر معهم ويقول ليس بفضل المساعدة مع الاخوان بأقل من فضل الصوم غير ان هذا الافطار يحتاج إلى علم فقد يكون الداعى إلى ذلك شره النفس لا نية الموافقة وتخليص النية لمحض الموافقة مع وجود شره النفس صعب وسمعت شيخنا يقول لى سنين ما أكلت شيئا بشهوة نفس ابتداء واستدما بل يقدم إلى الشىء فأراه من فضل الله ونعمته

وفعله فأوافق الحق في فعله (وذكر) أنه في ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر ومن عادة تقديم الطعام إليه قال ففتحت باب البيت الذي فيه الطعام وأخذت رمانة لآكلها فدخلت الصنور وأخذت دجاجة كانت هناك فقلت هذا عقوبة لي على تصرفي في أخذ الرمانة (ورأيت) الشيخ أبا السعود رحمه الله يتناول الطعام في اليوم مرات أى وقت أحضر الطعام أكل منه ويرى أن تناوله للطعام موافقة الحق لأن حاله مع الله كان ترك الاختيار في مأكوله وملبوسه وجميع تصاريفه وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له في ذلك بداية يعز مثلها حتى نقل أنه كان يبقى أياماً لا يأكل ولا يعلم أحد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب إلى تناول شيء وينتظر فعل الحق لسياقه الرزق إليه ولم يشعر أحد بحاله مدة من الزمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والتلامذة وكانوا يتكفون الأطعمة ويأتون بها إليه وهو يرى في ذلك فضل الحق والموافقة سمعته يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم وينقض الحق على محبتي الصوم بفعله فأوافق الحق في فعله (وحكى) عن بعض الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان (وقال) أبو نصر السراج أنكر قوم هذه المخالفة وإن كان الصوم تطوعاً واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلل والآليق بموافقة العلم أمضاء الصوم قال الله تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون والصدق محمود لعينه كيف كان والصادق في خفارة صدقة كيف تقلب وقال بعضهم إذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهم فانه قد اجتمع معه شيء من الدنيا وقيل إذا كان جماعة متوافقين أشكالا وفيهم مريد يخونه على الصيام فإن لم يساعده يهتموا لافطاره ويتكفوا له رفقا به ولا يحملوا حاله على حالهم وإن كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لافطاره إلا من يأمره الشيخ بغير ذلك * وقيل إن بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب إليه في تأديبه ويصوم بصيامه وحكى عن أبي الحسن المكي أنه كان يصوم الدهر وكان مقبلاً بالبصرة وكان لا يأكل الخبز إلا ليلة الجمعة وكان قوته في كل شهر أربع دنانير يعمل

بيده حبال الليف ويبيعهما وكان الشيخ أبو الحسن بن سالم يقول لا أسلم عليه إلا أن يفطر ويأكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية له في ذلك لأنه كان مشهوراً بين الناس وقال بعضهم ما أخلص الله عبد قط إلا أحب أن يكون في جب لا يعرف ومن أكل فضلاً من الطعام أخرج فضلاً من الكلام وقيل أقام أبو الحسن التنيسي بالحرم مع أصحابه سبعة أيام لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه وأكله فراه انسان فاتبع أثره وجاء برفق فوضعه بين يدي القوم فقال الشيخ من جنى منك هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن أنت مع جنايتك ورفقك فقال أنا تائب من جنايتي فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر * روى أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض اسود جسده من أثر المعصية فلما تاب الله عليه أمره أن يصوم أيام البيض فابيض ثلث جسده بكل يوم صامه حتى ابيض جميع جسده بصيام أيام البيض ويستحبون صوم النصف الأول من شعبان وافتطار نصفه الأخير وإن واصل بين شعبان ورمضان فلا بأس به ولكن إن لم يكن صام فلا يستقبل رمضان يوم أو يومين وكان يكره بعضهم أن يصام رجب جميعه كراهة المضاهاة برمضان ويستحب صوم العشر من ذي الحجة والعشر من المحرم ويستحب الخميس والجمعة والسبت أن يصام من الأشهر الحرم وورد في الخبر من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت بعد من النار سبع مائة عام

﴿ الباب الحادى والاربعون فى آداب الصوم ومهامه ﴾

آداب الصوفية فى الصوم ضبط الظاهر والباطن وكف الجوارح عن الآثام كمنع النفس عن الطعام ثم كف النفس عن الاهتمام بالاقسام (سمعت) أن بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق أصحابه أنهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم قبل وقت الافطار يخرجونه ولا يفطرون إلا على ما فتح لهم وقت الافطار وليس من الأدب أن يمسك المرید عن المباح ويفطر بمحرام الآثام (قال) أبو الدرداء يا حبذا نوم الأكياس وفطرم كيف يغبنون قيام الحقيقى وصيامهم ولذة من ذى يقين وتقوى فضل من أمثال الجبال من أعمال المعتزين ومن فضيلة الصوم وأدبه أن يقلل الطعام عن الحلة

الذي كان يأكله وهو مفطر وإلا فاذا جمع الأكلات بأكلة واحدة فقد أدرك بها ما فوت ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم أن الاقتصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الأفعال والأقوال إلى الضرورة والنفس من طبعها إنما إذا أقهرت الله تعالى في شيء واحد على الضرورة تأدى ذلك إلى سائر أحوالها فيصير بالأكل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الخير لأهل الله تعالى يجب رعايته وافتقاده ولا يخص بعلم الضرورة وفائدتها وطلبها إلا عبد يريد الله تعالى أن يقربه ويدنيه ويصطفيه ويربيه ويمتنع في صومه من ملاعبة الأهل بالملاسة فإن ذلك أنزه للصوم ويتسحر استعمالاً للسنّة وهو أدعى إلى امضاء الصوم لمعنيين أحدهما عود بركة السنّة عليه والثاني التقوية بالطعام على الصيام (روى) أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تسحروا فإن في السحور بركة ويعجل الفطر عملاً بالسنّة فإن لم يرد تناول الطعام إلا بعد العشاء ويريد أحياء ما بين العشاءين يفطر بالماء أو على أعداد من الزبيب أو التمر أو يأكل لقمات لأن كانت النفس تنازع ليصفو له الوقت بين العشاءين فاحياء ذلك له فضل كثير وإلا فيقتصر على الماء لأجل السنّة (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا اسحق بن موسى الانصاري قال حدثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن قرّة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ حكاية عن ربه قال الله عز وجل أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا وقال عليه السلام لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر * والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله ﷺ يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن أو تمرات (وفي الخبر) كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش قبل هو الذي يمجوع بالنهار ويفطر على الحرام وقيل هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة (قال) سفيان من اغتاب فسد صومه * وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب

قال الشيخ أبو طالب المكي قرن الله الاستماع إلى الباطل والقول بالاثم بأكل الحرام فقال سماعون للكذب أكلون للمسحت (وورد) في الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تهلكا فبعثتا إلى رسول الله ﷺ تستأذنانه في الافطار فأرسل اليهما قدحا وقال قولوا لهما قبيحا فيه ما أكلتما فقامتا أحدهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقامت الأخرى مثل ذلك حتى ملأناه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله ﷺ هاتان صامتا وأفطرتا على ما حرم الله عليهما وقال عليه الصلاة والسلام إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاته فليقل اني صائم (وفي الخبر) ان الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (والصوفي) الذي لا يرجع إلى معلوم ولا يدرى متى يساق اليه الرزق فاذا ساق الله اليه الرزق تناوله الادب وهو دائم المراقبة لوقته وهو في افطاره أفضل من الذي له معلوم معد فان كان مع ذلك يصوم فقد أكمل الفضل (حكى) عن رويم قال اجتزت في المهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت فتقدمت الى باب دار فاستسقيت فاذا جارية قد خرجت ومعها كوز جديد ملائ من الماء المبرد فلما أردت أن أتناوله من يدها قالت صوفي ويشرب بالنهار وضربت بالكوز على الارض وانصرفت قال رويم فاستحييت من ذلك ونذرت أن لا أفطر أبدا * والجماعة الذين كرهوا دوام الصوم كرهوه لمكان ان النفس إذا ألفت الصوم وتعودته اشتد عليها الافطار وهكذا بتعودها الافطار تكره الصوم فيرون الفضل في أن لا تركز النفس إلى عادة ورأوا ان افطار يوم وصوم يوم أشد على النفس * ومن أدب الفقراء ان الواحد إذا كان بين جمع وفي صحبة جماعة لا يصوم الا باذنهم وانما كان ذلك لان قلوب الجمع متعلقة بفطوره وهم على غير معلوم فان صام باذن الجمع وفتح عليهم بشيء لا يلزمهم ادخاره للصائم مع العلم بأن الجمع المفطرين يحتاجون إلى ذلك فان الله تعالى يأتي للصائم برزقه إلا أن يكون الصائم يحتاج الى الرفق لضعف حاله أو ضعف بنيته لشيخوخة أو غير ذلك وهكذا الصائم لا يليق أن يأخذ نصيبه فيدخره لان ذلك من ضعف الحال فان كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخره والذي ذكرناه

لأقوام هم على غير معلوم فأما الصوفية المقيمون في رباط على معلوم فالأليق بحالهم الصيام ولا يلزمهم موافقة الجمع في الإفطار وهذا يظهر في جمع منهم لهم معلوم يقدم لهم بالنهار فاما إذا كانوا على غير معلوم فقد قيل مساعدة الصوم للمفطرين أحسن من استدعاء الموافقة من المفطرين للصوم وأمر القوم بمناه على الصدق ومن الصدق افتقاد النية وأحوال النفس فكل ما صححت النية فيه من الصوم والإفطار والموافقة وترك الموافقة فهو الأفضل فاما من حيث السنة فمن يوافق له وجه إذا كان صائما وأفطر للموافقة وإن صام ولم يوافق فله وجهه * فاما وجهه من يفطر ويوافق فهو ما أخبرنا به أبو زرعة طاهر عن أبيه أبي الفضل الحافظ المقدسي قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله قال أنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال حدثنا عبد الله بن حماد قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاء بن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن المنكدر عن أبي سعيد الخدري قال اصطنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم اليهم قال رجل من القوم اني صائم فقال رسول الله ﷺ دعاكم أخوكم وتكاف لكم ثم تقول اني صائم افطر واقض يوما مكانه * وأما وجهه من لا يوافق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم فقال رسول الله نأكل رزقنا ورزق بلال في الجنة فإذا علم أن هنالك قلبا يتأذى أو فضلا يرجي من موافقة من يغتم موافقته يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه فإذا لم يجد هذا المعنى لا ينبغي أن يتلبس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد تكون الاجابة لداعية النفس لالقضاء حق أخيه * ومن أحسن آداب الفقير الطالب انه إذا أفطر وتناول الطعام رجما يجده باطنه متغيرا عن هيئته ونفسه متبذرة عن اداء وظائف العبادة فيعالج مزاج القلب المتغير باذهاب التغير عنه ويذيب الطعام بركمات يصلحها أو بآيات يتلوها أو باذكار واستغفار يأتي به فقد ورد في الخبر أذيبوا طعامكم بالذكر * ومن مهام آداب الصوم كتمانها مهما أمكن إلا أن يكون متمكنا من الاخلاص فلا يبالي ظهر أم بطن

﴿ الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام ﴾

وما فيه من المصلحة والمقعدة ﴿

الصوفي بحسن نيته وصحة مقصده ووفور علمه وإتيانه بأدابه تصير طاداته عبادة والصوفي موهوب وقته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لنبيه آمرا له (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) فتدخل على الصوفي أمور العادة لموضع حاجته وضرورة بشريته ويحف بعاداته نور يقظته وحسن نيته فتتنور العادات وتتشكل بالعبادات ولهذا ورد نور العالم عبادة ونفسه تسميح هذا مع كون النوم عين الغفلة ولكن كل ما يستعان به على العبادة يكون عبادة فتناول الطعام أصل كبير يحتاج إلى علوم كثيرة لاشتغاله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن بأجراء سنة الله تعالى بذلك والقلب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والآخرة (وقد ورد) أرض الجنة قيعان ثباتها التسييح والتقدیس والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة وباجتماعهما صلحا لعمارة الدارين والله تعالى ركب الآدمي بلطف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعله مستودع خلاصة الأرضين والسموات وجعل عالم الشهادة وما فيها من النبات والحيوان لقوام بدن الآدمي قال الله تعالى (خلق لكم ما في الأرض جميعا) فكون الطبائع وهى الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعل النبات قواما للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرة للآدمي يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه فالطعام يصل إلى المعدة وفى المعدة طباع أربع فاذا أراد الله اعتدال مزاج البدن أخذ كل طبع من طباع المعدة ضده من الطعام فتأخذ الحرارة للبرودة والرطوبة لليبوسة فيعدل المزاج ويأمن الاغوجاج وإذا أراد الله تعالى افناء قالب وتخريب بنية أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول فتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم (روى) عن وهب بن منبه قال وجدت فى التوراة صفة آدم عليه السلام انى خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لأنى خلقت من التراب وهو يابس ورطوبة من الماء وحرارته من قبل النفس وبرودته

من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق
 هن ملاك الجسم باذني وهن قوامه فلا يقوم الجسم الا بهن ولا تقوم منهن واحدة
 الا بأخرى منهن المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم أسكنت بعض
 هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء ومسكن الرطوبة
 في المرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة في البلغم فأبما جسد
 اعتدلت فيه هذه القطر الأربع التي جعلتها ملاكه وقوامه فكانت كل واحدة
 منهن ربعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيته فان زادت منهن واحدة
 عليهن هزمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف
 عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن فأتم الأمور في الطعام أن يكون حلالا وكل
 مالا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع كبر
 الأمر وأتعب طلب الحلال * ومن أدب الصوفية رؤية المنعم على النعمة وأن
 بيتديء بغسل اليد قبل الطعام قال رسول الله ﷺ الوضوء قبل الطعام ينفي
 الفقر وإنما كان موجبا لنفي الفقر لأن غسل اليد قبل الطعام استقبال النعمة
 بالأدب وذلك من شكر النعمة والشكر يستوجب المزيد فصار غسل اليد مستجلبا
 للنعمة مذهبا للفقر * وقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ
 أنه قال من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يسئى الله تعالى
 فقوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) تفسيره تسمية الله تعالى
 عند ذبح الحيوان واختلاف الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله في وجوب ذلك وفهم
 الصوفي من ذلك بعد القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل الطعام الا مقرونا بالذكر
 فقرونه فريضة وقته وأدبه ويرى ان تناول الطعام والماء ينتج من اقامة النفس
 ومتابعة هواها ويرى ذكر الله تعالى دواءه وترياقه (روت) عائشة رضى الله عنها
 قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه
 فجاء اعرابي فأكله بلمعتين فقال رسول الله ﷺ أما أنه لو كان يسمى الله
 لكفاكم فاذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله فان أنسى أن يقول بسم الله فليقل
 بسم الله أولا وآخره ويستحب أن يقول في أول لقمة بسم الله وفي الثانية

بسم الله الرحمن وفي الثالثة يتم ويشرب الماء بثلاثة أنفاس يقول في أول نفس الحمد لله إذا شرب وفي الثانية الحمد لله رب العالمين وفي الثالثة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وكما أن المعدة طباعاً تتقدر كما ذكرناه بموافقة طباع الطعام فالقلب أيضاً مزاج وطباع لأرباب التفقد والرعايا والبقطة يعرف انحراف مزاج القلب من اللقمة المتناولة تارة تحدث من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض إلى الفضول وتارة تحدث في القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ ويرى تغير القلب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقلب فالقلب أهم وأولى وتطرق الانحراف إلى القلب أسرع منه إلى القلب ومن الانحراف ما يستقم به القلب فيموت لموت القلب واسم الله تعالى دواء نافع محجب بقي الاسواء ويذهب الداء ويحلب الشفاء * حكى أن الشيخ حمدا الغزالي لما رجع إلى طوس وصف له في بعض القرى عبد صالح فقصدته زائراً فصادفه وهو في صحراء له يبذر الحنطة في الأرض فلما رأى الشيخ حمدا جاء إليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ في ذلك وقت اشتغاله بالغزالي فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزالي عن سبب امتناعه فقال لأنني أبذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذا كر أرجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيئاً فلا أحب أن أسلمه إلى هذا فيبذره بلسان غير ذا كر وقلب غير حاضر (وكان) بعض الفقهاء عند الأكل يشرع في تلاوة سورة من القرآن تحضر الوقت بذلك حتى تنغمر أجزاء الطعام بأنوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروه ويتغير مزاج القلب وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي يقول أنا أكل وأنا أصلي يشير إلى حضور القلب في الطعام وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت أكله لئلا يتفرق همه وقت الأكل ويرى للذكر وحضور القلب في الأكل أثراً كبيراً لا يسعه الإهمال له ومن الذكر عند الأكل الفكر فيما هيأ الله تعالى من الأسنان المعينة على الأكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاخنة وما جعل الله تعالى من الماء الحلو في القم

حتى لا يتغير الذوق كما جعل ماء العين مالحا لما كان شحماً حتى لا يفسد وكيف جعل
 النداوة تنبع من أرجاء اللسان والفم ليعين ذلك على المضغ والسوغ وكيف جعل القوة
 الهاضمة مسلطة على الطعام تفصله وتمجزئه متعلقا مدها بالكبد والكبد بمثابة النار
 والمعدة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل الهاضمة ولا يفسد الطعام ولا ينفصل
 ولا يصل إلى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين
 ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع تشریح الأعضاء ليرى العجب من قدرة
 الله تعالى من تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها ببعض في اصلاح الغذاء
 واستجذاب القوة منه للأعضاء وانقسامه إلى الدم والنفل واللبن لتغذية المولود من
 بين فرث ودم لبن كما الصائغ للشاربين فتبارك الله أحسن الخالقين فالفكر في ذلك
 وقت الطعام وتعرف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر وما يذهب داء الطعام المغير
 لمزاج القلب أن يدعو في أول الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عونا على الطاعة ويكون
 من دعائه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما رزقنا مما تحب اجعله عونا لنا على ما تحب
 وما زويت عنا مما نحب اجعله فراغا لنا فيما تحب

❦ الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل ❦

فمن ذلك أن يبتدىء بالملح ويختتم به (روى) عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلى رضى الله
 عنه يا على ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فان الملح شفاء من سبعين داء منها الجنون
 والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الأضراس (وروت) عائشة رضى الله عنها قالت
 للده رسول الله ﷺ في إبهامه من رجله اليسرى لدغة فقال على بذلك الأبيض الذي
 يكون في العجين فجئنا بملح فوضعه في كفه ثم لقم منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على
 اللدغة فسكنت عنه ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط
 وغيرها (روى) جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال من أحب الطعام إلى الله تعالى
 ما كثرت عليه الأيدي (وروى) أنه قيل يا رسول الله انا نأكل ولا نشبع قال لعلمكم
 تقفرون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن عادة
 الصوفية الأكل على السفر وهو سنة رسول الله ﷺ (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة

عن المقومى بإسناده إلى ابن ماجه الحافظ القزوينى قال أنبأنا محمد بن المنثى قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثنا أبى عن يونس ابن الفرات عن قتادة عن أنس بن مالك قال ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا فى سكرجة قال فعلام كانوا يأكلون قال على السفر ويصغر اللقمة ويجود الأكل بالمضغ وينظر بين يديه ولا يطالع وجوه الآكلىن ويقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويجلس جلسة التواضع غير متكىء ولا متعزز نهى رسول الله ﷺ أن يأكل الرجل متكئاً (وروى) أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فجنا رسول الله ﷺ على ركبتيه يأكل فقال أعرابى ماهذه الجلسة يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ ان الله خلقنى عبداً ولم يجعلنى جباراً عنيداً * ولا يتبدىء بالطعام حتى يبدأ المقدم أو الشيخ (روى) حذيفة قال كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله ﷺ ويأكل باليمين (روى) أبوهريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطى بشماله وإن كان الماء كؤل تمرأ أو ماله عجم لا يجمع من ذلك ما يرمى وما يؤكل على الطبق ولا فى كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرميه ولا يأكل من ذروة الثريد (روى) عبد الله ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال إذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فان البركة تنزل فى وسطه * ولا يعيب الطعام (روى) أبوهريرة رضى الله عنه قال ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه وإذا سقطت اللقمة يأكلها فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال إذا سقطت لقمة أحدكم فليمسك عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ويلق أصابعه فقد روى جابر عن النبي ﷺ قال إذا أكل أحدكم الطعام فليمتص أصابعه فانه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة وهكذا أمر عليه السلام بإسالات القصعة وهو مسحها من الطعام قال أنس رضى الله عنه أمر رسول الله ﷺ بإسالات القصعة ولا ينفخ فى الطعام فقد روت عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال النفخ فى الطعام يذهب بالبركة وروى عبد الله بن عباس أنه

قال لم يكن رسول الله ﷺ ينفخ في طعام ولا في شراب ولا يتنفس في الاناء فليس من الأدب ذلك والخل والبقل على السفرة من السنة قيل ان الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل (روت) أم سعد رضى الله عنها قالت دخل رسول الله ﷺ على عائشة رضى الله عنها وأنا عندها فقال هل من غداء فقالت عندنا خبز وتمر وخل فقال عليه السلام نعم الا دام الخل اللهم بارك في الخل فانه كان ادام الانبياء قبلى ولم يفقر بيت فيه خل ولا يصب على الطعام فهو من سيرة الأاجم ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين فقيه نهى ولا يكف يده عن الطعام حتى يفرغ الجمع فقد ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال إذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى رفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفرغ القوم وليتعمل فأن الرجل ينجل جلسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة * وإذا وضع الخبز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ أكرموا الخبز فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد والبقر وابن آدم ومن أحسن الأدب وأهمه أن لا يأكل إلا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روى عن رسول الله ﷺ ماملاً آدمى وءاء شرا من بطنه ومن عادة الصوفية أن يلقم الخادم إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة (روى) أبو هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم ﷺ إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فأن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين فانه ولي حره ودخانه وإذا فرغ من الطعام تحمد الله تعالى (روى) أبو سعيد قال كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعاماً قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين * وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال من أكل طعاماً فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقني من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ويتخلل فقد روى عن رسول الله ﷺ تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو إلى الايمان والايمان مع صاحبه فى الجنة ويفعل يديه فقد روى أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ من بات وفى يده غمر لم يغسل فأصابه شئ فلا يلومن إلا نفسه ومن السنة غسل الأيدي فى طست واحد (روى) ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ اترعوا الطموس وخالفوا المجوس ويستحب مسح العين

ببلل اليد (وروى) أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا توضأتم فاشربوا أعينكم الماء ولا تنفضوا أيديكم فانها مراوح الشياطين قيل لأبي هريرة في الوضوء وغيره قال نعم في الوضوء وغيره وفي غسل اليد يأخذ الاسنان باليمين وفي الخلال لا يزد ما يخرج بالخلال من الاسنان وأما ما يلوكة باللسان فلا بأس به ويجتنب التصنع في أكل الطعام ويكون أكله بين الجمع كأكله منفردا فان الرياء يدخل في العبد في كل شيء وصف لبعض العلماء بعض العباد فلم يثن عليه قيل له تعلم به بأسا قال نعم رأيت يتصنع في الأكل ومن تصنع في الأكل لا يؤمن عليه التصنع في العمل وإن كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اظمعنا طيباً واستعملنا صالحاً وإن كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله عوناً على معصيتك وليكثر الاستغفار والحزن ويبكى على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يبكى كن يأكل وهو يضحك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولا يلاف قريش ويجتنب الدخول على قوم في وقت أكلهم فقد ورد من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقوا أكل حراما وسمعنا لفظاً آخر دخل سارقاً وخرج مغيراً إلا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويجتنب المضيف التكلف إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الانفاق ولا يفعل ذلك حياءً وتكلفاً وإذا أكل عند قوم طعاماً فليقل عند فراغه إن كان بعد المغرب أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة (وروى) أيضاً عليكم صلاة قوم أبرار ليسوا بآثمين ولا بخارج يصلون بالليل ويصومون بالنهار كان بعض الصحابة يقول ذلك * ومن الأدب أن لا يستحقر ما يقدم له من طعام وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقول ما ندرى أيهم أعظم وزرا الذي يحقر ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه ويكره أكل المباهاة وما تكلف للاعراس والتعازي فما عمل للنوائج لا يؤكل وما عمل للعزاء لا بأس به وما يجري مجراه وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا حرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال

الله تعالى (أو صديقكم) قيل دخل قوم على سفينان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وأكلوا فدخل سفينان ففرح وقال ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا ومن دعى إلى طعام فالاجابة من المنة وأؤكد ذلك الوليمة وقد يتخلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك خطأ وإن عمل ذلك تصنعنا ورياء فهو أقل من التكبر (روي) ان الحسن بن علي صر بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد ثروا كسرا على الأرض وهو على بغلته فلما صر بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا هلم الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب المتكبرين ثم نثى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع العيال (وروي) ان هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدري من صب على يدك قال لا قال أمير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين انما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم

﴿الباب الرابع والأربعون في ذكر أدهم في اللباس﴾

ونياتهم ومقاصدهم فيه ﴿

اللباس من حاجات النفس وضرورتها لدفع الحر والبرد كما ان الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما ان النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فهكذا في اللباس تتفنن فيه ولها فيه أهوية متنوعة وما رب مختلفة فالصوفي يرد النفس في اللباس إلى متابعة صريح العلم (قيل) لبعض الصوفية ثوبك ممزق قال ولكنه من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه ظاهر فنظر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أي لا فريضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لأن طهارة الثوب شرط في صحة الصلاة وما عدا هذين النظرين فنظره في كونه يدفع الحر والبرد لأن ذلك مصلحة النفس وبعد ذلك ما تدعو النفس اليه فكله فضول وزيادة ونظر إلى الخلق والصادق لا ينبغي أن يلبس الثوب إلا لله وهو ستر العورة أو لنفسه لدفع الحر والبرد

﴿حكى﴾ ان سفيان الثوري رضي الله عنه خرج ذات يوم وعليه ثوب قد ابلسه مقلوبا فقبل له ولم يعلم بذلك فهم أن يخلعه ويغيره ثم تركه وقال حيث لبسته نويت اني ابلسه الله الآن فما غيره إلا لنظر الخلق فلا أنقض النية الأولى بهذه والصوفية خصوا بطهارة الاخلاق وما رزقوا طهارة الاخلاق إلا بالصلاح والاهلية والاستعداد الذي هياه الله تعالى لنفوسهم وفي طهارة الاخلاق وتعاضدها تناسب واقع لوجود تناسب هيئة النفس وتناسب هيئة النفس هو المشار اليه بقوله تعالى (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي) فالتناسب هو التسوية فمن المناسب أن يكون لباسهم مشا كلا لطعامهم وطعامهم مشا كلا لكلامهم وكلامهم مشا كلا لمقامهم لأن التناسب الواقع في النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثل في الاحوال يحكم به العلم ومتصوفة الزمان ملتزمون بشيء من التناسب مع مزج الهوى وما عندهم من التطمع إلى التناسب رشح حال سلفهم في وجود التناسب قال أبو سليمان الداراني يلبس أحدكم عباءة بثلاثة دراهم وشهوته في بطنه بخمسة دراهم أنكر ذلك لعدم التناسب فمن خشن ثوبه ينبغي أن يكون مأكوله من جنسه وإذا اختلف الثوب والمأكل يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن في أحد الطريق إما في طرف الثوب لموضع نظر الخلق وإما في طرف المأكل لفرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى مداواة ليعود إلى حد الاعتدال * لبس أبو سليمان الداراني ثوبا غسिला فقال له احمد لو لبست ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل قبيص في الثياب فكان الفقراء يلبسون المرقع وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت لقمهم من الابواب (وكان) أبو عبد الله الرفاعي مثابرا على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان إذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول أتم تأكلون بحق التوكل وأنا أكل بحق المسكنة ثم يخرج بين العشاءين لطلب الكسر من الابواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة ﴿وحكى﴾ ان جماعة من أصحاب المرقعات دخلوا على بشر بن الحرث فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزى فانكم تعرفون به وتكرمونه فسكتوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا

ممن يعرف به ويكرمه والله ليظهرن هذا الذي يكون الدين كله لله فقال له بشر
 أحسنت يا غلام مثلك من يلبس المرقعة فكلن أحدهم يبقى زمانه لا يطوى له ثوب ولا
 يملك غير ثوبه الذي عليه (وروى) أن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه لبس قيصاً
 اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كفه من رأس أصابعه وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب
 إن أردت أن تلقى صاحبك فرقع قيصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشبع
 ﴿ وحكى ﴾ عن الجريري قال كان في جامع بغداد رجل لا تكاد تجده إلا في ثوب واحد
 في الشتاء والصيف فسئل عن ذلك فقال قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب ليلة فيما يرى
 فرأيت النائم كأني دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على مائدة فأردت
 أن أجلس معهم فإذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء
 أصحاب ثوب واحد وأنت لك قيصان فلا تجلس معهم فانتبهت ونذرت أن لا ألبس إلا
 ثوباً واحداً إلى أن ألقى الله تعالى (وقيل) مات أبو يزيد ولم يترك إلا قيصه الذي كان
 عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه ﴿ وحكى ﴾ لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا أنه
 بقى زماناً لا يلبس الثوب إلا مستأجراً حتى أنه لم يلبس على ملك نفسه شيئاً (وقال)
 أبو حفص الحداد إذا رأيت وضاعة الفقير في ثوبه فلا ترجو خيره (وقيل) مات
 ابن السكري وكان أستاذ الجنيدى وعليه مرقعة قيل كان وزن فردكم له وتخاريصه
 ثلاثة عشر رطلاً فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الذي والتخشن وقد يكون جمع
 من الصالحين يتكافون لبس غير المرقع وزى الفقراء ويكون نيتهم في ذلك ستر الحال
 أو خوف عدم النهوض بواجب حق المرقعة (وقيل) كان أبو حفص الحداد يلبس
 الناعم وله بيت فرش فيه الرمل لعله كان ينام عليه بلا وطاء وقد كان قوم من أصحاب
 الصفة يكرهون أن يجعلوا بينهم وبين التراب حائلاً ويكون لبس أبي حفص الناعم يعلم
 ونية يلقي الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون إن لبسوا غير الخشن من الثوب لنية
 تكون لهم في ذلك فلا يعرض عليهم غير أن لبس الخشن والمرقع يصلح لسائر الفقراء
 بنية التقليل من الدنيا وزهرتها وبهجتها وقد ورد من ترك ثوب جمال وهو قادر على
 لبسه ألبسه الله تعالى من حلل الجنة وأما لبس الناعم فلا يصلح إلا للعالم بحاله بصير
 بصفات نفسه متفقد خفي شهوات النفس يلقي الله تعالى بحسن النية في ذلك فلحسن

النية في ذلك وجوه متعددة يطول شرحها ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب بعينه لا خشونته ولا لنعمته بل يلبس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فإن رأى للنفس شرها وشهوة خفية أو جلبية في الثوب الذي أدخله الله عليه يخرجها إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فعند ذلك لا يسعه إلا أن يلبس الثوب الذي ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو النجيب الصهروردي رحمه الله لا يتقيد بهيئة من الملبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعمد تكلف واختيار وقد كان يلبس العمامة بعشرة دنائير ويلبس العمامة بدائق وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويتطايأس وكان الشيخ علي بن الهيثمي يلبس لبس فقراء السواد وكان أبو بكر الفراء بزنجان يلبس فروا خشناً كأحد العوام ولكن في لبسه وهيئته نية صالحة وشرح تفاوت الأقدام في ذلك يطول (وكان) الشيخ أبو المعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق إليه الثوب الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق إلى بواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقال لا نلقى إلا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بحقائق القوم من أرباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختياراً أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الخشن ولكن يجب أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر اللجأ إلى الله والافتقار إليه ويسأله أن يريه أحب الزي إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى في زي بعينه فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه زياً مخصوصاً فيلتزم بذلك الزي فيكون لبسه بالله ويكون هذا آمراً أكمل ممن يكون لبسه لله ومن الناس من يتوفر حفظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم وإيقان ولا يبالي بما لبسه ناعماً لبس أو خشناً وربما لبس ناعماً ولنفسه فيه اختيار وحظ وذلك الحظ فيه يكون مكفراً له مردوداً عليه موهوباً له يوافق الله تعالى في إرادته نفسه ويكون هذا الشخص تام التزكية تام الطهارة محبوباً مراداً يسارع الله تعالى إلى مراده ومحابه غير أن ههنا من لا يقدم لكثير من المدعين (حكى) عن يحيى بن معاذ الرازي أنه كان يلبس الصوف والخلقان في ابتداء أمره

مصار في آخر عمره يلبس الناعم فقيل لأبي يزيد ذلك فقال مسكين يحبي لم يصبر على
الدون فكيف يصبر على التحف ومن الناس من يسبق اليه علم ماسوف يدخل عليه من
الملبوس فيلبسه محمودا فيه وكل أحوال الصادقين على اختلاف تنوعها مستحسنة قل
كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ولبس الخشن من الثياب هو
الأحب والأولى والأسلم للعبد والأبعد من الآفات (قال) مسامة بن عبد الملك دخلت
على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه فرأيت قميصه وسخا فقلت لامرأته فاطمة اغسلوا
ثياب أمير المؤمنين فقالت تفعل إن شاء الله قال ثم عدته فاذا القميص على حاله فقلت
يا فاطمة ألم آمركم أن تغسلوه قالت والله ماله قميص غير هذا (وقال) سالم كان عمر بن
عبد العزيز من ألين الناس لباسا من قبل أن يسلم إليه الخلافة فلما سلم إليه الخلافة ضرب
رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا باطهار له رثة فلبسها (وقيل) لما مات أبو الدرداء وجد
في ثوبه أربعون رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف (وقال) زيد بن وهب لبس على بن
أبي طالب قميصا رازيا وكان إذا مد كفه بلغ أطراف أصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال
أتعيبوني على لباس هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم (وقيل) كان عمر
رضي الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات
للنساء (وروى) عن رسول الله ﷺ أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف فانه مذلة
في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم (وروى)
أن رسول الله ﷺ احتذى نعلين فلما نظر إليهما أعجبه حسنهما فسجد لله تعالى فقيل
له في ذلك فقال خشيت أن يعرض عني ربي فتواضعت له لاجرم لا يبيتان في منزلي لما
تخوفت المقت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فدفعهما إلى أول مسكين لقيه ثم
أمر فاشترى له نعلان مخصوفتان (وروى) أن رسول الله ﷺ لبس الصوف واحتذى
المخصوف وأكل مع العبيد وإذا كانت النفس محل لآفات فالوقوف على دسائسها وخفي
شهواتها وكامن هواها عسر جدا فالأليق والأجدر والأولى الأخذ بالأحوط
وترك ما يريب إلى ما لا يريب ولا يجوز للعبد الدخول في السعة إلا بعد اتقان علم
السعة وكمال تزكية النفس وذاك إذا غابت النفس بغيبة هواها المتبع وتخلصت النية
وتسدد التصرف بعلم صريح واضح والعزيمة أقوام يركبونها ويراعونها لا يرون النزول

إلى الرخص خوفاً من فوت فضيلة الزهد في الدنيا واللباس الناعم من الدنيا (وقد قيل) من رق ثوبه رق دينه وقد رخص في ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع (روى) علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال النبي عليه السلام إن الله جميل يحب الجمال فتكون هذه الرخصة في حق من يلبسه لايهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومختال فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكاثربها فقد ورد فيه وعيد (روى) أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال إزرة المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين فهو في النار من جر إزاره بطراً لم ينظر الله إليه يوم القيامة فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر في ردائه إذ أعجبه ردائه غسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ومن صح حاله بصحة علمه صح نيته في مأكوله وملبوسه ومسائر تصاريفه وفي كل الأحوال يستقيم ويتسدد باستقامة الباطن مع الله تعالى وبقدر ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى

الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل

قال الله تعالى (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان) نزلت هذه الآية في المسلمين يوم بدر حيث نزلوا على كتيب من الرمل تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون إلى ماء بدر العظمى وغلبوهم عليها وأصبح المسلمون بين محدث وجنب وأصابهم الظمأ فوسوس لهم الشيطان أنكم تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وقد غلب المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبيين فكيف ترجون الظفر عليهم فأنزله الله تعالى مطراً من السماء سال منه الوادي فشرب المسلمون منه واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الدواب وملئوا الأسقية ولبد الأرض حتى ثبت به الأقدام قال الله تعالى (وثبت به الأقدام) إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم) أمدهم الله تعالى بالملائكة حتى غلبوا المشركين ولكل آية من القرآن ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى كما جعل الناس رحمة وأمنة للصحابة خاصة في تلك الواقعة والحادثة فهو رحمة تعم المؤمنين والنعاس

قسم صالح من الاقسام العاجلة للمريدين وهو أمانة لقلوبهم من منازعات النفس لأن النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال والتعب إذ في شكائتها وتعبها تكدير القلب وباحترامها بالنوم بشرط العلم والاعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من المواطاة عند طمأنينتها للمريدين السالكين فقد قيل ينبغي أن يكون ثلث الليل والنهار نوما حتى لا يضطرب الجسد فيكون ثمان ساعات للنوم ساعتين من ذلك يجعلهما المرید بالليل ويزيد في أحدهما وينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره في الشتاء والصيف وقد يكون بحسن الارادة وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك إذا صار بالتدريج عادة وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم وجود الروح والانس فان النوم بطبعه بارد رطب ينفع الجسد والدماغ ويسكن من الحرارة واليبس الحادث في المزاج فان نقص عن الثلث يضر الدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب وأنسه لا يضر نقصانه لأن طبيعة الروح والانس باردة رطبة كطبيعة النوم وقد تنقص مدة طول الليل بوجود الروح فتصير بالروح أوقات الليل الطويلة كالقصة كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لأهل الروح (نقل) عن علي بن بكار أنه قال منذ أربعين سنة ما أحرزني إلا طلوع الفجر وقيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما راعيته قط يرى وجهه ثم ينصرف وما تأملته وقال أبو سليمان الداراني أهل الليل في ليلهم أشد لذة من أهل اللهو في لهوهم وقال بعضهم ليس في الدنيا شيء يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة ثواب عاجل لأهل الليل (وقال) بعض العارفين ان الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين في الأسحار فيملؤها نورا فتزد القوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم القوائد إلى قلوب الغافلين وقد ورد أن الله تعالى أوحى في بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه ان لي عبادا يحبوني وأحبهم ويشتاقون إلي وأشتاق اليهم ويزكروني وأذكروني وينظرون إلي وأنظر اليهم فان حذوت طريقةهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلام بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحمنون إلى غروب الشمس كما تحمن الطير إلى أوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخال كل حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم واقتروا لي وجوههم وناجوني

بكلامى وتعلقوا إلى بانعاى فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعينى مايتحملون من
أجلى وبسمعى مايشتهكون من حى أول ما أعطيهـم أن أقذف من نوري فى قلوبهم
فيخبرون عنى كما أعنيهم والثاني لو كانت السموات السبع والارضون وما فيهما فى
موازينهم لاستقللتها لهم والثالث أقبل بوجهى عليهم أفترى من أقبلت بوجهى عليه
أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه فالصادق المرید إذا خلا فى ليله بمناجاة ربه انتشرت
أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره ويصير نهاره فى حماية ليله وذلك لامتلاء قلبه بالأنوار
فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار تصدر من منبع الأنوار المجتمعة من الليل ويصير
قلبه فى قبة من قباب الحق مسددا حركاته موفرة سكناته * وقد ورد من صلى بالليل
حسن وجهه بالنهار ويجوز أن يكون لمعنيين أحدهما ان المشكاة تستنير بالمصباح فاذا
صار سراج اليقين فى القلب يزهـر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح اشراقا
وتكتسب مشكاة القلب نورا وضياء * كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار
والاقرار فتيلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)
وقال تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) فنور اليقين من نور الله فى زجاجة
القلب يزداد ضياء بزيت العمل فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدرى وتنعكس أنوار
الزجاجة على مشكاة القلب وأيضا يلين القلب بنار النور ويسرى لينه إلى القلب فيلين
القلب للين القلب فيتشابهان لوجود اللين الذى عمهـما قال الله تعالى (ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله) وصف الجلود باللين كما وصف القلوب باللين فاذا امتلأ القلب
بالنور ولان القلب بما يسرى فيه من الأنس والسرور يندرج الزمان والمكان فى نور
القلب ويندرج فيه الكلام والآيات والسود وتشرق الارض أرض القلب بنور ربها
إذ يصير القلب سماء والقلب أرضاً ولذة تلاوة كلام الله فى محل المناجاة تسترقون
الكائنات والكلام المجيد بكونه ينوب عن سائر الوجود فى مزاحمة صفو الشهود فلا
يبقى حينئذ للنفس حديث ولا يسمع الهاجس حسيس وفى مثل هذه الحالة يتصور
تلاوة القرآن من فاعمته إلى خاتمته من غير وسوسة وحديث نفس وذلك هو الفضل
العظيم * الوجه الثاني لقوله عليه السلام من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار معناه ان
وجود أموره التى يتوجه اليها تحسن وتنداركه المعونة من الله الكريم فى تصاريفه

ويكون معانا في مصدره ومورده فيحسّن وجه مقاصده وأفعاله وينتظم في سلك السداد مسددا أقواله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب

❦ الباب السادس والأربعون في ذكر الأسباب المعينة

على قيام الليل وأدب النوم ❦

فمن ذلك ان العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبلاً القبلة منتظراً مجيء الليل وصلاة المغرب مقياً في ذلك على أنواع الأذكار ومن أولها التسبيح والاستغفار قال الله تعالى لنبيه (واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) ومن ذلك أن يواصل بين العشاءين بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر وأفضل ذلك الصلاة فإنه إذا واصل بين العشاءين يغسل عن باطنه آثار الكدورة الحادثة في أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فإن ذلك كله له أثر وخدش في القلوب حتى النظر اليهم يعقب كدراً في القلب يدركه من برزق صفاء القلب فيكون أثر النظر إلى الخلق للبصيرة كالقذى في العين للبصر وبالمواصلة بين العشاءين يرحى ذهاب ذلك الأثر ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الآخرة فإن الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في القلب من مواصلة العشاءين ويقيد من قيام الليل سيما إذا كان عرباً عن بقطة القلب ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضاً معين على قيام الليل * حكى لي بعض الفقهاء عن شيخ له بخراسان أنه كان يغتسل في الليل ثلاث مرات مرة بعد العشاء الآخرة ومرة في أثناء الليل بعد الانتباه من النوم ومرة قبل الصبح فلو وضوء والغسل بعد العشاء الآخرة أثر ظاهر في تيسير قيام الليل ومن ذلك التعود على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يغلب النوم فإن التعود على ذلك يعين على سرعة الانتباه إلا أن يكون واثقاً من نفسه وحادثه فيتعلم للنوم ويستجلبه ليقوم في وقته المعهود وإلا فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للمريدين والطالبيين وبهذا وصف المحبون قبل نومهم نوم الغرقى وأكلهم أكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وانما النفس إذا أطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزعجت بصدق العزيمة لا تترسل في

الاستقرار وهذا الانزعاج في النفس بصدق العزيمة هو التجافي الذي قال الله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) لأن الهم بقيام الليل وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والموضع نبوا وتجافيا وقد قيل للنفس نظران نظر إلي تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ونظر إلي فوق لاستيفاء الأقسام العلوية الروحانية فأرباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الرحمانية فأعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوها حظها فالنفس بما فيها مركز من الترابية والجمادية ترسب وتستحلس وتستلذ النوم قال الله تعالى (هو الذي خلقكم من تراب) وللاّدمى بكل أصل من أصول خلقته طبيعة لازمة له والرسوب صفة التراب والكسل والتقاعد والتناوم بسبب ذلك طبيعة في الانسان فأرباب الهممة أهل العلم الذين حكم الله تعالى لهم بالعلم في قوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) حتى قال (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) حكم لهؤلاء الذين قاموا بالليل بالعلم ففهم لموضع علمهم أزعجوا النفوس عن مقدار طبيعتها ورقوها بالنظر إلى الذات الروحانية إلى ذرا حقيقتها فتجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الهاجع (ومن ذلك) أن يغير العادة فان كان ذا وسادة يترك الوسادة وإن كان ذا وطاء يترك الوطاء وقد كان بعضهم يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إلي من أن أرى وسادة فانها تدعوني إلى النوم ولتغير العادة في الوسادة والعطاء والوطاء تأثير في ذلك ومن ترك شيئا من ذلك والله عالم بنيته وعزمته يثيبه على ذلك بتيسير ما رام (ومن ذلك) خفة المعدة من الطعام ثم تناول مايا كل من الطعام إذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن أمان على قيام الليل لأن بالذكر يذهب داؤه فان وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغي أن يعلم ان ثقله على القلب أكثر فلا ينام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار (قال) بعضهم لأن أنقص من عشائي لقمة أحب إلي من أن أقوم ليلة والأحوط أن يوتر قبل النوم فانه لا يدري ماذا يحدث ويعد طهوره وسواكه عنده ولا يدخل النوم الا وهو على الطهارة (قال) رسول الله ﷺ إذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم

على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق والمريد المتأهل إذا نام في الفراش مع الزوجة ينتقض وضوؤه باللمس ولا يفوته بذلك فائدة النوم على الطهارة ما لم يسترسل في التذاذ النفس باللمس ولا يعدم يقظة القلب فأما إذا استرسل في الالتذاذ وغفل فتنحجب الروح أيضا لمكان صلافته ومن الطهارة التي تنمر صدق الرؤيا طهارة الباطن عن خدش الهوى وكدورة محبة الدنيا والتزهر عن انجاس الغل والحقد والحسد وقد ورد من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما أحترم وإذا طهرت النفس عن الرذائل انجلت مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ في النوم وانتعشت فيه عجائب الغيب وغرائب الانباء ففي الصديقين من يكون له في منامه مكاملة ومحادثة فيأمره الله تعالى وينهاه ويفهمه في المنام ويعرفه ويكون موضع مايفتح له في نومه من الأمر والنهي كالأمر والنهي الظاهر يعصى الله تعالى إن أخل بها بل تكون هذه الأوامر أكد وأعظم وقعا لأن المخالفات الظاهرة تمحوها التوبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذه أوامر خاصة تتعلق بحاله فيما بينه وبين الله تعالى فإذا أخل بها يخشى أن ينقطع عليه طريق الارادة ويكون في ذلك الرجوع عن الله واستيجاب مقام المقت فان ابتلى العبد في بعض الاحايين بكسل وفتور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث يسمح أعضائه بالماء مسحاً حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل المتيقظين وهكذا إذا كسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد أن يستاك ويمسح أعضائه بالماء مسحاً حتى يخرج في تقلباته وانتباهاته عن زمرة الغافلين ففي ذلك فضل كثير لمن كثر نومه وقل قيامه (روى) ان رسول الله ﷺ كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فاما على جنبه الايمن كالملحد وإما على ظهره مستقبلاً للقبلة كالملت المسجى ويقول باسمك اللهم ربى وضعت جنبي وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم اني أسألت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك لا ملجأ

ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبئك الذى أرسلت اللهم
 قنى عذابك يوم تبعث عبادك الحمد لله الذى حكم فقهر الحمد لله الذى بطن خير
 الحمد لله الذى ملك فقدر الحمد لله الذى هو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير
 اللهم انى أعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر الشيطان وشركه
 ويقرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الاول والآية الخامسة (إن فى خلق
 السموات والارض) وآية الكرسي وآمن الرسول وإن ربكم الله وقل ادعوا الله
 وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله
 أحد والمعوذتين وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وإن أضاف
 إلى ماقرأ عشرة من أول الكهف وعشرا من آخرها فحسن ويقول اللهم يقظنى
 فى أحب الساعات إليك واستعملنى بأحب الاعمال إليك التى تقربنى إليك زلنى
 وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك
 فتسجيب لى اللهم لا تؤمنى مكرى ولا تولنى غيرك ولا ترفع عنى سترك ولا
 تنسنى ذكرى ولا تجعلنى من الغافلين (ورد) ان من قال هذه الكلمات بعث
 الله تعالى إليه ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا آمنوا على دوائه وإن
 لم يقم تعبدت الاملاك فى الهواء وكتب لهم ثواب عبادتهم ويسبح ويحمد
 ويكبر كل واحد ثلاثا وثلاثين ويتم المائة بلا إله إلا الله والله أكبر ولا حول
 ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

❦ الباب السابع والاربعون فى أدب الانتباه

من النوم والعمل بالليل ❦

إذا فرغ المؤذن من أذان المغرب يصلى ركعتين خفيفتين بين الاذان والاقامة
 وكان العلماء يصلون هاتين الركعتين فى البيت يعجلون بهما قبل الخروج إلى الجماعة
 كيلا يظن الناس انهما سنة مرتبة فيقتدى بهم ظنا منهم انهما سنة وإذا صلى
 المغرب يصلى ركعتى السنة السنة بعد المغرب يعجل بهما فانهما يرفعان مع
 الفريضة يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة
 الليل والكرام السكاتبين فيقول مرحبا بملائكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين

الكاتبين اكتبوا في صحيفتي اني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق والصراف والميزان حق وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي إليها اللهم احطط بها وزري واغفر بهاذنبي وثقل بها ميزاني وأوجب لي بها أمانتي وتجاوز عني يا أرحم الراحمين فإن واصل بين العشاءين في مسجد جماعته يكون جامعا بين الاعتكاف ومواصلة العشاءين وإن رأي انصرافه إلى منزله وإن المواصلة بين العشاءين في بيته أسلم لدينه وأقرب إلى الاخلاص واجمع اللهم فليفعل * وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال هي الصلاة بين العشاءين وقال عليه السلام عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بعلاغة النهار وتهذب آخره ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة البروج والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين يقرأ في الأولى عشر آيات من أول سورة البقرة والآيتين وإلهكم إله واحد إلى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله وفي الثانية آية الكرسي وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ويقرأ في الركعتين الأخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويصلي بعد ذلك ماشاء فان أراد ان يقرأ شيئا من حزه في هذا الوقت في الصلاة أو غيرها وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفتحة ولو واصل بين العشاءين بركعتين يطيلهما خسن وفي هاتين الركعتين يطيل القيام قالبا للقرآن حزه أو مكررا آية فيها الداء والتلاوة مثل ان يقرأ مكررا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير أو آية أخرى في معناها فيكون جامعا بين التلاوة والصلاة والدعاء ففي ذلك جمع اللهم وظفر بالفضل ثم يصلي قبل العشاء أربعاً وبعد ركعتين ثم ينصرف إلى منزله أو موضع خلوته فيصلي أربعاً أخرى وقد كان رسول الله ﷺ يصلي في بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس أربعاً ويقرأ في هذه الأربع سورة لقمان ويس وحم الدخان وتبارك الملك وإن أراد أن يخفف فيقرأ فيها آية الكرسي وآمن الرسول وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ويصلي بعد الأربع إحدى عشرة ركعة يقرأ فيها

(١٧ - عوارف المعارف)

ثلاثمائة آية من القرآن من السماء والطارق إلى آخر القرآن ثمانمائة آية هكذا ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله وان أراد قرأ هذا القدر في أقل من هذا العدد من الركعات وان قرأ من سورة الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وان لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجيد إلا أن يكون وانما من تنسه في عاداتها بالانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجيد حينئذ أفضل (وقد كان بعض العلماء) إذا أوتر قبل النوم ثم قام تهجد يصلي ركعة يشفع بها وتره ثم يتفعل ماشاء ويوفي آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول الليل يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً يقرأ فيها بأذان زلزلت والهاكم وقيل لعمل الركعتين قائداً بمنزلة الركعة قائماً يشفع له الوتر حتى إذا أراد التهجيد يأتي به ويوتر في آخر تهجده ونية هاتين الركعتين نية النفل لا غير ذلك وكثيراً ما رأيت الناس يتفاوضون في كيفية نية هاتين الركعتين في كل ليلة المسبحات وأضاف إليها سورة الأعلى فتصير سناً فقد كان العلماء يقرؤون هذه السور ويترقبون بركتها فإذا استيقظ من النوم فن أحسن الأدب عند الانتباه أن يذهب بباطنه إلى الله ويصرف فكره إلى أمر الله قبل أن يحول الفكر في شيء سوى الله ويشغل اللسان بالذكر فالصادق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام ينام على محبة الشيء وإذا انتبه يطلب ذلك الشيء الذي كان كلف به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام إلى الحشر فليُنظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ما همه فانه هكذا يكون عند القيام من القبر ان كان همه الله فهمه هو والافهمه غير الله والعبد إذا انتبه من النوم فباطنه حائد إلى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن بتغير غير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذي انتبه عليه ويكون قادراً إلى ربه بباطنه خوفاً من ذكر الاغيار ومهما وفي الباطن بهذا المعيار فقد انتقى طريق الأنوار وطرق النفحات الالهية فحدير ان تنصب إليه أقسام الليل انصباباً ويسير جناب القرب له مؤثلاً ومأباً ويقول باللسان الحمد لله الذي أحيانا بعد ما ماتنا وإليه النشور ويقرأ العشر الاواخر من سورة آل عمران ثم يقصد الماء الطهور قال الله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وقال عز وجل انزل من السماء ماء فسالأت أودية

بقدرها قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما الماء القرآن والأودية القلوب فسالت بقدرها واحتملت ماوسعت والماء مطهر والقرآن مطهر والقرآن بالتطهير اجدر فالماء يقوم غيره مقامه والقرآن والعلم لا يقوم غيره مقامه ولا يسد مسده فالماء الطهور يطهر الظاهر والعلم والقرآن يطهران الباطن ويذهبان رجز الشيطان فالنوم غفلة وهو من آثار الطبع وجدير ان يكون من رجز الشيطان لما فيه من الغفلة عن الله تعالى وذلك ان الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الأرض فكانت القبضة جلدة الأرض والجلدة ظاهرها بشرة وباطنها أدمة قال الله تعالى اني خالق بشر من طين فالبشرة والبشر عبارة عن ظاهره وصورته والادمة عبارة عن باطنه وأدميته والادمية مجمع الاخلاق الحميدة كان التراب موطنه اقدم إبليس ومن ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة معجونة في طينة الآدمي ومنها الصفات المذمومة والأخلاق الرديئة ومنها الغفلة والسهو فاذا استعمل الماء وقرأ القرآن أتى بالمطهرين جميعا ويذهب عنه رجز الشيطان وأثر وطائه ويحكم له بالعلم والخروج من حيز الجهل فاستعمال الطهور أمر شرعى له تأثير في تنوير القلب بازاء النوم الذى هو الحكم الطبيعى الذى له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآها حكما طبيعيا جالبا للآثم والاثم رجز من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من الغيبة والكذب وعند الغضب لظهور للنفس وتصرف الشيطان في هذه المواطن ولوان المتحفظ المراعى المراقب المحاسب كلما انطلقت النفس في مباح من كلام أو مساكنة إلى مخالطة الناس أو غير ذلك مما هو بعرضة تحاميل عقد العزيمة كالخوض فيما لا يعنى قولا وفعلا عقب ذلك بتجديد الوضوء اثبت القلب على طهارته ونزاهته ولما كان الوضوء لصفاء البصيرة بمثابة الجفن الذى لا يزال بخفة حركته يحلو البصر وما يعقلها الا العاملون فتفكر فيما نهيتك عليه تجدد بركته واثره ولو اغتسل عند هذه المتجددات والعوارض والانتباه من النوم لكان ازيد في تنوير قلبه ولما كان الاجدران العبد يغتسل لكل فريضة باذلا مجهوده في الاستعداد لمناجاة الله ويجدد

غسل الباطن بصدق الانابة وقد قال الله تعالى منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة
 قدم الانابة للدخول في الصلاة ولكن من رحمة الله تعالى وحكم الحنيفية السهلة
 السمحة ان رفع الحرج وعوض بالوضوء عن الغسل وجوز اداء مائة تضرعات بوضوء
 واحد دفعاً للحرج عن عامة الأمة وللخواص وأهل العزيمة مطالبات من بواطنهم
 تحكم عليهم بالأولى وتلجئهم إلى سلوك طريق الاعلى فاذا قام إلى الصلاة وأراد
 استفتاح التهجد يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا
 ويقول سبحان الله والحمد لله الكلمات عشر مرات ويقول الله أكبر ذوالملك
 والمللكوت والجبروت والكبرياء العظيمة والجلال والقدرة اللهم لك الحمد أنت نور
 السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم
 السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن
 أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد
 عليه السلام حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت وإليك
 حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت
 المؤخر لا إله إلا أنت اللهم أنت نفسى تقواها وزكاها أنت خير من زكاها أنت وليها
 ومولاها اللهم اهدني لاهسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها إلا أنت واصرف عني
 سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت اسألك مسئلة البائس المسكين وادعوك دعاء
 الفقير الدليل فلا تجملنى بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحما يا خير المسؤولين
 ويا أكرم المعطين ثم يصلى ركعتين تحية الطهارة يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ولوانهم
 إذ ظلموا أنفسهم الآية وفي الثانية ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يمجده
 الله غفورا رحما ويستغفر بعد الركعتين مرات ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين
 ان أراد يقرأ فيهما بآية الكرسي وآمن الرسول وإن أراد غير ذلك ثم يصلى ركعتين
 طويلتين هكذا روى عن رسول الله ﷺ انه كان يتمجد هكذا ثم يصلى ركعتين
 طويلتين أقصر من الأوليين وهكذا يتدرج إلى ان يصلى اثنتى عشرة ركعة أو ثمان
 ركعات أو يزيد على ذلك فضلا كثيرا والله أعلم

﴿الباب الثامن والأربعون في تقسيم قيام الليل﴾

قال الله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل في تفسير قوله تعالى فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرأه عين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم قيام الليل وقيل في تفسير قوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة استعينوا بصلاة الليل على مجاهدة النفس ومصاربة العدو (وفي الخبر) عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطر دة للداء عن الجسد (وقد كان) جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى نقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء منهم سعيد ابن المسيب وفضيل بن عياض وهيب بن الورد وأبوسليمان الداراني علي بن بكار وحبيب العجمي وكهمس بن المنهال وأبو حازم ومحمد بن المنكدر وأبو حنيفة رحمه الله وغيرهم عددهم وسماهم بالنسابة الشيخ أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب فمن عجز عن ذلك يستحب له قيام ثلثه أو ثلثه وأقل الاستحباب سدس الليل فاما ان ينام ثلث الليل الأول ويقوم نصفه وينام سدسه الآخر أو ينام النصف الأول ويقوم ثلثه وينام السدس (روى) ان داود عليه السلام قال يا رب اني أحب ان أعبد لك فأى وقت أقوم فأوحى الله تعالى إليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فانه من قام أوله نام آخره ومن قام آخره نام أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك وارفع إلي حوائجك ويكون القيام بين نومتين والافيق غالب النفس من أول الليل ويتنفل فاذا غلبه النوم ينام فاذا انتبه يتوضأ فيكون له قومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل ما يفعله ولا يصلي وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل ما يقول (وقد ورد) لا تكابدو الليل (وقيل) لرسول الله ﷺ ان فلانة تصلي من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فليتم (وقال عليه السلام) لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن تشاده يغلبه ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ولا يليق بالطالب ولا ينبغي له ان يطلع الفجر وهو نائم إلا ان يكون قد سبق له في الليل قيام طويل فيعذر في ذلك على انه إذا استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام

قليل سبق في الليل يكون أفضل من قيام طويل ثم النوم إلى بعد طلوع الفجر فإذا
 استيقظ قبل الفجر يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم تلك الساعة وكلما صلى بالليل
 يجلس قليلا بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ويصلي على رسول الله ﷺ فانه يمجّد
 بذلك زويحا وقوة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول هي أول نومة فان انتهت
 ثم عدت إلى نومة أخرى فلا أنام الله عني (وحكى) لى بعض الفقراء عن شيخ له انه
 كان يأمر الأصحاب بنومة واحدة بالليل وأكلة واحدة لليوم والليلة (وقد جاء)
 في الخبر قم من الليل ولو قدر حلب شاة وقيل يكون ذلك قدر أربع ركعات وقدر
 ركعتين (وقيل) في تفسير قوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء هو
 قيام الليل ومن حرم قيام الليل كسلا وفتورا في العزيمة أوتهاونا به لقلة الاعتداد
 بذلك أو اغترارا بحاله فليبك عليه طريق كبير من الخير وقد يكون من أرباب
 الأحوال من يكون له ايواء إلى القرب ويمجد من دعة القرب ما يفتر عليه داعية الشوق
 ويرى ان القيام وقوف في مقام الشوق وهذا يغلط فيه ويهلك به خالق من المدعين
 والذي له ذلك ينبغي ان يعلم ان استمرار هذه الحالة معتذر والانسان متعرض
 للقصور والتخلف والشبهة ولا حالة أجل من حال رسول الله ﷺ وما استغنى عن
 قيام الليل وقام حتى تورمت قدماءه وقد يقول بعض من يحاج في ذلك ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريعا فنقول ما بالنا نتبع تشريعه وهذه دقيقة فتعلم
 ان رؤية الفضيلة في ترك القيام وادعاء الايواء إلى جناب القرب واستواء النوم
 واليقظة امتلاء وابتلاء حالي وهو تفيد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال في
 العبد والاقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال في صور الأعمال فهم
 متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم فليعلم ذلك فانارأينا من الأصحاب من
 كان في ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى ان ذلك وقوف وقصور (قيل) للحسن
 يا أبا سعيد اني اريد معافي وأحب قيام الليل وأعد طهورى فبالى لا أقوم قال ذنوبك
 قيدتك فليحذر العبد في نهاده ذنوبا تقيده في ليله (وقال النورى) رحمه الله حرمت
 قيام الليل سبعة أشهر بذنوب أذنبته فقليل له ما كان الذنب قال رأيت رجلا بكاء فقلت
 في نفسي هذا امراء (وقال بعضهم) دخلت على كرز ابن وبرة وهو يبكي فقلت ما

بإلك أنك نعى بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك قال أشد فقلت وماذا قال باني مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وماذا إلا بالذنوب أحدثته (وقال بعضهم) الاحتلام عقوبة وهذا صحيح لأن المراعى المتحفظ بحسن تحفظه وعلمه بحاله يقدر ويتمكن من سد باب الاحتلام ولا يتطرق الاحتلام الا على جاهل بحاله أو مهمل حكم وقته وأدب حاله ومن كمل تحفظه ورعايته وقيامه بأدب حاله قد يكون من ذنبه الموجب للاحتلام ووضع الرأس على الوسادة إذا كان ذاعزعة في ترك الوسادة وقد يتهمد للنوم ووضع الرأس على الوسادة بحسن النية من لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نية للمعون على القيام وقد يكون ذلك ذنبا بالنسبة إلى بعض الناس فاذا كان هذا القدر يصلح أن يكون ذنبا جالبا للاحتلام فقس على هذا ذنوب الاحوال فانها تختص بأربابها ويعرفها أصحابها وقد يرتفق بأنواع الرفق من الفراش الوطىء والوسادة ولا يعاقب بالاحتلام إذا كان عالما بذانية يعرف مداخل الامور ومخارجها وكم من نائم يسبق التائب لو فر علمه وحسن نيته (وفي الخبر) إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فان قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة وان توضأ انحلت عقدة أخرى وان صلى ركعتين انحلت العقد كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح كسلان خبيث النفس (وفي خبر آخر) ان من نام حتى يصبح بالشيطان في اذنه والذي يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بأمور الدنيا وكثرة اشغال الدنيا واتعاب الجوارح والامتلاء من الطعام وكثرة الحديث واللغو واللغظ واهمال القيلولة والموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه ولا يهمل فيهمل

❦ الباب التاسع والأربعون في استقبال النهار والأدب فيه والعمل ❦ قال الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار أجمع المفسرون على ان أحد الطرفين أركابه الفجر واختلفوا في الطرف الآخر قال قوم أركابه المغرب وقال آخرون صلاة العشاء وقال قوم صلاة الفجر والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل صلاة العشاء ثم ان الله تعالى أخبر عن عظيم بركة الصلاة وشرف فائدتها ومثمرتها وقال ان الحسنات يذهبن السيئات أى الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات (وروى) ان

أبواليسر كعب بن عمرو الانصارى كان يبيع التمر فأتت امرأة تبتاع تمرًا فقال لها إن هذا التمر ليس بمجيد وفى البيت أجود منه فهل لك فيه رغبة قالت نعم فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم ثم أتى النبي عليه السلام وقال يا رسول الله ما تقول فى رجل راود امرأة عن نفسها ولم يبق شيء مما يفعل الرجال بالنساء الا ركبه غير انه لم يجامعها قال عمر بن الخطاب لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ولم يرد رسول الله ﷺ عليه شيئًا وقال انتظر أمر ربي وحضرت صلاة العصر وصلى النبي عليه الصلاة والسلام العصر فامطر طأتاه جبريل بهذه الآية فقال النبي عليه السلام أين أبو اليسر فقال ها أنا ذا يا رسول الله قال شهدت معنا هذه الصلاة قال نعم قال اذهب فانها كفارة لما عملت فقال عمر يا رسول الله هذا خاصة أولنا عامة فقال بل للناس عامة * فيستعد العبد لصلاة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر ويستقبل الفجر بتجديد الشهادة كما ذكرنا فى أول الليل ثم يؤذن ان لم يكن اجاب المؤذن ثم يصلى ركعتي الفجر يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفى الثانية قل هو الله أحد وان أراد قرأ فى الأولى قولوا آمنا بالله وما أنزل الآيات فى صورة البقرة وفى الأخرى ربنا آمنا بما أنزل واتبعنا الرسول ثم يستغفر الله ويسبح الله تعالى بما تيسر له من العدد وان اقتصر على كلمة أستغفر الله لذنبي سبحان الله بحمد ربى أتى بالمقصود من التسبيح والاستغفار (ثم يقول) اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملى وتلم بها شعئى وتردبها الفتن عني وتصلح بهاديني وتحفظ بها فائى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلقنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم أعطني إيمانًا صادقًا ويقينًا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة اللهم انى أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم انى انزل بك حاجتى وان قصر رأيت وضعف عملى وافقرت إلى رحمتك وأسألك يا قاضى الأمور ويا شافى الصدور كما تحيى بين البحور ان تحيى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيت وضعف فيه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيته من خير

وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فانا راغب إليك فيه
وأسألك اياه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهدين غير ضالين ولا مضلين حربا
لأعدائك وسلما لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من
خلقك اللهم هذا الدعاء مني ومنك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان إنا لله
وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذى الجبل الشديد والأمر
الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقرين الشهود والركم
السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحانه من
تعطف بالعز وقال به سبحانه من لبس الحمد وتكرم به سبحانه الذى لا ينبغى التسبيح
إلا له سبحانه ذى الفضل والنعم سبحانه ذى الجود والكرم سبحانه الذى أحصى
كل شيء بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا
فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى
عظامى ونورا من بين يدي ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شاملى ونورا
من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا واعطنى نورا واجعل لى نورا ولهذا الدعاء
أثر كثير وما رأيت أحدا حافظ عليه إلا وعنده خير ظاهر وبركة وهو من وصية
الصادقين بعضهم بعضا يحفظه والمحافظة عليه منتول عن رسول الله ﷺ انه كان
يقرؤه بين الفريضة والسنة من صلاة الفجر ثم يقصد المسجد للصلاة فى الجماعة
ويقول عند خروجه من منزله وقل رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج
صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ويقول فى الطريق اللهم انى أسألك بحق
السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة
خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك ان تنقذنى من النار وان تغفر لى
ذنوبى انه لا يغفر الذنوب إلا أنت (وروى) أبو سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قال ذلك إذا خرج إلى الصلاة وكل الله به سبعين ألف ملك
يستغفرون له وأقبل الله تعالى عليه بوجهه الكريم حتى يقضى صلاته وإذا دخل
المسجد أو دخل سجاده للصلاة يقول بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على
رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ويقدم رجله اليمينى فى

الدخول واليسرى في الخروج من المسجد أو السجادة فسجادة الصوفي بمنزلة البيت والمسجد ثم يصلى صلاة الصبح في جماعة فإذا سلم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويقرأ هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم التسعة والتسعين إسماً إلى آخرها فإذا فرط منها يقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأُمى وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه اداء واعط الوسيطة والمقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه عنا أفضل ما جازيت نبيا عن أمته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين اللهم صل على محمد في الأولين وصل على محمد في الآخرين وصل على محمد إلى يوم الدين اللهم صل على روح محمد في الأرواح وصل على جسد محمد في الأجساد واجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك ورضوانك على محمد عبدك ونبيك ورسولك اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام فحينما ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيرى وأصبحت مرتبها بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بي عدوى ولا تسيء بي صديقى ولا تجعل مصيبتى في دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى اللهم هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها وماعلمت فيه من سيئة فاغفر لي انك غفور رحيم ودود رضىت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً اللهم انى أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وأعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار ومن بغتات الأمور وفجأت الأقدار ومن شر كل طارق يطرق إلا طارفاً يطرق منك بخير يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وأعوذ بك ان أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أعظم أو أعظم أو أجهل أو يجهل على عز

جارك وجل ثنائك وتقدست أسماؤك وعظمت نعمائك أعوذ بك من شر ما يلج
 في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها أعوذ بك من حدة
 الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة الغفلة وتعاطي الكلفة اللهم إني
 أعوذ من مباحاة المكثرين والازراء على المقلين وإن أنصر ظالما أو أخذل مظلوما
 وإن أقول في العلم بغير علم أو أعمل في الدين بغير يقين أعوذ بك أن أشرك بك
 وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من
 سخطك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم
 أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وابن عبدك وعلى عهدك ووعدك
 ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي
 إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وآخره نجاحا
 وأوسطه فلاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكملة أصبحنا
 وأصبح الملك لله والعظمة والكبرياء لله والجبروت والسلطان لله والليل والنهار
 وما سكن فيهما الله الواحد القهار أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى
 دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أئمتنا إبراھيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين
 اللهم اننا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الخنان المنان بديع السموات والأرض
 ذو الجلال والاكرام أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
 أحد يا حي يا قيوم يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه يا حي محيي الموتى يا حي مميت
 الأحياء ووارث الأرض والسماء اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم
 وباسمك الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم اللهم إني أسألك
 باسمك الأعظم الأجل الأعز الأكرم الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به
 أعطيت يا نور النور يا مدبر الأمور يا عالم ما في الصدور يا سميع يا قريب يا مجيب
 الدعاء يا لطيف لما يشاء يا رؤف يا رحيم يا كبير يا عظيم يا الله يا رحمن يا ذا الجلال
 والاكرام الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم يا إلهي
 وإله كل شيء إلهي واحدا لا إله إلا أنت اللهم إني أسألك باسمك يا الله الله الله
 الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو

رب العرش الكريم أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وسعت كل شيء رحمة
وعلمها كهيمعص حم عمق الرحم ن يا واحد يا قهار يا عزيز يا جبار يا أحد يا صمد
يا ودود يا غفور هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم
لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم إني أعوذ باسمك المكنون
المنزول المنزل السلام الطهر الطاهر القدوس المقدس يادهر ياديهور ياديهار يا أبد
يا أزل يا من لم يزل ولا يزال ولا يزول هو باهو لا إله إلا هو يا من لا هو إلا هو
يا من لا يعلم ما هو إلا هو يا كان يا كينان يادروح يا كائن قبل كل كون يا كائن
بعد كل كون يا مكنو نالكل كون أهيا أشرا هيا أدونا ي اصبوت يا مجلى عظام الأمور فان
تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم
وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد
اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع اللهم إني
أعوذ بك من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة الحيا والممات اللهم إني أعوذ
بك من شر ما علمت وشر ما لم أعلم وأعوذ بك من شر سمعى وبصرى ولسانى
وقلبى اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والنذل والمسكنة وأعوذ بك من الفقر
والكفر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة
والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسائر الأسقام
اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحويل عافيتك ومن خفاة نعمتك ومن
جميع سخطك اللهم إني أسألك الصلاة على محمد وعلى آله وأسألك من الخير كله
حاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت
منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار
وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك ما سألك عبدك ونبيك محمد ﷺ وأستعيذك
بما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل
عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين يا قيوم برحمتك أستغيث لا تسكننى إلى نفسى
طرفه عين وأصلح لى شأنى كله يا نور السموات والأرض يا جمال السموات والأرض

يا عماد السموات والأرض يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا صريح
المستصرخين يا غوث المستغيثين يا منتهى رغبة الراغبين والمفرج عن المكروبين
والمروح عن المغمومين ومحبيب دعوة المضطرين وكاشف سوء وأرحم الراحمين وإله
العالمين منزول بك كل حاجة يا أرحم الراحمين اللهم استر عوراتي وأمن روعاتي وأفلني
عثراتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ
بك أن أغتال من تحتي اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ لي الخير بناصيتي
واجعل الاسلام منتهى رضائي اللهم اني ضعيف فقوني اللهم اني ذليل فأعزني
اللهم اني فقير فأغنني برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم إنك تعلم سرى وعلايتي
فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم
إني أسألك إيماناً يثمر قلبي وبقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي
والرضا بما قسمت لي يا ذا الجلال والإكرام اللهم يا هادي المضلين وياراحم المذنبين
ومقبل عثرة العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا
مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
أمين يارب العالمين اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات تلقى الروح بأسر على من تشاء
من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا إله إلا هو أنت المصير
يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا يشغله سمع عن سمع ولا تشبه عليه الأصوات ويا من
لا تغلظه المسائل ولا تختلف عليه اللغات ويا من لا يتبرم بالحاح الملحين اذقني برد
عفوك وحلاوة رحمتك اللهم إني أسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً وعملاً متقبلاً
أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم ولا أعلم وأنت
علام الغيوب اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد وقرة عين الأبد ومرا فقة
نبيك محمد وأسألك حبك وحب من أحبك وحب عمل يقرب إلي حبك اللهم بعلمك
الغيب وقدرتك على خلقك أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة
خيراً لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والتقصد
في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك وأعوذ بك من ضراء مضره
وفتنه مضلة اللهم أقسم لي من خشيتك ما تحول به بيني وبين معصيتك ومن طاعتك

ما يدخلني جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم ارزقنا حزن خوف
الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى نحمد لذة ما نطلب وخوف ما منه نهرب اللهم
البس وجوهنا منك الحياة واملا قلوبنا بك فرحا واسكن في نفوسنا من عظمتك
مهابة وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك أحب إلينا مما سواك واجعلنا أخشى
لك ممن سواك نسألك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام العصمة وداء
الشكر بحسن العباداة اللهم إني أسألك بركة الحياة وخير الحياة وأعوذ بك من شر
الحياة وشر الوفاة وأسألك خير ما بينهما أحييني حياة السعداء حياة من تحب بقاءه
وتوفني وفاة الشهداء وفاة من تحب لقاءه يا خير الرازقين وأحسن التوابين وأحكم
الحاكمين وأرحم الراحمين ورب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم
ما خلقت واغفر ما قدرت وطيب ما رزقت وتمم ما أنعمت وتقبل ما استعملت
وأحفظ ما استحفظ ولا تهتك ما سترت فانه لا إله إلا أنت أستغفرك من كل لذة
بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خدمتك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح
بغير مجالستك ومن كل شغل بغير معاملتك اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت
إليك منه ثم عدت فيه اللهم إني أستغفرك من كل عقد عقدته ثم لم أوف به
اللهم إني أستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فقويت بها على معصيتك اللهم
إني أستغفرك من كل عمل عملته لك نخالطه مالم يس لك اللهم إني أسألك أن تصلي
على محمد وعلى آل محمد وأسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه وأعوذ بك من
جوامع الشر وفوائده وخواتمه اللهم احفظنا فيما أمرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ
لنا ما أعطينا يا حافظ الحافظين يا ذا كرا لذا كرين ويا شاكر الشاكرين بذكرك
ذكروا وبفضلك شكروا يا غياث يا مغيث يا مستغاث يا غياث المستغثين لا تكني
إلى نفسى طرفة عين فاهلك ولا إلى أحد من خلقك فاضيع كلاً في كلاءة الوليد
ولا تحمل غنى وتولني بما تتولى به عبادك الصالحين أنا عبدك وابن عبدك ناصيتي
بيدك جار في حكمتك عدل في قضاؤك نافذ في مشيئتكم أن تعذب فأهل ذلك
أنا وأن ترحم فأهل ذلك أنت فافعل اللهم يا مولاي يا الله يارب ما أنت له أهل
ولا تفعل اللهم يارب يا الله ما أنا له أهل إنك أهل التقوى وأهل المغفرة يا من

لاتضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالا يضرك وأعطني مالا ينقصك ياربنا
أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا
وأنت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا اغفر لنا
ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا
من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا العون على الطاعة
والعصمة من المعصية وإفراغ الصبر في الخدمة وإيداع الشكر في النعمة أسألك
حسن الخاتمة وأسألك اليقين وحسن المعرفة بك وأسألك المحبة وحسن التوكل
عليك وأسألك الرضا وحسن الثقة بك وأسألك حسن المنقلب إليك اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وأصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد فرجا عاجلا ربنا اغفر
لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا
إنك رؤف رحيم اللهم اغفر لي ولوالدي ولمن تولدنا وارحمهما كما ربياني صغيرا
واغفر لأعمامنا وعماتنا وأخواننا وخالاتنا وأزواجنا وذرياتنا ولجميع المؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات يا أرحم الراحمين يا خير
الغافرين (ولما كان) الداء مخ العبادة أحببنا أن نستوفي من ذلك قسما صالحا
نرجو بركته وهذه الأدعية استخرجها الشيخ أبو طالب الملكي رحمه الله في
كتاب قوت القلوب وعلى نقله كمال الاعتماد وفيه البركة فليدع بهذه الدعوات
منفردا أو في الجماعة إماما أو مأموما ويختصر منها ما يشاء

﴿ الباب الخمسون في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات ﴾

فمن ذلك أن يلزم موضعه الذي صلى هو فيه مستقبل القبلة إلا أن يرى انتقاله
إلى زاويته أسلم لدينه لثلا يحتاج إلى حديث أو التفات إلى شيء فإن السكوت في
هذا الوقت وترك الكلام له أثر ظاهر بين تجرده أهل المعاملة وأرباب القلوب
وقد ندب رسول الله ﷺ إلى ذلك ثم يقرأ الفاتحة وأول سورة البقرة إلى
المفلحون والآيتين وإلهم إله واحد وآية الكرسي والآيتين بعدها وآمن
الرسول والآية قبلها وشهد الله وقل اللهم مالك الملك وإن ربك الله الذي خلق

السموات والأرض إلى المحسنين ولقد جاءكم رسول إلى الآخر وقل ادعوا الله
الأيّتين وآخر السكّهف من ان الذين آمنوا وذا النون إذ ذهب مغاضبا إلى خير
الوارثين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وسبحان ربك إلى آخر السورة
ولقد صدق الله وأول سورة الحديد إلى بذات الصدور وآخر سورة الحشر من لو
أنزلنا ثم يمسح ثلاثا وثلاثين وهكذا يحمّد مثله ويكبر مثله ويتمها مائة بلا إله
إلا الله وحده لا شريك له فاذا فرغ من ذلك يشتغل بتلاوة القرآن حفظا أو
من المصحف أو يشتغل بأنواع الأذكار ولا يزال كذلك من غير فتور وقصور
ونعاس فان النوم في هذا الوقت مكروه جدا فان غلبه النوم فليقم في مصلاه
قائما مستقبلا القبلة فان لم يذهب النوم بالقيام يخط خطوات نحو القبلة يتأخر
بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة ففي ادامة استقبال القبلة وترك الكلام والنوم
ودوام الذكر في هذا الوقت أثر كبير وبركة غير قليلة وجدنا ذلك بحمد الله
ونوصي به الطالبين وأثر ذلك في حق من يجمع في الأذكار بين القلب واللسان
أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والنهار مظنة الآفات فاذا أحكم أوله بهذه
الرعاية فقد أحكم بنيانه وتبنتى أوقات النهار جميعا على هذا البناء فاذا قارب طلوع
الشمس يبتدىء بقراءة المسبّعات العشر وهى من تعليم الخضر عليه السلام
عليها ابراهيم التيمى وذكر أنه تعلمها من رسول الله ﷺ وينال بالمداومة
عليها جميع المتفرق في الأذكار والدعوات وهى عشرة أشياء سبعة سبعة الفاتحة
والمعوذتان وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي وسبحان الله والحد
لله ولا إله إلا الله والله أكبر والصلاة على النبي وآله ويستغفر لنفسه ولو لديه وللمؤمنين
والمؤمنات ويقول سبعا اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة
ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل انك غفور حلیم جواد كريم رؤوف
رحيم (وروى) ان ابراهيم التيمى لما قرأ هذه بعد أن تعلمها من الخضر رأى في
المنام أنه دخل الجنة ورأى الملائكة والأنبياء عليهم السلام وأكل من طعام الجنة
وقيل أنه مكث أربعة أشهر لم يطعم وقيل لعله كان ذلك لكونه أكل من طعام
الجنة فاذا فرغ من المسبّعات أقبل على التسبيح والاستغفار والتلاوة إلى أن تطامع

الشمس قدر رمح (روى) عن رسول الله ﷺ أنه قال لأن أتعبد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب ثم يصلى ركعتين قبل أن ينصرف من مجلسه فقد نقل عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلى الركعتين وبهاتين الركعتين تتبين فائدة رعاية هذا الوقت واذا صلى الركعتين بجمع هم وحضور فهم وضمن تدبر لما يقرأ يجرد في باطنه أثرا ونورا وروحا وأنسا اذا كان صادقا والذي يجده من البركة ثواب معجل له على عمله هذا وأحب أن يقرأ في هاتين الركعتين في الأولى آية الكرسي وفي الأخرى آمن الرسول والله نور السموات والأرض الى آخر الآية وتكون نيته فيهما الشكر لله على نعمه في يومه وليلته ثم يصلى ركعتين أخريين يقرأ المعوذتين فيهما في كل ركعة سورة وتكون صلاته هذه ليستعيذ بالله تعالى من شر يومه وليلته ويذكر بعد هاتين الركعتين كلمات الاستعاذة فيقول أعوذ باسمك وكلتك التامة من شر السامة والهامة وأعوذ باسمك وكلتك التامة من شر عذابك وشر عبادك وأعوذ باسمك وكلتك التامة من شر ما يجري به الليل والنهار ان ربي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ويقول بعد الركعتين الأوليين اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبحت مرتهنا بعملى وأصبح أمرى بيد غيرى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسيء بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى ولا تسلط على من لا يرحمنى اللهم انى أعوذ بك من الذنوب التى تزيل النعم وأعوذ بك من الذنوب التى توجب النقم ثم يصلى ركعتين أخريين بنية الاستخارة لكل عمل يعمل فى يومه وليلته وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعاء على الاطلاق والا فالاستخارة التى وردت بها الأخبار هى التى يصلحها أمام كل أمر يريد به ويقرأ فى هاتين الركعتين قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويقرأ دعاء الاستخارة كما سبق ذكره فى غير هذا الباب ويقول فيه كل قول وعمل أريده فى هذا اليوم اجعل فيه الخيرة * ثم يصلى ركعتين أخريين يقرأ فى الأولى سورة الواقعة وفى الأخرى سورة الأعلى ويقول بعدها اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

واجعل حبك أحب الأشياء إلى وخشيتك أخوف الأشياء عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقاءك وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر عيني بعبادتك واجعل طاعتك في كل شيء مني بأرحم الراحمين ثم يصلي بعد ذلك ركعتين يقرأ فيهما شيئا من حزبه من القرآن ثم بعد ذلك ان كان متفرغا ليس له شغل في الدنيا ينتقل في أنواع العمل في الصلاة والتلاوة والذكر إلى وقت الضحى وان كان ممن له في الدنيا شغل إما لنفسه أو لعياله فليمض لحاجته ومهامه بعد أن يصلي ركعتين لخروجه من المنزل وهكذا ينبغي أن يفعل أبدا لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصلي ركعتين ليقبه الله سوء المخرج ولا يدخل البيت إلا ويصلي ركعتين ليقبه الله سوء المدخل بعد أن يسلم على من في المنزل من الزوجة وغيرها وإن لم يكن في البيت أحد يسلم أيضا ويقول السلام على عباد الله الصالحين المؤمنين وإن كان متفرغا فأحسن اشغاله في هذا الوقت إلى الصلاة صلاة الضحى فان كان عليه قضاء صلى صلاته يوم أو يومين أو أكثر وإلا يصل ركعات يطولها ويقرأ فيها القرآن فقد كان من الصالحين من يختم القرآن في الصلاة بين اليوم واليلة وإلا فليصل اعدادا من الركعات خفيفة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وبالآيات التي في القرآن وفيها الدعاء مثل قوله تعالى (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) وأمثال هذه الآية يقرأ في كل ركعة آية منها إما مرة أو يكررها مهما شاء ويقدر للطالب أن يصلي بين الصلاة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وبين صلاة الضحى مائة ركعة خفيفة وقد كان في الصالحين من ورد بين اليوم واليلة مائة ركعة إلى مائتين إلى خمسمائة إلى ألف ركعة ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا على أهلها فابال يبتل ولا يتنعم بخدمة الله تعالى (قال) سهل بن عبد الله التستري لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة فاذا ارتفعت الشمس وتنصف الوقت من صلاة الصبح الى الظهر كما يتنصف العصر بين الظهر والمغرب يصلي الضحى فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى قال رسول الله ﷺ صلاة الضحى إذا رمضت الفصائل وهو أن ينام الفصيل في ظل أمه عند حر الشمس وقيل الضحى إذا ضحيت الاقدام بحر الشمس

وأقل صلاة الضحى ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ويجعل لنفسه دعاء بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ثم بعد ذلك إن كان هناك حق يقضى مما ندب إليه من زيارة أو عبادة يعمى فيه وإلا فيديم العمل لله تعالى من غير فتور ظاهرا وباطنا وقلبا وقالبا وإلا فباطنا وترتيب ذلك أنه يصلى مادام منشرا ونفسه مجيبة فإن سئم ينزل من الصلاة إلى التلاوة فإن مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة فإن سئم التلاوة أيضا يذكر الله بالقلب واللسان فهو أخف من القراءة فإن سئم الذكر يدع ذكر اللسان ويلزم بقلبه المراقبة والمراقبة علم القلب ينظر الله تعالى إليه فما دام هذا العلم ملازما لقلبه فهو مراقب والمراقبة عين الذكر وأفضله فإن عجز عن ذلك أيضا وتملكته الوسواس وتزاحم في باطنه حديث النفس فليتم في النوم السلامة وإلا فكثرة حديث النفس تقسى القلب ككثرة الكلام لأنه كلام من غير لسان فيحترز عن ذلك * قال سهل بن عبد الله أسوأ المعاصي حديث النفس والطالب يريد أن يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره فانه بحديث النفس وما يتخايل له من ذكر ما مضى ورأى وسمع كشخص آخر في باطنه فيقيد الباطن بالمراقبة والرقابة كما يقيد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر ويمكن للطالب المجد أن يصلى من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون ركعة يصلها خفيفة أو يقرأ في كل ركعتين جزء من القرآن أو أقل أو أكثر والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وبعد الفراغ من أعداد آخر من الركعات حسن (قال سفيان) كان يعجبهم إذا فرغوا أن يناموا طلبا للسلامة وهذا النوم فيه فوائد منها أنه يعين على قيام الليل ومنها أن النفس يستريح ويصفو النهار لبقية النهار والعمل فيه والنفس إذا استراحت طادت جديدة فبعد الانتباه من نوم النهار تمجد في الباطن نشاطا آخر وشغفا آخر كما كان في أول النهار فيكون للصادق في النهار نهاران يغتنمهما بخدمة الله تعالى والدؤب في العمل وينبغي أن يكون انتباهه من نوم النهار قبل الزوال بساعة حتى يتمكن من الوضوء والطهارة قبل الاستواء بحيث يكون وقت الاستواء مستقبلا القبلة ذا كرا أو مسبحا أو تاليا قال الله تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار) وقال (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) قيل قبل

طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر (ومن آناء الليل فصبح)
أراد العشاء الأخيرة (وأطراف النهار) أراد الظهر والمغرب لأن الظهر صلاة في آخر
الطرف الأول من النهار وآخر الطرف الآخر غروب الشمس وفيها صلاة المغرب فصار
الظهر آخر الطرف الأول والمغرب آخر الطرف الآخر فيستقبل الطرف الآخر باليقظة
والذكر كما استقبل الطرف الأول وقد ماد بنوم النهار جديدا كما كان بنوم الليل ويصلي
في أول الزوال قبل السنة والفرض أربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله
ﷺ وهذه صلاة الزوال قبل الظهر في أول أوقاتها ويحتاج أن يراعى لهذه الصلاة أول
الوقت بحيث يفتن للوقت قبل المؤذنين حين يذهب وقت الكراهية بالاستواء
فيشرع في صلاة الزوال ويسمع الأذان وقد توسط هذه الصلاة ثم يستعد لصلاة
الظهر فان وجد في بطنه كدرا من مخالطة أو مجالسة اتفقت يستغفر الله تعالى ويتضرع
إليه ولا يشرع في صلاة الظهر إلا بعد أن يجد الباطن عائدا إلى حالة من التصفاء والذائقون
حلاوة المناجاة لا بد أن يمجّدوا صفو الأنس في الصلاة ويتكبدون بيسير من الاسترسال
في المباح ويصبر على بواطنهم من ذلك عقد وكدر وقد يكون ذلك بمجرد المخالطة
والمجالسة مع الأهل والولد مع كون ذلك عبادة ولكن حسنات الأبرار سيئات
المقربين فلا يدخل الصلاة إلا بعد حل العقد وازهاب الكدر وحل العقد بصدق
الانابة والاستغفار والتضرع إلى الله تعالى ودواء ما يحدث من الكدر بمجالسة الأهل
والولد أن يكون في مجالسته غير راكن إليهم كل الركون بل يسترق القلب في ذلك
نظرات إلى الله تعالى فتكون تلك النظرات كفارة لتلك المجالسة إلا أن يكون قوى الحال
لا يحجبه الخلق عن الحق فلا ينعقد على بطنه عقدة فهو كما يدخل في الصلاة لا يمجدها
ويجد بطنه وقلبه لأنه حيث استروحت نفس هذا إلى المجالسة كان استرواح نفسه
منغمرا بروح قلبه لأنه يجالس ويخالط وعين ظاهره ناظره إلى الخلق وعين قلبه
مطالعة للحضرة الالهية فلا ينعقد على بطنه عقدة وصلاة الزوال التي ذكرناها تحل
العقد وتهيب الباطن لصلاة الظهر فيقرأ في صلاة الزوال بمقدار سورة البقرة في
النهار الطويل وفي القصير ما ييسر من ذلك قال الله تعالى (وعشيا وحين تظهرون)
وهذا هو الاظهار فان انتظر بعد السنة حضور الجماعة للفرض وقرأ الدعاء الذي بين

الفريضة والسنة من صلاة الفجر فحسن وكذلك ماورد أن رسول الله ﷺ دعا به إلى صلاة الفجر ثم إذا فرغ من صلاة الظهر يقرأ الفاتحة وآية الكرسي ويسبح ويحمد ويكبر ثلاثا وثلاثين كما وصفنا ولوقدر على الآيات كلها التي ذكرناها بعد صلاة الصبح وعلى الأدعية أيضا كان ذلك خيرا كثيرا وفضلا عظيما ومن له همة ناهضة وعزيمة صادقة لا يستكثر شيئا لله تعالى ثم يحجي بين الظهر والعصر كما يحجي بين العشاءين على الترتيب الذي ذكرناه من الصلاة والتلاوة والذكر والمراقبة ومن دام سهره بنام نومة خفيفة في النهار الطويل بين الظهر والعصر ولو أحبه بين الظهر والعصر بركتين يقرأ فيهما ربع القرآن أو يقرأ ذلك في أربع ركعات فهو خير كثير وإن أراد أن يحجي هذا الوقت بمائة ركعة في النهار الطويل أمكن ذلك أو بعشرين ركعة يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة في كل ركعة خمسين ويستاك قبل الزوال إذا كان صائما وإن لم يكن صائما فأى وقت تغير فيه الفهم وفي الحديث السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعند القيام إلى الفراش يستحب (قيل) أن الصلاة بالسواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وقيل هو خير وإن أراد أن يقرأ بين الصلاتين في صلاته في عشرين ركعة في كل ركعة آية أو بعض آية يقرأ في الركعة الأولى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (ثم) في الثانية ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (ثم) ربنا لا تؤاخذنا إلى السورة (ثم) ربنا لا تزغ قلوبنا الآية (ثم) ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان الآية (ثم) ربنا آمنابما أنزلت (ثم) أنت ولينا فاغفر لنا (ثم) فاطر السموات والأرض أنت ولي (ثم) ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن الآية (ثم) وقل رب زدني علما (ثم) لا إله إلا أنت سبحانك (ثم) رب لا تذرني فردا (ثم) وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين (ثم) ربنا هب لنا من أزواجنا (ثم) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني رحمتك في عبادك الصالحين (ثم) يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور (ثم) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على (الآية) من سورة الأحقاف (ثم) ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين آمنوا (ثم) ربنا عليك توكلنا (ثم) رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا مهما يصل.

تقليق رآهذه الآيات وبالمحافظة على هذه الآيات في الصلاة مواطأ للقلب واللسان يوشك أن يرقى الى مقام الاحسان ولو ردد فرداية من هذه في ركعتين من الظهر أو العصر كان في جميع الوقت مناجيا لمولاه وداعيا وتاليا ومصليا والدؤب في العمل واستيعاب أجزاء النهار بلذاذة وحلاوة من غير سامة لا يصح إلا لعبد تزكت نفسه بكمال التقوى والاستقصاء في الزهد في الدنيا وانتزع منه متابعة الهوى ومتى بقي على الشخص من التقوى والزهد والهوى بقية لا يدوم روحه في العمل بل ينشط وقتا ويسأم وقتا ويتناوب النشاط والكسل فيه لبقاء متابعة شيء من الهوى بنقصان تقوى أو محبة دنيا وإذا صح في الزهد والتقوى فان ترك العمل بالجوارح لا يفتر عن العمل بالقلب فمن دام دوام الروح واستحلاء الدؤب في العمل فعليه بحسم مادة الهوى والهوى روح النفس لا يزول ولكن تزول متابعتة والنبي عليه السلام ما استعاذ من وجود الهوى ولكن استعاذ من متابعتة فقال أعوذ بك من هوى متبع ولم يستعذ من وجود الشح فانه طبيعة النفس ولكن استعاذ من طاعته فقال وشح مطاع ودقائق متابعة الهوى تتبين على قدر صفاء القلب وعلو الحال فقد يكون متبعا للهوى باستحلاء مجالسة الخلق ومكالمتهم أو النظر اليهم وقد يتبع الهوى بتجاوز الاعتدال في النوم والاكل وغير ذلك من أقسام الهوى المتبع وهذا شغل من ليس له شغل إلا في الدنيا * ثم يصلي العبد قبل العصر أربع ركعات فان أمكنه تجديد الوضوء لكل فريضة كان أكل وأتم ولو اغتسل كان أفضل فكل ذلك له أثر ظاهر في تنوير الباطن وتكميل الصلاة ويقرأ في الأربع قبل العصر إذا زلزلت والعاديات والقارعة والهاكم ويصلي العصر ويجعل من قراءته في بعض الأيام والسماء ذات البروج وسمعت ان قراءة سورة البروج في صلاة العصر أمان من الدماميل ويقرأ بعد العصر ماذا كرنا من الآيات والدعاء وما يتيسر له من ذلك فاذا صلى العصر ذهب وقت التنقل بالصلاة وبقي وقت الأذكار والتلاوة وأفضل من ذلك مجالسة من يزهد في الدنيا ويسدد كلامه عرا التقوى من العلماء والزاهدين المتكلمين بما يقوى عزائم المريدين فاذا صححت نية القائل والمستمع فهذه المجالسة أفضل من الانفراد والمداومة على الأذكار وإن عدمت هذه المجالسة وتعدت فليمتروح بالتنقل في أنواع الأذكار وإن كان خروجه لحوائجه وأمر معاشه في هذا

الوقت يكون أفضل وأولى من خروجه في أول النهار ولا يخرج من المنزل إلا وهو على الوضوء وكره جمع من العلماء تحمية الطهارة بعد صلاة العصر واجازة المشايخ والصالحون ويقول كلما خرج من منزله بسم الله ماشاء الله حسبي الله لا قوة إلا بالله اللهم إليك خرجت وأنت أخرجتني وليقرأ الفاتحة والمعوذتين ولا يدع أن يتصدق كل يوم بما يتيسر له ولو تمر أو لقمة فإن القليل بحسن النية كثير * وروى أن عائشة رضي الله عنها أعطت المسائل غنبة واحدة وقالت إن فيها لمناقل ذر كثير * وجاء في الخبر كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقته ويكون من ذكره من العصر إلى المغرب مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد ورد عن رسول الله ﷺ أن من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحدا بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين فقد ورد أن من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين لم يعمل أحد في يومه أفضل من عمله ويقول مائة مرة سبحان الله والحمد لله الكلمات ومائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين ومائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومائة مرة أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة ومائة مرة ماشاء الله لا قوة إلا بالله ورأيت بعض الفقهاء من المغرب بمكة وله سبعة فيها ألف حبة في كيس لذكر أن ورد أنه أن يديرها كل يوم اثنتي عشرة مرة بأنواع الذكر (ونقل) عن بعض الصحابة أن ذلك كان ورده بين اليوم واللييلة ونقل عن بعض التابعين كان ورده من التمسيح ثلاثين ألفا بين اليوم واللييلة وليل مائة مرة بين اليوم واللييلة هذا التمسيح سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان (روى) أن بعض الأبدال بات على شاطئ البحر فسمع في هذه اللييلة هذا التمسيح فقال من الذي أسمع صوته ولا أرى شخصه فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التمسيح منذ خلقت فقلت ما اسمك فقال مهليها تليل فقلت ما ثواب هذا

التسبيح قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يري مقعده من الجنة أو يري له (وروى)
 ان عثمان رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى (له مقاليد السموات
 والأرض) فقال سألتني عن شيء عظيم مأسألتني غيرك هو لا إله إلا الله والله أكبر
 وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله عز وجل وأستغفر الله الأول الآخر
 الظاهر الباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشرة
 حين يصبح وحين يمسي أعطى ست خصال فأول خصلة أن يحرس من ابليس وجنوده
 الثانية أن يعطى قطارا من الأجر الثالثة يرفع له درجة في الجنة الرابعة يزوجه الله من
 الحور العين الخامسة اثنا عشر ملكا يستغفرون له السادسة يكون له من الأجر كمن
 حج واعتمر ويقول أيضا في هذا الوقت وفي أول النهار اللهم أنت خلقتني وأنت تهديني
 وأنت تطعمني وأنت تسميني وأنت تميئني وأنت تحميئني أنت ربى لاربلى سواك ولا
 إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ويقول ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة
 من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله ويقول حسبي الله
 لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ثم يستعد لاستقبال الليل بالوضوء
 والطهارة ويقرأ المسبحات قبل الغروب ويديم التسبيح والاستغفار بحيث تغيب
 الشمس وهو في التسبيح والاستغفار ويقرأ عند الغروب أيضا والشمس والليل
 والمعوذتين ويستقبل الليل كما استقبل النهار قال الله تعالى (وهو الذى جعل
 الليل والنهار خليفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) فكما ان الليل يعقب
 النهار والنهار يعقب الليل ينبغى أن يكون العبد بين الذكر والشكر يعقب
 أحدهما الآخر ولا يتخللها شيء كما لا يتخلل بين الليل والنهار شيء والذكر
 جميعه أعمال القلب والشكر أعمال الجوارح قال الله تعالى (اعملوا آل داود
 شكرا) والله الموفق والمعين

﴿الباب الحادى والخسون في آداب المريد مع الشيخ﴾

أدب المريدن مع الشيوخ عند الصوفية من مهام الآداب وللقوم في ذلك اقتداء
 برسول الله ﷺ وأصحابه وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي
 الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم روى عن عبد الله ابن الزبير قال قدم وفد

على رسول الله ﷺ من بني تميم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي وقال عمر ما أردت خلافتك فتأريا حتى ارتفعت أصواتهما فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تقدموا لا تتكلموا بين يدي كلامه وقال جابر كان ناس يضحون قبل رسول الله ﷺ عن تقديم الأضحية على رسول الله ﷺ وقيل كان قوم يقولون لو أنزل في كذا وكذا فكره الله ذلك وقالت عائشة رضي الله عنها أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم وقال الكلبي لا تسبقوا رسول الله ﷺ بقول ولا فعل حتى يكون هو الذي يأمركم به وهكذا أدب المرید مع الشيخ أن يكون مساوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره وقد استوفينا هذا المعنى في باب المشيخة وقيل لا تقدموا لا تمشوا بين يدي رسول الله ﷺ وروي أبو الدرداء قال كنت أمشي امام أبي بكر فقال لي رسول الله ﷺ تمشي امام من هو خير منك في الدنيا والآخرة وقيل نزلت في أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فإذا سئل الرسول عليه السلام عن شيء خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك وهكذا أدب المرید في مجلس الشيخ ينبغي أن يلزم السكوت ولا يقول شيئا بحضرة من كلام حسن إلا إذا استأمر الشيخ ووجد من الشيخ فسحة له في ذلك وشأن المرید في حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقا يساق إليه فتطلعه إلى الاستماع وما يزرق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام ارادته وطلبه واستزادته من فضل الله وتطلعه إلى القول يردده عن مقام الطلب والاستزادة إلى مقام اثبات شيء لنفسه وذلك جناية المرید وينبغي أن يكون تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ على ان الصادق لا يحتاج إلى السؤال باللسان في حضرة الشيخ بل يباده بما يريد لأن الشيخ يكون مستنظعا نطقه بالحق وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه إلى الله ويستمطر ويستسقي لهم فيكون لسانه وقلبه في القول والنطق مأخوذين إلى مهم الوقت من أحوال الطالبين المحتاجين إلى ما يفتح به عليه لأن الشيخ يعلم تطلع الطالب إلى قوله واعتداده بقوله والقول كالبدن يقع في الأرض فاذا كان البدن فاسدا لا ينبت وفساد الكلمة

بدخول الهوى فيها فالشيخ ينتقى بذرا الكلام عن شوب الهوى ويسلمه إلى الله ويسأل الله المعونة والسداد ثم يقول فيكون كلامه بالحق من الحق للحق فالشيخ للمريدين أمين الالهام كما أن جبريل أمين الوحي فكما لا يخون جبريل في الوحي لا يخون الشيخ في الالهام وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتد برسول الله ﷺ ظاهرًا وباطنًا لا يتكلم بهوى النفس وهوى النفس في القول بشيئين أحدهما طلب استحلاب القلوب وصرف الوجوه إليه وما هذا من شأن الشيوخ والشاني ظهور النفس باستحلاء الكلام والعجب وذلك خيانة عند المحققين والشيخ فيما جرى على لسانه راقدا النفس تشغله مطالعة نعم الحق في ذلك فاقد الحظ من فوائد ظهور النفس بالاستحلاء والعجب فيكون الشيخ لما يجرى به الحق سبحانه وتعالى عليه مستمعًا كأحد المستمعين (وكان) الشيخ أبو السعود رحمه الله يتكلم مع الأصحاب بما يلقي إليه وكان يقول أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم فاشكل ذلك على بعض الحاضرين وقال إذا كان القائل هو يعلم ما يقول كيف يكون كمستمع لا يعلم حتى يسمع منه فرجع إلى منزله فرأى ليلته في المنام كان قائلاً يقول له أليس الغواص يغوص في البحر لطلب الدر ويجمع الصدف في مخلاته والدر قد حصل معه لكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر ويشاركه في رؤية الدر من هو على الساحل ففهم بالمنام إشارة الشيخ في ذلك فأحسن أدب المريـد مع الشيخ السكوت والخود والجود حتى يبادئه الشيخ بما له فيه من الصلاح قولاً وفعلاً (وقيل أيضاً) في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله لا تطلبوا منزلة وراء منزلته وهذا من محاسن الآداب وأعزها وينبغي للمريد أن لا يحدث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ بل يحب للشيخ كل منزلة عالية ويتمنى للشيخ عزيز المنـبج وغرائب المواهب وبهذا يظهر جوهر المريـد في حسن الإرادة وهذا يعز في المريدين فارادته للشيخ تعطيه فوق ما يتنى لنفسه ويكون قائماً بأدب الإرادة قال السري رحمه الله حسن الآداب ترجمان العقل وقال أبو عبد الله بن حنـيف قال لي رويم يا بني اجعل عملك ملجأ وأدبك دقيقاً * وقيل التصوف كله أدب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن يلزم الآداب

يبلغ مبلغ الرجال ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول ومن تأديب الله تعالى أصحاب رسول الله ﷺ قوله تعالى (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) كان ثابت ابن قيس ابن شماس في أذنه قر وكان جهوري الصوت فكان إذا كلم إنسانا جهر بصوته وربما كان يكلم النبي ﷺ فيتأذي بصوته فأنزله الله تعالى الآية تأديبا له ولغيره (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن المنثني قال حدثنا مؤمل بن اسمعيل قال حدثنا نافع ابن عمر بن جميل الجمحي قال حدثني حابس بن أبي مليكة قال حدثني عبد الله ابن الزبير أن الأقرع بن حابس قدم على النبي ﷺ فقال أبو بكر استعمله على قومه فقال عمر لا تستعمله يا رسول الله فتكلمما عند النبي ﷺ حتى علت أصواتهما فقال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافاك فأنزله الله تعالى الآية فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبي ﷺ لا يسمع كلامه حتى يمتفهم وقيل لما نزلت الآية آلى أبو بكر أن لا يتكلم عند النبي ﷺ إلا كالخ السرار فهكذا ينبغي أن يكون المرید مع الشيخ لا ينسبط برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام إلا إذا بسطه الشيخ فرفع الصوت تنحية جلبات القلب الوقار والوقار إذا سكن القلب عقل اللسان ما يقول وقد ينازل باطن بعض المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ مالا يستطيع المرید أن يشبع النظر إلى الشيخ وقد كنت أحرم فيدخل على عمي وشيخي أبو النجيب السهروردي رحمه الله فيترشح جسدي عرفا وكنت آتمنى العرق لتخف الحمى فكنت أجد ذلك عند دخول الشيخ على ويكون في قدومه بركة وشفاء وكنت ذات يوم في البيت خاليا وهناك منديل وهبه لي الشيخ وكان يتعمم به فوقع قدمي على المنديل اتفاقا فتألم باطني من ذلك وهالني الوطء بالقدم على منديل الشيخ وانبعث من باطني من الاحترام ما أرجو بركته (قال ابن عطاء) في قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم زجر عن الأدنى لئلا يتخطى أحد إلى ما فوقه من ترك الحرمة وقال

سهل في ذلك لا تخاطبوه إلا مستفهمين (وقال) أبو بكر بن طاهر لا تبدؤوه الخطاب ولا تجيبوه إلا على حدود الحرمة ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أي لا تغلظوا له في الخطاب ولا تنادوه باسمه يا محمداً يا محمداً ينادى بعضكم بعضاً ولكن فخموه واحترموه وقولوا له يا نبي الله يا رسول الله ومن هذا القبيل يكون الخطاب المريد مع الشيخ وإذا سكن الوقار القلب علم اللسان كيفية الخطاب ولما كلفت النفوس بحجة الأولاد والأزواج وتمكنت أهوية النفوس والطباع استخرجت من اللسان عبارات غريبة وهي تحت وقتها صاغها كلف النفس وهوها فإذا امتلأ القلب حرمة ووقادرا يعلم اللسان العبادة (وروى) لما نزلت هذه الآية قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي فمر به حاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وأنا رفيع الصوت على النبي ﷺ أخاف أن يحبط عملي وأكون من أهل النار فضى عاصم إلى رسول الله ﷺ وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرسى فسدي على الضبة بمسار فضربته بمسار حتى إذا خرجت عطته وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله ﷺ فلما أتى عاصم النبي وأخبره بخبره فقال اذهب فادعه فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس فقال له إن رسول الله يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأخاف أن تكون هذه الآية نزلت في فقال له رسول الله ﷺ أما ترضى أن تعيش سعيدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال قد رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله ولا أرفع صوتي أبدا على رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى (إن الذين يغيظون أصواتهم عند رسول الله) قال أنس كنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيعة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهمز طائفة منهم فقال اف لهؤلاء وما يصنعون ثم قال ثابت لسالم بن حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا ثم ثبتنا ولم يزالا تقاتلان حتى قتل واستشهد ثابت كما وعده رسول الله ﷺ وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له اعلم أن فلانا رجلا من

المسلمين نزع درعى فذهب بها وهو فى ناحية من العسكر وعنده فرس يستنى فى طيله
وقد وضع على درعى برمة فات خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعى وأت أبابكر
خليفة رسول الله عليه السلام فقل له إن على ديننا حتى يقضى عنى وفلان من عبيدى
عتيق فأخبر الرجل خالدًا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر
خالد أبابكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس رضى الله عنهما لا أعلم
وصية أجيأت بعد موت صاحبها إلا هذه فهذه كرامة ظهرت لثابت بحسن تقواه
وأدبه مع رسول الله ﷺ فليعتبر المريد الصادق ويعلم أن الشيخ عنده تذكرة من
الله ورسوله وأن الذى يعتمد به مع الشيخ عوض ما لو كان فى زمن رسول الله ﷺ
واعتمده مع رسول الله ﷺ فلما قام القوم بواجب الأدب أخبر الحق عن حالهم
وأثنى عليهم فقال أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أى اختبر قلوبهم وأخلصها
كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه وكما أن اللسان ترجمان القلب وتهذب اللفظ
لتأدب القلب فهكذا ينبغي أن يكون المريد مع الشيخ (قال أبو عثمان) الأدب عند
الأكابر وفى محاسبة السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا والخير فى
الأولى والعقبى ألا ترى إلى قول الله تعالى (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان
خير لهم) ومما علمهم الله تعالى قوله سبحانه (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات
أكثرهم لا يعقلون) وكان هذا الحال من وفد بنى تميم جاؤا إلى رسول الله ﷺ
فنادوا يا محمد أخرج إلينا فان مدحنا زين ودمنا شين قال فسمع رسول الله ﷺ فخرج
إليهم وهو يقول إنا مذلكم الله الذى ذمه شين ومدحه زين فى قصة طويلة وكانوا أتوا
بشاعرهم وخطيبهم فغلبهم حسان بن ثابت وشبان المهاجرين والأنصار بالخطبة وفى
هذا تأدب للمريد فى الدخول على الشيخ والأقدام عليه وترك الاستعجال وصبره
إلى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته * سمعت أن الشيخ عبد القادر رحمه الله كان
إذا جاء إليه فقير زائر مخبر بالفقير فيخرج ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم
عليه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوته وإذا جاء أحد ممن ليس من زمرة الفقراء
يخرج ويجلس معه فيخطر لبعض الفقراء نوع انكار لتركه الخروج إلى الفقير وخروجه
لفقير الفقير فأنتهى ما خطر للفقير إلى الشيخ فقال الفقير رابطننا معه رابطة قلبية

وهو أهل وليس عنده أجنبية فتكتفى به بموافقة القلوب وتفتح بها عن ملاقاته
الظاهر بهذا القدر وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات
والظاهر فتى لم يعرف حقه من الظاهر استوحش خلق المريد عمارة الظاهر والباطن
بالأدب مع الشيخ (قيل) لأبي منصور المغربي كم صحبت أبا عثمان قال خدمته
لا صحبته فالصحبة مع الإخوان والأقران ومع المشايخ الخدمة وينبغي للمريد
أنه كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما
السلام كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى وإذا أخبره الخضر بسرها
يرجع موسى عن انكاره فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ
فالشيوخ في كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة (سأل) بعض أصحاب الجنيد
مسألة من الجنيد فأجابه الجنيد فعارضه في ذلك فقال الجنيد فإن لم تؤمنوا لي
فاعتزلون وقال بعض المشايخ من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك
الأدب وقيل من قال لأستاذه لا لا يفلح أبدا (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد
الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا هذا
عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ
اتركوني ما تركتكم وإذا حدثتكم فخذوا مني فانما هلك من كان قبلكم بكثرة
سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم (قال) الجنيد رحمه الله رأيت مع أبي حفص
النيمابورى انسانا كثير الصمت لا يتكلم فقلت لأصحابه من هذا فقبيل لي هذا
انسانا يصحب أبا حفص ويخدمنا وقد اتفق عليه مائة ألف درهم كانت له
واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه ما يسوغ له أبي حفص أن يتكلم بكلمة
واحدة وقال أبو زيد البسطامي صحبت أبا علي السندی فكنت ألقنه ما يقيم به
فرضه وكان يعلمنى التوحيد والحقائق صرفا * وقال أبو عثمان صحبت أبا حفص
وأنا غلام حدث فطر دني وقال لا تجلس عندي فلم أجعل مكافأتي له على كلامه
ان أولى ظهري إليه فانصرفت أمشى إلي خلف ووجهي مقابل له حتى غبت عنه
واعتقدت أن أحفر لنفسي بئرا على بابه وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا

بأذنه فلما رأى ذلك منى قربنى وقبلنى وصيرنى من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله * ومن آدابهم الظاهرة ان المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة فان المريد من شأنه التبتل للخدمة وفي السجادة ايماء إلى الاستراحة والتعزز ولا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حد التمييز وهيبة الشيخ تملك المريد عن الاسترسال في السماع وتقيد واستغراقه في الشيخ بالنظر إليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنجح له من الاصغاء الى السماع ومن الأدب أن لا يكتم عن الشيخ شيئاً من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر له من كرامة واجابة ويكشف للشيخ عن حاله ما يعلم الله تعالى منه وما يستحى من كشفه يذكره ايماء وتعریضا فان المريد متى انطوي ضميره على شيء لا يكشفه للشيخ تصريحاً أو تعويضا يصير على باطنه منه عقدة في الطريق وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة وتزول ومن الأدب أن لا يدخل في صحبة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه وانه أقوم بالتأديب من غيره ومتى كان عند المريد تطلع الى شيخ آخر لا تصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ اليه فان المريد كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته والمحبة والتألف هو الوسطة بين المريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال لأن المحبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ أو بعض حاله (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن احمد قال حدثنا أنس بن أسلم قال حدثنا عتبة بن رزين عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه ينبغي له أن لا يخذله ولا يستأثر عليه فمن فعل ذلك فقد فصم عروة من عرا الاسلام ومن الأدب أن يراعى خطرات الشيخ في جزئيات الأمور وكلياتها ولا يستحقر كراهة الشيخ ليسير حركاته معتمدا على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته (قال) ابراهيم بن شيبان كنا نصحب أبا عبد الله المغربي ونحن شبان ويسافر بنا في البراري والقلوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صحبه سبعين

سنة فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتغير عليه حال الشيخ نتشفع اليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان * ومن أدب المريد مع الشيخ أن لا يستقل بوقائمه وكشفه دون مراجعة الشيخ فان الشيخ علمه أوسع وبابه المفتوح إلى الله أكبر فان كان واقعة المريد من الله تعالى يوافقه الشيخ ويمضيها له وما كان من عند الله لا يختلف وإن كان فيه شبهة تزول شبهة الواقعة بطريق الشيخ ويكتسب المريد علما بصحة الوقائع والكشوف فالمرید لعله في واقعته يخامرهم كمون ارادة في النفس فيتشبك كمون الارادة بالواقعة مناما كان ذلك أو يقظة ولهذا سر عجيب ولا يقوم المريد باستئصال شافة الكامن في النفس وإذا ذكره للشيخ فما في المريد من كمون ارادة النفس مفقود في حق الشيخ فان كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وان كان ينزع واقعته الى كمون هوى النفس تزول وتبرأ ساحة المريد ويتحمل الشيخ نقل ذلك لقوة حاله وصحة ايوائه الى جناب الحق وكمال معرفته ومن الأدب مع الشيخ ان المريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالاقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتي يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه وقوله متفرغ فكما ان للدعاء أوقاتا وآدابا وشروطا لأنه مخاطبة الله تعالى فللقول مع الشيخ أيضا آداب وشروط لأنه من معاملة الله تعالى ويسأل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب من الأدب وقد نبه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما أمر به أصحاب رسول الله ﷺ في مخاطبته فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) يعني أمام مناجاتكم * قال عبد الله ابن عباس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثرُوا حتى شقوا عليه وأحفوه بالمسئلة فأذهبهم الله تعالى وفطمهم عن ذلك وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الأغنياء يأتون النبي عليه السلام ويغلبون الفقراء على المجلس حتى كره النبي عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فأما أهل العسرة فلائهم لم يجدوا شيئا وأما أهل اليسرة فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ونزلت الرخصة وقال تعالى أشفقتم أن تقدموا بين يدي
 نبحواكم صدقات وقيل لما أمر الله تعالى بالصدقة لم ينج رسول الله ﷺ إلا على
 ابن أبي طالب فقدم دينارا فتصدق به وقال على في كتاب الله آية ما عمل بها أحد
 قبلى ولا يعمل بها أحد بعدي وروى أن رسول الله ﷺ لما نزلت الآية دعا عليا
 وقال ماترى في الصدقة كم تكون دينارا قال على لا يطيقونه قال كم قال على تكون
 حبة أو شعيرة فقال رسول الله ﷺ انك لزهيد ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية
 ومانبه الحق عليه بالأمر بالصدقة وما فيه من حسن الأدب وتقييد اللفظ
 والاحترام مانسخ والفائدة باقية (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سلمان
 قال أنا أبو الفضل أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا
 مطلب بن شعيب قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل عن
 عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس منا من لم يحل كبيرنا
 ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه فاحترام العلماء توفيق وهداية وإهمال ذلك
 خذلان وعقوق

الباب الثاني والخسون في آداب الشيخ وما يعتمد مع الأصحاب والتلامذة
 أهم الآداب أن لا يتعرض الصادق للتقدم على قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم
 بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع فإذا رأى أن الله تعالى يبعث إليه
 المرادين والمسترشدين بحسن الظن وصدق الإرادة يحذر أن يكون ذلك ابتلاء
 وامتحانا من الله تعالى والنفوس مجبولة على محبة أقبال الخلق والشهرة وفي التحول
 الملامة فإذا بلغ الكتاب أجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الله إياه أنه مراد
 بالارشاد والتعليم المرادين فيكلمهم حينئذ كلام الناصح المشفق الوالد لولده بما ينفعه
 في دينه ودنياه وكل مرید ومسترشد ساقه الله تعالى إليه يراجع الله تعالى في معنائه
 ويكثر اللجأ إليه أن يتولاه فيه وفي القول معه ولا يتكلم مع المرید بالكلمة إلا وقلبه
 ناظر إلى الله مستعين به في الهداية للصواب من القول سمعت شيخنا
 أبا النجيب السهروردي رحمه الله يوصي بعض أصحابه ويقول لا تكلم أحدا من الفقهاء

إلا في أصنى أوقاتك وهذه وصية نافعة لأن الكلمة تقع في سمع المرید الصادق كالحبة تقع في الأرض وقد ذكرنا أن الحبة الفاسدة تهلك وتضيع وفساد حبة الكلام بالهوى وقطرة من الهوى تكدر بحرا من العلم فمئذ الكلام مع أهل الصدق والارادة ينبغي أن يستمد القلب من الله تعالى كما يستمد اللسان من الجنان وكما أن اللسان ترجان القلب يكون قلبه ترجان الحق عند العبد فيكون ناظرا إلى الله مصغيا إليه متلقيا ما يرد عليه مؤديا للإمانة فيه ثم ينبغي للشيخ أن يعتبر حال المرید ويتفرس فيه بنور الايمان وقوة العلم والمعرفة ما يتأتى منه ومن صلاحيته واستعداده فمن المریدین من يصلح للتعبد المحض وأعمال القوالب وطريق الأبرار ومن المریدین من يكون مستعدا صالحا للقرب وسلوك طريق المقربين المرادين بمعاملة القلوب والمعاملات السنية ولكل من الأبرار والمقربين مباد ونهايات فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له والعجب أن الصحرأوى يعلم الاراضى والغروس ويعلم كل غرس وارضه وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنمته ومضارها حتى المرأة تعلم قطنها وما يتأتى منه من الغزل ودقته وغلظه ولا يعلم الشيخ حال المرید وما يصلح له وكان رسول الله ﷺ يكلم الناس على قدر عقولهم ويأمر كل شخص بما يصلح له فمنهم من كان يأمره بالانفاق ومنهم من أمره بالامساك ومنهم من أمره بالكسب ومنهم من قرره على ترك الكسب كاصحاب الصفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل واحد فاما في رتبة الدعوة فقد كان يعمم الدعوة لانه مبعوث لاثبات الحجية وايضاح المحجة بدعو على الاطلاق ولا يخصص بالدعوة من يتفرس فيه الهداية دون غيره ومن أدب الشيخ أن يكون له خلوة خاصة ووقت خاص لا يسعه فيه معاناة الخلق حتي يفيض على جلوته فائدة خلوته ولا تدعى نفسه قوة ظنا منها ان استدامة الخاطلة مع الخلق والكلام معهم لا يضره ولا يأخذ منه وانه غير محتاج إلى الخلوة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كمال حاله كان له قيام الليل وصلوات يصلحها ويدوم عليها وأوقات يخلو فيها فطبع البشر لا يستغنى عن السياسة قل ذلك أوكثر لطف ذلك أوكنف وكمن مغرور قانع باليسير من طيبة القلب اتخذ ذلك رأس ماله واغتر بطيبة

قلبه واسترسل في الممازجة والمخالطة وجعل نفسه مناخا للبطالين بلقمة تؤكل عنده ويرفق يوجد منه فيقصده من ليس قصده الدين ولا بغيته سلوك طريق المتقين فافتن وافتن وبقي في حطة القصور ووقع في دائرة الفتور فما يستغنى الشيخ عن الاستمداد من الله تعالى والتضرع بين يدي الله بقلبه ان لم يكن بقلبه وفيكون له في كل كلمة إلى الله رجوع وفي كل حركة بين يدي الله خضوع وإنما دخلت الفتنة على المغرورين المدعين للقوة والاسترسال في الكلام والمخالطة لقلّة معرفتهم بصفات النفس واغترارهم بيسير من الموهبة وقلة تأديبهم بالشيخ كان الجنيد رحمه الله يقول لأصحابه لو علمت ان صلاة ركعتين لي أفضل من جلوسى معكم ما جلست عنكم فاذا رأى الفضل في الخلوة يخلو وإذا رأى الفضل في الجلوة يجلس مع الأصحاب فتكون جلوته في حماية خلوته وجلوته مزيدا لخلوته وفي هذا سر وذلك ان الآدمي ذو تركيب مختلف فيه تضاد وتغاير على ما أسلفنا من كونه مترددا بين السفلى والعلوى ولما فيه من التغاير له حظ من الفتور عن الصبر على صرف الحق ولهذا كان لكل حافل فترة والفترة قد تكون تارة في صورة العمل وتارة في علم الروح في العمل وان لم تكن في صورة العمل ففي وقت الفترة للمريدين والسالكين تضييع واسترواح للنفس وركون إلى البطالة فمن بلغ رتبة المشيخة انصرف قسم فترته إلى الخلق فافلح الخلق بقسم فترته وما ضاع قسم فترته كضياحه في حق المريدين فالمريد يعود من الفترة بقوة الشدة وحدة الطلب إلى الاقبال على الله والشيخ يكتسب الفضيلة من نفع الخلق بقسم فترته ويعود إلى أوطان خلوته وخاص حاله بنفس مشرّبة أكثر من عود الفقير بحمة إرادته من فترته فيعود من الخلق إلى الخلوة منتزع الفتور بقلب متعطش وافر النور وروح متخلصة عن مضيق مطالعة الاغيار قادمة بحمة شغفها إلى دار القرار * ومن وظيفة الشيخ حسن خلقه مع أهل الارادة والطلب والنزول من حقه فيما يجب من التبجيل والتعظيم للمشايع واستعماله التواضع (حكى) الرقي قال كنت بمصر وكنا في المسجد جماعة من الفقراء جلوسا فدخل الزقاق فقام عند اسطوانة يركع فقلنا يفرغ الشيخ من صلاته ونقوم نسلم عليه فلما فرغ جاء إلينا وسلم علينا فقلنا نحن كنّا أولى بهذا

من الشيخ فقال ما عذب الله قلبي بهذا قط يعني ما تقيدت بأن أحترم وأقصد * ومن آداب الشيوخ النزول إلى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم (قال بعضهم) إذا رأيت الفقير الفه بالرفق ولا تلقه بالعلم فان الرفق يؤنس والعلم يوحشه فاذا فعل الشيخ هذا المعنى من الرفق يتدرج المريد ببركة ذلك إلى الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم * ومن آداب الشيوخ التعطف على الأصحاب وقضاء حقوقهم في الصحة والمرض ولا يترك حقوقهم اعتمادا على آرائهم وصدقهم قال بعضهم لا تضع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة (وحكى) عن الجريري قال وافيت من الحج فابتدأت بالجنيذ وسلمت عليه وقلت حتى لا يتعنى ثم أتيت منزلي فلما صليت الغداة التفت وإذا بالجنيذ خلفي فقلت ياسيدي إنما ابتدأت بالسلام عليك لكيلا تتعنى إلى ههنا فقال لي يا أبا محمد هذا حقك وذاك فضلك * ومن آداب الشيوخ أنهم إذا علموا من بعض المسترشدين ضعفا في مراغمة النفس وقهرها واعتمادا صدق العزيمة أن يرفقوا به ويوقعوه على حد الرخصة ففي ذلك خير كثير ومادام العبد لا يتخطى حريم الرخصة فهو حر ثم إذا ثبت وخالط الفقراء وتدرج في لزوم الرخصة يدرج بالرفق إلى أوطان العزيمة (قال أبو سعيد بن الأعرابي) كان شاب يعرف بابراهيم الصائغ وكان لايه نعمة فانقطع إلى الصوفية وصحب أبا أحمد القلانسي فرما كان يقع بيد أبي أحمد شيء من الدراهم فكان يشتري له الرقاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تعود النعمة فيجب أن ترفق به وتؤثره على غيره * ومن آداب الشيوخ التنزه عن مال المريد وخدمته والارتفاق من جانبه بوجه من الوجوه لانه جاء الله تعالى فيجعل نفعه وارشاده خالصا لوجه الله تعالى فما يمدى الشيخ للمريد من أفضل الصدقات (وقد ورد) ما تصدق متصدق بصدقة أفضل من علم يبثه في الناس وقد قال الله تعالى تنبيها على خلوص ماله وحراسته من الشوائب إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فلا ينبغي للشيخ أن يطالب على صدقته جزاء الا أن يظهر له في شيء من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى في قبول الرفق منه أو صلاح يتراءى للشيخ في حق المريد بذلك فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمته لمصلحة تعود على المريد

مأموته الغائلة من جانب الشيخ قال الله تعالى يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم
 ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم معنى يحفكم أى يجهدكم ويلج
 عليكم قال قتادة علم الله تعالى ان فى خروج المال اخراج الاضغان وهذا تأديب
 من الله الكريم والآداب أديب الله * قال جعفر الخلدى جاء رجل إلى الجنيد وأراد
 أن يخرج عن ماله كله ويجلس معهم على الفقر فقال له الجنيد لا تخرج من مالك كله
 احبس منه مقدار ما يكفيك واخرج الفضل وتقوت بما حبست واجتهد في طلب
 الحلال لا تخرج كل ما عندك فليست امن عليك ان تطالبك نفسك * وكان النبي
 عليه السلام إذا أراد أن يعمل عملاً تثبت وقد يكون الشيخ يعلم من حال المريد انه
 إذا خرج من الشيء يكسبه من الحال ما لا يتطلع به إلى المال فينشد بحوزله ان يفسح
 للمريد في الخروج من المال كما فسح رسول الله ﷺ لابي بكر وقبل منه جميع ماله
 (ومن آداب الشيخ) إذا رأى من بعض المريدين مكروها أو علم من حاله اعوجاجاً
 أو أحس منه بدعوى أو رأى انه داخله عجب ان لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم مع
 الأصحاب ويشير إلى المكروه الذي يعلم ويكشف عن وجه المذمة مجملًا فتحصل
 بذلك الفائدة للكل فهذا أقرب إلى المدارة وأكثر أثرًا لتألف القلوب وإذا رأى
 من المريد تقصير في خدمة ندبه إليها تحمّل تقصيره ويعفو عنه ويحرضه على الخدمة
 بالرفق واللين وإلى ذلك ندب رسول الله ﷺ فيما أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب
 ابن على قال أنا أبو الفتح الكروخي قراءة عليه قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد
 الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال حدثنا
 رشدين بن سعد عن أبي هلال الخولاني عن ابن عباس بن جليد الخجري عن عبد الله
 ابن عمر قال جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم قال
 كل يوم سبعين مرة * وأخلاق المشايخ مهيبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهم أحق الناس باحياء سنته في كل ما أمر وندب وأنكر وأوجب
 (ومن جملة مهام الآداب) حفظ اسرار المريدين فيما يكشفون به ويمنحون من
 أنواع المنح فسر المريد لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحقر الشيخ في نفس المريد ما يمجده
 في خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شيء من خوارق العادات ويعرفه أن

الوقوف مع شيء من هذا يشغل عن الله ويسد باب المزيد بل يعرفه ان هذه
 نعمة تشكر ومن ورائها نعم لا تحصى ويعرفه ان شأن المرید طلب المنعم لا النعمة
 حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره فاذا دعا الأسرار من
 ضيق الصدر وضيق الصدر الموجب لاداعة السر يوصف به النسوان وضعفاء
 العقول من الرجال وسبب اذاعة السر ان للانسان قوتين آخذة ومعطية وكتاتهما
 تتشوف الى الفعل المختص بها ولولا ان الله تعالى وكل المعطية باظهار ما عندها
 ما ظهرت الأسرار فكامل العقل كلما طلبت القوة الفعل قيدها ووزنها بالعقل
 حتى يضعها في مواضعها فيجمل حال الشيوخ من اذاعة الأسرار لرزاة عقولهم
 وينبغي للمرید أن يحفظ سره من بثه ففي ذلك صحته وسلامته وتأيد الله سبحانه
 وتعالى له بتدارك المریدين الصادقين في موردهم ومصدرهم

﴿ الباب الثالث والخمسون في حقيقة الصحبة ﴾

وما فيها من الخير والشر ﴿

المقتضى للصحبة وجود الجنسية وقد يدعو اليها أعم الأوصاف وقد يدعو اليها
 أخص الأوصاف فالدعاء بأعم الأوصاف كميل جنس البشر بعضهم إلى بعض
 والدعاء بأخص الأوصاف كميل أهل كل ملة بعضهم إلى بعض ثم أخص من ذلك
 كميل أهل الطاعة بعضهم إلى بعض وكميل أهل المعصية بعضهم إلى بعض فاذا
 علم هذا الأصل وان الجاذب إلى الصحبة وجود الجنسية بالأعم تارة وبالأخص
 أخرى فليتنفد الانسان نفسه عند الميل إلى صحبة شخص وينظر ما الذي يعمل به
 إلى صحبته ويزن أحوال من يميل اليه بميزان الشرع فان رأى أحواله مسددة
 فليبشر نفسه بحسن الحال فقد جعل الله تعالى مرآته مجلوة يلوح له في مرآة
 أخيه جمال حسن الحال وإن رأى أفعاله غير مسددة فيرجع إلى نفسه باللائمة
 والالتهام فقد لاح له في مرآة أخيه سوء حاله فبالجدير أن يفر منه كفراره من
 الأسد فانهما إذا اصطحبا ازدادا ظلمة واعوجاجا ثم إذا علم من صاحبه الذي مال
 اليه حسن الحال وحكم لنفسه بحسن الحال طالع ذلك في مرآة أخيه فليعلم ان
 الميل بالوصف الأعم مركز في جبلته والميل بطريقه واقع وله بحسبه أحكام وللنفس

بسببه ستكون وركون فيسلب الميل بالوصف الأعم جدوى الميل بالوصف الأخص
ويصير بين المتصاحبين استرواحات طبيعية وتلذذات جبلية لا يفرق بينها وبين
خلوص الصحبة لله إلا العلماء الزاهدون وقد ينفسد المرید الصادق بأهل الصلاح
أكثر مما ينفسد بأهل الفساد ووجه ذلك أن أهل الفساد علم فساد طريقهم
فأخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم فمال إليهم بجنسية الصلاحية ثم حصل
بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله فاكتمب
من طريقهم الفتور في الطلب عن بلوغ الارب فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة وبأخذ
من الصحبة أصفى الأقسام ويدر منها ما يمد في وجهه المرام قال بعضهم هل رأيت
شرا قط الا ممن تعرف ولهذا المعنى أنكر طائفة من العلف الصحبة ورأوا
الفضيلة في العزلة والوحدة كإبراهيم بن أدهم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمان
الطواص (وحكى) عنه أنه قيل له جاء إبراهيم بن أدهم أما تلقاه قال لأن ألقى سبعاً
ضارياً أحب إلي من أن ألقى إبراهيم بن أدهم قال لأنني إذا رأيته أحسن له كلامي
وأظهر نفسي باظهار أحسن أحوالها وفي ذلك الفتنة وهذا كلام عالم بنفسه وأخلاقها
وهذا واقع بين المتصاحبين الا من عصمه الله تعالى (أخبرنا) الشيخ الثقة
أبو الفتح محمد بن عبد الباقي اجازة قال أنا الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد قال أنا أبو القاسم
المحميل بن مسعدة قال أنا أبو عمرو محمد بن عبد الله بن أحمد قال أنا أبو سليمان أحمد
ابن محمد الخطابي قال أنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق قال حدثنا سليمان بن الأشعث قال
حدثنا عبد الله بن مسامة عن مالك عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاب
الجبال ومواقع القطر يفر بدينه عن الفتن قال الله تعالى اخباراً عن خليله إبراهيم
(وأعزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربى) استظهر بالعزلة على قومه
(قيل) العزلة نوعان فريضة وفضيلة فالفريضة العزلة عن الشر وأهله والفضيلة عزلة
الفضول وأهله ويجوز أن يقال الخلوة غير العزلة فالخلوة من الاغيار والعزلة من
النفوس وتدعو اليه وما يشغل عن الله فالخلوة كثيرة الوجود والعزلة قليلة الوجود
قال أبو بكر الوراق ما ظهرت الفتنة إلا بالخلطة من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا

وما سلم إلا من جانب الخلطة وقيل السلامة عشرة أجزاء تسعة في الصمت وواحدة في العزلة وقيل الخلوة أصل والخلطة عارض فليلزم الأصل ولا يخالط الا بقدر الحاجة وإذا خالط لا يخالط إلا بحجة وإذا خالط يلزم الصمت فانه أصل والكلام عارض ولا يتكلم إلا بحجة فخطر الصحبة كثير يحتاج العبد فيه إلى مزيد علم والأخبار والأثر في التحذير عن الخلطة والصحبة كثيرة والكتب بها مشحونة وأجمع الأخبار في ذلك ما أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح بإسناده السابق إلى أبي سليمان قال حدثنا أحمد بن سلمان النجاد قال حدثنا محمد بن يونس الكريمي قال حدثنا محمد بن منصور الجشمي قال حدثنا مسلم بن سالم قال حدثنا السري بن يحيى عن الحسن عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فردينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذي يروغ قالوا ومتى ذلك يا رسول الله قال إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزوج قال انه إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فان لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده فان لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يد قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعبرونه بضيق المعيشة فيتكلف ما لا يطيق حتى يوردوه موارد الهلكة * وقد رغب جمع من السلف في الصحبة والاخوة في الله ورأوا ان الله تعالى من على أهل الايمان حيث جعلهم اخوانا فقال سبحانه وتعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) وقال تعالى (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) وقد اختار الصحبة والاخوة في الله تعالى سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك وغيرها وفائدة الصحبة انها تفتح مسام الباطن ويكتسب الانسان بها علم الحوادث والعوارض (قيل) أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفات ويتصلب الباطن برزين العلم ويتمكن الصدق بطريق هبوب الآفات ثم التخلص منها بالايمان ويقع بطريق الصحبة والاخوة التعاضد والتعاون وتتقوى جنود القلب وتستروح الأرواح بالتشام وتتفق في التوجه الى الرفيق الأعلى ويصير مثاله

في الشاهد كالأصوات اذا اجتمعت خرفت الاجرام واذا تفردت قصرت عن بلوغ المرام * ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ المؤمن كثير بأخيه وقال الله تعالى خيرا ممن لا صديق له فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والحميم في الأصل الهميم إلا انه أبدلت الهاء بالحاء لقرب مخرجهما إذ هما من حروف الخلق والهميم مأخوذ من الاهتمام أى يهتم بأمر أخيه فالاهتمام بهمهم الصديق حقيقة الصداقة وقال عمر إذا رأى أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقد قال القائل

وإذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قال ياداد ما لي أراك منتبذ وحدك قال إلهي قلت الخلق من أجلك فأوحى الله إليه ياداد كن يقظانا مرتادا لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافق على مسرتي فلا تصحبه فانه عدو يقسى قلبك ويباعدك منى وقد ورد في الخبر ان أحبك إلى الله الذين يألفون ويؤلفون فالؤمن آلف مألف وفي هذا دققة وهي أنه ليس من اختار العزلة والوحدة لله يذهب عنه هذا الوصف فلا يكون آلفا مألوا فان هذه الاشارة من رسول الله ﷺ إلى الخلق الجبلى وهذا الخلق يكمل في كل من كان أتم معرفة ويقينا وأرزن عقلا وأتم أهلية واستعدادا وكان أوفر الناس حظا من هذا الموصف الأنبياء ثم الأولياء وأتم الجميع في هذا نبينا صلوات الله عليه وكل من كان من الأنبياء أتم ألفة كان أكثر تبعا ونبينا ﷺ كان أكثرهم ألفة وأكثرهم تبعا وقال تنا كحوا تسكثروا فاني مكاثربكم الأهم يوم القيامة * وقد نبه الله تعالى على هذا الوصف من رسول الله ﷺ فقال (ولو كنت فظا غليظ القلب لا تفضوا من حولك) وإنما طلب العزلة مع وجود هذا الوصف ومن كان هذا الوصف غيه أقوى وأتم كان طلب العزلة فيه أكثر في الابتداء ولهذا المعنى حجب إلى رسول الله ﷺ الخلوة في أول أمره وكما يخلو في غار حراء ويتحنث الليالى ذوات العدد وطلب العزلة لا يسلب وصف كونه آلفا مألوا وقد غلط في هذا قوم ظنوا ان العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلبا لهذه الفضيلة وهذا خطأ وسر طلب العزلة لمن هذا الوصف فيه أتم من الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ما أسلفنا في أول الباب ان في الانسان ميلا إلى الجنس بالوصف الأعم فلما علم الخذاق ذلك ألهمهم الله تعالى محبة الخلوة

والعزلة لتصفية النفس عن الميل بالوصف الأعم لترتقى الهمم العالية عن ميل الطباع
إلى تألف الأرواح فاذا وفوا للتصفية حقها اشرأت الأرواح إلى جنسها بالتألف
الأصلي الأولي وأعادها الله تعالى إلى الخلق ومخالطتهم مصفاة واستنارت النفوس
الطاهرة بأنوار الأرواح وظهرت صفة الجبلة من الألفة المكملة آلفة مألوفة
فصارت العزلة من أهم الأمور عند من يألف فيؤلف ومن أدل الدليل على أن الذي
اعتزل آلف مألوف حتى يذهب الغلط عن الذي غلط في ذلك وذم العزلة على الإطلاق
من غير علم بحقيقة الصحبة وحقيقة العزلة فصارت العزلة مرغوبا فيها في وقتها والصحبة
مرغوبا فيها في وقتها قال محمد بن الحنفية رحمه الله ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف
من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله منه فرجا وكان بشر بن الحرث يقول إذا
قصر العبد في طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنسه فالأنيس يهيم الله بالصديقين رفقا من الله
تعالى وثوبا للعبد معجلا والآنيس قد يكون مفيدا كالمشايخ وقد يكون مستفيدا
كالمردين فصحيح الخلوة والعزلة لا يترك من غير أنيس فإن كان قاصرا يؤنسه الله بمن يتمم
حاله وإن كان غير قاصر يقيض الله تعالى له من يؤنسه من المردين وهذا الآنس ليس فيه
ميل بالوصف الأعم بل هو بالله ومن الله وفي الله (روى) عبد الله بن مسعود عن رسول الله
ﷺ قال المتحابون في الله على عمود من يقوته حمراء في رأس العمود سبعون ألف
غرفة مشرفون على أهل الجنة يضيء حسبهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل
الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله عز وجل فاذا أشرقوا
عليهم أضواء حسبهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سندس
خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله عز وجل وقال أبو ادريس الخولاني
لمعاذ أني أحبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول
ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر
يقزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون فقل من هؤلاء يا رسول الله قال المتحابون في الله عز وجل
(وروي) عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال يقول الله عز وجل حققت محبتي
للمتحابين في والمتبازلين في والمتصديقين في (أخبرنا) الشيخ أبو الفتح محمد

ابن عبد الباقي اجازة قال أنا احمد بن الحسين بن خيرون قال أنا أبو عبد الله احمد بن عبد الله الحاملي قال أنا أبو القاسم عمر بن جعفر بن محمد بن سلام قال أنا أبو اسحق ابراهيم بن اسحق الحرابي قال حدثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب ان رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة قالوا وما هو قال اصلاح ذات البين وإياكم والبغضة فانها هي الحالقة وباسناد ابراهيم الحرابي عن عبيد الله بن عمر عن أبي أسامة عن عبد الله بن الوليد عن عمران بن رباح قال سمعت أبا مسلم يقول سمعت أبا هريرة يقول الخبر وفي الخبر تحذير عن البغضة وهو أن يحفو الخبلى الناس مقتلهم وسوء ظن بهم وهذا خطأ وإنما يريد أن يخلو مقتلا لنفسه وعلمها بما في نفسه من الآفات وحذرا على نفسه من نفسه وعلى الخلق أن يعود عليهم من شره فمن كانت خلوته بهذا الوصف لا يدخل تحت هذا الوعيد والاشارة بالخالقة يعنى ان البغضة حالقة للدين لأنه نظر إلى المؤمنين والمسلمين بعين المقت (وأخبرنا) الشيخ أبو الفتح باسناده إلى ابراهيم الحرابي قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا أبو عاصم عن ثور عن خالد بن معدان قال ان الله تعالى ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج وان من دعائه اللهم فكما ألفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطفى النار ولا النار تذيب الثلج ألفت بين قلوب عبادك الصالحين وكيف لا تتألف قلوب الصالحين وقد وجدهم رسول الله ﷺ في وقته العزيز بقاب قوسين في وقت لا يسمعه فيه شيء لالطف حال الصالحين وجدهم في ذلك المقام العزيز وقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهم مجتمعون وان كانوا متفرقين وصحبهم لازمة وعزيمتهم في التواصل في الدنيا والآخرة جازمة * وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو ان رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ولم يبغض فيه ما نفعه ذلك (أخبرنا) رضى الدين احمد بن اسمعيل بن يوسف اجازة ان لم يكن سماعا قال أنا أبو المظفر عن والده أبي القاسم القشيري قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الله بن المعلم يقول سمعت أبا بكر التلمساني يقول اصحبوا مع الله فان لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم

بركة صحبتهم إلى محبة الله (وأخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب اجازة قال أنا
عمر بن احمد الصفار النيسابوري اجازة قال أنا أبو بكر احمد بن خلف قال أنا
أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر الاصفهاني يقول سمعت أبا جعفر الحداد
يقول سمعت علي بن سهل يقول الأنس بالله تعالى أن تستوحش من الخلق الا من
أهل ولاية الله فان الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله وقد نبه (القائل)
نظما على حقيقة جامعة لمعاني الصحبة والخلوة وفائدتها وما يحذر فيهما بقوله

وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير من قعود المرء وحده

الباب الرابع والخمسون في أدب حقوق الصحبة والاخوة في الله تعالى ﴿

قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا
بالرحمة) وقال في وصف أصحاب رسول الله ﷺ أشدء على الكفار رحما بينهم
وكل هذه الايات تنبيه من الله تعالى للعباد على آداب حقوق الصحبة فن اختار
صحبة أو اخوة فأدبه في أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسئلة والدعاء
والتضرع ويسأل البركة في الصحبة فانه يفتح على نفسه بذلك إما بابا من أبواب الجنة
وإما بابا من أبواب النار فان كان الله تعالى يفتح بينهما خيرا فهو باب من أبواب الجنة
قال الله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) وقيل إن أحدا لا خوين
في الله تعالى يقال له ادخل الجنة فيسأل عن منزل فان كان دونه لم يدخل الجنة حتى
يعطى أخوه مثل منزله فان قيل لم يكن يعمل مثل عمالك فيقول إني كنت أعمل لى
وله فيعطى جميع ما يسأل لأخيه ويرفع أخوه إلي درجته وإن فتح الله تعالى عليهما
بالصحبة شرا فهو باب من أبواب النار قال الله تعالى (ويوم بعض الظالم على يديه
يقول باليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتنا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا) وإن كانت
الآية وردت في قصة مشهورة ولكن الله تعالى نبه بذلك عباده على الحذر من كل
خليل يقطع عن الله واختيار الصحبة والاخوة اتفاقا من غيرنية في ذلك وثبت في
أول الأمر شأن أرباب الغفلة الجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار وقد قال
عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في كلام له وهل يفسد الناس إلا الناس فالعباد

بالصحة متوقع والصلاح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يحذر في أوله ويحكم الأمر فيه بكثرة الاجأ إلى الله تعالى وصدق الاختيار وسؤال البركة والحيرة في ذلك وتقديم صلاة الاستخارة ثم إن اختيار الصحة والاخوة عمل وكل عمل يحتاج إلى النية وإلى حسن الخاتمة وقد قال عليه الصلاة والسلام في الخبر الطويل سبعة يظلمهم الله تعالى فمنهم اثنان تحابا في الله فعاشا على ذلك وماتا عليه اشارة إلى أن الاخوة والصحة من شرطهما حسن الخاتمة حتى يكتب لهما ثواب المؤاخاة ومتى أفسد المؤاخاة بتضييع الحقوق فيها فسد العمل من الأول (قيل) ما حسد الشيطان متماوين على بر حسده متآخين في الله متحابين فيه فانه يحمد نفسه ويحث قبيله على افساد ما بينهما (وكان) الفضيل يقول إذا وقعت الغيبة ارتفعت الاخوة والاخوة في الله تعالى مواجهة قال الله تعالى (اخوانا على سرر متقابلين) ومتى أضر أحدهما للآخر سوءاً أو كره منه شيئاً ولم ينبه عليه حتى يزيله أو يتسبب إلى إزالته منه فما واجهه بل استدبره (قال الجنيد) رحمه الله ماتوا أخى اثنان في الله واستوحش أحدهما من صاحبه إلا لعله في أحدهما فالمؤاخاة في الله أصفى من الماء الزلال وما كان لله فالحق مطالب بالصفاء فيه وكل ما صفا دام والأصل في دوام صفائه عدم الخلة قال رسول الله ﷺ لا تمارأواكم ولا تمازحوا ولا تعدوا موعدا فتخلفه (قال أبو سعيد الخراساني) صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف فليل له وكيف ذلك قال لاني كنت معهم على نفسي (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب السهروردي اجازة قال أنا عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت عبد الله الداراني قال سمعت أبا عمر والدمشقي الرازي يقول سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول وقد سأله رجل على أي شرط أصحب الخلق فقال إن لم تبرهم فلا تؤذهم وإن لم تسرهم فلا تسوهم (وبهذا الاسناد) قال أبو عبد الله لا تضيع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة والصدقة فان الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقاً لم يضعها إلا من لم يراع حقوق الله عليه ومن حقوق الصحة إنه إذا وقع فرقة ومباينة لا يذكر أخاه إلا بخير (قيل) كان لبعضهم زوجة وكان يعلم منها ما يكرهه فكان يقال له استخبارا عن حالها فيقول لا ينبغي للرجل أن يقول في أهله إلا خيراً ففارقها وطلقها

فاستخبر عن ذلك فقال امرأة بعدت عني وليست مني في شيء كيف أذكرها وهذا من التخلق بأخلاق الله تعالى أنه سبحانه يظهر الجليل ويستر القبيح وإذا وجد من أحدهما ما يوجب التقاطع فهل يبغضه أو لا يختلف القول في ذلك كان أبو ذر يقول إذا انقلب عما كان عليه أبغضه من حيث أحببته وقال غيره لا يبغض الأخ بعد الصحبة ولكن يبغض عمله قال الله تعالى لنبيه ﷺ (فإن عصوك فقل إني بريء بما تعملون) ولم يقل إني بريء منكم (وقيل) كان شاب يلزم مجالس أبي الدرداء وكان أبو الدرداء يميزه على غيره فابتلى الشاب بكبيرة من الكبار وانتهى إلى أبي الدرداء ما كان منه فقيل له لو أبعدته وهجرته فقال سبحانه الله لا يترك الصاحب بشيء كان منه (قيل) الصداقة لحة كل حمة النسب (وقيل) الحسب مرة أيا أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخى إذا كان صديق وهذا الخلاف في المفارقة ظاهرا وباطنا وأما الملازمة باطنا إذا وقعت المباشرة ظاهرا فتختلف باختلاف الأشخاص ولا يطلق القول فيه إطلاقا من غير تفصيل فن الناس من كان تغيره رجوعا عن الله وظهور حكم سوء السابقة فيجب بغضه وموافقة الحق فيه ومن الناس من كان تغيره عثرة حدثت وفترة وقعت يرجي عوده فلا ينبغي أن يبغض ولكن يبغض عمله في الحالة الحاضرة ويلحظ بعين الود منتظرا له الفرج والعود إلى أوطان الصالح فقد ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام لما شتم القوم الرجل الذي أتى بفاحشة قال مه وزجرهم بقوله ولا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم (وقال) إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا (وفي الخبر) اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته (وروى) أن عمر رضي الله عنه سأل عن أخ له كان أنفاه فيخرج إلى الشام فسأل عند بعض من قدم عليه فقال ما فعل أخى فقال له ذاك أخوه الشيطان قال له مه قال له إنه قارف الكبار حتى وقع في الحمر فقال إذا أردت الخروج فاذا نيتي قال فكتب إليه (حم) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى فقال صدق الله تعالى ونصح عمر فتاب ورجع وروى أن رسول الله ﷺ رأى ابن عمر يلتفت يمينا وشمالا فسأله فقال يا رسول الله آخيت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال

يا عبد الله إذا أخيت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته وكان يقول ابن عباس رضي الله عنهما ماختلف رجل إلى مجلسي ثلاثا من غير حاجة تكون له فعلت ما مكافأته في الدنيا وكان يقول سعيد ابن العاص الجليسي على ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وعلامة خلوص المحبة لله تعالى أن لا يكون فيها شائبة حظ عاجل من رفق أو احسان فإن ما كان معلولا يزول بزوال علته ومن لا يستند في خلته إلى علة يحكم بدوام خلته ومن شرط الحب في الله إيثار الأخ بكل ما يقدر عليه من أمر الدين والدنيا قال الله تعالى يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقلوه تعالى لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي لا يحسدون اخوانهم على دألهم وهذا ان الوصفان بهما يكل صفوا المحبة أحدهما انتزاع الحسد على شيء من أمر الدين والدنيا والثاني الايثار بالمقدور وفي (الخبير) عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام المرء على دين خليله ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه (وكان) يقول أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذاك قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلي على نفسه فهو خير مني ولبعضهم نظما :

تذلل لمن ان تذلت له يرى ذاك للفضل لا لاجله

وجانب صداقة من لم يزل على الأصدقاء يرى الفضل له

﴿ الباب الخامس والخمسون في آداب الصحبة والاخوة ﴾

سئل أبو حنيفة عن أدب الفقراء في الصحبة فقال حفظ حرمت المشايخ وحمى العشرة مع الاخوان والنصيحة للأصغار وترك صحبة من ليس في طبقتهم وملازمة الايثار ومجانبة الادخار والمعاونة في أمر الدين والدنيا فمن أديهم التغافل عن زلل الاخوان والنصح فيما يجب فيه النصيحة وكنتم عيب صاحبه واطلاعه على عيب يعلم منه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحمه الله امرأ أهدي إلى عيوي وهذا فيه مصلحة كلية تكون للشخص ممن يذبه على عيوبه قال جعفر بن برقان قال لي ميمون ابن مهران قل في وجهي ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى لا يقول له في

وجهه ما يكرهه فان الصادق يحب من يصدقه والكاذب لا يحب الناصح قال الله تعالى (ولكن لا تحبون الناصحين) والنصيحة ما كانت في السر * ومن آداب الصوفية القيام بخدمة الاخوان واحتمال الاذى منهم فبذلك يظهر جوهر الفقير روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بقلع ميزاب كان في دار العباس بن عبد المطلب إلى الطريق بين الصفاء والمروة فقال له العباس قلعت ما كان رسول الله ﷺ وضعه بيده فقال إذا لا يردّه إلي مكانه غير يدك ولا يكون لك سلم غير طاق عمر فأقامه على طاقه ورده إلى موضعه ومن أدبهم أن لا يرون لنفسهم ملكا يختصون به قال إبراهيم ابن شيبان كنا لناصر من يقول نعلي (أخبرنا) بذلك رضى الدين عن أبي المظفر عن والده أبي القاسم القشيري قال سمعت أبا حاتم الصوفي قال سمعت أبا نصر السراج يقول ذلك وقال أحمد بن القلانسي دخلت على قوم من الفقراء يوما بالبصرة فأكرموني وبجلوني فقلت يوما لبعضهم أين ازاري فسقطت من أعينهم (وكان) إبراهيم بن أدهم إذا صحبه انسان شارطه على ثلاثة أشياء أن تكون الخدمة والأذان له وان تكون يده في جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيداه فقال رجل من أصحابه أنا لا أقدر على هذا فقال اعجبني صدقك (وكان) إبراهيم بن أدهم ينظر البساتين ويعمل في الحصاد وينفق على أصحابه (وكان) من أخلاق السلف أن كل من احتاج إلى شيء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة قال الله تعالى وأمرهم شورى بينهم أي مشاعهم فيه سواء ومن أدبهم أنهم إذا استنقلوا صاحبًا يهتمون أنفسهم ويتسببون في إزالة ذلك من مواطنهم لأن انطواء الضمير على مثل ذلك للمصاحب وليجة في الصحبة * قال أبو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقبًا فوهبت له شيئًا بنية أن يزول ثقله من قلبي فلم يزل يخلو به يوما وقلت له وضع رجلك على خدي فأبى فقلت له لا بد من ذلك ففعل ذلك فزال ما كنت أجده في باطني قال الرقي قصدت من الشام إلى الحجاز حتى سألت الكتاني عن هذه الحكاية * ومن أدبهم تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له في المجلس والايثار بالموضع روى أن رسول الله ﷺ كان جالسًا في صفة ضيقة فجاءه قوم من البدرين فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه فأقام رسول الله ﷺ من لم يكن من أهل بدر فجلسوا مكانهم فاشتد

ذلك عليهم فأنزله الله تعالى (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) الآية (وحكى) أن علي بن
بندار الصوفي ورد على أبي عبد الله بن خفيف زائراً فتماشياً فقال له أبو عبد الله تقدم
فقال بأى عذر فقال بأنك لقيت الخنيد وما لقيته ومن أديهم ترك صحبة من هم
شئ من فضول الدنيا قال الله تعالى (فأعرض عنى تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة
الدنيا) ومن أديهم بذل الانصاف للاخوان وترك مطالبة الانصاف قال أبو عثمان
الحيرى حق الصحبة أن توسع على أخيك من مالك ولا تطمع فى ماله وتنصفه من
نفسك ولا تطلب منه الانصاف منه وتكون تبعاً له ولا تطمع أن يكون تبعاً لك
وتستكثر ما يصل إليك منه وتستقل ما يصل إليه منك * ومن أديهم فى الصحبة لين
الجانب وترك ظهور النفس بالصلة قال أبو على الروذبارى الصولة على من فوقك قحة
وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز * ومن أديهم أن لا يجري فى كلامهم
لو كان كذا لم يكن كذا وليت كان كذا وعسى أن يكون كذا فانهم يرون هذه
التقديرات عليه اعتراضا * ومن أديهم فى الصحبة حذر المفارقة والحرص على الملازمة
(قيل) صحب رجل رجلاً ثم أراد المفارقة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لا تصحب
أحدًا إلا إذا كان فوقنا وإن كان فوقنا أيضاً فلا تصحبه لأنك صحبتنا أولاً فقال
الرجل زال عن قلبي نية المفارقة * ومن أديهم التعطف على الأصاغر (قيل) كان
إبراهيم بن آدم يعمل فى الحصاد ويطعم الأصحاب وكانوا يجتمعون بالليل وهم صيام
وربما كان يتأخر فى بعض الأيام فى العمل فقالوا ليلة تعالوا نأكل فطورنا دونه حتى
يعود بعد هذا يسرع فافطروا وناموا فرجع إبراهيم فوجدهم نياماً فقال مساكين
لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد إلى شئ من الدقيق فمجنه فانتبهوا وهو ينفخ فى النار
واضعا محاسنه على التراب فقالوا له فى ذلك فقال قلت لعلكم لم تجدوا فطوراً فنتمم
فقالوا أنظروا بأى شئ عاملناه وبأى شئ يعاملنا * ومن أديهم أن لا يقولوا عند
الدعاء إلى أين ولم وبأى سبب قال بعض العلماء إذا قال الرجل للصاحب قم بنا فقال إلى
أين فلا يصحبه * وقال آخر من قال لأخيه أعطنى من مالك فقال كم تريد ما قام بحق
الاخاء وقد قال الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا
(٢٠ - عوارف المعارف)

ومن أديهم أن لا يتكفوا للاخوان قيل لما ورد أبو حفص العراق تكلف له الجنيد أنواعا من الأطعمة فانكر ذلك أبو حفص وقال صير أصحابي مثل الخنايث يقدم لهم الألوان والفتوة عندنا ترك التكلف واحضار ما حضر فان بالتكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف وترك التكلف يستوى مقامه وذهابه ومن أديهم في الصحبة المداواة وترك المداينة وتشبه المداواة بالمداينة والفرق بينهما ان المداواة ما أردت به صلاح أخيك فداريته لرجاء صلاحه واحتملت منه ما تكره والمداينة ما قصدت به شيئا من الهوى من طلب حظ أو إقامة جاه * ومن أديهم في الصحبة رعاية الاعتدال بين الانقباض والانبساط نقل عن الشافعي رحمه الله انه قال الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط * ومن أديهم ستر عورات الاخوان قال عيسى عليه السلام لأصحابه كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم فأما فكشف الریح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه فقال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا قال أحدكم يسمع في أخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها * ومن أديهم الاستغفار للاخوان بظهر الغيب والاهتمام لهم مع الله تعالى في دفع المسكاره عنهم (حكى) ان أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه فقال انى ابتليت بهوى فان شئت ان لا تعقد على محبتي لله فافعل فقال ما كنت لاجل عقد أخائك لاجل خطيئتك وعقد بينه وبين الله عقدا أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافيه الله تعالى من هواه وطوى أربعين يوما كلما يسأله عن هواه يقول ما زال فبعد الأربعين أخبره ان الهوى قد زال فأكل وشرب * ومن أديهم أن لا يحوجوا صاحبهم إلى المداواة ولا يلجئوه إلى الاعتذار ولا يتكفوا للصاحب ما يشق عليه بل يكونوا للصاحب من حيث هو مؤثرين مراد الصاحب على مراد أنفسهم * قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه شر الأصدقاء من أحوجك إلى مداواة أو الجأك إلى اعتذار وتكلفه (وقال) جعفر الصادق أنقل اخوانى على من يتكلف لي وأتحفظ منه وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي فاداب الصحبة وحقوق الاخوة كثيرة والحكايات في ذلك يطول نقلها وقد رأيت في كتاب الشيخ أبى طالب المسكى

رحمه الله من الحكايات في هذا المعنى شيئا كثيرا فقد أودع كتابه كل شيء حسن من ذلك وحاصل الجميع ان العبد ينبغي له أن يكون لمولاه ويريد كل ما يريد لمولاه لأن نفسه وإذا صاحب شخصا تكون صحبته إياه لله تعالى وإذا صحبه الله تعالى يجتهد له في كل شيء يزيده عند الله زلفى وكل من قام بحقوق الله تعالى يرزقه الله تعالى علما بمعرفة النفس وعيوبها ويعرفه محاسن الأخلاق ومحاسن الآداب ويوقفه من أداء الحقوق على بصيرة ويوقفه في ذلك كله ولا يفوته شيء مما يحتاج إليه فيما يرجع إلى حقوق الحق وفيما يرجع إلى حقوق الخلق لكل تقصير وجد من خبث النفس وعدم تركيتها وبقاء صفاتها عليه فان صحبت ظلمت بالافراط تارة وبالتفريط أخرى وتعدت الواجب فيما يرجع إلى الحق والخلق والحكايات والمواعظ والآداب وسماها لا يعمل في النفس زيادة تأثير ويكون كبر يقرب فيه الماء من فوق فلا يمتكث فيه ولا ينتفع به وإذا أخذت بالتقوى والزهد في الدنيا نبع منها ماء الحياء وتفتحت وعلمت وأدت الحقوق وقامت بواجب الآداب بتوفيق الله سبحانه وتعالى

الباب السادس والخمسون في معرفة الانسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك
حدثنا شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنا الشريف نور الهدى أبو طالب الزيني قال أنا كريمة المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم الكشميهني قال أخبرنا أبو عبد الله القزويني قال أنا أبو عبد الله البخاري قال حدثنا عمر بن حفص قال حدثنا أبي قال حدثنا الأعمش قال حدثنا زيد بن وهب قال حدثنا عبد الله قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله تعالى إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشق أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة وان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين أي حرير

لاستقرارها فيه إلى بلوغ امدها ثم قال بعد ذكر تقلباته ثم انشأناه خلقا آخر قبل هذا الانشاء نفخ الروح فيه واعلم ان الكلام في الروح صعب المرام والامساك عن ذلك سبيل ذوى الاحلام وقد عظم الله تعالى شأن الروح واسجل على الخلق بقلة العلم حيث قال وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وقد أخبرنا الله تعالى في كلامه عن اكرامه بنى آدم فقال (ولقد كرمنا بني آدم) وروى انه لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال وعزتي وجلالي لأجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان فمع هذه الكرامة واختياره سبحانه وتعالى اياهم على الملائكة لما أخبر عن الروح أخبر عنهم بقلة العلم وقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي الخ قال ابن عباس قال اليهود للنبي عليه السلام أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من أمر الله ولم يكن نزل إليه فيه شيء فلم يجبههم فأناه جبرائيل بهذه الآية وحيث امسك رسول الله ﷺ عن الاخبار عن الروح وماهيته باذن الله تعالى ووحيه وهو صلوات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة فكيف يسوغ لغيره الخوض فيه والاشارة إليه لاجرم لما تقاضت الأنفس الانسانية المتطالعة إلى الفضول المتشوفة إلى المعقول المتحركة بوضعها بالسكون فيه والمتسورة بحرصها إلى كل تحقيق وكل تمويه واطلقت عنان النظر في مسarach الفكر وخاضت غمرات معرفة ماهية الروح تاهت في التيه وتنوعت ادواها فيه ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح ولولزمتم النفوس حدها معترفة بعجزها كان ذلك اجدر بها وأولي فأما أقاويل من ليس متمسكا بالشرائع فننزله الكتاب عن ذكرها لأنها أقوال ابرزتها العقول التي ضلت عن الرشاد وطبعت على الفساد ولم يصبها نور الاهتداء ببركة متابعة الأنبياء فهم كما قال الله تعالى كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فلما حججوا عن الانبياء لم يسمعوا وحيث لم يسمعوا لم يهتدوا فأصروا على الجهالات وحججوا بالمعقول عن المأمول والعقل حجة الله تعالى يهدي به قوما ويضل به قوما آخرين

فلم تنقل أقوالهم في الروح واختلافهم فيه وأما المستمسكون بالشرائع الذين تكلموا في الروح فقوم منهم بطريق الاستدلال والنظر وقوم منهم بلسان الذوق والوجد لا باستعمال الفكر حتى تكلم في ذلك مشايخ الصوفية أيضا وكان الأولى الامساك عن ذلك والتأدب بأدب النبي عليه السلام * وقد قال الجنيد الروح شيء استأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود ولكن نجعل للصادقين محملا لأقوالهم وأفعالهم ويجوز أن يكون كلامهم في ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى والآيات المنزلة حيث حرم تفسيره وجوز تأويله اذ لا يسمع القول في التفسير الا نقل وأما التأويل فتمتد العقول اليه بالباع الطويل وهو ذكر ما تحتمل الآية من المعنى من غير القطع بذلك واذا كان الأمر كذلك فللقول فيه وجه ومحمل قال أبو عبد الله النباجي الروح جسم يلفظ عن الحس ويكبر عن اللبس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود وهو وان منع عن العبارة فقد حكم بأنه جسم فكانه عبر عنه وقال ابن عطاء خلق الله الارواح قبل الاجساد لقوله تعالى ولقد خلقناكم بمعنى الارواح ثم صورناكم يعني الاجساد وقال بعضهم الروح لطيف قائم في كثيف كالبصر جوهر لطيف قائم في كثيف وفي هذا القول نظر وقال بعضهم الروح عبارة والقائم بالاشياء هو الحق وهذا فيه نظر أيضا الا أن يحمل على معنى الاحياء فقد قال بعضهم الاحياء صفة المحيي كالتيخليق صفة الخالق وقال قل الروح من أمر ربي وأمره كلامه وكلامه ليس بمخلوق أي صار الحي حيا بقوله كن حيا وعلى هذا لا يكون الروح معنى في الجسد فن الاقوال ما يدل على ان قائله يعتقد قدم الروح ومن الاقوال ما يدل على انه يعتقد حدوثه ثم ان الناس مختلفون في الروح الذي سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال قوم هو جبرائيل ونقل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه انه قال هو ملك من الملائكة سبعون الف وجه ولكل وجه منه سبعون الف لسان ولكل لسان منه سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم انقيامة وروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان الروح خلق من خلق الله صورهم على صورة بنى آدم وما نزل من السماء ملك

الا ومعها واحد من الروح وقال أبو صالح الروح كهيئة الانسان وليسوا بناس وقال مجاهد الروح على صورة بنى آدم لهم ايد وأرجل ورؤس يأكلون الطعام وليسوا بملائكة وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا اعظم من الروح غير العرش ولوشاء ان يبلغ السموات والأرضين السبع في لقمة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش والملائكة معه في صف واحد وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور احرق اهل السموات من نوره فهذه الاقاويل لا تكون الا نقلا ومما بلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واذا كان الروح المسئول عنه شيئا من هذا المنقول فهو غير الروح الذى فى الجسد فعلى هذا يسوغ القول فى هذا الروح ولا يكون الكلام فيه ممنوعا وقال بعضهم الروح لطيفة تسرى من الله الى اما كن معروفة لا يعبر عنه بأكثر من موجود بإيجاد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج من كن لانه لو خرج من كن كان عليه الدل قيل فن أى شيء خرج قال من بين جماله وجلاله سبحانه وتعالى بملاحظة الاشارة خصها بسلامه وحياتها بكلامه نهى معتقة من ذلك كن (وسئل) أبو سعيد الخراز عن الروح المخلوقة هى قال نعم ولولا ذلك ما أقرت بالربوبية حيث قالت بلى والروح هى التى قام بها البدن واستحق بها اسم الحياة وبالروح ثبت العقل وبالروح قامت الحجة ولو لم يكن الروح كان العقل معطلا لاحجة عليه ولا له وقيل انها جوهر مخلوق ولكنها ألطف المخلوقات وأصنى الجواهر وأنورها وبها تتراءى المغيبات وبها يكون الكشف لأهل الحقائق وإذا حجب الروح عن مراعاة السير أساءت الجوارح الأدب ولذلك صارت الروح بين تجمل واستتار وقابض ونازع وقيل الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء وقيل الأرواح أقسام أرواح تجول فى البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والملائكة وتسمع ما تتحدث به فى السماء عن أحوال الآدميين وأرواح تحت العرش وأرواح طيارة الى الجنان وإلى حيث شاءت على أقدرها من السمع إلى الله أيام الحياة وروى سعيد بن المسيب عن سلمان قال أرواح المؤمنين تذهب فى برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردّها الى جسدها وقيل اذا

ورد على الأرواح ميت من الأحياء التقوا وتحدثوا وتساءلوا ووكل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء حتى اذا عرض على الأموات ما يعاقب به الأحياء في الدنيا من أجل الذنوب قالوا نعتذر إلى الله ظاهرا عنه فانه لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى وقد ورد في الخبر عن النبي ﷺ تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا فاتقوا الله تعالى ولا تؤذوا موتاكم وفي خبر آخر ان أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتي فان كان حسنا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وهذه الأخبار والأقوال تدل على انها أعيان في الجسد وليست بمعان واعراض (سئل) الواسطي لأي علة كان رسول الله ﷺ أحلم الخلق قال لأنه خلق روحه أولا فوقع له صحبة التمكن والاستقرار ألا تراه يقول كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد أي لم يكن روحاً ولا جسداً وقال بعضهم الروح خلق من نور العزة وإبليس من نار العزة ولهذا قال خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدرك ان النور خير من النار فقال بعضهم قرن الله تعالى العلم بالروح فهم للطاقتها تنمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء وهذا في علم الله لأن علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والاختار عند أكثر متكلمي الاسلام ان الانسانية والحيوانية عرضان خلقا في الانسان والموت بعدهما وان الروح هي الحياة بعينها صار البدن بوجودها حيا وبالإعادة اليه في القيامة يصير حيا وذهب بعض متكلمي الاسلام الى انه جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة لاشتباك الماء بالعود الأخضر وهو اختيار أبي المعالي الجويني وكثير منهم مال الى انه عرض الا انه ردهم عن ذلك الاخبار الدالة على انه جسم لما ورد فيه من العروج والهبوط والتردد في البرزخ حيث وصف بأوصاف دل على انه جسم لأن العرض لا يوصف بأوصاف إذ الوصف معنى والمعنى لا يقوم بالمعنى واختار بعضهم انه عرض (سئل) ابن عباس رضي الله عنهما قيل أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان فقال أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الأدهان قيل له فأين تذهب الجسوم إذا بليت قال فأين تذهب اللحم إذا مرضت وقال بعض

من يهتم بالعلوم المردودة المذمومة وينسب الى الاسلام الروح تنفصل من البدن في جسم لطيف وقال بعضهم انها اذا فارقت البدن تحمل معها القوة الوهمية بتوسط النطقية فتكون حينئذ مطالعة للعمانى والمحسوسات لأن تجردها من هيات البدن عند المفارقة غير ممكن وهي عند الموت شاعرة بالموت وبعد الموت متخلية بنفسها مقهورة وتنصور جميع ما كانت تعتقده حال الحياة وتحس بالواب والعقاب في القبر وقال بعضهم أسلم المقالات أن يقال الروح شيء مخلوق أجرى الله تعالى العادة أن يحى البدن مادام متصلا به وانه أشرف من الجسد يذوق الموت بمفارقة الجسد كما ان الجسد بمفارقتة يذوق الموت فان الكيفية والماهية يتماشى العقل فيهما كما يتماشى البصر في شعاع الشمس ولما رأى المتكلمون انه يقال لهم الموجودات محصورة قديم وجسم وجوهر وعرض فالروح من أى هؤلاء فاختر قوم منهم انه عرض وقوم منهم انه جسم لطيف كما ذكرنا واختار قوم انه قديم لأنه أمر والأمر كلام والكلام قديم فاحسن الامساك عن القول فيما هذا سبيله وكلام الشيخ أبى طالب المكي في كتابه يدل على انه يميل الى ان الارواح أعيان في الجسد وهكذا النفوس لانه يذكر ان الروح تتحرك للخير ومن حركتها يظهر نور في القلب يراه الملك فيلهم الخير عند ذلك وتتحرك للشر ومن حركتها تظهر ظلمة في القلب فيرى الشيطان الظلمة فيقبل بالاغواء وحيث وجدت أقوال المشايخ تشير الى الروح (أقوال) ما عندي في ذلك على معنى ما ذكرت من التأويل دون أن أقطع به إذ مبلى في ذلك الى السكوت والامساك فأقول والله أعلم الروح الانساني العلوى السماوى من عالم الامر والروح الحيواني البشرى من عالم الخلق والروح الحيواني البشرى محل الروح العلوى ومورده والروح الحيوانى جسمانى لطيف حامل لقوة الحس والحركة ينبعث من القلب أعنى بالقلب ههنا المضغة اللحمية المعروفة الشكل المودعة في الجانب الايسر من الجسد وينتشر في تجاويف العروق الضوارب وهذه الروح لسائر الحيوانات ومنه تفيض قوى الحواس وهو الذى قوامه باجراء سنة الله بالغذاء غالبا ويتصرف بعلم الطب فيه باعتدال مزاج الاخلاط ولورود الروح الانساني العلوى على هذا الروح تجنس الروح الحيواني

وبين أرواح الحيوانات واكتسب صفة أخرى فصارت نفسا محلا للنطق والالهام قال الله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) فتسويتها بورود الروح الانساني عليها وانقطاعها عن جنس أرواح الحيوانات فتكونت النفس بتكوين الله تعالى من الروح العلوى وصارت تكون النفس التي هي الروح الحيواني من الآدمي من الروح العلوى في عالم الأمر كتكون حواء من آدم في عالم الخلق وصار بينهما من التألف والتعاشق كما بين آدم وحواء وصار كل واحد منهما يذوق الموت بفارقة صاحبه قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن إليها فسكن آدم إلى حواء وسكن الروح الانساني العلوى إلى الروح الحيواني وصيره نفسا وتكون من سكن الروح إلى نفس القلب وأعني بهذا القلب اللطيفة التي محلها المضغة اللحمية فالمضغة اللحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الأمر وكان تكون القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كتكون الذرية من آدم وحواء في عالم الخلق ولولا المساكنة بين الزوجين الذين أحدهما النفس ماتكون القلب فن القلب من متطلع إلى الأب الذي هو الروح العلوى مبال إليه وهو القلب المؤيد الذي ذكره رسول الله ﷺ فيما رواه حذيفة رضي الله عنه قال القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه مثل البقلة يمدّها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القبيح والصدید فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها والقلب المنكوس مبال إلى الأم التي هي النفس الامارة بالسوء ومن القلوب قلب متردد في ميله إليها وبحسب غلبة ميل القلب يكون حكمه من السعادة والشقاوة والعقل جوهر الروح العلوى ولسانه والدال عليه وتديره للقلب المؤيد والنفس الزكية المطمئنة تدير الوالد للولد البار والزوج للزوجة الصالحة وتديره للقلب المنكوس والنفس الامارة بالسوء تدير الوالد للولد العاق والزوج للزوجة السيئة فنكوس من وجهه ومنجذب إلى تديرها من وجهه إذ لا بد له منهما و قول القائلين واختلافهم في محل العقل فن قائل أن محل الدماغ ومن قائل أن محل القلب كلام القاصرين عن درك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار العقل على نسق واحد وانجذابه البار تارة وإلى العاق أخرى والقلب والدماغ

نسبة إلى البار والعاق فاذا رؤى في تدبير العاقل قبل مسكنه الدماغ وإذا رؤى في تدبير البار قيل مسكنه القلب فالروح العلوى بهم بالارتقاء إلى مولاه شوقا وحنوا وتزها عن الآكوان ومن الآكوان القلب والنفس فاذا ارتقى القلب إليه حنوا لولد الحنين البار إلى الولد وحن النفس إلى القلب الذى هو الولد حنين الوالدة الحنينة إلى ولدها وإذا حنت النفس ارتقت من الأرض وانزوت عروقها الضاربة في العالم السفلى وانطوى هواها وانحسرت مادته وزهدت في الدنيا وتجاغت عن دار الغرور وأنابت إلى دار الخلود وقد تخلد النفس التي هي الأم إلى الأرض بوضعها الجبلى لتكونها من الروح الحيوانى الجنس ومستندها في ركونها إلى الطبائع التي هي أركان العالم السفلى قال الله تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه) فاذا سكنت النفس التي هي الأم إلى الأرض انجذب إليها القلب المنكوس انجذاب الولد الميل إلى الوالدة المعوجة الناقصة دون الوالد الكامل المستقيم وتنجذب الروح إلى الولد الذي هو القلب لما جبل عليه من انجذاب الوالد إلى ولده فعند ذلك يتخلف عن حقيقة القيام بحق مولاه وفي هذين الانجذابين يظهر حكم السعادة والشقاوة ذلك تقدير العزيز العليم (وقد ورد) في أخبار داود عليه السلام أنه سأل ابنه سليمان أين موضع العقل منك قال القلب لأنه قلب الروح والروح قالب الحياة (وقال) أبو سعيد القرشى الروح روحان روح الحياة وروح الممات فاذا اجتمعا عقل الجسم وروح الممات هي التي إذا خرجت من الجسد يصير الحى ميتا وروح الحياة مابها مجارى الانقاس وقوة الآكل والشرب وغيرها (وقال) بعضهم الروح نسيم طيب يكون به الحياة والنفس ريح حارة تكون منها الحركات المذمومة والشهوات ويقال فلان حاد الرأس وفي الفصل الذى ذكرناه يقع التنبيه بماهية النفس وإشارة المشايخ بماهية النفس إلى ما يظهر من آثارها من الأفعال المذمومة والأخلاق المذمومة وهي التي تعالج بحسن الرياضة وإزالتها وتبديلها والأفعال الرديئة تزال والأخلاق الرديئة تبدل (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن اسمعيل القزوينى قال أنا اجازة أبو سعيد محمد بن أبى العباس الخليلي قال أنا القاضي محمد بن سعيد الفرخزادى قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم قال أنا الحسين بن محمد بن عبد الله السفياني قال

حدثنا محمد بن الحسن اليعقوبي قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن أبي ليثة عن خالد بن زيد عن سعيد بن أبي هلال أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية (قد أفلح من زكاه) وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وزكها أنت خير من زكها (وقيل) النفس لطيفة مودعة في القالب منها الأخلاق والصفات المذمومة كما أن الروح لطيفة مودعة في القلب منها الأخلاق والصفات الحمودة كما أن العين محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والتمم محل الذوق وهكذا النفس محل الأوصاف المذمومة والروح محل الأوصاف الحمودة وجميع أخلاق النفس وصفاتها من أصلين أحدهما الطيب والثاني الشره وطيشها من جهلها وشرها من حرصها وشبهت النفس في طيشها بكرة مستديرة على مكان أملس مصوب لا تزال متحركة بحباتها ووضعها وشبهت في حرصها بالفراس الذي يلقي نفسه على ضوء المصباح ولا يقنع بالضوء اليسير دون الهجوم على جرم الضوء الذي فيه هلاكه فمن الطيب توجد العجلة وقلة الصبر والصبر جوهر العقل والطيب صفة النفس وهواها وروحها لا يغلبه إلا الصبر إذ العقل يقمع الهوى ومن الشره يظهر الطمع والحرص وهما اللذان ظهرا في آدم حيث طمع في الخلود فحرص على أكل الشجرة وصفات النفس لها أصول من أصل تكونها لأنها مخلوقة من تراب ولها بحسبه وصف وقيل وصف الضعف في الآدمي من التراب ووصف البخل فيه من الطين ووصف الشهوة فيه من الحمأ المسنون ووصف الجهل فيه من الصلصال وقيل قوله كالفخار فهذا الوصف فيه شيء من الشيطنة لدخول النار في الفخار فمن ذلك الخداع والحيل والحسد فمن عرف أصول النفس وجبالاتها عرف أن لا قدرة له عليها إلا بالاستعانة ببارئها وفاطرها فلا يتحقق العبد بالإنسانية إلا بعد أن يدبر دواعي الحيوانية فيه بالعلم والعدل وهو رعاية طرفي الإفراط والتفريط ثم بذلك تنقوى إنسانيته ومعناه ويدرك صفات الشيطنة فيه والأخلاق المذمومة وكما أن إنسانيته ويتقاضاه أن لا يرضى لنفسه بذلك ثم تنكشف له الأخلاق التي تنازع بها الربوبية من الكبر والعز ورؤية النفس والعجب وغير

ذلك فيرى ان صرف العبودية في ترك المنازعة للربوبية والله تعالى ذكر النفس في كلامه القديم بثلاثة أوصاف بالطائفة قال يأتينا النفس المطمئنة وسماها لوامه قال لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وسماها اماردة فقال ان النفس لا اماردة بالسوء وهى نفس واحدة ولها صفات متغايرة فاذا امتلا القلب سكينه خلج على النفس خلج الطمأنينة لان السكينة مزيدا لايمان وفيها ارتقاء القلب إلى مقام الروح لما منح من حظ اليقين وعند توجه القلب إلى محل الروح تتوجه النفس إلى محل القلب وفي ذلك طمأنينتها وإذا انزعجت من مقام جبلاتها ودواعى طبيعتها متطلعة إلى مقام الطمأنينة فهي لوامة لانها تعود باللائمة على نفسها لنظرها وعلمها بمحل الطمأنينة ثم انجذبها إلى محلها التي كانت فيه اماردة بالسوء وإذا أقامت في محلها لا يغشاها نور العلم والمعرفة فهي على ظلمتها اماردة بالسوء فالنفس والروح يتطاردان فتارة يملك القلب دواعى الروح وتارة يملكه دواعى النفس وأما السر فقد أشار القوم إليه ووجدت في كلام القوم ان منهم من جعله بعد القلب وقبل الروح ومنهم من جعله بعد الروح واعلى منها والطف وقالوا السر محل المشاهدة والروح محل المحبة والقلب محل المعرفة والسر الذى وقعت اشارة القوم إليه غير مذكور في كتاب الله وإنما المذكور في كلام الله الروح والنفس وتنوع صفاتها والقلب والفؤاد والعقل وحيث لم نجد في كلام الله تعالى ذكر السر بالمعنى المشار إليه ورأينا الاختلاف في القول فيه وأشار قوم إلى انه دون الروح وقوم إلى انه الطف من الروح فنقول والله أعلم الذى سموه سرا ليس هو بشيء مستقل بنفسه له وجود وذات كالروح والنفس وإنما لما صفت النفس وتزكت انطاق الروح من وثاق ظلمة النفس فأخذ في العروج إلى أوطان القرب وانتزع القلب عند ذلك عن مستقره متطلعا إلى الروح فاكسب وصفا زائدا على وصفته فانهجم على الواجدين ذلك الوصف حيث رأوه أصفى من القلب فسموه سرا ولما صار للقلب وصف زائد على وصفه بتطلعه إلى الروح اكتسب الروح وصفا زائدا في عروجه وانهجم على الواجدين فسموه سرا والذي زعموا أنه الطف من الروح روح متصفة بوصف أخص مما عهدوه والذي سموه قبل الروح سرا هو قلب اتصف بوصف زائد غير

ما عهدوه وفي مثل هذا الترقى من الروح والقلب تترقى النفس إلى محل القلب وتنخلع من وصفها فتصير نفساً مطمئنة تريد كثيراً من مرادات القلب من قبل إحصاء القلب يريد ما يريد مولاة متبرئاً عن الحول والقوة والارادة والاختيار وعندها ذاق طعم صرف العبودية حيث صار حراً عن ارادته واختياراته وأما العقل فهو لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان وقد ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له أقعد فقعده ثم قال له انطق فنطق ثم قال له اصمت فصمت فقال وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي وسلطاني وجبروتي ما خلقت خلقاً أحب إلي منك ولا أكرم على منك بك أعرف وبك أحمد وبك أطاع وبك آخذ وبك أعطى وإياك أعاتب ولك الثواب وعليك العقاب وما أكرمك بشيء أفضّل من الصبر * وقال عليه السلام لا يعجبكم اسلام رجل حتى تعلموا ما عقده عقله وسألت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ قالت قلت يا رسول الله بأي شيء يتفاضلون الناس قال بالعقل في الدنيا والآخرة قالت قلت اليس يجرى الناس بأعمالهم قال يا عائشة وهل يعمل بطاعة الله إلا من قد عقل فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر ما يعملون يجزون وقال عليه السلام ان الرجل لينطلق إلى المسجد فيصلي وصلاته لا تعدل جناح بعوضة وان الرجل ليأتي المسجد فيصلي وصلاته تعدل جبل أحد إذا كان أحسنهما عقلاً قيل وكيف يكون أحسنهما عقلاً قال أوردعهما عن محارم الله واحرصهما على أسباب الخير وان كان دونه في العمل والتطوع (وقال) عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى قسم العقل بين عباده أشدّاتاً فان الرجلين يستوى علمهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد (وروى) عن وهب بن منبه أنه قال اني أجد في سبعين كتاباً ان جميع ما أعطى الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل رسول الله ﷺ كهيئة رملة وقعت من بين جميع رمال الدنيا واختلف الناس في ماهية العقل والكلام في ذلك يكثر ولا يؤثر نقل الأقاويل وليس ذلك من غرضنا فقال قوم العقل من العلوم فان الخالي من جميع العلوم لا يوصف بالعقل وليس العقل جميع العلوم فان الخالي

عن معظم العلوم بوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية فان من شرط ابتداء النظر تقدم كمال العقل فهو إذا من العلوم الضرورية وليس هو جميعها فان صاحب الحواس المختلطة عاقل وقد عدم بعض مدارك العلوم الضرورية وقال بعضهم العقل ليس من أقسام العلوم لانه لو كان منها لوجب الحكم بأن الذاهل عن ذكر الاستحالة والجواز لا يتصف بكونه عاقلاً ونحن زى العاقل فى كثير من أوقاته ذاهلاً وقالوا هذا العقل صفة يتهياً بها درك العلوم (ونقل عن الحرث) ابن أسد المحاسبى وهو من أجل المشايخ أنه قال العقل غريزة يتهياً بها درك العلوم وعلى هذا يتقرر ما ذكرناه فى أول ذكر العقل انه لسان الروح لان الروح من أمر الله وهى المتحملة للامانة التى أبت السموات والارضون ان يحملنها ومنها يفيض نور العقل وفى نور العقل تتشكل للعلوم فالعقل للعلوم بمثابة اللوح المكتوب وهو بصفته منكوس متطلع الى النفس تارة ومنصب مستقيم تارة فمن كان العقل فيه منكوساً الى النفس فرقه فى اجزاء الكون وعدم حسن الاعتدال بذلك واخطأ طريق الاهتداء ومن انتصب العقل فيه واستقام تايد العقل بالبصيرة التى هى للروح بمثابة القلب واهتدى الى المكون ثم عرف الكون بالمكون مستوفياً أقسام المعرفة بالمكون والكون فيكون هذا العقل عقل الهداية فكما أحب الله اقباله فى أمر دله على اقباله عليه وما كرهه الله فى أمر دله على الادبار عنه فلا يزال يتبع محاب الله تعالى ويجنب مساخطه وكما استقام العقل وتايد بالبصيرة كانت دلالاته على الرشد ونهيه عن الغى ﴿ قال ﴾ بعضهم العقل على ضربين ضرب يبصر به أمر دنياه وضرب يبصر به أمر آخرته (وذكر) أن العقل الأول من نور الروح والعقل الثانى من نور الهداية فالعقل الأول موجود فى عامة ولد آدم والعقل الثانى موجود فى الوجدان مفقود من المشركين (وقيل) إنما سمي العقل عقلاً لأن الجهل ظلمة فاذا غلب النور بصره فى تلك الظلمة زالت الظلمة فابصر فصار عقلاً للجهل (وقيل) عقل الايمان مسكنه فى القلب ومتعمله فى الصدر بين عيني القواد والذى ذكرناه من كون العقل لسان الروح وهو عقل واحد ليس هو على ضربين ولكنه إذا

انتصب واستقام تأيد بالبصيرة واعتدل ووضع الأشياء في مواضعها وهذا العقل هو العقل المستضيء بنور الشرع لأن انتصابه واعتداله هداة إلى الاستضاءة بنور الشرع لكون الشرع ورد على لسان النبي المرسل وذلك لقرب روحه من الحضرة الالهية ومكاشفة بصيرته التي هي للروح بمثابة القلب بقدرة الله وآياته واستقامة عقله بتأييد البصيرة فالبصيرة تحيط بالعلوم التي يستوعبها العقل والتي يضيّق عنها نطاق العقل لأنها تستمد من كلمات الله التي ينفد البحر دون نقادها والعقل ترجمان تؤدي البصيرة إليه من ذلك شطرا كما يؤدي القلب إلى اللسان بعض ما فيه ويستأثر ببعضه دون اللسان ولهذا المعنى من جمد على مجرد العقل من غير الاستضاءة بنور الشرع حظي بعلوم الكائنات التي هي من الملك والمملك ظاهر الكائنات ومن استضاء عقله بنور الشرع تأيد بالبصيرة فاطلع على المملوكوت والمملوكوت باطن الكائنات اختص بمكاشفته أبواب البصائر والعقول دون الجامدين على مجرد العقول دون البصائر وقد قال بعضهم ان العقل عقلان عقل للهداية مسكنه في القلب وذلك للمؤمنين الموقنين ومتعملي في الصدر بين عيني الفؤاد والعقل الآخر مسكنه في الدماغ ومتعملي في الصدر بين عيني الفؤاد فبالأول يدبر أمر الآخرة وبالثاني يدبر أمر الدنيا والذي ذكرناه أنه عقل واحد إذا تأيد بالبصيرة دبر الأمرين وإذا تفرد دبر أمرا واحدا وهو واضح وأبين وقد ذكرنا في أول الباب من تديره للنفس المطمئنة والامارة ما يتنبه الانسان به على كونه عقلا واحدا مؤيدا بالبصيرة تارة ومنفردا بوصفه تارة والله الملمهم للصواب

﴿ الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها ﴾

(أخبرنا) شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أخبرنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال أبو هناد قال أنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فابعد بالشر وتكذيب بالحق

وأما الملة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فن وجد ذلك فليعلم أنه من الله
فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم
الفقر ويأمركم بالفحشاء وإنما يتطلع إلى معرفة اللمتين وتمييز الخواطر طالب
مريد يتشوف إلى ذلك تشوف العطشان إلى الماء لما يعلم من وقع ذلك وخطره
وفلاحه وصلاحه وفساده ويكون ذلك عبدا مرادا بالخطوة بصفو اليقين ومنح
الموقنين وأكثر التشوف إلى ذلك للمقربين ومن أخذ به طريقهم ومن أخذ
في طريق الابرار قد يتشوف إلى ذلك بعض التشوف لأن التشوف إليه يكون
على قدر الهمة والطلب والارادة والحظ من الله الكريم ومن هو في مقام عامة
المؤمنين والمسلمين لا يتطلع إلى معرفة اللمتين ولا يهتم بتمييز الخواطر (ومن
الخواطر) ما هي رسل الله تعالى إلى العبد كما قال بعضهم لي قلب ان عصيته
عصيت الله وهذا حال عبداستقام قلبه واستقامة القلب لطمأنينة النفس وفي طمأنينة
النفس يأس الشيطان لأن النفس كلما تحركت كدرت صفو القلب وإذا تكدر طمع
الشيطان وقرب منه لأن صفاء القلب مخوف بالتذكر والراية ولذلك نور
يتقيه للشيطان كاتقاء أحدنا النار (وقد ورد) في الخبر ان الشيطان جاثم على قلب
ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى تولى وخنس وإذا غفل التقم قلبه خدته ومناه وقال
الله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وقال الله
تعالى (ان الذين اتقوا إذا مسمع طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)
فبالثقوى وجود خالص الذكر وبها ينفث بابها ولا يزال العبد يتقى حتى يحصى
الجوارح من المكاهة ثم يحممها من الفضول ومالا يعنيه فتصير أقواله وأفعاله
ضرورة ثم تنتقل تقواه الى باطنه ويظهر الباطن ويقيده عن المكاهة ثم من
الفضول حتى يتقى حديث النفس (قال) سهل بن عبد الله أسوأ المعاصي حديث
النفس ويروي الاصغاء إلى ما تحدث به النفس ذنبا فيتقيه وبثقة القلب عندهذا
الاتقاء بالذكر انتقاد الكواكب في كبد السماء ويصير القلب سماء محفوظا بزينة
كواكب الذكر فاذا صار كذلك بعد الشيطان ومثل هذا العبد يندر في حقه
الخواطر الشيطانية ولما ويكون له خواطر النفس ويحتاج إلى أن يتقيها ويميزها

بالعلم لأن منها خواطر لا يضر امضاؤها كمطالبات النفس بمحاجاتها وحاجاتها
تنقسم الى الحقوق والحظوظ ويتعين التمييز عند ذلك واتهام النفس بمطالبات
الحظوظ قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أى
فتثبتوا (وسبب) نزول الآية الوليد بن عقبة حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى
بنى المصطلق فكذب عليهم ونسبهم إلى الكفر والعصيان حتى هم رسول الله ﷺ
بقتالهم ثم بعث خالدا اليهم فسمع أذان المغرب والعشاء ورأى ما يدل على كذب
الوليد بن عقبة فأنزله الله تعالى الآية في ذلك فظاهر الآية وسبب نزولها ظاهر
وصار ذلك تنبيها من الله عباده على التثبت في الأمور (قال) سهل في هذه الآية
الفاسق الكذاب والكذب صفة النفس لأنها تملى أشياء وتمول أشياء على غير
حقائقها فتعين التثبت عند خاطرها والفتاها فيجعل العبد خاطر النفس نبأ يوجب
التثبت ولا يستغفزه الطبع ولا يستعجله الهوى فقد قال بعضهم أدنى الأدب أن
تقف عند الجهل وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة ومن الأدب عند الاشتباه
انزال الخاطر بمحرك النفس وخالقها وبارئها واطرها واطهار الفقر والفاقة اليه
والاعتراف بالجهل وطلب المعرفة والمعونة منه فانه إذا أتى بهذا الأدب يغاث
ويعان ويتبين له هل الخاطر لطلب حظ أو طلب حق فان كان للحق أمضاه وإن
كان للحظ نفاه وهذا التوقف إذا لم يتبين له الخاطر بظاهر العلم لأن الافتقار إلى
باطن العلم عند فقد الدليل في ظاهر العلم ثم من الناس من لا يهتد في صحته إلا
الوقوف على الحق دون الحظ وان أمضى خاطر الحظ يصير ذلك ذنب حاله فيستغفر
منه كما يستغفر من الذنوب ومن الناس من يدخل في تناول الحظ ويمضى خاطره
بمزيد علم لديه من الله وهو علم السعة لعبد مأذون له في السعة عالم بالاذن فيمضى
خاطر الحظ والمراد بذلك على بصيرة من أمره يحسن به ذلك ويليق به عالم بزيادته
ونقصانه عالم بحاله محكم لعلم الحال وعلم القيام لا يقاس على حاله ولا يدخل فيه
بالتقليد لأنه أمر خاص لعبد خاص وإذا كان شأن العبد تمييز خواطر النفس في
مقام تخلصه من لمات الشيطان تكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك وتصير

(٢١ - عوارف المعارف)

الخواطر الاربعة في حقه ثلاثا ويسقط خاطر الشيطان إلا نادرا لضيق مكانه من النفس لان الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتباع الهوى والاخلاد الى الارض ومن ضايق النفس على التمييز بين الحق والحظ ضاقت نفسه وسقط محل الشيطان إلا نادرا لدخول الابتلاء عليه ثم من المرادين المتعلقين بمقام المقربين من إذا صار قلبه سماء مزينا بزينة كوكب الذكر يصير قلبه سماويا يترقى ويعرج بباطنه ومعناه وحقيقته في طبقات السموات وكلما تترقى تتضاءل النفس المطمئنة وتبعد عنه خواطرها حتى يجاوز السموات بعروج باطنه كما كان ذلك لرسول الله ﷺ بظاهره وقاله فاذا استكمل العروج تنقطع عنه خواطر النفس لتستره بأنوار القرب وبعد النفس عنه وعند ذلك ينقطع عنه خواطر الحق أيضا لان الخاطر رسول والرسالة إلى من بعد وهذا قريب وهذا الذي وصفناه نازل ينزل به ولا يدوم بل يعود في هبوطه إلى منازل مطالبات النفس وخواطره فتعود اليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك ان الخواطر تستدعي وجودا وما أشرنا اليه حال الفناء ولا خاطر فيه وخاطر الحق انتفى لمكان القرب وخاطر النفس بعد عنه لبعده النفس وخاطر الملك تخلف عنه كتخلف جبريل في ليلة المعراج عن رسول الله ﷺ حيث قال لو دونت أعلمة لاحتقرت * قال محمد بن علي الترمذي المحدث والمكلم إذا تحققا في درجتهم لم يخافا من حدوث النفس (فكما) ان النبوة محفوظة من لقاء الشيطان كذلك محل المكاملة والمحادثة محفوظة من لقاء النفس وفتنتها ومحروس بالحق والسكينة لأن السكينة حجاب المكلم والمحدث مع نفسه (وسمعت) الشيخ أباجد بن عبد الله البصري بالبصرة يقول الخواطر أربعة خاطر من النفس وخاطر من الحق وخاطر من الشيطان وخاطر من الملك فأما الذي من النفس فيحس به من أرض القلب والذي من الحق من فوق القلب والذي من الملك عن يمين القلب والذي من الشيطان عن يسار القلب والذي ذكرناه إنما يصح لعباد أذاب نفسه بالتقوى والزهد وتصفى وجوده واستقام ظاهره وباطنه فيكون قلبه كالمرآة المجلوة لا يأتيه الشيطان من ناحية إلا ويبصره فاذا اسود القلب وعلاه الرين لا يبصر الشيطان (دوى) عن أبي هريرة

رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ان العبد إذا أذنب نكبت في قلبه نكتة سوداء فأن
هو نزع واستغفر وقاب صقل وإن عاد زيد فيه حتى تعلو قلبه قال الله تعالى (كلا بل
دان على قلوبهم ما كانوا يكسبون) سمعت بعض العارفين يقول كلاما دقيقا كوشف
به فقال الحديث في باطن الانسان والخيال الذي تراهى لباطنه وتخيّل بين القلب وصفاء
الذكر هو من القلب وليس هو من النفس وهذا بخلاف ما تقرر فسألته عن ذلك
فذكر ان بين القلب والنفس منازعات ومحاذات وتآلفا وتوددا وكلما انطلقت النفس
في شيء يهواها من القول والفعل تأثر القلب بذلك وتكدر فاذا عاد العبد من
مواطن مطالبات النفس وأقبل على ذكره وحمل مناجاته وخدمته لله تعالى أقبل
القلب بالمعاقبة للنفس وذكر النفس شيئا شيئا من فعلها وقولها كالملائم للنفس
والمعائب لها على ذلك فاذا كان الخاطر أول الفعل ومفتتحه فمعرفته من أهم شأن
العبد لأن الأفعال من الخواطر تنشأ حتى ذهب بعض العلماء إلى ان العلم المفترض
طلبه بقول رسول الله ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم هو علم الخواطر قال لأنها
أول الفعل وبفسادها فساد الفعل وهذا لعمري لا يتوجه لأن رسول الله ﷺ
أوجب ذلك على كل مسلم وليس كل المسلمين عندهم من القريحة والمعرفة ما يعرفون به
ذلك ولكن يعلم الطالب ان الخواطر بمثابة البذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها
ما هو بذر الشقاوة (وسبب) اشتباه الخواطر أحد أربعة أشياء لا خامس لها اما
ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بمحرم قواعد
التقوى أو محبة الدنيا جاهها ومالها وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس فمن عصم عن
هذه الأربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلى بها لا يعلمها ولا يطلبها
وانتكشاف بعض الخواطر دون البعض لوجود بعض هذه الأربعة دون البعض
وأقوم الناس بتمييز الخواطر أقومهم بمعرفة النفس ومعرفته أصعبه المثال لا تكاد
تيسر إلا بعد الاستقصاء في الزهد والتقوى (واتفق) المشايخ على ان من كان
أكلمه من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة * وقال أبو علي الدقاق من كان قوته
معلوما لا يفرق بين الالهام والوسوسة وهذا لا يصح على الإطلاق إلا بقيد وذلك
ان من المعلوم ما يقسمه الحق سبحانه وتعالى لعبد باذن يسبق اليه في الأخذ منه

والتقوت به ومثل هذا المعلوم لا يحجب عن تمييز الخواطر إنما ذلك يقال في حق من دخل في معلوم باختيار منه وإيثار لأنه ينحجب لموضع اختياره والذي أشرنا إليه منسلخ من إرادته فلا يحجبه المعلوم وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا إن النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم يحب يوسوس بأخرى إذ لا غرض له في تخصيص بل مراده الاغواء كيفما أمكنه وتكلم الشيوخ في الخاطرين إذا كانا من الحق أيهما يتبع قال الجنيد الخاطر الأول لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل وهذا شرط العلم وقال ابن عطاء الثاني أقوى لأنه ازداد قوة بالأول (وقال) أبو عبد الله بن خفيف هما سواء لأنهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر قالوا الواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع خطاب أو مطالبة والواردات تكون تارة خواطر وتارة تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط (وقيل) بنور التوحيد يقبل الخاطر من الله تعالى وبنور المعرفة يقبل من الملك وبنور الإيمان ينهى النفس وبنور الإسلام يرد على العدو * ومن قصر عن درك حقائق الزهد وتطلع إلى تمييز الخواطر يزن الخاطر أولاً بميزان الشرع فما كان من ذلك تقلاً أو فرضاً يعضيه وما كان من ذلك محرماً أو مكروهاً ينفيه فان استوى الخاطران في نظر العلم ينفذاً قربهما إلى مخالفة هوى النفس فان النفس قد يكون لها هوى كامن في أحدهما والغالب من شأن النفس الاعوجاج والركون إلى الدون وقد يلم الخاطر بنشاط النفس والعبد يظن أنه بهوض القلب وقد يكون من القلب تفارق بسكونه إلى النفس يقول بعضهم منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلى نفسي ساعة فيظهر من سكون القلب إلى النفس خواطر الحق على من يكون ضعيف العلم فلا يدرك تفارق القلب والخواطر المتولدة منه إلا العلماء الراسخون وأكثر ما تدخل الآفات على أبواب القلوب والآخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم من هذا القليل وذلك لقلّة العلم بالنفس والقلب وبقاء نصيب الهوى فيهم وينبغي أن يعلم العبد قطعاً أنه مهما بقي عليه أثر من الهوى وإن دق وقل يبقى عليه بحسبه بقية من اشتباه الخواطر ثم قد يغلط في تمييز الخواطر من هو قليل العلم

ولا يؤاخذ بذلك مالم يكن عليه من الشرع مطالبة وقد لايسامح بذلك بعض
 الفالطين لما كوشفوا به من دقيق الخفاء في التمييز ثم استمعجالهم مع علمهم
 وقلة التثبت (وذكر) بعض العلماء ان لمة الملك ولمة الشيطان وجدتا لحركة النفس
 والروح وان النفس إذا تحركت انتدح من جوهرها ظلمة تنكت في القلب همة
 سوء فينظر الشيطان إلى القلب فيقبل بالاغواء والوسوسة وذكر ان حركة
 النفس تكون اما هوى وهو عاجل حظ النفس أو أمنية وهى عن الجمل الغريزي
 أو دعوى حركة أو سكون وهى آفة العقل ومحنة القلب ولا ترد هذه الثلاثة
 الا بأحد ثلاثة بجهل أو غفلة أو طلب فضول ثم يكون من هذه الثلاثة ما يجب
 نفيه فانها ترد بخلاف مأمور أو على وفق منهى ومنها ما يكون نفيها فضيلة إذا
 وردت بمباحات (وذكر) ان الروح اذا تحركت انتدح من جوهرها نور ساطع
 يظهر من ذلك النور في القلب همة عالية بأحد معان ثلاثة إما بفرض أمر به أو
 بفضل ندب اليه وإما بمباح يعود صلاحه اليه (وهذا) الكلام يدل على ان
 حركتي الروح والنفس هما الموجبتان للتمتين (وعندى والله أعلم) ان للتمتين
 يتقدمان على حركة الروح والنفس فحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من
 حركة الروح وهذه الحركة من الروح ببركة لمة الملك وحركة النفس من لمة
 الشيطان ومن حركة النفس الهمة الدنيئة وهى من شؤم لمة الشيطان فاذا وردت
 اللمتان ظهرت الحركتان وظهر سر العطاء والابتلاء من معط كريم ومبل حكيم
 وقد تكون هاتان اللمتان متداركتين وينمحي أثر أحدهما بالآخرى والمتفطن
 المتيقظ يفتح عليه بمطالعة وجود هذه الآثار في ذاته باب أنس ويبقى أبدا
 متفقدًا حاله مطالعا آثار اللمتين (وذكر) خاطر خامس وهو خاطر العقل متوسط
 بين الخواطر الأربعة يكون مع النفس والعدو لوجود التمييز واثبات الحجة على
 العبد ليدخل العبد في الشئ بوجود عقل إذ لو فقد العقل سقط العقاب والعتاب
 وقد يكون مع الملك والروح ليوقع الفعل مختارا ويستوجب به الثواب (وذكر)
 خاطر سادس وهو خاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم ولا يبعد أن
 يقال الخاطر السادس وهو خاطر اليقين حاصله راجع إلى ما يرد من خاطر الحق

وخطر العقل أصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس وليس من العقل
 خاطر على الاستقلال لأن العقل كما ذكرنا غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم وينتهي
 بها الانجذاب الى دواعى النفس تارة وإلى دواعى الملك تارة وإلى دواعى الروح
 تارة وإلى دواعى الشيطان تارة فعلى هذا لا تزيد الخواطر على أربعة ورسول الله
 ﷺ لم يذكر غير اللمتين وهاتان اللمتان هما الأصل والخطاران الآخران فرع
 عليهما لأن لمة الملك إذا حركت الروح واهتزت الروح بالهمة الصالحة قربت
 أن تهتز بالهمة الصالحة الى حظائر القرب فورد عليه عند ذلك خواطر من الحق
 وإذا تحقق بالقرب يتحقق بالفناء فتثبت الخواطر الربانية عند ذلك كما ذكرناه
 قبل لموضع قربه فيكون أصل خواطر الحق لمة الملك ولمة الشيطان إذا حركت
 النفس هوت بمجبتها إلي مركزها من الغريزة والطبع فظهر منها لحركتها خواطر
 ملائمة لغريزتها وطبيعتها وهواها فصارت خواطر النفس نتيجة لمة الشيطان
 فأصلها لمتان وينتجان آخرين وخطر اليقين والعقل مندرج فيهما والله أعلم

﴿الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما﴾

قد كثرت الاشتباه بين الحال والمقام واختلفت اشارات الشيوخ في ذلك ووجود
 الاشتباه لمكان تشابههما في نفسهما وتداخلهما فترأى للبعض الشيء حالا وترأى
 للبعض مقاما وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما ولا بد من ذكر ضابط
 يفرق بينهما على ان اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق فالحال سمي حالا لتحوله
 والمقام مقاما لثبوته واستقراره (وقد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما
 مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبة صفات
 النفس ثم تعود ثم تزول فلا يزال العبد حال المحاسبة يتعاهد الحال ثم يحول الحال
 بظهور صفات النفس إلى أن تتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال المحاسبة
 وتنقهر النفس وتنضبط وتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه
 فيصير في مقام المحاسبة بعد ان كان له حال المحاسبة (ثم) ينزله حال المراقبة فمن
 كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال (ثم) يحول حال المراقبة لتناوب
 الصهو والغفلة في باطن العبد إلي أن ينقشع ضباب السهو والغفلة ويتدارك الله

عبد به بالمعونة فتصير المراقبة مقاما بعد ان كانت حالا ولا يستقر مقام المحاسبة قراره الا بنازل حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة قراره الا بنازل حال المشاهدة فاذا منح العبد بنازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة أيضا يكون حالا يحول بالاستتار ويظهر بالتجلى ثم يصير مقاما وتتخلص شمسه عن كسوف الاستتار ثم مقام المشاهدة أحوال وزيادات وترقيات من حال الى حال أعلى منه كالتحقق بالفناء والتخلص إلى البقاء والترقي من عين اليقين إلى حق اليقين وحق اليقين نازل يحرق شغاف القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة (وقد) قال رسول الله ﷺ إني أسألك إيمانا يباشر قلبي (قال) سهل بن عبد الله للقلب تجويفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسويداؤه والتجويف الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين وهو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين ومنه تنبعث الأشعة المحيطة بالمرئيات فهكذا تنبعث من نظر العقل أشعة العلوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التي خرقت شغاف القلب ووصلت إلى سويدائه وهي حق اليقين هي أسنى العطايا وأعز الأحوال وأشرفها وأنسب هذه الحال من المشاهدة كنسبة الأجر من الثواب إذ يكون ترابا ثم طينا ثم لبنا ثم أجرا فالمشاهدة هي الأولى والأصل يكون منها الفناء كالطين ثم البقاء كاللبن ثم هذه الحالة وهي آخر الفروع ولما كان الأصل في الأحوال هذه الحالة وهي أشرف الأحوال وهي محض موهبة لا تكتسب سميت كل المواهب من النوازل بالعبد أحوالا لأنها غير مقدورة للعبد بكسبه فأطلقوا القول وتداولت ألسنة الشيوخ ان المقامات مكاسب والأحوال السموات ومتنزل البركات وهذه الأحوال لا يتحقق بها الا ذوق قلب سماوى (قال بعضهم) الحال هو الذكر الخفى وهذا إشارة إلى شيء مما ذكرناه (وسمعت) المشايخ بالعراق يقولون الحال مامن الله فكل ما كان من طريق الاكتساب والأعمال يقولون هذا مامن العبد فاذا لاح المرید شيء من المواهب والمواجيد قالوا هذا مامن الله وسموه حالا إشارة منهم الى ان الحال موهبة (وقال) بعض مشايخ خراسان لأحوال مواريث الأعمال (وقال بعضهم)

الاحوال كالبروق فان بقي خديث النفس وهذا لا يكاد يستقيم على الاطلاق وانما مواهب وعلى الترتيب الذى درجنا عليه كلها مواهب اذ المكاسب محفوفة بالمواهب والمواهب محفوفة بالمكاسب فالاحوال مواجيد والمقامات طرق المواجيد ولكن فى المقامات ظهر الكسب وبطنت المواهب وفى الاحوال بطن الكسب وظهرت المواهب فالاحوال مواهب علوية سماوية والمقامات طرقها وقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه سلوني عن طرق السموات فاني أعرف بها من طرق الارض اشارة إلى المقامات والاحوال فطرق السموات التوبة والزهد وغير ذلك من المقامات فان السالك لهذه الطرق يصير قلبه سماويا وهى طرق يكون ذلك فى بعض الاحوال فانها تطرق ثم تستلبها النفس فاما على الاطلاق فلا والاحوال لا تمتزج بالنفس كالدهن لا يمتزج بالماء (وذهب) بعضهم إلى ان الاحوال لا تكون إلا إذا دامت فاما إذا لم تدم فهى لوائح وطوالع وبوارد وهى مقدمات الاحوال وليست بأحوال (واختلقت المشايخ) في ان العبد هل يجوز له أن ينتقل إلى مقام غير مقامه الذى هو فيه قبل أحكام حكم مقامه (قال بعضهم) لا ينبغي أن ينتقل عن الذى هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه وقال بعضهم لا يكمل المقام الذى هو فيه إلا بعد ترقيه إلى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي إلى مادونه من المقام فيحكم أمر مقامه والأولى أن يقال والله أعلم الشخص في مقامه يعطى حالا من مقامه الأعلى الذى سوف يرتقى اليه فبوجدان ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذى هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشئ إلى العبد انه يرتقى أو لا يرتقى فان العبد بالأحوال يرتقى إلى المقامات والاحوال مواهب يرتقى إلى المقامات التي يمتزج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب ترقيه اليه فلا يزال العبد يرتقى إلى المقامات بزائد الاحوال فعلى ما ذكرناه يتضح تداخل المقامات والاحوال حتى التوبة ولا تعرف فضيلة إلا فيها حال ومقام وفى الزهد حال ومقام وفى التوكل حال ومقام وفى الرضا حال ومقام قال أبو عثمان الحيرى منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته أشار إلى الرضا ويكون منه حالا ثم يصير مقاما والمحبة حال ومقام ولا يزال العبد يتتوب بطروق حال التوبة حتى يتوب وطروق حال التوبة بالانزجار أولا (قال بعضهم) الزجر هيجان فى القلب لا يسكنه إلا

الانتباه من الغفلة فيرده إلى اليقظة فإذا تيقظ أبصر الصواب من الخطأ وقال بعضهم
الزجر ضياء في القلب يبصر به خطأ قصده والزجر في مقدمة التوبة على ثلاثة أوجه
زجر من طريق العلم وزجر من طريق العقل وزجر من طريق الايمان فينازل التائب حال
الزجر وهي موهبة من الله تعالى تقوده إلى التوبة فلا يزال بالعبد ظهور هوى النفس
يمحوه آثار حال التوبة والزجر حتى تستقر وتصير مقاما وهكذا في الزهد لا يزال
يتزهد بنازلة حال تزيه لذة ترك الاشغال بالدنيا وتقيح له الاقبال عليها فتمحوه أثر
حاله بدلالة شره النفس وحرصها على الدنيا ورؤية العاجلة حتى تتداركه المعونة من
الله الكريم فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقامه ولا تزال نازلة حال التوكل ترفع
باب قلبه حتى يتوكل وهكذا حال الرضا حتى يطمئن على الرضا ويصير ذلك مقامه وههنا
لطيفة وذلك ان مقام الرضا والتوكل يثبت ويحكم ببقائه مع وجود داعية الطبع ولا
يحكم ببقاء حال الرضا مع وجود داعية الطبع وذلك مثل كراهة مجدها الراضى بحكم
الطبع ولكن علمه بمقام الرضا يعمر حكم الطبع وظهور حكم الطبع في وجود الكراهية
المغمورة بالعلم لا يخرجها عن مقام الرضا ولكن يفقد حال الرضا لأن الحال لما تجردت
موهبة أحرقت داعية الطبع فيقال كيف يكون صاحب مقام في الرضا ولا يكون صاحب
حال فيه والحال مقدمة المقام والمقام أثبت نقول لأن المقام لما كان مشوبا بكسب
العبد احتمل وجود الطبع فيه والحال لما كانت موهبة من الله زهت عن مزج الطبع
فحال الرضا أصلف ومقام الرضا أمكن ولا بد للمقامات من زائد الأحوال فلا مقام
إلا بعد سابقة حال ولا تفرد للمقامات دون سابقة الأحوال فنها ما يصير مقاما
ومنها مالا يصير مقاما والسرفيه ماذ كراه ان الكسب في المقام ظهر والموهبة بظنت
وفي الحال ظهرت الموهبة والكسب بطن فلما كان في الأحوال الموهبة غالبية لم تقيد
وصارت الأحوال إلى مالا نهاية لها ولطف سنى الأحوال أن يصير مقاما ومقدورات
الحق غير متناهية ومواهبه غير متناهية ولهذا قال بعضهم لو أعطيت روحانية عيسى
ومكاملة موسى وخلة إبراهيم عليه السلام لطلبت ما وراء ذلك لان مواهب الله لا تنحصر
وهذه أحوال الانبياء ولا تعطى الاولياء ولكن هذه اشارة من التأمل الى دوام
تطلع العبد وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيه من أمر الحق تعالى لان سيد الرسل صلوات

الله عليه وسلامه نيه على عدم القناعة وقرع باب الطلب واستنزال بركة المزيد بقوله عليه السلام كل يوم لم أزد فيه علما فلا بورك لى في صبيحة ذلك اليوم وفي دعائه ﷺ اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف فيه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فأنا أرغب إليك وأسألك إياه فاعلم ان مواهب الحق لا تنحصر والاحوال مواهب وهى متصلة بكلمات الله التى ينفد البحر دون نفاذها وتنفذ اعداد الرمال دون اعدادها والله المنعم المعطى

الباب التاسع والخسون فى الاشارات إلى المقامات على الاختصار والايجاز ﷺ أخبرنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله قال أنا أبو منصور بن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن على بن محمد الجوهري اجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس بن محمد قال أنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال أنا الحسين بن الحسن المروزى قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا الهيثم بن حميل قال أنا كثير بن سليم المدائنى قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله إني رجل ذرب اللسان وأكثر ذلك على أهلى فقال له رسول الله ﷺ أين أنت من الاستغفار فاني أستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه فى حديث آخر فاني لأستغفر الله وأتوب إليه فى كل يوم مائة مرة (وروى) أبو بردة قال قال رسول الله ﷺ إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وقال الله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وقال الله عز وجل (إن الله يحب التوابين) وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) * التوبة أصل كل مقام وقوام كل مقام ومفتاح كل حال وهى أول المقامات وهى بمثابة الأرض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له وإنى بمبلغ علمى وقدر وسعى وجهدي اعتبرت المقامات والأحوال ونمرتها فرأيتها يجمعها ثلاثة أشياء بعد صحة الايمان وعقوده وشروطه فصارت مع الايمان أربعة ثم رأيتها فى افادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة الطبائع الأربع التى جعلها الله تعالى باجراء سنده مفيدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقائق

هذه الأربع يلج ملكوت السموات ويكشف بالقدر والآيات ويصير له ذوق وفهم لكلمات الله تعالى المنزلات ويحظى بجميع الأحوال والمقامات فكلمها من هذه الأربع ظهرت وبها تهيأ وتأكدت فأحد الثلاث بعد الايمان التوبة النصوح والذاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله تعالى ظاهرا وباطنا من الأعمال القلبية والقلبية من غير فتور وقصور ثم يستعان على اتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تماما وقوامها وهي قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام والاعتزال عن الناس واتفق العلماء الزاهدون والمشايخ على أن هذه الأربع بها تستقر المقامات وتستقيم الأحوال وبها صار الابدال أبدا لا بتأييد الله تعالى وحسن توفيقه ونبين بالبيان الواضح أن سائر المقامات تندرج في صحة هذه ومن ظفر بها فقد ظفر بالمقامات كلها أولها بعد الايمان التوبة وهي في مبدأ صحتها تفتقر إلى أحوال وإذا صحت تشتمل على مقامات وأحوال ولا بد في ابتدائها من وجود زاجر ووجد أن الزاجر حال لأنه موهبة من الله تعالى على ما تقر أن الأحوال مواهب حال الزجر مفتاح التوبة ومبدؤها قال رجل لبشر الحافي مالي أراك مهموما قال لاني ضال ومطلوب ضللت الطريق والمقصد وأنا مطلوب به ولو تبينت كيف الطريق إلى المقصد لطلبت ولكن سنة الغفلة أدركتني وليس لي منها خلاص إلا أن أزجر فأنزجو قال الأصمعي رأيت أعرابيا بالبصرة يشتمكي عينيه وهما يسيل منهما الماء فقلت له ألا تمسحك عينيك فقال لا لأن الطبيب زجرني ولا خير فيمن لا ينزجر فالزاجر في الباطن حال يهبها الله تعالى ولا بد من وجودها للتائب ثم بعد الانزجار يجد العبد حال الانتباه قال بعضهم من لزم مطالعة الطوارق انتبه (وقال) أبو يزيد علامة الانتباه خمس إذا ذكر نفسه افتقر وإذا ذكر ذنبه استغفر وإذا ذكر الدنيا اعتبر وإذا ذكر الآخرة استبشر وإذا ذكر المولى اقشعر (وقال) بعضهم الانتباه أوائل دلالات الخير إذا انتبه العبد من رقدة غفاته أداه ذلك الانتباه إلى التيقظ فإذا تيقظ أثره تيقظه الطلب لطريق الرشد فيطلب وإذا طلب عرف أنه على غير سبيل الحق فيطلب الحق ويرجع إلى باب توبته ثم يعطى بانتباهه حال التيقظ (قال) فارس

أو في الأحوال التي يقيظ والاعتبار (وقيل) التي يقيظ تبيان خط المسلك بعد مشاهدة سبيل النجاة (وقيل) إذا صحت اليقظة كان صاحبها في أوائل طريق التوبة (وقيل) اليقظة خردة من جهة المولى لقلوب الخائفين تدهم على طلب التوبة فإذا تمت يقيظته نقل بذلك إلى مقام التوبة فهذه أحوال ثلاثة تتقدم التوبة ثم التوبة في استقامتها تحتاج إلى المحاسبة ولا تستقيم التوبة إلا بالمحاسبة (نقل) عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه أنه قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فالمحاسبة يحفظ الانقباض وضبط الحواس ورعاية الأوقات وإيثار المهمات ويعلم العبد أن الله تعالى أوجب عليه هذه الصلوات الخمس في اليوم واليلة رحمة منه لعله سبحانه بعبد واستيلاء الغفلة عليه كي لا يستعبده الهوى وتسترقه الدنيا فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس إلى مواطن العبودية لاداء حق الربوبية ويراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة إلى صلاة أخرى ويسد مداخل الشيطان بحسن المحاسبة والرقابة ولا يدخل في الصلاة إلا بعد حل العقد عن القلب بحسن التوبة والاستغفار لأن كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تنكث في القلب نكثة سوداء وتعقد عليه عقدة والمتفقد المحاسب يهيم الباطن للصلاة بضبط الجوارح ويحقق مقام المحاسبة فيكون عند ذلك له صلاة نور يشرق على أجزاء وقته إلى الصلاة الأخرى فلا تزال صلاته منورة تامة بنور وقته ووقته منورا معمورا بنور صلاته وكان بعض المحاسبين يكتب الصلوات في قرطاس ويدع بين كل صلاتين بياضا وكلما ارتكب خطيئة من كلمة غيبة أو أمر آخر خط خطأ وكلما تكلم أو تحرك فيما لا يعنيه نقط نقطة ليعتبر ذنوبه وحركاته فيما لا يعنيه لتضييق المحاسبة مجارى الشيطان والنفوس الأمارة بالسوء لموضع صدقه في حسن الافتقاد وحرصه على تحقيق مقام العباد وهذا مقام المحاسبة والرقابة يقع من ضرورة صحة التوبة (قال) الجنيد من حسنت رعايته دامت ولايته * وسئل الواسطي أى الأعمال أفضل قال مراعاة السر والمحاسبة في الظاهر والمراقبة في الباطن ويكمل أحدهما بالآخر وبهما تستقيم التوبة والمراقبة والرعاية حالان

شريفان ويصيران مقامين شريفين يصحان بصحة مقام التوبة وتستقيم التوبة على الكمال بهما فصارت المحاسبة والمراقبة والرعاية من ضرورة مقام التوبة (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن ابن خلف أبي بكر الشيرازي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الحسن الفارسي يقول سمعت الجريري يقول أمرنا هذا مبنى على فصلين وهو أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك قائماً (قال) المرتعش المراقبة مراعاة السر للملاحظة الحق في كل لحظة ولقطة قال الله تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وهذا هو علم القيام وبذلك يتم علم الحال ومعرفة الزيادة والنقصان هو أن يعلم معيار حاله فيما بينه وبين الله وكل هذا ملازم لصحة التوبة وصحة التوبة ملازم لها لأن الخواطر مقدمات العزائم والعزائم مقدمات الأعمال لأن الخواطر تحقق إرادة القلب والقلب أمير الجوارح ولا تتحرك إلا بتحرك القلب بالارادة وبالمراقبة حسم مواد الخواطر الرديئة فصاد من تمام المراقبة تمام التوبة لأن من حصر الخواطر كفى مؤنة الجوارح لأن بالمراقبة اضطلام عروق إرادة المسكاره من القلب وبالمحاسبة استدراك ما انفلت من المراقبة (أخبرنا) أبو زرعة عن ابن خلف عن السلمي قال سمعت أبا عثمان المغربي يقول أفضل ما يلزم الانسان في هذا الطريق المحاسبة والمراقبة وسياسة العمل بالعلم وإذا صحت التوبة صحت الانابة قال إبراهيم بن أدهم إذا صدق العبد في توبته صار منيباً لأن الانابة ثاني درجة التوبة (وقال) أبو سعيد القرشي المنيب الراجع عن كل شيء يشغله عن الله إلى الله وقال بعضهم الانابة الرجوع منه إليه لا من شيء غيره فمن رجع من غيره إليه ضيع أحد طرفي الانابة والمنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه فیرجع إليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شجاعاً لا وصف له قائماً بين يدي الحق مستغرقاً في عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الأفعال والمجاهدة تتحقق بتحقيق الرعاية والمراقبة * قال أبو سليمان ما استحسننت من نفسي عملاً فاحتسبه (وقال) أبو عبد الله السجزي من استحسن شيئاً من أحواله في حال إرادته فسدت عليه إرادته إلا أن يرجع إلى ابتدائه فيروض نفسه ثانياً ومن لم يزن نفسه بميزان الصدق فيما له وعليه لا يبلغ مبلغ الرجال ورؤية عيوب الأفعال

من ضرورة صحة الانابة وهو في تحقيق مقام التوبة ولا تستقيم التوبة إلا بصدق المجاهدة ولا يصدق العبد في المجاهدة إلا بوجود الصبر (وروى) فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول المجاهد من جاهد نفسه ولا يتم ذلك إلا بالصبر وأفضل الصبر الصبر على الله بعكوف اللهم عليه وصدق المراقبة له بالقلب وحسم مواد الخواطر والصبر ينقسم إلى فرض وفضل فالفضل كالصبر على أداء المفترضات والصبر عن المحرمات ومن الصبر الذي هو فضل الصبر على الفقر والصبر عند الصدمة الأولى وكتمان المصائب والأوجاع وترك الشكوى والصبر على اخفاء الفقر والصبر على كتم المنح والكرامات ورؤية العبر والآيات ووجوه الصبر فرضاً وفضلاً كثيرة وكثير من الناس من يقوم بهذه الأقسام من الصبر ويضيق عن الصبر على الله بلزوم صحة المراقبة والرعاية ونفي الخواطر فإذا حقيقة الصبر كائنة في التوبة كينونة المراقبة في التوبة والصبر من أعز مقامات الموقنين وهو داخل في حقيقة التوبة (قال بعض العلماء) أي شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كلامه في نيف وتسعين موضعاً وما ذكر شيئاً بهذا العدد وصحة النوبة تحتوي على مقام الصبر مع شرفه ومن الصبر الصبر على النعمة وهو أن لا يصرفها في معصية الله تعالى وهذا أيضاً داخل في صحة التوبة * وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء (وروى) هن بعض الصحابة بليناً بالضرأ فصبرناو بليناً بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والغضب والصبر عن محبة الناس والصبر على التحول والتواضع والذل داخل في الزهد وإن لم يكن داخل في التوبة وكل مافات من مقام التوبة من المقامات السنية والأحوال وجد في الزهد وهو ثلاث الأربعة التي ذكرنا وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس وطمأنينتها من تركيتها وتركيتها بالتوبة فالنفس إذا تزكت بالتوبة النصوص زالت عنها الشراسة الطبيعية وقلة الصبر من وجود الشراسة للنفس وابطأها واستعصمها والتوبة النصوص تلين النفس وتخرجها من طبيعتها وشراستها إلى اللين لأن النفس بالحساسة والمراقبة تصفو وتنطفئ نيرانها المتأججة بمتابعة الهوى وتبلغ بطمأنينتها محل الرضا ومقامه وطمأنين في عبارات الأقدار (قال أبو عبد الله) النجاشي لله عباد يستحيون من الصبر ويتلقفون مواضع أقداره بالرضا تلقفاً (وكان) عمر بن عبد العزيز يقول أصبحت ومالي سرور إلا مواقع القضاء قل رسول الله ﷺ لابن

عباس حين وصاه اعمل لله باليقين في الرضا فان لم يكن فان في الصبر خيرا كثيرا (وفي الخبر) عن رسول الله ﷺ من خير ما أعطى الرجل الرضا بما قسم الله تعالى له فالأخبار والآثار والحكايات في فضيلة الرضا وشرفه أكثر من أن تحصى والرضا ثمرة التوبة النصوح وما تخلف عبد عن الرضا إلا بتخلقه عن التوبة النصوح فاذن تجمع التوبة النصوح حال الصبر ومقام المبر وحال الرضا ومقام الرضا والخوف والرجاء مقامان شريفان من مقامات أهل اليقين وهما كائنان في صلب التوبة النصوح لأن خوفه حملة على التوبة ولولا خوفه ماتاب ولولا رجاءه ماخاف فالرجاء والخوف يتلازمان في قلب المؤمن ويعتدل الخوف والرجاء للتائب المستقيم في التوبة دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في سياق الموت فقال كيف تجدك قال أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال ما اجتمع في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف وجاء في تفسير قوله تعالى (ولا تأتوا بأيديكم إلى التهلكة) هو العبد يذنب الكبائر ثم يقول قد هلك لا ينفعني عمل فالتائب خاف فتاب ورجا المغفرة ولا يكون التائب تائباً إلا وهو راج خائف ثم أن التائب حيث قيد الجوارح عن المسكاره واستعانة بنعم الله على طاعة الله فقد شكر النعم لأن كل جارية من الجوارح نعمة وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها في الطاعة وأى شكر للنعمة أكبر من التائب المستقيم فاذا جمع مقام التوبة هذه المقامات كلها فقد جمع مقام التوبة حال الرجوع وحال الانتباه وحال التيقظ ومخالفة النفس والتقوي والمجاهدة ورؤية عيوب الأفعال والالانابة والصبر والرضا والمحاسبة والمراقبة والرعاية والشكر والخوف والرجاء وإذا صحت التوبة النصوح وتزكت النفس انحلت مرآة القاب وبان قبس الدنيا فيها فيحصل الزهد والزاهد يتحقق فيه التوكل لأنه لا يزهّد في الموجود إلا لاعتماده على الموعود والساكنون إلى وعد الله تعالى هو عين التوكل وكلما بقي على العبد بقية في تحقيق المقامات كلها بعد توبته يستدركه بزهده في الدنيا وهو ثالث الأربعة (أخبرنا) شيخنا قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس قال أنا أبو محمد يحيى بن ساعدة قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا الهيثم

ابن جميل قال أنا محمد بن سليمان عن عبد الله بن بريدة قال قدم رسول الله ﷺ من سفر فبدأ بفاطمة رضي الله عنها فرآها قد أحدثت في البيت سترا وزوائد في يديها فلما رأي ذلك رجع ولم يدخل ثم جلس فجعل ينكت في الأرض ويقول مالي وللدنيا مالي وللدنيا فرأت فاطمة أنه إنما رجع من أجل ذلك الستر فأخذت الستر والزوائد وأرسلت بهما مع بلال وقالت له اذهب إلى النبي ﷺ فقل له قد تصدقت به فضعه حيث شئت فأتي بلال إلى النبي ﷺ فقال قالت فاطمة قد تصدقت به فضعه حيث شئت فقال النبي ﷺ بأبي وأمي قد فعلت بأبي وأمي قد فعلت اذهب فبعه (وقيل) في قوله تعالى (إنجعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) قيل الزهد في الدنيا * سئل أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه عن الزهد فقال هو أن لا تبالي بمن أكل الدنيا مؤمن أو كافر (وسئل) الشبلي عن الزهد فقال ويلكم أي مقدار لجناح بعوضة أن يزهد فيها * وقال أبو بكر الواسطي إلى متى تصول بترك كنيف وإلى متى تصول بأعراضك عما لا تزن عند الله جناح بعوضة فإذا صح زهد العبد صح توكله أيضا لأن صدق توكله مكنه من زهده في الموجود فمن استقام في التوبة وزهد في الدنيا وحقق هذين المقامين استوفى سائر المقامات وتكون فيها وتحقق بها وترتيب التوبة مع المراقبة وارتباط إحداها بالآخرى أن يتوب العبد ثم يستقيم في التوبة حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا ثم يرتقى من تطهير الجوارح عن المعاصي إلى تطهير الجوارح عما لا يعنى فلا يسمح بكلمة فضول ولا حركة فضول ثم ينتقل للرعاية والمحاسبة من الظاهر إلى الباطن وتستولي المراقبة على الباطن وهو التحقق بعلم القيام بمحو خوار المعصية عن باطنه ثم خوار الفضول فإذا تمكن من رعاية الخطرات عصم عن مخالفة الأركان والجوارح وتستقيم توبته قال الله تعالى لنبيه ﷺ (فاستقم كما أمرت) ومن تاب معك أمره الله تعالى بالاستقامة في التوبة أمره ولأتباعه وأمته (وقيل) لا يكون المرید مریدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة ولا يلزم من هذا وجود العصمة ولكن الصادق النائب في النادر إذا ابتلى بذنب ينمحي أثر الذنب من باطنه في ألطف ساعة لوجود الندم في باطنه على ذلك والندم توبة فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا فإذا تاب توبة نصوحا ثم زهد في الدنيا

حتى لا يهتم في غذائه لعشائه ولا في عشائه لغدائه ولا يرى الادخار ولا يكون له تعلق بهم بئد فقد جمع في هذا الزهد والفقر والزهد أفضل من الفقر وهو فقر وزيادة لأن الفقير عادم للشيء اضطرارا والزاهد تارك للشيء اختيارا وزهده يحقق توكله وتوكله يحقق رضاه ورضاه يحقق الصبر وصبره يحقق حبس النفس وصدق المجاهدة وحبس النفس لله يحقق خوفه وخوفه يحقق رجاءه ويجمع بالتوبة والزهد كل المقامات والزهد والتوبة إذا اجتماعا مع صحة الايمان وعقوده وشروطه يعوز هذه الثلاثة رابع به تمامها وهو دوام العمل لأن الأحوال السنية ينكشف بعضها بهذه الثلاثة وتيسير بعضها متوقف على وجود الرابع وهو دوام العمل وكثير من الزهاد المتحققين بالزهد المستقيمين في التوبة تخلفوا عن كثير من سنى الأحوال لتخلها بهم عن هذا الرابع ولا يراد الزهد في الدنيا إلا لسكمال الفراغ المستعان به على ادامة العمل لله تعالى والعمل لله أن يكون العبد لا يزال ذا كرا أو تاليا أو مصليا أو مراقبا لا يشغله عن هذه إلا واجب شرعى أو مهم لا بد منه طبيعى فاذا استولي العمل القلبي عن القلب مع وجود الشغل الذى أداه إليه حكم الشرع لا يفتر باطنه عن العمل فاذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا بدوام العمل فقد أكمل الفضل وما آلى جهدا في العبودية (قال أبو بكر الوراق) من خرج من قالب العبودية صنع به ما يصنع بالآبق (وسئل) سهل بن عبد الله التستري أى منزلة إذا قام العبد بها قام مقام العبودية قال إذا ترك التدبير والاختيار فاذا تحقق العبد بالتوبة والزهد ودوام العمل لله يشغله وقته الحاضر عن وقته الآتي ويصل إلى مقام ترك التدبير والاختيار ثم يصل إلى أن يملك الاختيار فيكون أخياره من اختيار الله تعالى لروال هواه ووفور علمه وانقطاع مادة الجهل عن باطنه (قال) يحيى بن معاذ الرازى مادام العبد يتعرف يقال له لا تختار ولا تكن مع اختيارك حتى تتعرف فاذا عرف وصار حارفا يقال له إن شئت اختر وإن شئت لا تختار لأنك إن اخترت فباختيارنا اخترت وإن تركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار فانك بنا في الاختيار وفي ترك الاختيار والعبد لا يتحقق بهذا المقام العالى والحال العزيز الذى هو الغاية والنهاية وهو أن يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج

(٢٢ - عوارف المعارف)

من الاختيار إلا بأحكامه هذه الأربعة التي ذكرناها لأن ترك التدبير فناء وتعميك التدبير والاختيار من الله تعالى لعبده ورده إلى الاختيار تصرف بالحق وهو مقام البقاء وهو الانسلاخ عن وجود كان بالعبد إلى وجود يصير بالحق وهذا العبد مابقي عليه من الاعوجاج ذرة واستقام ظاهره وباطنه في العبودية وعمر العلم والعمل ظاهره وباطنه وتوطن حضرة القرب بنفس بين يدي الله عز وجل متمسكة بالاستكانة والافتقار متحققة بقول رسول ﷺ لا تكلني إلي نفسي طرفة عين فاهلك ولا إلى أحد من خلقك فأضيع اكلائي كلاءة الوليد ولا تخل عني

﴿الباب الستون في ذكر إشارات المشايخ في المقامات على الترتيب﴾
 (قولهم في التوبة) قال رويم معنى التوبة أن يتوب من التوبة قيل معناه قول رابعة أستغفر الله العظيم من قلة صدقي في قولي أستغفر الله (وسئل) الحسن المغازلي عن التسوية فقال تسألني عن توبة الانابة أو عن توبة الاستجابة فقال السائل ماتوبة الانابة فقال أن تخاف من الله عز وجل من أجل قدرته عليك فإ توبة الاستجابة قال أن تستحي من الله لقربه منك وهذا الذي ذكره من توبة الاستجابة إذا تحقق العبد بها ربما تاب في صلاته من كل خاطئ به سوى الله تعالى ويستغفر الله منه وهذه توبة الاستجابة لازمة لبواطن أهل القرب كما قيل : وجودك ذنب لا يقاس به ذنب * قال ذوالنون توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وتوبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ ماناله غيرهم (سئل) أبو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشيء ويتركه ثم يحظر ذلك الشيء بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجد حلاوته فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة إلا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى وينكره بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه ويدعو الله أن ينسبه ذلك ويشغله بنسيه من ذكره وطاعته قال وإن غفل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه أن لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن فانه لا يضره (وهذا) الذي قاله سهل كاف بالغ لكل طالب صادق يريد صحة توبته (والعارف) القوى الحسالي يتمكن من إزالة

الحلاوة عن باطنه ويسهل عليه ذلك وأسباب سهولة ذلك متنوعة للعارف ومن تمكن من قلبه حلاوة حب الله الخاص عن صفاء مشاهدة وصرف يقين فأى حلاوة تبقى في قلبه وإنما حلاوة الهوى لعدم حلاوة حب الله (وسئل) السوسي عن اتوبة فقال التوبة من كل شيء ذمه العلم إلى ممدحه العلم وهذا وصف يعم الظاهر والباطن لمن كوشف بصريح العلم لانه لا بقاء للجهل مع العلم كما لا بقاء لليل مع طلوع الشمس وهذا يستوعب جميع أقسام التوبة بالوصف الخاص والعام وهذا العلم يكون علم الظاهر والباطن بتطهير الظاهر والباطن باخص أوصاف التوبة وأعم أوصافها (وقال) أبو الحسن النوري التوبة أن تتوب عن كل شيء سوى الله تعالى (قولهم) في الورع قال رسول الله ﷺ ملاك دينكم الورع (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبي بكر بن خلف عن أبي عبد الرحمن السلمي اجازة قال أنا أبو سعيد الخلال قال حدثني بن قتيبة قال حدثنا عمر بن عثمان قال حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مرزيم عن حبيب بن عبيد عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ توضأ على نهر فلما فرغ من وضوئه أفرغ فضله في النهر وقال يبلغه الله عز وجل قوما ينفعهم (قال) عمر بن الخطاب لا ينبغي لمن أخذ بالتقوى ووزر بالورع أن يذل لصاحب دنيا قال معروف الكرخي احتفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم (نقل) عن الحرث بن أسد الحاسبي انه كان على طرف أصبعه الوسطى عرق إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب عليه ذلك العرق (سئل الشبلي) عن الورع فقال الورع أن تتورع أن يتشتت قلبك من الله طرفه عين (وقال) أبو سليمان الداراني الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضا (وقال) يحيى ابن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل (سئل) الخواص عن الورع فقال أن لا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضى وأن يكون اهتمامه بما رضى الله تعالى (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبي بكر بن خلف اجازة عن السلمي قال سمعت الحسن بن أحمد بن جعفر يقول سمعت محمد بن داود الدينوري يقول سمعت ابن الجلاء يقول أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة ولم يشرب من ماء زمزم إلا من ماء استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر شيئاً (وقال) الخواص الورع دليل الخوف والخوف دليل المعرفة

والمعرفة دليل القربة (قولهم في الزهد) قال الجنيد الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التبع (وسئل) الشبلي عن الزهد فقال لازهد في الحقيقة لانه اما ان يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد أو يزهد فيما هو له فكيف زهد فيه وهو معه وعنده فليس إلا ظلف النفس وبذل مواسات يشير إلى الأقسام التي سبقت بها الأقسام وهذا لو اطردهم قاعدة الاجتهاد والكسب ولكن مقصود الشبلي أن يقلل الزهد في عين المعتد بالزهد لئلا يغتر به (قال) رسول الله ﷺ إذا رأيتم الرجل قد أتى زهدا في الدنيا ومنطقا فاقربوا منه فانه ياتي الحكمة وقد سمي الله عز وجل الزاهدين علماء في قصة قارون فقال تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قيل هم الزاهدون (وقال) سهل بن عبد الله للعقل ألف إسم ولكل إسم منه ألف إسم وأول كل إسم منه ترك الدنيا (وقيل) في قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدونا بأمرنا ما صبروا قيل عن الدنيا (وفي الخبر) العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم (وجاء) في الاثر لا تزال لإله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم فاذا فعلوا ذلك قالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم بآياتنا فاستم بما صادقين (وقال) سهل أعمال البر كلها في موازين الزهاد وثواب زهدهم زيادة لهم (وقيل) من سمي باسم الزهد في الدنيا فقد سمي بالف إسم محمود ومن سمي باسم الرغبة في الدنيا فقد سمي بألف إسم مذموم (قال) السري الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ويجمع هذا الحظوظ المالية والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء (وسئل) الشبلي عن الزهد فقال الزهد غفلة لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء غفلة (وقال) بعضهم لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا لهوانها عندهم (وعندي) ان الزهد في الزهد غير هذا وإنما الزهد في الزهد بالخروج من الاختيار في الزهد لأن الزهد اختار الزهد واراده وإرادته تستند إلى علمه وعلمه قاصر فاذا اقيم في مقام ترك الارادة وانسلخ من اختياره كاشفه الله تعالى بمراده فيتترك الدنيا بمراد الحق لا بمراد نفسه فيكون زهده بالله تعالى حينئذ أو يعلم ان مراد الله منه التلبس بشيء من الدنيا فما يدخل بالله في شيء من الدنيا لا يتعص عليه زهده

فيكون دخوله في الشيء من الدنيا بالله وبأذن منه زهدا في الزهد والزاهد في الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمها ان تركها تركها بالله وان اخذها اخذها بالله وهذا هو الزهد في الزهد وقد رأينا من العارفين من اقيم في هذا المقام (وفوق) هذا مقام آخر في الزهد وهو لمن يرد الحق إليه اختياره لسعة علمه وطهارة نفسه في مقام البقاء فيزهد زهدا ثالثا ويترك الدنيا بعد أن مكن من ناصيتها وأعبدت عليه موهوبة ويكون تركه الدنيا في هذا المقام باختياره واختياره من اختيار الحق فقد يختار تركها حينئذ تاسيا بالانبياء والصالحين ويرى أن أخذها في مقام الزهد رفق أدخل عليه لموضع ضعفه عن درك شاو الاقوياء من الانبياء والصديقين فيترك الرفق من الحق بالحق للحق وقد يتناوله باختياره رفقا بالنفس بتدبير يسوسه فيه صريح العلم (وهذا) مقام التصرف لأقوياء العارفين زهدوا ثالثا بالله كما رغبوا ثانيا بالله كما زهدوا أولا لله (قولهم في الصبر) قال سهل الصبر انتظار الفرج من الله وهو أفضل الخدمة واعلاها وقال بعضهم الصبر ان تصبر في الصبر أى لا تطالع فيه الفرج (قال) الله تعالى الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (وقيل) لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين والصبر جار في الصابر مجرى الانفاس لانه يحتاج إلى الصبر عن كل منهي ومكروه ومذموم ظاهرا وباطنا والعلم يدل والصبر يقبل ولا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر ومن كان العلم سائمه في الظاهر والباطن لا يتم ذلك له الا إذا كان الصبر مستقره ومسكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما وبالصبر يتحمل على النفس وبالعلم يترقى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل واحد منهما في مستقره وفي ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وبانفصال أحدهما عن الآخر أعنى العلم والصبر ميل أحدهما على الآخر أعنى النفس والروح وبيان ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب كل اجير أجره بحساب وأجر الصابرين بغير حساب (وقال) الله تعالى لنبيه واصبر وما صبرك

إلا بالله اضاف الصبر الى نفسه لشرف مكانه وتكمل النعمة به * قيل وقف رجل على الشبلى فقال أى صبر أشد على الصابرين فقال الصبر فى الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فغضب الشبلى وقال ويحك أى شىء هو فقال الرجل الصبر عن الله قال فصرخ الشبلى صرخة كاد أن تتلف روحه (وعندى) فى معنى الصبر عن الله وجه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه وذلك ان الصبر عن الله يكون فى أخص مقدمات المشاهدة يرجع العبد عن الله استحياء واجلالا وتنطبق بصيرته خجلا وذوبانا ويتغيب فى مفاوز استكانته وتخفيه لاحساسه بعظيم أمر التجلى وهذا من أشد الصبر لانه يود استدامة هذه الحال تأدية لحق الجلال والروح تود أن تكتحل بصيرتها باستلحاق نور الجمال وكما ان النفس منازعة لعموم حال الصبر فالروح فى هذا الصبر منازعة فاشتد الصبر عن الله تعالى لذلك (وقال) أبو الحسن بن سالم هم ثلاثة متصبر وصابر وصبار فالمتصبر من صبر فى الله فرة يصبر ومرة يحزع والصابر من يصبر فى الله ولل ولا يحزع ولكن يتوقع منه الشكوى وقد يمكن منه الجزع وأما الصبار فذاك الذى صبره فى الله والله وبالله فهذا لوقع عليه جميع البلايا لا يحزع ولا يتغير من جهة الوجود والحقيقة لا من جهة الرسم والخلقة وإشارته فى هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة (وكان) الشبلى يتمثل بهذين البيتين

ان صوت الحب من ألم الشوق وخوف الفراق يورث ضرا

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب للصبر صبرا

(قال) جعفر الصادق رحمه الله أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الاعلى للرسول ﷺ حيث جعل صبره بالله لا بنفسه فقال وما صبرك إلا بالله (وسئل) السرى عن الصبر فتكلم فيه فدب على رجله عقرب فجعل يضربه بآثره ف قيل له لما لا تدفعه قال استحيى من الله تعالى ان اتكلم فى حال ثم أخالف ما اتكلم فيه (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبي بكر بن خلف اجازة عن أبي عبد الرحمن قال سمعت محمد بن خالد يقول سمعت الفرغانى يقول سمعت الجنيد رحمه الله يقول ان الله تعالى أكرم المؤمنين بالايمان وأكرم الايمان بالعقل وأكرم العقل بالصبر فالايمان

زين المؤمن والعقل زين الايمان والصبر زين العقل وأنشد عن إبراهيم الخواص
رحمه الله

صبرت على بعض الأذى خوف كله ودافعت عن نفسي لنفسي فعزت
وجرعتها المكروه حتى تدربت ولو لم أجرعها إذا لاشمزت
الأرب ذل ساق للنفس عزة ويارب نفس بالتذل عزت
إذا مامددت الكف ألتس الغنى إلى غير من قال اسألوني فشلت
سأصبر جهدي ان في الصبر عزة وأرضى بدنياي وان هي قلت

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ما أنعم الله على عبد من نعمة ثم انتزعها فعاذه
بما انتزع منه الصبر إلا كان ما عاذه خيرا مما انتزعه منه وأنشد لسمنون

تجرعت من حاله نعي واثوسا زمانا إذا أجرى عز إليه احتسى
فكم غمرة قد جرعتني كؤوسها فجرعتها من بحر صبري اكؤوسا
تدرعت صبري والتحتت صروفه وقلت لنفسي الصبر اوافل كى اسمى
خطوب لوان الشم زاحن خطبها لساخت، ولم يدرك لها الكف مامسا

(قوله في الفقر) قال ابن الجلاء الفقر ان لا يكون لك فاذا كان لك لا يكون لك .
حتى تؤثر (وقال) الكتاني إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح الغنى بالله تعالى لانهما
حالا لا يتم أحدهما إلا بالآخر (وقال) النوري نعت الفقراء السكون عند العدم
والبذل عند الوجود وقال غيره والاضطراب عند الوجود وقال الدراج فتشت
كنف استاذي أريد مكحلة فوجدت فيها قطعة فتجريت فلما جاء قلت له اني
وجدت في كنفي هذه القطعة قال قد رأيته ردها ثم قال خذها واشتر بها شيئا
فقلت ما كان أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقني الله تعالى من الدنيا
صفراء ولا بيضاء غيرها فأردت ان أوصي ان تشد في كنفي فأردها إلى الله
(وقال) إبراهيم الخواص الفقر رداء الشرف ولباس المرسلين وجلياب الصالحين
(وسئل) سهل بن عبد الله عن الفقير الصادق فقال لا يسأل ولا يرد ولا يحبس
(وقال) أبو علي الروذباري رحمه الله سألت الرزاق فقال يا أبا علي لم ترك الفقراء أخذ
البلغة في وقت الحاجة قال قلت لانهم مستغنون بالمعطي عن العطايا قال نعم ولكن

وقع لى شىء آخر فقلت هات أفدنى ماوقع لك قال لانهم قوم لا ينفعهم الوجود
إذ لله فاقهم ولا تنفهم الفاقة إذ لله وجودهم قال بعضهم الفقر وقوف الحاجة على
القلب ومحوها عما سوى الرب وقال المسوحى الفقير الذى لا تغنيه النعم ولا تنقره
الحن (وقال) يحيى بن معاذ حقيقة الفقر ان لا يستثنى إلا بالله ورسمه عدم
الاسباب كلها وقال أبو بكر الطوسى بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا
الفقر على سائر الاشياء فلم يجبنى أحد بجواب يقنعنى حتى سألت نصر بن الحامى
فقال لى لانه أول منزل من منازل التوحيد ففقت بذلك (وسئل) ابن الجلاء عن
الفقر فسكت حتى صلى ثم ذهب ورجع ثم قال انى لم أسكت إلا الدرهم كان عندى
فذهبت فأخرجته واستحييت من الله تعالى ان أتكلم فى الفقر وعندى ذلك ثم
جلس وتكلم (قال) أبو بكر بن طاهر من حكم الفقير ان لا يكون له رغبة فان كان
ولا بد لا تجاوز رغبته كفايته (قال) فارس قلت لبعض الفقراء مرة وعليه أثر
الجوع والضر لم لا تسأل فيطعموك فقال انى أخاف ان أسألهم فيمنعوني
فلا يفلحون وأنشد بعضهم

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابس فقلت خلعة ساق عبده الجرجا
فقر وصبرها ثوبان تحتها قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
أحرى الملابس ان تلقى الحبيب به يوم التزاود فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى ماتم ان غبت يا أملى والعيد مادمت لى مرأى ومستمعا

(قولهم فى الشكر) قال بعضهم

الشكر هو الغيبة عن النعمة برؤية المنعم (وقال) يحيى بن معاذ الرازى لست
بشاكر مادمت تشكر وغاية الشكر التحير وذلك ان الشكر نعمة من الله يجب
الشكر عليها * وفى أخبار داود عليه السلام الهى كيف اشكرك وأنا لا أستطيع
ان أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك فأوحى الله إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني
ومعنى الشكر فى اللغة هو الكشف والاطهار يقال شكر وكشفر إذا كشف عن ثغره
وأظهره فنشر النعم وذكرها وتعدادها باللسان من الشكر وباطن الشكر ان تستعين
بالنعم على الطاعة ولا تستعين بها على المعصية فهو شكر النعمة وسمعت شيخنا

رحمه الله ينشد عن بعضهم

أوليتني نعماً أبوح بشكرها وكيفتنى كل الأمور بأسرها
فلا أشكر نك ماحييت وانامت فلتشكر نك أعظمى في قبرها

(قال) رسول الله ﷺ أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتلى فصر واعطى فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر قيل فما باله قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (قال) الجنيد فرض الشكر الاعتراف بالنعم بالقلب واللسان (وفي) الحديث أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدماء الحمد لله (وقال) بعضهم في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال الظاهرة العوافي والغنى والباطنة البلاوي والفقر فإن هذه نعم أخروية لما يستوجب بها من الجزاء (وحقيقة) الشكر أن يرى جميع المقضى له به نعماً غير ما يضره في دينه لأن الله تعالى لا يقضى للعبد المؤمن شيئاً إلا وهو نعمة في حقه فاما آجلة يعرفها ويفهمها وإما آجلة بما يقضى له من المكافأة فاما أن تكون درجة له أو تمحيصاً أو تكفيراً فإذا علم أن مولاه انصح له من نفسه واعلم بمصالحه وإن كل مامنه نعم فقد شكر (قولهم في الخوف) قال رسول الله ﷺ رأس الحكمة مخافة الله (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال كان داود النبي عليه السلام يعودده الناس يظنون أن به مرضاً وما به مرض الا خوف الله تعالى والحياء منه (قال) أبو عمر الدمشقي الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان (وقال) بعضهم ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ولكن الخائف التارك ما يخاف أن يعذب عليه (وقيل) الخائف الذي لا يخاف غير الله قيل أي لا يخاف لنفسه إنما يخاف اجلاله والخوف للنفس خوف العقوبة (وقال) سهل الخوف ذكر والرجاء أننى أى منهما تتولد حقائق الايمان (قال) الله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله (قيل) هذه الآية قطب القرآن لأن مدار الأمر كله على هذا (وقيل) أن الله تعالى جمع للخائفين مافرقه على المؤمنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان فقال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه (وقال)

سهل كمال الايمان بالعلم وكمال العلم بالخوف (وقال) أيضا العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة (وقال) ذواتون لا يسيئ المحبة إلا كاس المحبة إلا من بعد ان ينضج الخوف قلبه (وقال) فضيل بن عياض إذا قيل لك تخاف الله أسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت فليس وصفك وصف من يخاف ﴿قوله في الرجاء﴾ (قال) رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ثم يقول وعزتي وجلالي لأجعل من آمن بي في ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي (قيل) جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال من يلي حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال النبي ﷺ مما ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح (وقال) شاه الكرمانى علامة الرجاء حسن الطاعة (وقيل) الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال (وقيل) قرب القلب من ملاطفة الرب قال أبو علي الروذبارى الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم في طيرانه (قال) أبو عبد الله بن خفيف الرجاء ارتباح القلوب لرؤية كرم المرجو (قال) مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا اعتدلا والخوف والرجاء للايمان كالجناحين ولا يكون خائفًا إلا وهو راج ولا راجيا إلا وهو خائف لان موجب الخوف الايمان وبالايمان رجاء وموجب الرجاء الايمان ومن الايمان خوف ولهذا المعنى روى عن لقمان انه قال لابنه خف الله تعالى خوفا لاتأمن فيه مكره وارجه أشد من خوفك قال فكيف استطيع ذلك وإنما لي قلب واحد قال اما علمت ان المؤمن لذو قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر وهذا لأنهما من حكم الايمان ﴿قوله في التوكل﴾ قال السرى التوكل الانخلاع من الحول والقوة (وقال) الجنيد التوكل ان تكون لله كما لم تكن فيكون الله لك كما لم يزل (وقال) سهل كل المقامات لها وجه وقفا غير التوكل فانه وجه بلا قفا (قال) بعضهم يريد توكل العناية لا توكل الكفاية والله تعالى جعل التوكل مقرونا بالايمان فقال وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال لنبيه وتوكل على الحى الذى لا يموت (وقال) ذواتون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة (وقال) أبو بكر الرقاق التوكل رد العيش إلى يوم واحد

واسقاط هم غد (وقال) أبو بكر الواسطي أصل التوكل صدق الفاقة والافتقار وان لا يفارق التوكل في امانيه ولا يلتفت بسرّه إلى توكله لحظة في عمره (وقال) بعضهم من أراد ان يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبراً يدفنها فيه وينس الدنيا وأهلها لان حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من الخلق على كماله (وقال) سهل أول مقامات التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد ولا يكون له حركة ولا تدبير (وقال) حمدون القصار التوكل هو الاعتصام بالله (وقال) سهل أيضاً العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل (وقال) التقوى واليقين مثل كفتي الميزان والتوكل لسانه تعرف الزيادة والنقصان ويقع لى أن التوكل على قدر العلم بالوكيل فكل من كان اتم معرفة كان اتم توكلًا ومن كمل توكله غاب في رؤية الوكيل عن رؤية توكله ثم ان قوة المعرفة تفيد صرف العلم بالعدل في القسمة وان الاقسام نصبت بازاء المقسوم لهم عدلاً وموازنة فان النظر إلى غير الله لوجود الجهل في النفس وكل ما أحس بشيء يقدر في توكله يراه من منبع النفس فنقصان التوكل يظهر بظهور النفس وكما يثبت بغية النفس وليس للأقوياء اعتداد بتصحيح توكلهم وانما شغلهم في تعذيب النفس بتقوية مواد القلب فاذا غابت النفس انحسرت مادة الجهل فصح التوكل والعبد غير ناظر اليه وكلما تحرك من النفس بقية يرد على ضميرهم سر قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء فيغلب وجود الحق الاعيان والاكوان ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون في نفسه ويصير التوكل حينئذ اضطراراً ولا يقدر في توكل مثل هذا المتوكل ما يقدر في توكل الضعفاء في التوكل من وجود الاسباب والوسائط لانه ير الاسباب مواتاً لا حياة لها الا بالتوكل وهذا توكل خواص أهل المعرفة (وقولهم في الرضا) قال الحرث الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم وقال ذوالنون الرضا سرور القلب بحر القضاء (وقال) سفيان عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت له أما تستحي أن تطلب رضا من لست عنه براض فسأها بعض الحاضرين متى يكون العبد راضياً عن الله تعالى فقالت إذا كان سروره بالمصيبة

كسروره بالنعمة (وقال) سهل إذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت الطمانينة
فطوبى لهم وحسن مآب (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم
الايمان من رضى بالله ربا (وقال) عليه السلام ان الله تعالى بحكمته
جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط
(وقال) الجنيد الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب فإذا باشر القلب حقيقة
العلم أداه إلى الرضا وليس الرضا والمحبة كالخوف والرجاء فانهما حالان لا يفارقان
العبد فى الدنيا والآخرة لأنه فى الجنة لا يستغنى عن الرضا والمحبة (وقال) ابن
عطاء الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد لأنه اختار له الأفضل فيرضى
له وهو ترك السخط (وقال) أبو تراب ليس ينال الرضا من الله من الدنيا فى
قلبه مقدار قال السرى خمس من أخلاق المقربين الرضا عن الله فيما تحب النفس
وتكره والحب له بالتعجب إليه والحياء من الله والأنس به والوحشة مما سواه
(وقال) الفضيل الراضى لا يتمنى فوق منزلته شيأ وقال ابن شمعون الرضا بالحق
والرضا له والرضا عنه فالرضا به مدبرا ومختارا والرضا عنه قاسما ومعطيا والرضا
له إلهاربا (سئل) أبو سعيد هل يجوز أن يكون العبد راضيا ساخطا قال
نعم يجوز أن يكون راضيا عن ربه ساخطا على نفسه وعلى كل قاطع يقطعه عن
الله وقيل للحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنهما أن أبادر يقول الفقر أحب
إلى من الغنى والسقم أحب إلى من الصحة قال رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول
من اتسكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختار الله له
وقال على رضى الله عنه من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه أبدا ومن
جلس على بساط السؤال لم يرض عن الله فى كل حال (وقال) يحيى يرجع الأمر
كله إلى هذين الأصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى بما عمل وتخلص فيما
تعمل (وقال) بعضهم الراضى من لم يندم على فائت من الدنيا ولم يتأسف عليها
(وقيل) ليحيى بن معاذ متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا قال إذا أقام نفسه على
أربعة أصول فيما يعامل به يقول إن أعطيتنى قبلت وإن منعتنى رضيت وإن
تركيتنى عبت وإن دعوتنى أجبت وقال الشبلى رحمه الله بين يدي الجنيد لاحول

ولاقوة إلا بالله قال الجنيد قولك ذا ضيق صدر فقال صدقت قال فضيق الصدر ترك الرضا بالقضاء وهذا إنما قاله الجنيد رحمه الله تنبيها منه على أصل الرضا وذلك أن الرضا يحصل لانسراح القلب وانفساحه وانسراح القلب من نور اليقين قال الله تعالى (أفمن شرع الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فإذا تمكن النور من الباطن اتسع الصدر وانفتحت عين البصيرة وعان حسن تدبير الله تعالى فينتزع السخط والتضجر لأن اتساع القدرة يتضمن حلاوة الحب وفعل المحبوب بموقع الرضا عن الحب الصادق لأن الحب يرى أن الفعل من المحبوب مراده واختياره فيفنى في لذة رؤية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه كما قيل وكل ما يفعل المحبوب محبوب

﴿ الباب الحادى والستون فى ذكر الأحوال وشرحها ﴾

(حدثنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله قال أنا أبو طالب الزينى قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أنا أبو الهيثم الكشميهنى قال أنا أبو عبد الله الفريرى قال أنا أبو عبد الله البخارى قال حدثنا سليمان ابن حرب قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس ابن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبه إلا الله ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذا أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار (وأخبرنا) شيخنا أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا أبو عمر بن حيوة قال حدثنى أبو عبيد بن مؤمل عن أبيه قال حدثنى بشر بن محمد قال حدثنا عبد الملك ابن وهب عن ابراهيم بن عتبة عن العرباض بن سارية قال كان رسول الله ﷺ يدعو الله أن يجعل حبك أحب إلى من نفسى وسمى وبصرى وأهلى ومالى ومن الماء البارد فكان رسول الله ﷺ يطلب خالص الحب وخالص الحب هو أن يحب الله تعالى بكليته وذلك ان العبد قديكون فى حال قائما بشروط حاله بحكم العلم والجلبة تتقاضاه بضد العلم مثل أن يكون راضيا والجلبة قد تكره ويكون النظر إلى الانقياد بالعلم لا إلى الاستعصاء بالجلبة فقد يحب الله تعالى ورسوله بحكم الايمان

ويحب الأهل والولد بحكم الطبع وللمحبة وجوده وبوائت المحبة في الإنسان متنوعة *
فمنها محبة الروح ومحبة القلب ومحبة النفس ومحبة العقل فقول رسول الله ﷺ وقد
ذكر الأهل والمال والماء البارد معناه استئصال عروق المحبة بمحبة الله تعالى حتى يكون
حب الله تعالى غالبا فيحب الله تعالى بقلبه وروحه وكلية حتى يكون حب الله تعالى أغلب
في الطبع أيضا والجملة من حب الماء البارد وهذا يكون حبا صافيا لخواص تنغمربه
وبنوره نار الطبع والجملة وهذا يكون حب الذات عن مشاهدة بعكوف الروح
وخلوصه إلى مواطن القرب (قال) الواسطي في قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) كما أنه
بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فالحاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات (وقال)
بعضهم المحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم يكن حبه فيه حقيقة فإذا
الحب حبان حب عام وحب خاص فالحب العام مفسر بامتثال الأمر وربما كان حبا
من معدن العلم بالألاء والنعماء وهذا الحب مخرجه من الصفات وقد ذكر جمع من
المشايخ الحب في المقامات فيكون النظر إلى هذا الحب العام الذي يكون لكسب العبد
فيه مدخل (وأما) الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذي
فيه السكرات وهو الاصطناع من الله الكريم لعبده واصطفاه وإياه وهذا الحب يكون
من الأحوال لأنه محض موهبة ليس لكسب فيه مدخل وهو مفهوم من قول النبي
ﷺ أحب إلي من الماء البارد لأنه كلام عن وجدان روح تلتذ بحب الذات (وهذا)
الحب روح والحب الذي يظهر عن مطالعة الصفات وإطلاع من مطالع الإيمان قالب هذا
الروح ولما صحت محبتهم هذه أخبر الله تعالى عنهم بقوله (أذلة على المؤمنين) لأن الحب
يدل المحبوبة والمحبوب محبوبة وينشد

لعين تفدى ألف عين وتقى ويكرم ألف للحبيب المكرم

وهذا الحب الخاص هو أصل الأحوال السنية وموجبها وهو في الأحوال كالطوبة
في المقامات فمن صحت توبته على الكمال تحقق بسائر المقامات من الزهد والرضا
والتوكل على ما شرعناه أولا ومن صحت محبته هذه تحق بسائر الأحوال من الفناء
والبقاء والصحو والحو وغير ذلك والتوبة لهذا الحب أيضا بمثابة الجسدان لأنها
مشتعلة على الحب العام الذي هو لهذا الحب كالجسد ومن أخذ في طريق المحبوبين وهو

طريق خاص من طريق المحبة يكمل فيه ويجتمع لروح الحب الخاص مع قالب الحب العام الذي تشتمل عليه التوبة النصوح وعند ذلك لا يتقلب في أطوار المقامات لأن التقلب في أطوار المقامات والترقى من شيء منها إلى شيء طريق المحبين ومن أخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ومن قوله تعالى (ويهدي إليه من ينيب) أثبت كون الانابة سبباً للهداية في حق الحب وفي حق المحبوب صرح بالاجتناء غير معلل بالكسب فقال تعالى (الله يجتبي إليه من يشاء) فمن أخذ في طريق المحبوبين بطوى بساط أطوار المقامات ويندرج فيه صفوها وخالصها بأنهم وصفوها والمقامات لاتقيده ولا تحبسها وهو يقيدها ويحبسها بترقية منها وانتزاعه صفوها وخالصها لأنه حيث أشرقت عليه أنوار الحب الخاص خلع ملابس صفات النفس ونعوتها والمقامات كلها مصفية للنعوت والصفات النفسانية فالزهد يصفيه عن الرغبة والتوكل يصفيه عن قلة الاعتماد المتولد عن جهل النفس والرضا يصفيه عن ضربان عرق المنازعة والمنازعة لبقاء جمود في النفس ما أشرق عليها شمس المحبة الخاصة فبقى ظلمتها وجودها فمن تحقق بالحب الخاص لانت نفسه وذهب جمودها فماذا ينزع الزهد منه من الرغبة ورغبة الحب أحرقت رغبته وماذا يصفى منه التوكل ومطالعة الوكيل حشو بصيرته وماذا يسكن فيه الرضا من عروق المنازعة والمنازعة ممن لم تسلم كلية (قال) الروذباري ما لم تخرج من كليتك لاتدخل في حد المحبة وقال أبو يزيد من قتلته محبته فديته رؤيته ومن قتلته عشته فديته منادمته (أخبرنا) بذلك أبو زرعة عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن قال سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول سمعت الحسين بن علوية يقول قال أبو زيد ذلك فاذا التقلب في أطوار المحبين وطى بساط الأطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون تخلفت عن همهم المقامات وربما كانت المقامات على مدارج طبقات السموات وهى مواطن من يتعثر في أذيال بقاياه (قال) بعض الكبار لأبراهيم الخواص إلي ماذا أدى بك التصوف فقال إلى التوكل فقال تسعى في صمران باطنك أين أنت من الفناء في التوكل برؤية الوكيل فالنفس إذا تحركت بصفقتها متقلبة من دائرة الزهد يردّها الزاهد إلى الدائرة بزهده والمتوكل إذا تحركت نفسه يردّها بتوكله والراضى

يردها برضاه وهذه الحركة من النفس بقايا وجودية تفتقر إلى سياسة العلم وفي ذلك تنسم روح القرب من بعيد وهو اداء حق العبودية بمبلغ العلم وبمحبته الاجتهاد والكسب ومن أخذ في طريق الخاصة عرف طريق التخلص من البقايا بالتستر بأنوار فضل الحق ومن اكتسى ملابس نور القرب بروح دائمة العكوف محمية عن الطوارق والصروف لا يزججه طلب ولا يوحشه سلب فالزهد والتوكل والرضا كائن فيه وهو غير كائن فيها على معنى أنه كيف تقلب كان زاهدا وإن رغب لأنه بالحق لا بنفسه وإن رؤى منه الالتفات إلى الأسباب فهو متوكل وإن وجد منه للكرهه فهو راض لأن كراهته لنفسه ونفسه للحق وكراهته للحق أعيد إليه نفسه بدواعيها وصفاتها مطهرة موهوبة محمولة ملطوف بها صار عين الداء دواءه وصار الاعلال شفاءه وناب طلب الله له مناب كل طالب من زهد وتوكل ورضا أو صار مطلوبه من الله ينوب عن كل مطلوب من زهد وتوكل ورضا (قالت رابعة) محب الله لا يسكن أنيه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه (وقال) أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة أن تهب لمن أحببت كلك ولا يبقى لك منك شيء (وقال) أبو الحسين الوراق المرور بالله من شدة المحبة له والمحبة في القلب نار تحرق كل دنس (وقال) يحيى بن معاذ صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين وأعجب كيف يصبر الانسان عن حبيبه (وقال بعضهم) من ادعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة الجنة من غير انفاق ملكه فهو كذاب ومن ادعى حب رسول الله ﷺ من غير حب الفقراء فهو كذاب وكانت رابعة تنشد

تعصى الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع
وإذا كان الحب للأحوال كالتوبة للمقامات فن ادعى حالا يعتبر حبه ومن ادعى محبة تعتبر توبته فإن التوبة قالب روح الحب وهذا الروح قيامه بهذا القلب والأحوال اعراض قواها بمجوهر الروح (وقال) سمنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لأن النبي ﷺ قال المرء مع من أحب فهو مع الله تعالى (وقال) أبو يعقوب السوسى

لا تصح المحبة حتى تخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في الغيب ولم يكن هذا بالمحبة فاذا خرج الحب إلى هذه النسبة كان محبا من غير محبة (سئل) الجنيد عن المحبة قال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب (قيل) هذا على معنى قوله تعالى (فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا) وذلك أن المحبة إذا صفت وكملت لا تزال تجذب بوصفها إلى محبوبها فاذا انتهت إلى غاية جهدها وقفت والرابطة متأصلة متأكدة وكمال وصف المحبة ازال الموانع من المحب وبكمال وصف المحبة تجذب صفات المحبوب تعطفًا على الحب التلخص من موانع قاذحة في صدق الحب ونظرا إلى قصوره بعد استنفاد جهده فيعود الحب بفوائدا كتماب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك

أنا من أهوى ومن أهوى أنا تحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وهذا الذي عبرنا عنه حقيقة قول رسول الله ﷺ تخلقوا بأخلاق الله لأنه بنزاهة النفس وكمال التزكية يستعد للمحبة والمحبة موهبة غير معللة بالتزكية ولكن سنة الله جارية أن يزكي نفوس أحبائه بحسن توفيقه وتأيدده وإذا منح نزاهة النفس وطهارتها ثم جذب روحه بجاذب المحبة خلع عليه خلع الصفات والأخلاق ويكون ذلك عنده رتبة في الوصول فتارة ينبعث الشوق من باطنه إلى ما وراء ذلك لكون عطايا الله غير متناهية وتارة يتعلل بما منح فيكون ذلك وصوله الذي يسكن نيران شوقه ويبعث الشوق تستقر الصفات الموهوبة المحققة رتبة الوصول عند المحب ولولا باعث الشوق رجع التهميري وظهرت صفات نفسه الحائلة بين المرء وقلبه ومن ظن من الوصول غير ما ذكرناه أو تخايل له غير هذا القدر فهو متعرض لمذهب النصاري في اللاهوت والناسوت (وإشارات) الشيوخ في الاستغراق والفناء كلها حائدة إلى تحقيق مقام المحبة باستيلاء نور اليقين وخلاصة الذكر على القلب وتحقيق حق اليقين بزوال اعوجاج البقايا وامتثال اللوث الوجودي من بقاء صفات النفس وإذا صحت المحبة ترتبت عليها الأحوال وتبعتها (سئل) الشبلي عن المحبة فقال كاس (٢٣- عوارف المعارف)

لها وهج إذا استقر في الحواس وسكن في النفوس تلاشت (وقيل) للمحبة ظاهر وباطن ظاهرها اتباع رضا المحبوب وباطنها أن يكون مفتونا بالحبيب عن كل شيء ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه (فن الأحوال السنية في المحبة الشوق) ولا يكون الحب إلا مشتاقاً أبداً لأن أمر الحق تعالى لانهايته فامن حال يبالغها الحب إلا ويعلم أن ما وراء ذلك أوفى منها وأتم

حزني كحسنك لا لذا أمد ينهي إليه ولا لذا أمد
(ثم) هذا الشوق الحادث عنده ليس كسبه وإنما هو موهبة خص الله تعالى بها المحبين قال أحمد بن أبي الخوارى دخلت على أبي سليمان الدراني فرأيت به بكى فقلت ما يبكيك رحمك الله قال ويحك يا أحمد إذا جن هذا الدليل افترشت أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وأشرف الجليل جل جلاله عليهم يقول بعيني من تلذذ بكلامي واستراح إلى مناجاتي وإني مطلع عليهم في خلواتهم اسمع أنينهم وأرى بكاءهم يا جبريل ناد فيهم ما هذا البكاء الذي أراه فيكم أهل خبركم بخبران حبيبا يعذب أحبابه بالنار كيف يجمل بي أن أعذب قوما إذا جن عليهم الليل تملقوا إلى في حلفت إذا وردوا القيامة على أن أسفر لهم عن وجهي وأبيحهم رياض قدسي (وهذه) أحوال قوم من المحبين أقيموا مقام الشوق والشوق من المحبة كالزهد من التوبة إذا استقرت التوبة ظهر الزهد وإذا استقرت المحبة ظهر الشوق (قال) الواسطي في قوله تعالى (وعجلت إليك رب لترضى) قال شوقا واستبانة بمن وراه قال هم الاء على أثرى من شوقه إلى مكلمة الله ورمى بالآلواح لما فاته من وقته (قال) أبو عثمان الشوق ثمرة المحبة فمن أحب الله اشتاق إلى لقائه (وقال) أيضا في قوله تعالى (فإن أجل الله لآت) تقربة للمشتاقين معناه إني أعلم أن شوقكم إلى ذالاب وأنا أجاب لائقكم أجلا وعرف قريب يكون وصولكم إلي من تشاققون إليه (وقال) ذو النون الشوق أعلى الدرجات وأعلى المقامات فإذا بلغها الإنسان استبطأ الموت شوقا إلى ربه ورجاء للقاءه والنظر إليه (وعندي) أن الشوق الكائن في المحبين إلى رب يتوقعونها في الدنيا غير الشوق الذي يتوقعون به ما بعد الموت والله تعالى يكشف أهل وده بعبايا بمجدونها علما ويطلبونها ذوقا فكذلك يكون شوقهم ليصير العلم ذوقا وليس من ضرور

مقام الشوق استبطاء الموت وربما الأصحاء من المحبين يتلذذون بالحياة لله تعالى كما قال الجليل لرسوله عليه الصلاة والسلام (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) فمن كانت حياته لله منحة الكريم لذة المناجاة والمحبة فتمتلئ عينه من النقد ثم يكشفه من المنح والعطايا في الدنيا ما يتحقق بمقام الشوق من غير الشوق إلى ما بعد الموت وانكر بعضهم مقام الشوق وقال إنما يكون الشوق لغائب ومتى يغيب الحبيب عن الحبيب حتى يشتاق ولهذا سئل الانطاكي عن الشوق فقال إنما يشتاق إلى الغائب وما غبت عنه منذ وجدته وإنكار الشوق على الإطلاق لا أرى لها وجهاً لأن رتب العطايا والمنح من انصبة القرب إذ كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من المحب فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة إلى ما وجد ولكن يكون مشتاقاً إلى ما لم يجد من انصبة القرب فكيف يمنع حال الشوق والأمر هكذا (ووجه آخر) إن الإنسان لا بد له من أمور يردّها حكم الحال لموضع بشريته وطبيعته وعدم وقوفه على حد العلم الذي يقتضيه حكم الحال ووجود هذه الأمور منير لنار الشوق ولا نغنى بالشوق إلا مطالبة تنبعث من الباطن إلى الأولى والأعلى من انصبة القرب وهذه المطالبة كائنة في المحبين فالشوق إذا كان لا وجه لانكاره وقد قال قوم شوق المشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيوبة فيكون في حال الغيبة مشتاقاً إلى اللقاء ويكون في حال اللقاء والمشاهدة مشتاقاً إلى زوائد ومبار من الحبيب وأفضاله وهذا هو الذي أراه وأختاره (وقال فارس) قلوب المشتاقين منورة بنور الله فإذا تحركت اشتياقاً أضاء النور ما بين المشرق والمغرب فبعضهم الله على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون إلى أشهدكم أني إليهم أشوق (وقال) أبو يزيد لو أن الله حجب أهل الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار (سئل) ابن عطاء عن الشوق فقال هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الأكباد من البعد بعد اقرب (سئل) بعضهم هل الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لأن الشوق يتولد منها فللمشتاق إلامن غلبه الحب فالحب أصل والشوق فرع وقال النصر اباذي للخلق كلهم مقام الشوق لا مقام الاشتياق ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار (ومنها الانس) وقد سئل الجنيد عن الانس فقال ارتفاع الحشمة مع وجود

الهيبة (وسئل) ذوالنون عن الانس فقال هو انبساط المحب إلى المحبوب قيل معناه قول الخليل ارنى كيف تحبى الموتى وقول موسى ارنى أنظر إليك وأنشد لرويم شغلت قلبي بما لديك فلا ينفك طول الحياة عن فكر آستنى منك بالوداد فقد أوحشتني من جميع ذا البشر ذكرك لى مؤنس يعارضنى يوعدني عنك منك بالظفر وحيثما كنت يامدى همى فانت منى بموضع النظر (وروى) ان مطرف بن الشخير كتب إلى عمر بن عبدالعزيز ليكن انك بالله وانقطاعك إليه فان لله عبادا استأنسوا بالله وكانوا فى وحدتهم أشد استئناسا من الناس فى كثرتهم وأوحش مايكون الناس أنس مايكونون وأنس مايكون الناس أوحش مايكونون قال الواسطى لا يصل إلى محل الانس من لم يستوحش من الاكوان كلها (وقال) أبو الحسين الوراق لا يكون الانس بالله إلا ومعه التعظيم لان كل من استأنست به سقط عن قلبك تعظيمه إلا الله تعالى فأنك لاتتزايد به انسا لازددت منه هيبة وتعظيما (قالت) رابعة كل مطيع مستأنس وأنشدت

ولقد جعلتك فى النؤاد محدثى وابحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليلس مؤانس وحبيب قلبي فى القؤاد أنيسى

(وقال مالك بن دينار) من لم يانس بمحادثة الله عن محادثة الخلقين فقد قل علمه وعمى قلبه وضيع عمره * قيل لبعضهم من معك فى الدار قال الله تعالى معى ولايستوحش من أنس بربه (وقال الخراز) الانس محادثة الارواح مع المحبوب فى مجالس القرب ووصف بعض العارفين صفة أهل المحبة الواصلين فقال جدد لهم الود فى كل طرفة بدوام الاتصال وآواهم فى كنفه بمحائى السكون إليه حتى أنت قلوبهم وحنن أرواحهم شوقا وكان الحب والشوق منهم اشارة من الحق إليهم عن حقيقة التوحيد وهو الوجود بالله فذهبت مناهم وانقطعت آمالهم عنده لما بان منه لهم ولوان الحق تعالى أمر جميع الأنبياء يسألونهم ماسألوه بعض ماأعد لهم من قديم وحدانيته ودوام أزليته وسابق علمه وكان نصيبهم معرفتهم به وفراغ همهم عليه واجتماع أهوائهم فيه فصار يحسد هم من عبيده العموم ان رفع عن

قلوبهم جميع الهموم (وأنشد في معناه)

كانت قلبي أهواء مفترقة فاستجمعت إذ ذاك النفس أهواي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الوردى مذصرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك ياديني ودينائي

(وقد) يكون من الانس الانس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر أبواب القربات وهذا القدر من الانس نعمة من الله تعالى ومنحة منه ولكن ليس هو حال الانس الذي يكون للمحبين والانس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه بصدق لزهده وكمال التقوى وقطع الأسباب والعلائق ومحو الخواطر والهواجس وحقيقته عندى كنس الوجود بثقل لألح العظمة وانتشار الروح في ميادين الفتوح وله استقلال بنفسه يشتمل على القلب فيجمعه به عن الهيبة وفي الهيبة اجتماع الروح ورسوبه إلى محل النفس وهذا الذى وصفناه من أنس الذات وهيبة الذات يكون في مقام البقاء بعد العبور على عمر الفناء وهما غير الانس والهيبة اللذين يذهبان بوجود الفناء لان الهيبة والانس قبل الفناء ظهرا من مطالعة الصفات من الجلال والجمال وذلك مقام التلويح وما ذكرناه بعد الفناء في مقام التمكن والبقاء من مطالعة الذات ومن الانس خضوع النفس المطمئنة ومن الهيبة خشوعها والخضوع والخشوع يتقاربان ويفترقان بفرق لطيف يدرك بايحاء الروح (ومنها) القرب قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام واسجد واقترب وقد ورد أقرب ما يكون العبد من ربه في سجوده فالساجد إذا أذيق طعم السجود يقرب لانه يسجد ويطوي بسجوده بساط الكون ما كان وما يكون ويسجد على طرف رداء العظمة فيقرب (قال) بعضهم اني لأجد الحضور فأقول يا الله أويارب فاجد ذلك على أثقل من الجبال قيل ولم قال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وإنما هي اشارات وملاحظات ومنافات وملاطفات وهذا الذى وصفه مقام عزيز متحقق فيه القرب ولكنه مشعر بمحو ومؤذن بسكر يكون ذلك لمن غابت نفسه في نور روحه لغلبة سكره وقوة محوه فاذا صحا وأفاق تتخلص الروح من النفس والنفس من الروح ويعود كل من العبد إلى محله ومقامه فيقول يا الله

ويارب بلسان النفس المطمئنة العائدة إلى مقام حاجتها ومحل عبوديتها والروح تستقل بفتوحه وبكمال الحال عن الأقوال وهذا أتم وأقرب من الأول لانه وفي حق القرب باستقلال الروح بالفتوح وأقام رسم العبودية بعود حكم النفس إلى محل الافتقار وحظ القرب لا يزال يتوفر نصيب الروح باقامة رسم العبودية من النفس (وقال الجنيد) ان الله تعالى يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه فانظر ماذا يقرب من قلبك (وقال أبو يعقوب السوسي) مادام العبد يكون بالقرب لم يكن قريبا حتى يغيب عن رؤية القرب بالقرب فاذا ذهب عن رؤية القرب بالقرب فذلك قرب وقد قال قائلهم

قد تحققتك في السر * فناجاك لساني فاجتمعنا لمعان * وافترقنا لمعان
ان يكن غيبك الته * ظيم عن لحظ عياني فلقد صيرك الوجد * من الاحشاء داني
قال ذوالنون ما ازداد أحد من الله قربة إلا ازداد هيبة (وقال سهل) أدني مقام من مقامات القرب الحياء وقال النصر ابا ذى بتابع السنة تنال المعرفة وبإداء الفرائض تنال القربة وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة * ومنها الحياء والحياء على الوصف العام والوصف الخاص فأما الوصف العام فما أمر به رسول الله ﷺ في قوله استحباوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيى يا رسول الله قال ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء وهذا الحياء من المقامات وأما الحياء الخاص فمن الأحوال وهو ما نقل عن عثمان رضى الله عنه انه قال اني لاغتسل في البيت المظلم فانطوى حياء من الله (أخبرنا أبو زرعة) عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن قال سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت أحمد السقطى بن صالح يقول سمعت محمد بن عبدون يقول سمعت أبا العباس المؤدب يقول قال لي سرى إحفظ عني ما أقول لك إن الحياء والانس يطوفان بالقلب فاذا وجدا فيه الزهد والورع حطا والارحلا والحياء اطراق الروح اجلالا لعظيم الجلال والانس التذاذ الروح بكمال الجلال فاذا اجتمعا فهو الغاية في المنى والنهاية في العطاء وأنشد شيخ الاسلام

أشتاقه فإذا بدا أطرقت من اجلاله لاخيفة بل هيبة وصيانة لجساله
الموت في ادباره والعيش في اقباله واصد عنه إذا بدا واروم طيف خياله قال بعض
الحكماء من تكلم في الحياء ولايستحي من الله فيما يتكلم به فهو مستدرج
(وقال ذوالنون) الحياء وجود الهيبة في القلب مع حشمة ماسبق منك إلى ربك
(وقال ابن عطاء) والعلم الأكبر الهيبة والحياء فاذا ذهب عنه الهيبة والحياء
فلا خير فيه (وقال أبو سليمان) ان العباد عملوا على أربع درجات على الخوف والرجاء
والتعظيم والحياء وأشرفهم منزلة من عمل على الحياء لما يقن ان الله تعالى يراه على
كل حال استحييا من حسناته أكثر مما استحييا للعاصون من سيئاتهم (وقال بعضهم)
الغالب على قلوب المستحيين الاجلال والتعظيم دائما عند نظر الله إليهم * ومنها
الاتصال (قال النوري) الاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار وقال
بعضهم الاتصال وصول السر إلى مقام الذهول وقال بعضهم الاتصال أن لا يشهد
العبد غير خالقه ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه (وقال) سهل بن عبد الله حركوا
بالبلاء فتحركوا ولو سكنوا اتصلوا (وقال يحيى بن معاذ الرازي) الأعمال أربعة
تائب وزاهد ومشتاق وواصل فالتائب محجوب بتوبته والزاهد محجوب بزهده
والمشتاق محجوب بحاله والواصل لا يحجبه عن الحق شيء (وقال أبو سعيد القرشي)
الواصل الذي يصله الله فلا يخشى عليه القاطع أبدا والمتصل الذي يجده يتصل
وكما دنا انقطع وكان هذا الذي ذكره حال المرید والمراد لكون أحدهما مباد
بالكشوف وكون الآخر مردود إلى الاجتهاد (وقال أبو يزيد) الواصلون في ثلاثة
أحرف همهم لله وشغلهم في الله ورجوعهم إلى الله وقال السيارى الوصول مقام
جليل وذلك ان الله تعالى إذا أحب عبدا بأن يوصله اختصر عليه الطريق
وقرب إليه البعيد (وقال الجنيد) الواصل هو الحاصل عند ربه (وقال رويم)
أهل الوصول أوصل الله إليهم قلوبهم فهم محفوظون القوي ممنوعون من الخلق
أبدا (وقال) ذو النوى ما رجع من رجع إلا من الطريق وما وصل إليه أحد
فرجع عنه واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار إليه الشيوخ وكل من وصل إلى
صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو من رتبة الوصول ثم يتفاوتون فمنهم

من يمجّد الله بطريق الأعمال وهو رتبة في التجلّي فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والآنس بما يكشف قلبه به من مطالعة الجلال والجلال وهذا تجلّي طريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من ترقى لمقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلّي الذات لخواص المقرّين وهذا المقام رتبة في الوصول وفوق هذا حق اليقين ويكون ذلك في الدنيا للخواص لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قاله وهذا من أعلى رتب الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة انه بعد في أول المنزل فأين الوصول هيئات منازل طريق الوصول لا تقطع أبدا الآباد في صمر الآخرة الأبدي فكيف في العمر القصير الدنيوى * ومنها القبض والبسط وهما حالان شريفان قال الله تعالى (والله يقبض ويبسط) وقد تكلم فيهما الشيوخ وأشاروا بإشارات هي علامات القبض والبسط ولم أجد كشافا عن حقيقةهما لأنهم اكتفوا بالإشارة والإشارة تقنع الأهل وأحببت ان أشبع الكلام فيهما لعله يتشوق إلى ذلك طالب ويحب بسط القول فيه والله أعلم (واعلم) أن القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتموم لا يكونان قبله ولا يكونان بعده ووقتهما وموسمهما في أوائل حال المحبة الخاصة لا في نهايتها ولا قبل حال المحبة الخاصة فمن هو في مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الإيمان لا يكون له قبض ولا بسط وإنما يكون له خوف ورجاء وقد يمجّد شبه حال القبض وشبه حال البسط ويظن ذلك قبضا وبسطا وليس هو ذلك وإنما هو هم يعتريه فيظنه قبضا واهتزازا نفساني ونشاط طبيعي يظنه بسطا والهم والنشاط يصدران من محل النفس ومن جوهرها لبقاء صفاتها وما دامت صفة الامارة فيها بقية على النفس يكون منها الاهتزاز والنشاط والهم وهج ساجور النفس والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقى من حال المحبة العامة إلى أوائل المحبة الخاصة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفس لوامة ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك لأنه ارتقى

من رتبة الايمان إلى رتبة الايقان وحال المحبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخرى (قال) الواسطي يقبضك عمالك ويبسط فيما له (وقال) النوري يقبضك بياك ويبسطك لاياء واعلم أن وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبتها وظهور البسط لظهور صفة القلب وغلبته والنفس مادامت لوامة فتارة مغلوبة وتارة غالبية والقبض والبسط فاعتبار ذلك منها وصاحب القلب تحت حجاب نوراني لوجود قلبه كما أن صاحب النفس تحت حجاب ظلماني لوجود نفسه فاذا ارتقى من القلب وخرج من حجاب لا يقيد به الحال ولا يتصرف فيه فيخرج من تصرف القبض والبسط حينئذ فلا يقبض ولا يبسط مادام متخلصا من الوجود النوراني الذي هو القلب ومتحققا بالقرب من غير حجاب النفس والقلب فاذا عاد إلى الوجود من الفناء والبقاء يعود إلى الوجود النوراني الذي هو القلب فيعود القبض والبسط إليه عند ذلك ومهما تخلص إلى الفناء والبقاء فلا قبض ولا بسط قال فارس أولا القبض ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لأن القبض والبسط يقع في الوجود فاما مع الفناء والبقاء فلا ثم ان القبض قد يكون عقوبة الأفراط في البسط وذلك أن الوارد من الله تعالى (يرد على القلب فيمتلئ القلب منه روحا وفرحا واستبشارا) فتسترق النفس السمع عند ذلك وتأخذ نصيبها فاذا وصل أثر الوارد إلى النفس طغت بطبعها وأفرطت في البسط حتى تشاكل البسط نشاطا فتقابل بالقبض عقوبة وكل القبض إذا فتش لا يكون إلا من حركة النفس وظهورها بصفتها ولو تأدبت النفس وعدلت ولم تجر بالطغيان تارة وبالعصيان أخرى ما وجد صاحب القلب القبض وما دام روحه وأنسه ورعاية الاعتدال الذي يسد باب القبض متلقى من قوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) فوارد الفرح مادام موقفا على الروح والقلب لا يكثف ولا يستوجب صاحبه القبض سيما إذا لطف بالفرح بالوارد بالايواء إلى الله وإذا لم يلتج بالايواء إلى الله تعالى (تطلعت النفس وأخذت حظها من الفرح وهو الفرح بما آتي) الممنوع منه فن ذلك القبض في بعض الأحيان وهذا من أطف الذنوب الموجبة للقبض وفي النفس من حركاتها وصفاتها وثبات متعددة موجبة للقبض ثم الخوف والرجاء

لا يعدمهما صاحب القبض والبسط ولا صاحب الأنس والهيبة لأنهما من ضرورة الإيمان فلا يعدمان وأما القبض والبسط فينعدمان عند صاحب الإيمان لنقصان الحظ من القلب وعند صاحب الفناء والبقاء والقرب لتخلصه من القلب وقدير على الباطن قبض وبسط ولا يعرف سببهما ولا يخفى سبب القبض والبسط لاعلى قليل الحظ من العلم الذي لم يحكم علم الحال ولا علم المقام (ومن) أحكم علم الحال والمقام لا يخفى عليه سبب القبض والبسط وربما يشتبه عليه سبب القبض والبسط كما يشتبه عليه الهم بالقبض والنشاط بالبسط وإنما علم ذلك لمن استقام قلبه ومن عدم القبض والبسط وارتقى منهما فنفسه مطمئنة لا تنقذ من جوهرها ناد توجب القبض ولا يتلاطم بحر طبعها من أهوية الهوى حتى يظهر منه البسط وربما صار لمثل هذا القبض والبسط في نفسه لا من نفسه فتكون نفسه المطمئنة بطبع القلب فيجری القبض والبسط في نفسه المطمئنة وما لقلبه قبض ولا بسط لأن القلب متحصن بشعاع نور الروح مستقر في دعة القرب فلا قبض ولا بسط (ومنها الفناء والبقاء) قد قيل الفناء أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ بل يفنى عن الأشياء كلها شغلا بمن فنى فيه وقد قال طاهر بن عبد الله لا أبالي امرأة رأيت أم حائطا ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا عن جميع المخالفات والبقاء يعقبه وهو أن يفنى عماله ويبقى بما لله تعالى (وقيل) الباقي أن تصير الأشياء كلها له شيئا واحدا فيكون كل حركاته في موافقة الحق دون مخالفته فكان فانيا عن المخالفات باقيا في الموافقات (وعندى) أن هذا الذي ذكره هذا القائل هو مقام صحة التوبة النصوح وليس من الفناء والبقاء في شيء ومن الاشارة إلى الفناء ما روى عن عبد الله بن عمر أنه سلم عليه انسان وهو في الطواف فلم يرد عليه فشكاه إلى بعض أصحابه فقال له كننا نراى الله في ذلك المكان (وقيل) الفناء وهو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل (وقال) الخراز الفناء هو التلاشى بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق (وقال) الجنيد الفناء استعجام السكل عن أوصافك واشتغال السكل بكليته وقال إبراهيم ابن شيبان علم الفناء والبقاء يدور على اخلاص الوجدانية وصحة العبودية وما كان

غير هذا فهو من المغاليط والزندقة (وسئل) الخراز ما علامة الفاني قال علامة من ادعى الفناء ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالى (وقال أبو سعيد الخراز) أهل الفناء في الفناء صحتهم أن يصحبهم علم البقاء وأهل البقاء في البقاء صحتهم أن يصحبهم علم الفناء * واعلم أن أقاويل الشيوخ في الفناء والبقاء كثيرة فبعضها اشارة إلى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وهذا تقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها اشارة إلى فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة وهذا يقتضيه تزكية النفس وبعضها اشارة إلى حقيقة الفناء المطلق وكل هذه الاشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد فيغلب كون الحق سبحانه وتعالى على كون العبد وهو ينقسم إلى فناء ظاهر وفناء باطن فاما الفناء الظاهر فهو أن يتجلى الحق سبحانه وتعالى بطريق الأفعال ويسلب عن العبد اختياره وإرادته فلا يري لنفسه ولا لغيره فعلا إلا بالحق ثم يأخذ في المعاملة مع الله تعالى بحسبه حتى سمعت أن بعض من أقيم في هذا المقام من الفناء كان يبقى أياما لا يتناول الطعام والشراب حتى يتجرد له فعل الحق فيه ويقبض الله تعالى له من يطعمه ويسقيه كيف شاء وأحب ولهذا لعمري فناء لأنه فنى عن نفسه وعن الغير نظرا إلى فعل الله تعالى بفناء فعل غير الله والفناء الباطن أن يكشف تارة الصفات وتارة بمشاهدة آثار عظيمة الذات فيستولى على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من ضرورة الفناء أن يغيب احساسه وقد يتفق غيبة الاحساس لبعض الأشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الإطلاق وقد سألت الشيخ أبا محمد بن عبد الله البصرى وقلت له هل يكون بقاء المتخيلات في السر ووجود الوسواس من الشرك الخفى وكان عندي أن ذلك من الشرك الخفى فقال لى هذا يكون في مقام الفناء ولم يذكر أنه هل هو من الشرك الخفى أم لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار أنه كان في الصلاة فوقعت اسطوانة في الجامع فازعج لهدتها أهل السوق فدخلوا المسجد فزأوه في الصلاة ولم يحس بالاسطوانة ووقعها فهذا هو الاستغراق

والفناء باطنا ثم قديتسع وعاءه حتي لعله يكون متحققا بالفناء ومعناه روحا وقلبه ولا يغيب عن كل ما يجري عليه من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء أن يكون في كل فعل وقول مرجعه إلى الله وينتظر الاذن في كليات أموره ليكون في الأشياء بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان صاحب الانتظار لاذن الحق في كليات أموره راجع إلى الله بباطنه في جزئياتها فان ومن ملكه الله تعالى اختياره وأطلقه في التصرف يختار كيف شاء وأراد لا منتظر للفعل ولا منتظرا للاذن هو باق والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفاني محبوب بالحق عن الخلق والفناء الظاهر لأرباب القلوب والأحوال والفناء الباطن لمن أطلق عن وثاق الأحوال وصار بالله لا بالأحوال وخرج من القلب فصار مع مقبله لا مع قلبه

﴿الباب الثاني والستون في شرح كلمات مشيرة إلى بعض الأحوال

في اصطلاح الصوفية﴾

(أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان اجازة قال أنا أبو الفضل حمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو مسلم الكشمرى قال حدثنا مسور بن عيسى قال حدثنا القاسم بن يحيى قال حدثنا ياسين الزيات عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال ان من معادن التقوى تعلمك إلى ما قد علمت علم ما لم تعلم والنقص فيما علمت قلة الزيادة فيه وإنما يزهد الرجل في علم ما لم يعلم فله الانتفاع بما قد علم فشايخ الصوفية احكموا أساس التقوى وتعلموا العلم لله تعالى وعملوا بما علموا لموضع تقواهم فعملهم الله تعالى ما لم يعلموا من غرائب العلوم ودقيق الاشارات واستنبطوا من كلام الله تعالى غرائب العلوم وعجائب الأسرار وترسخ قدمهم في العلم (قال) أبو سعيد الخراز أول الفهم لكلام الله العمل به لأن فيه العلم والفهم والاستنباط وأول الفهم القاء السمع والمشاهدة لقوله تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) (وقال أبو بكر) الواسطى الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم وأراد منهم من مقتضى الآيات ما لم يرد

من غيرهم وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الخزائن والخزونات تحت كل حرف وآية من الفهم ومحائب النص فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة (وقد ورد في الخبر) عن رسول الله ﷺ فيما رواه سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة أنه قال ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله (أخبرنا) أبو زرعة قال أنا أبو بكر بن خلف قال حدثنا أبو عبد الرحمن قال سمعت النصراني اباذي يقول سمعت ابن عائشة يقول سمعت القرشي يقول هي أسرار الله تعالى يبدئها إلى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص (وقال) أبو سعيد الخزاز للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة وأنباء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية ويخبرون عنها بعبارة الأزلية وهي من العلم المجهول فقلوه بلسان الأبدية وعبارة الأزلية اشارة إلى انهم بالله ينطقون وقد قال تعالى على لسان نبيه ﷺ بي ينطق وهو العلم اللدني الذي قال الله تعالى فيه في حق الخضر (آتيناه رحمة من عندنا وعلماناه من لدنا علما) فما تداولته ألسنتهم من الكلمات تتهيما من بعضهم لبعض واشارة منهم أحوال يمدونها ومعاملات قلبية يعرفونها قولهم الجمع والتفرقة (قيل) أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو) فهذا جمع ثم فرق فقال والملائكة وأولو العلم وقوله تعالى (آمننا بالله) جمع ثم فرق بقوله (وما أنزل إلينا) والجمع أصل والتفرقة فرع فكل جمع بلا بتفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل (وقال الجنيد) القرب بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة وقيل جمعهم في المعرفة وفرقهم في الأحوال والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمتى شاهد غيره فما جمع والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة وعباراتهم في ذلك كثيرة والمقصود انهم أشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة الى الاكتساب فعلى هذا لا جمع الا بتفرقة ويقولون فلان في عين الجمع يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه فاذا حاد إلى شيء من أعماله حاد إلى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع فهذا يرجع حاصله إلى ان الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بأمر الله ولا بد

منهما جميعا (قال) المزين الجمع عين الفناء بالله والتفرقة العبودية متصل بعضها
بالبعض وقد غلط قوم وادعوا انهم في عين الجمع وأشاروا الى صرف التوحيد
وعطلوا الاكتساب فتزندقوا وانما الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القلب وما
دام هذا التركيب باقيا فلا بد من الجمع والتفرقة (وقال) الواسطي إذا نظرت إلى
نفسك فرقت وإذا نظرت إلى ربك جمعت وإذا كنت قائما بغيرك فأنت فان بلا
جمع ولا تفرقة (وقيل) جمعهم بذاته وفرقهم في صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة
انه إذا أثبت لنفسه كسبا ونظر إلى أعماله فهو في التفرقة وإذا أثبت الأشياء بالحق
فهو في الجمع ومجموع الاشارات ينبيء ان الكون يفرق والمكون يجمع فمن
أفرد المكون جمع ومن نظر إلى الكون فرق فالتفرقة عبودية والجمع توحيد
فاذا أثبت طاعته نظر الى كسبه فرق وإذا أثبتها بالله جمع وإذا تحقق بالفناء فهو
جمع الجمع ويمكن أن يقال رؤية الأفعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات
جمع الجمع (سئل) بعضهم عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال أفنى
موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسى ثم كلم فكان المكلم والمكلم
هو وكيف كان يطبق موسى حمل الخطاب ورد الجواب لولا بآياه سمع ومعنى
هذا ان الله تعالى منحه قوة بتلك القوة سمع ولولا تلك القوة ما قدر على السمع
ثم أنشد القائل متمثلا

وبدأ له من بعد ما ندمل الهوى برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمتع أركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق نظرا إليه ورده أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سمحت به أجفانه

(ومنها) قولهم التجلى والاستتار (قال) الجنيد انما هو تأديب وتهذيب
وتدوير فالتأديب محل الاستتار وهو لاعوام والتهذيب للخواص وهو التجلى
والتدوير للأولياء وهو المشاهدة وحاصل الاشارات في الاستتار والتجلى راجع
الى ظهور صفات النفس (ومنها) الاستتار وهو اشارة الى غيبة صفات النفس
بالحال قوة صفات القلب (ومنها) التجلى ثم التجلى قد يكون بطريق الأفعال

وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعالى أبقى على الخواص موضع الاستتار رحمة منه لهم ولغيرهم فالما لهم فلائهم به يرجعون الى مصالح النفوس وأما لغيرهم فلائهم لولا مواضع الاستتار لم ينتفع بهم لاستغراقه في جميع الجمع وبروزهم لله الواحد القهار (قال بعضهم) علامة تجلى الحق للأمرار هو أن لا يشهد السر ما يتسلط عليه التعبير ويحويه الفهم فمن عبر أو فهم فهو صاحب استدلال لاناظر اجلال (وقال بعضهم) التجلى رفع حجة البشرية لا أن يتلون ذات الحق عز وجل والاستتار أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب (ومنها التجريد والتفريد) الاشارة منهم في التجريد والتفريد ان العبد يتجرد عن الأغراض فيما يفعله لا يأتي بما يأتي به نظرا الى الأغراض في الدنيا والآخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وانقيادا والتفريد أن لا يرى نفسه فيما يأتي به بل يرى منة الله عليه فالتجريد بنفى الاغيار والتفريد بنفى نفسه واستغراقه في رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه (ومنها الوجد والتواجد والوجود) فالوجد ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أو حزنا ويغيره عن هيئته ويتطلع الى الله تعالى وهو فرحة يمجدها المغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها إلى الله تعالى والتواجد استجلاب الوجد بالذكر والتفكير والوجود اتساع فرجة الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال وقد قيل

قد كان يطربنى وجدى فأقعدني عن رؤية الوجد من في الوجد موجود

والوجد يطرب من في الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقود

(ومنها الغلبة) الغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة كمتلاحق البرق وتواتره يغيب عن التمييز فالوجد ينطفئ سريعا والغلبة تبقى للأمرار حرايرا منيعا (ومنها) المسامرة وهي تفرد الأرواح بخفى مناجاتها ولطيف مناجاتها في سر السر بلطيف ادراكها للقلب لتفرد الروح بها فتلتمذ بها دون القلب (ومنها) السكر والصحو فالسكر استيلاء سلطان الحال والصحو العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال (قال) محمد بن خفيف السكر غلبان القلب عند معارضات ذكر المحبوب (وقال)

الواسطى مقامات الوجد أربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع بالبحر
ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج فعلى هذا من بقى عليه أثر من سريان الحال
فيه فعليه أثر من السكر ومن عاد كل شيء منه إلى مستقره فهو صاح فالسكر لأرباب
القلوب والصحو للكاشفين بمحقق الغيوب (ومنها) المحو والاثبات المحو بإزالة
أوصاف النفوس والاثبات بما أدير عليهم من آثار الحب كثروس أو المحو محو رسوم
الأعمال بنظر الفناء إلى نفسه وما منه والاثبات اثباتها بما أنشأ الحق له من الوجود
به فهو بالحق لا بنفسه باثبات الحق إياه مستأنفا بعد أن محاه عن أوصافه * قال
ابن عطاء يحو أوصافهم وينبت أسرارهم (ومنها) علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشف
والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الاتصال بورود رائد الوصال
قال فارس علم اليقين لا اضطراب فيه وعين اليقين هو العلم الذي أودعه الله الأسرار والعلم
إذا انفرد عن نعت اليقين كان علما بشبهة فإذا انضم إليه اليقين كان علما بلا شبهة وحق
اليقين هو حقيقة ما أشار إليه علم اليقين وعين اليقين وقال الجنيد حق اليقين ما يتحقق
العبد بذلك وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان وبحكم على الغيب
فيخبر عنه بالصدق كما أخبر الصديق حين قال لما قال له رسول الله ﷺ ماذا أبقيت
لعمالك قال الله ورسوله وقال بعضهم علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع وحق
اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل لليقين اسم ورسم وعين وحق فلا سم
والرسم للعوام وعلم اليقين للأولياء وعين اليقين للخوارج والأولياء وحق اليقين
للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا محمد ﷺ (ومنها
الوقت) والمراد بالوقت ما هو غالب على العبد وأغلب ما على العبد وقته فانه كالسيف
يمضي الوقت بحكمه ويقطع وقد يراد بالوقت ما يجمع على العبد لا بكسبه فيتصرف فيه
فيكون بحكمه يقال فلان بحكم الوقت يعنى مأخوذا عما منه بما للحق (ومنها الغيبة
والشهود) فالشهود هو الحضور وقتا بنعت المراقبة ووقتا بوصف المشاهدة فإدام
العبد موصوفا بالشهود والرماية فهو حاضر فإذا فقد حال المشاهدة والمراقبة خرج
من دائرة الحضور فهو غائب وقد يعنون بالغيبة عن الأشياء بالحق فيكون على هذا

المعنى حاصل ذلك راجعا إلى مقام الفناء (ومنها الذوق والشرب والرى) فالذوق
 إيمان والشرب علم والرى حال فالذوق لأرباب البوادر والشرب لأرباب الطوابع
 واللوائح واللوامع والرى لأرباب الأحوال وذلك ان الأحوال هي التي تستقر فما لم
 يستقر فليس بحال وإنما هي لوامع وطوابع وقيل الحال لا تستقر لأنها تحول فاذا
 استقرت تكون مقاما (ومنها المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة) فالمحاضرة لأرباب
 التلوين والمشاهدة لأرباب التمكين والمكاشفة بينهما إلى أن تستقر فالمشاهدة
 والمحاضرة لأهل العلم والمكاشفة لأهل العين والمشاهدة لأهل الحق أى حق اليقين
 (ومنها الطوارق والبوادي والবাদة والواقع والقادح والطوابع واللاوامع واللوائح)
 وهذه كلها ألفاظ متقاربة المعنى ويمكن بساط القول فيها ويكون حاصل ذلك راجعا
 إلى معنى واحد يثرى بالعارة فلا فائدة فيه والمقصود ان هذه الأسماء كلها مبادي
 الحال ومقدماته وإذا صح الحال استوعب هذه الأسماء كلها ومعانيها (ومنها التلوين
 والتمكين) فالتلوين لأرباب القلوب لأنهم تحت حجب القلوب وللقلوب تخلص إلى
 الصفات وللصفات تعدد بتعدد جهاتها فظهر لأرباب القلوب بحسب تعدد الصفات
 تلوينات ولا تجاوز للقلوب وأربابها عن عالم الصفات وأما أرباب التمكين فخرجوا عن
 مشائم الأحوال وخرجوا حجب القلوب وباشرت أرواحهم سطوع نور الذات
 فارتفع التلوين لعدم التغير في الذات إذ جلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات فلما
 خلصوا إلى مواطن الترب من أنصبه تجلى الذات ارتفع عنهم التلوين فالتلوين حينئذ
 يكون في نفوسهم لأنها في محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلوين الواقع في
 النفوس لا يخرج صاحبه عن حال التمكين لأن جريان التلوين في النفس لبقاء رسم
 الانسانية وثبوت القدم في التمكين كشف حق الحقيقة وليس المعنى بالتمكين أن
 لا يكون للعبد تغير فانه بشر وإنما المعنى فيه ان ما كوشف من الحقيقة لا يتوارى عنه
 أبدا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التلوين قد يتناقص الشيء في حقه عند ظهور
 صفات نفسه وتغيب عنه الحقيقة في بعض الأحوال ويكون ثبوته على مستقر الايمان
 وتلوينه في زوائد الاحوال (ومنها النفس) ويقال النفس للمنتهى والوقت
 (٢٤ - عوارف المعارف)

للمبتدى والحال للمتوسط فكأنه اشارة منهم إلى ان المبتدىء يطرقه من الله تعالى طارق لا يستقر والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه والمنتهى صاحب نفس متمكن من الحال لا يتناوب عليه الحال بالغيبة والحضور بل تكون المواجيد مقرونة بأنقاسه مقيمة لا تتناوب عليه وهذه كلها أحوال لأربابها ولهم منها ذوق وشرب والله ينفع ببركتهم آمين

❦ الباب الثالث والستون في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها ❦

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي قال أنا الشريف أبو طالب الحسين بن محمد الزيني قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكى الكشميهني قال أنا أبو عبد الله محمد بن يوسف القربري قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري قال حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان بن عيينة قال حدثنا يحيى بن سعيد الانصاري قال أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي انه سمع علقمة ابن وقاص قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول على المنبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هوجر إليه * النية أول العمل وبحسبها يكون العمل وأهم ما للمريد في ابتداء امره في طريق القوم ان يدخل طريق الصوفية ويتزيا بزيمهم ويجالس طائفتهم لله تعالى فان دخوله في طريقهم هجرة حاله ووقته (وقد ورد) المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه وقد قال الله تعالى * ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله فالمريد ينبغي أن يخرج إلى طريق القوم لله تعالى فانه ان وصل إلى نهايات القوم فقد لحق بالقوم بالمنزل وان ادركه الموت قبل الوصول إلى نهايات القوم فاجره على الله وكل من كانت بدايته احكم كانت نهايته اتم (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن ابن خاف عن أبي عبد الرحمن عن أبي العباس البغدادى عن جعفر الخلدی قال سمعت الجنيد يقول أكثر العوائق والحوائل والموانع من فساد الابتداء فالمريد في أول سلوكه هذا الطريق يحتاج إلى أحكام النية وأحكام النية تنزيها من دواعي الهوى وكل ما كان لانفس فيه حظ

حاجل حتى يكون خروجه خالصاً لله تعالى (وكتب) سالم بن عبدالله إلى عمر بن
 عبدالعزيز اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له ومن
 قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك (وكتب) بعض الصالحين إلى أخيه
 أخلص النية في أعمالك يكتفك قليل من العمل ومن لم يهتد إلى النية بنفسه يصحب
 من يعلمه حسن النية قال سهل بن عبدالله التستري أول ما يؤثر به المرید المبتديء
 التبري من الحركات المذمومة ثم النقل إلى الحركات المحمودة ثم التفرد لأمر الله
 تعالى ثم التوقف في الرشاد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المناجاة ثم المصافاة ثم
 الموالاتة ويكون الرضا والتسليم مراده والتفويض والتوكل حاله ثم بمن الله تعالى
 بعد هذه المعرفة فيكون مقامه عند الله مقام المتبرئين من الحول والقوة وهذا
 مقام حملة العرش وليس بعده مقام هذا من كلام سهل جميع فيه ما في البداية
 والنهاية ومتي تمسك المرید بالصدق والاخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا تحقق صدقه
 واخلاصه شيء مثل متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق فكل الافات التي
 دخلت على أهل البدايات لموضع نظرهم إلى الخلق وبلغنا عن رسول الله ﷺ
 أنه قال لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالاباعر ثم يرجع إلى نفسه
 فيراها أصغر صاغر أشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد
 بعاداتهم (قال) أحمد بن خضرويه من أحب أن يكون الله تعالى معه على كل حال
 فليزِم الصدق فإن الله تعالى مع الصادقين وقد ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ
 الصدق يهدي إلى البر ولا بد للمرید من الخروج من المال والجاه والخروج عن
 الخلق بقطع النظر عنهم إلى أن يحكم أساسه فيعلم دقائق الهوى وخفايا شهوات
 النفس وأنقش شيء للمرید معرفة النفس ولا يقوم بواجب حق معرفة النفس
 من له في الدنيا حاجة من طلب الفضول والزيادات أو عليه من الهوى بقية (قال) زيد
 ابن أسلم خصلتان هما كمال أمرك تصبح لاهم لله بمعصية وتمسى ولاهم لله بمعصية
 فإذا أحكم الزهد والتقوى انكشفت له النفس وخرجت من حجبها وعلم طريق
 حركتها وخفي شهواتها ودسائسها وتليساتها ومن تمسك بالصدق فقد
 تمسك بالعروة الوثقى (قال ذو النون) لله تعالى في أرضه سيف ما وضع

على شيء الاقطع وهو الصدق ونقل في معنى الصدق ان طابدا من بنى إسرائيل
واودته مملكة عن نفسه فقال اجعلوا إلي ماء في الخلاء اتنظف به ثم صعد على
موضع في القصر فرمى بنفسه فأوحى الله تعالى إلى ملك الهواء ان الزم عبدى قال
فلزمه ووضعه على الأرض وضعا رقيقا فليل لا بليس إلا أغويته فقال ليس لى
سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى (وينبغى) للمريد ان تكون له
فى كل شيء نية لله تعالى حتى فى أكله وشربه وملبوسه فلا يلبس إلا لله ولا يأكل
إلا لله ولا يشرب إلا لله ولا ينام إلا لله لأن هذه كلها ارفاق ادخلها على النفس كانت
لله لاتستعصى النفس وتنجيب إلى مايراد منها من المعاملة لله والاخلاص وإذا
دخل فى شيء من رفق النفس لله بغير نية صالحة صار ذلك وبالا عليه وقد ورد
فى الخبر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من الممك
الاذفر ومن تطيب لغير الله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة
(وقيل) كان أنس يقول طيبوا كفى بمسك فن ثابتا يصالحنى ويقبل بدى
وقد كانوا يحسنون اللباس للصلاة متقربين بذلك إلى الله بنيتهم فالمرید ينبغي أن
يتفقد جميع أحواله وأعماله وأقواله ولا يسامح نفسه أن تتحرك بحركة أو تتكلم
بكلمة إلا لله تعالى وقد رأينا من أصحاب شيخنا من كان ينوى عند كل لقمة
ويقول بلسانه أيضاً أكل هذه اللقمة لله تعالى ولا ينفع القول إذا لم تكن النية
فى القلب لأن النية عمل القلب وإنما اللسان ترجمان فما لم تشتمل عليها عزيمة القلب
لله لا تكون نية (ونادى) رجل امرأته وكان يسرح شعره فقال هات المدرى
أراد الميل ليفرق شعره فقالت له امرأته أجيء بالمدرى والمرأة فسكت ثم قال
نعم فقال له من سمعه سكت وتوقفت عن المرأة ثم قلت نعم فقال إني قلت لها
هات المدرى بنية فلما قالت والمرأة لم يكن لى فى المرأة نية فتوقفت حتى هيا الله
تعالى لى نية فقلت نعم وكل مبتدئ لا يحكم أساس بدايته بمهاجرة الآلاف
والاصدقاء والمعارف ويتمسك بالوحدة لا تستقر بدايته وقد قيل من قلة الصدق
كثيرة الخطاء وانفع ماله لزوم الصمت وأن لا يطرق سمعه كلام الناس فان باطنه
يتغير ويتأثر بالأقوال المختلفة وكل من لا يعلم كمال زهده فى الدنيا وتمسكه بحقائق

التقوى لا يعرفه أبداً فإن عدم معرفته لا يفتح عليه خيراً وبواطن أهل الابتداء كالسمع تقبل كل نقش وربما استنصر المبتدي بمجرد النظر إلى الناس ويستنصر بفضل النظر أيضاً وفضول المشي فيقف الأشياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة حتى لو مشى في بعض الطريق يجتهد أن يكون نظره إلى الطريق الذي يسلكه لا يلتفت يمينه ويساره ثم يتقى موضع نظر الناس إليه وإحساسهم منه بالرعاية والاحتراز فإن علم الناس منه بذلك أضر عليه من فعله ولا يستحق فضل المشي فإن كل شيء من قول وفعل ونظر وسمع خرج عن حد الضرورة جر إلى الفضول ثم يجر إلى تضییع الأصول (قال سفیان) إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول فكل من لا يتمسك بالضرورة في القول والفعل لا يقدر أن يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومتى تعدى الضرورة تداعت عزائم قلبه وانحلت شيئاً بعد شيء (قال سهل بن عبدالله) من لم يعبد الله اختياراً يعبد الخلق اضطراداً وينفتح على العبد أبواب الرخص والاتساع ويهلك مع الهالكين ولا ينبغى للمبتدي أن يعرف أحداً من أرباب الدنيا فإن معرفته لهم سم قاتل وقد ورد الدنيا مبعوضة الله فمن تمسك بحبل منها قاده إلى النار وما حبل من حبالها إلا كأبنائها والطالبين لها والخبين فمن عرفهم انجذب إليها شاء أو أبي ويحترز المبتدي عن مجالسة الفقراء الذين لا يقولون بقيام الليل وصيام النهار فإنه يدخل عليه منهم أشراً يدخل عليه بمجالسة أبناء الدنيا وربما يشيرون إلى أن الأعمال شغل المتعبدين وإن أرباب الأحوال ارتقوا عن ذلك وينبغي للفقير أن يقتصر على الفرائض وصوم رمضان فحسب ولا ينبغي أن يدخل هذا الكلام سمعه رأساً فانا اخترنا ومارسنا الأمور كلها وجالسنا الفقراء والصالحين ورأينا أن الذين يقولون هذا القول ويرون الفرائض دون الزيادات والنوافل تحت القصور مع كونهم أصحاء في أحوالهم فعلى العبد التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك يثبت قدمه في بدايته ويراعى يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصاً لا يمزجه بشيء من أحوال نفسه ومار بها ويكر إلى الجامع قبل طلوع الشمس بعد الغسل للجمعة وإن اغتسل قريباً من وقت الصلاة إذا أمكنه ذلك فحين قال رسول الله ﷺ

يا أبا هريرة اغتسل للجمعة ولو اشترت الماء بعشائك وما من نبي إلا وقد أمره الله تعالى أن يغتسل للجمعة فان غسل الجمعة كفارة للذنوب ما بين الجمعتين ويشتغل بالصلاة والتضرع والدعاء والتلاوة وأنواع الأذكار من غير فتور إلى أن يصلي الجمعة ويجلس معتكفا في الجامع إلى أن يصلي فرض العصر وبقية النهار يشغله بالتسبيح والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ فانه يرى بركة ذلك في جميع الأسبوع حتي يرى ثمرة ذلك يوم الجمعة وقد كان من الصادقين من يضبط أحواله وأقواله وأفعاله جميع الأسبوع لأنه يوم المزيد لكل صادق ويكون ما يجده يوم الجمعة معيارا يعتبر به سائر الأسبوع الذي مضى فانه إذا كان الأسبوع سليما يكون يوم الجمعة فيه مزيد الأنوار والبركات وما يجده في يوم الجمعة من الظلمة وسامة النفس وقلة الانشراح فلما ضيع في الأسبوع يعرف ذلك ويعتبره ويتقي جدا أن يلبس للناس أما المرتفع من الثياب أو ثياب المتكشفين ليرى بعين الزهد فني لبس المرتفع للناس هوي وفي لبس الخشن رياء فلا يلبس إلا الله بلغنا أن سفيان لبس القميص مقلوبا ولم يعلم بذلك حتى ارتفع النهار ونبهه على ذلك بعض الناس فهم أن يخلع ويغير ثم امسك وقال لبسته بنية لله فلا أغیره فالبسه بنية للناس فليعلم العبد ذلك وليعتبره ولا بد للمبتدئ أن يكون له حظ من تلاوة القرآن ومن حفظه فيحفظ من القرآن من السبع إلى الجميع إلى أقل أو أكثر كيف أمكن ولا يصغى إلى قول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن فانه يجد بتلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما يمتنى بتوفيق الله تعالى وإنما اختار بعض المشايخ أن يديم المرید ذكرا واحدا ليجتمع لهم فيه ومن لازم التلاوة في الخلوة وتمسك بالوحدة تفيد التلاوة والصلاة أوفى ما يفيد الذكركر الواحد فإذا سئم في بعض الأحيان يصانع النفس على الذكركر مصانعة وينزل من التلاوة إلى الذكركر فانه أخف على النفس وينبغي أن يعلم أن الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يعتمد به كل الاعتداد فانه عمل ناقص ولا يحقر الوسواس وحديث النفس فانه مضر وداء عضال فيطالب نفسه أن تصير في تلاوة معنى القرآن مكان حديث

النفس من باطنه فكما أن التلاوة على اللسان هو مشغول بها ولا يمزجها بكلام آخر هكذا يكون معنى القرآن في القلب لا يمزجه بحديث النفس وإن كان أعجب لا يعلم معنى القرآن يكون لمراقبة حلية باطنه فيشتغل باطنه بمطالعة نظر الله إليه مكان حديث النفس فإن بالدوام على ذلك يصير من أرباب المشاهدة (قال مالك) قلوب الصديقين إذا سمعت القرآن طربت إلى الآخرة فليتمسك المرید بهذه الأصول وليستعن بدوام الافتقار إلى الله فبذلك ثبات قدمه (قال سهل) على قدر لزوم الاتجاء والافتقار إلى الله تعالى يعرف البلاء وعلى قدر معرفته بالبلاء يكون افتقاره إلى الله فدام الافتقار إلى الله أصل كل خير ومفتاح كل علم دقيق في طريق القوم وهذا الافتقار مع كل الأنفاس لا يتشبث بحركة ولا يستقل بكلمة دون الافتقار إلى الله فيها وكل كلمة وحركة خلت عن مراجعة الله والافتقار فيها لا تعقب خيرا قطعاً علمنا ذلك وتحققناه وقال سهل من انتقل من نفس إلى نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله وأدنى ما يدخل على من ضيع حاله دخوله فيما لا يعنيه وتركه ما يعنيه (وبلغنا) أن حسان بن سنان قال ذات يوم لمن هذه الدار ثم رجع إلى نفسه وقال مالي وهذا السؤال وهل هذه إلا كلمة لا تعينني وهل هذا إلا لاستيلاء نفسى وقلة أدبها وآلى على نفسه أن يصوم سنة كفارة لهذه الكلمة فبالصدق نالوا ما نالوا وبقوة العزائم عزائم الرجال بلغوا ما بلغوا (أخبرنا) أبو زرعة اجازة قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصور يقول سمعت أبا عمرو الأنطاقي يقول سمعت الجنيد يقول لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاتته من الله أكثر مما ناله وهذه الجملة يحتاج المبتدئ أن يحكمها والمختصى عالم بها عامل بحقائقها فالمبتدئ صادق والمختصى صديق قال أبو سعيد القرشي الصادق الذي ظاهره مستقيم وباطنه يعيل أحياناً إلى حظ النفس وعلامته أن يجد الخلوة في بعض الطاعة ولا يمجدها في بعض وإذا اشتغل بالذكر نور الروح يحفظ النفس يحجب عن الأذكار والصدق الذي استقام ظاهره وباطنه يعبد الله تعالى بتلوين الأحوال لا يحجبه عن الله وعن الأذكار أكل ولا نوم ولا شرب ولا طعام والصديق يريد نفسه لله وأقرب

الأحوال إلى النبوة الصديقية (وقال أبو يزيد) آخر نهايات الصديقين أول درجات الأنبياء * واعلم أن أبواب النهايات استقامت بواطنهم وظواهرهم لله وأرواحهم خلصت عن ظلمات النفوس ووطئت بساط القرب ونفوسهم منقادة مطاوعة صالحة مع القلب محببة إلى كل ما تحبب إليه القلوب أرواحهم متعلقة بالمقام الأعلى انطلقت فيهم نيران الهوى وتخمر في بواطنهم صريح العلم وانكشفت لهم الآخرة كما قال رسول الله ﷺ في حق أبي بكر رضي الله عنه من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فليُنظر إلى أبي بكر إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى ما كوشف به من صريح العلم الذي لا يصل إليه أعوام المؤمنين إلا بعد الموت حيث يقال فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فأرباب النهايات ماتت أهويتهم وخلصت أرواحهم (قال) يحيى بن معاذ وقد سئل عن وصف العارف فقال رجل معهم بائن منهم وقال مرة عبد كان فبان فأرباب النهايات هم عند الله بحقيقتهم معوقين بتوقيات الأجل جعلهم الله تعالى من جنوده في خلقه بهم يهدي وبهم يرشد وبهم يجذب أهل الإرادة كلامهم دواء ونظرهم دواء ظاهرهم محفوظ بالحكم وبواطنهم معمور بالعلم (قال ذو النون) علامة العارف ثلاثة لا يطفى نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك أستار محارم الله فأرباب النهايات كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية وكلما ازدادوا ديناً ازدادوا قرباً وكلما ازدادوا جاهاً ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكلما تناولوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت منهم شكر اصفايا يتناولون الشهوات تارة رفقا بالنفوس لأنها معهم كالطفل الذي يلطف بالشيء ويهدى له شيء لأنه مقهور تحت السياسة مرحوم ملطوف به وتارة يمنعون نفوسهم الشهوات تاسيا بالأنبياء واختيارهم التقليل من الشهوات الدنيوية قال يحيى بن معاذ الدنيا عروس تظليها مشطتها والزاهد فيها يسخّم وجهها وينتف شعرها ويحرق ثوبها والعارف بالله مشغول بسيده ولا يلتفت إليها (واعلم) أن المنتهى مع كمال حاله لا يستغنى أيضا عن سياسة النفس ومنعها الشهوات وأخذ الحظ من زيادة

الصيام والقيام وأنواع البر وقد غلط في هذا خلق وظنوا أن المنتهى استغنى عن الزبادات والنوافل ولا على قلبه من الاسترسال في تناول الملاذ والشهوات وهذا خطأ لا من حيث أنه يحجب العارف عن معرفته ولكن يوقف عن مقام المزيد وقوم لما رأوا أن هذه الأشياء لا تؤثر فيهم قسوة ولا تورثهم حجة ركنوا إليها واسترسلوا فيها وقنعوا بأداء الفرائض واتسعوا في المأكل والمشرب وهذا الانبساط منهم بقية من سكر الأحوال وتقييد بنور الحال وعدم التخلص بالكلية إلى نور الحق ومن تخلص من نور الحال إلى نور الحق يذهب عنه بقايا السكر ويوقف نفسه مقام العبيد كأحد عوام المؤمنين يتقرب بالصلاة والصوم وأنواع البر حتى باماطة الأذى عن الطريق ولا يستكبر ولا تستكف أن يعود في صور عوام المؤمنين من اظهار الارادة بكل بر وصلة فيتناول الشهوات وقتا رفقا بالنفس المطهرة المزكاة المتقادة المطوعة لأنها أسيرته ويمنعها الشهوات وقتا لأن في ذلك صلاحها واعتبر هذا سواء بحال السبي فانه إن جاوز حد الاعتدال من اعطاء المراد وقتا ومنعه وقتا انقسم طبعه لأن الجبلة لا بد من قمعها بسياسة العلم وما دامت الجبلة باقية لا بد من سياسة العلم وهذا باب غامض دخل في النهايات على المنتهى من ذلك دواخل ووقع الركون وانسد به باب المزيد فالمنتهى ملك ناصية الاختيار في الآخذ والترك ولا بد له من أخذ وترك في الأعمال والحظوظ ففي الأعمال لا بد له من أخذ وترك فتارة يأتي بالأعمال كأحد الصادقين وتارة يترك زيادة الأعمال رفقا بالنفس وتارة يأخذ الحظوظ والشهوات رفقا بالنفس وتارة يتركها اقتقادا للنفس بحسن السياسة فيكون في ذلك كله مختارا فمن ساكن ترك الحظوظ بالكلية فهو زائد تارك بالكلية ومن استرسل في أخذها فهو راغب بالكلية والمنتهى شمل الطرفين فانه على غاية الاعتدال واقف على الصراط بين الافراط والتفريط فمن ردت اليه الاقسام في النهاية فأخذها زاهدا في الزهد فهو تحت قهر الحال من ترك الاختيار وتارك الاختيار الواقف مع فعل الله تعالى مقيد بالحال وكما ان الزاهد مقيد بالترك تارك الاختيار فكذلك الزاهد في الزهد الآخذ من الدنيا ما سبق اليه لرؤيته فعلى الله مقيدا بالآخذ

وإذا استقرت النهاية لا يتقيد بالأخذ ولا بالترك بل يترك وقتا واختياره من اختيار الله ويأخذ وقتا واختياره من اختيار الله وهكذا صومه النافلة وصلاته النافلة يأتي بها وقتا ويسمح للنفس وقتا لأنه مختار صحيح في الاختيار في الحالين وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية وكل حال يستقر ويستقيم يشاكل حال رسول الله ﷺ وهكذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل ولا يقوم الليل كله ويصوم من الشهر كله غير رمضان ويتناول الشهوات ولما قال الرجل انني عزمت أن لا آكل اللحم قال فاني آكل اللحم وأحبه ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لأطعمني وذلك يدلك على ان رسول الله ﷺ كان مختارا في ذلك إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل وكان يترك الأكل اختيارا وقد دخلت الفتنة على قوم كلما قيل لهم ان رسول الله ﷺ فعل كذا يقولون كان رسول الله ﷺ مشرعا وهذا إذا قالوه على معنى انه لا يلزمهم التأسي به جهل محض فان الرخصة الوقوف على حد قوله والعزيمة التأسي بفعله وقول رسول الله ﷺ لارباب الرخص وفعله لارباب العزائم ثم ان المنتهى يحاكي حاله حال رسول الله عليه الصلاة والسلام في دعاء الخلق إلى الحق فكل ما كان يعتمد عليه رسول الله ﷺ ينبغي أن يعتمد عليه فكان قيام رسول الله ﷺ وصيامه الزائد لا يخلو اما انه كان ليقتهدي به واما انه كان لمزيد كان يحبه بذلك فان كان ليقتهدي به فالمنتهى أيضا مقتدى به ينبغي أن يأتي بمثل ذلك والصحيح الحق ان رسول الله ﷺ لم يفعل ذلك لجرد الاقتداء بل كان يحبه بذلك زيادة وهو ما ذكرناه من تهذيب الجبل * قال الله تعالى خطابا له (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) لانه بذلك ازداد استمدادا من الحضرة الالهية وقرع باب الكرم وألني عليه الصلاة والسلام مفتقر إلى الزيادة من الله تعالى غير مستغن عن ذلك ثم في ذلك سر غريب وذلك ان رسول الله ﷺ برابطة جنسية النفس كان يدعو الخلق إلى الحق ولولا رابطة الجنسية ما وصلوا اليه ولا انتفعوا به وبين نفسه الطاهرة ونفوس الاتباع برابطة التأليف كما بين روحه وأرواحهم رابطة التأليف ان النفوس ألفت أنفا كما ان الارواح ألفت أولا ولكل روح مع نفسه تأليف خاص والسكون والتأليف

والامتزاج واقع بين الارواح والنفوس وكان رسول الله ﷺ يديم العمل
لنصفية نفسه ونفوس الاتباع فما احتاج اليه نفسه من ذلك ناله وما فضل من
ذلك وصل إلي نفوس الامة وهكذا المنتهى مع الاصحاب والاتباع على هذا المعنى
فلا يتخلف عن الزيادات والنوافل ولا يسترسل في الشهوات واللذات إلا بدلالة
تخص النفس ولا يعطى الاعتدال حقه من ذلك إلا بتأييد الله تعالى ونور الحكمة
وكل من يحتاج إلى صحة الجلوة للغير لا بد له من خلوة صحيحة بالحق حتى تكون
جلوته في حماية خلوته ومن يترأى له ان أوقاته كلها خلوة وأنه لا يحجبه شيء
وان أوقاته بالله والله ولا يرى نقصانا لأن الله ما فطنه لحقيقة المزيد فهو صحيح
في حاله غير انه تحت قصور لانه مانبه لسياسة الجلبة وما عرف مر تملك الاختيار
وما وقف من البيان على البيضاء النقية وقد نقلت عن المشايخ كلمات فيها موضع
الاشتباه فقد يسمعا الانسان ويبني عليها والأولى أن يفتقر إلى الله تعالى في أى
كلمة يسمعا حتى يسمعه الله من ذلك الصواب (نقل) عن بعضهم أنه سئل عن
كمال المعرفة فقال إذا اجتمعت المتفرقات واستوت الأحوال والأماكن وسقطت
رؤية التمييز ومثل هذا القول يوهى أن لا يبقى تمييز بين الخلوة والجلوة وبين
القيام بصور الأعمال وبين تركها ولم يفهم منه ان القائل أراد بذلك معنى خاصا
يعنى ان حظ المعرفة لا يتغير بحال من الأحوال وهذا صحيح لأن حظ المعرفة
لا يتغير ولا يفتقر الى التمييز وتستوى الأحوال فيه ولكن حظ المرید يتغير
ويحتاج إلى التمييز وليس في هذا الكلام وأمثاله ما ينافي ما ذكرناه (قيل) لحمد
ابن الفضل حاجة العارفين إلى ماذا قال حاجتهم إلى الخصلة التي كملت بها المحاسن
كلها ألا وهي الاستقامة وكل من كان أتم معرفة كان أتم استقامة فاستقامة أرباب
النهاية على التمام والعبد في الابتداء مأخوذ في الأعمال محجوب بها عن الأحوال
وفي التوسط محفوظ بالأحوال فقد يحجب عن الأعمال وفي الانتهاء لا تحجبه
الأعمال عن الأحوال ولا الأحوال عن الأعمال وذلك هو الفضل العظيم (سئل
الجنيد) عن النهاية فقال هي الرجوع إلى البداية وقد فسر بعضهم قول الجنيد
فقال معناه انه كان في ابتداء أمره في جهل ثم وصل إلى المعرفة ثم رد إلى التحير

والجهل وهو كالطفولية يكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالى (لكيلا يعلم
 بعد علم شيئاً) وقال بعضهم أعرف الخلق بالله أشدهم تحميراً فيه ويجوز أن يكون معنى
 ذلك ما ذكرناه انه يبادي الأعمال ثم يرقى إلى الأحوال ثم يجمع له بين الأعمال
 والأحوال وهذا يكون المنتهى المراد المأخوذ في طريق المحبوبين تنجذب روحه
 إلى الحضرة الإلهية وتستتبع القلب والقلب يستتبع النفس والنفس تستتبع
 القلب فيكون بكنيته قائماً بالله ساجداً بين يدي الله تعالى كما قال رسول الله ﷺ
 سجد لك سوادى وخيالى وقال الله تعالى (والله يسجد من في السموات والأرض
 طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) والظلال والقواب تسجد بسجود
 الأرواح وعند ذلك تسرى روح المحبة في جميع أجزائهم وابعاضهم فيتلذذون
 ويتنعمون بذكر الله تعالى وتلاوة كلامه محبة ووداً فيحبهم الله تعالى ويحبهم
 إلى خلقه نعمة منه عليهم وفضلاً على ما أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب
 السهروردى رحمه الله قال أنا أبو طالب الزينى قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أنا
 أبوالهيثم الكشميهنى قال أنا عبد الله الفريرى قال أنا أبو عبد الله البخارى قال
 حدثني اسحق قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار
 عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
 ان الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل ان الله تعالى قد أحب فلاناً فأحبه
 فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى السماء ان الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه
 أهل السماء ويوضع له القبول فى الارض وبالله العون والعصمة والتوفيق
 تم بحمد الله المعيد المبدى كتاب عوارف المعارف

للامام السهروردى والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى

آله وصحبه

أجمعين

﴿ فهرست كتاب عوارف المعارف ﴾

صحيفة

٢	مقدمة الكتاب
٧	الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية
١٣	الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع
٢٢	الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والاشارة إلى أنموذج منها
٣٥	الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقتهم
٤٠	الباب الخامس في ماهية التصوف
٤٥	الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم
٤٩	الباب السابع في ذكر المتصوف والمتشبه به
٥٣	الباب الثامن في ذكر الملامتي وشرح حاله
٥٦	الباب التاسع في ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم
٦٠	الباب العاشر في شرح رتبة المشيخة
٦٦	الباب الحادى عشر في شرح حال الخادم ومن يتشبه به
٦٩	الباب الثانى عشر في شرح خرقة المشايخ الصوفية
٧٥	الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الرباط
٧٨	الباب الرابع عشر في مشابة أهل الرباط بأهل الصفة
٨١	الباب الخامس عشر في خصائص أهل الربط والصوفية الخ
٨٦	الباب السادس عشر في ذكر اختلاف أحوال مشايخهم الخ
٩٤	الباب السابع عشر فيما يحتاج اليه الصوفى في سفره الخ
٩٩	الباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط الخ
١٠٥	الباب التاسع عشر في حال الصوفى المتسبب
١٠٩	الباب العشرون في ذكر من يأكل من الفتوح
١١٦	الباب الحادى والعشرون في شرح حال المتجرد والمتأهل الخ
١٢٤	الباب الثانى والعشرون في القول في السماع قبولاً وإيناراً

- ١٣٤ الباب الثالث والعشرون في القول في السماع ردا وإنكارا
 ١٣٧ الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترغبا واستغناء
 ١٤٢ الباب الخامس والعشرون في القول في السماع تأديبا واعتناء
 ١٤٧ الباب السادس والعشرون في خاصية الأربعينية الخ
 ١٥٢ الباب السابع والعشرون في ذكر فتوح الأربعينية
 ١٥٨ الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الأربعينية
 ١٦٣ الباب التاسع والعشرون في أخلاق الصوفية وشرح الخلق
 ١٧٠ الباب الثلاثون في تمصيل أخلاق الصوفية
 ١٩٦ الباب الحادي والثلاثون في ذكر الادب ومكانه من التصوف
 ١٩٩ الباب الثاني والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لاهل القرب
 ٢٠٣ الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
 ٢٠٦ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره
 ٢٠٩ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية الخ
 ٢١٢ الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها
 ٢١٦ الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب
 ٢٢٤ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها
 ٢٣٠ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره
 ٢٣٢ الباب الاربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والافطار
 ٢٣٤ الباب الحادي والاربعون في آداب الصوم ومهامه
 ٢٣٨ الباب الثاني والاربعون في ذكر الطعام وما فيه الخ
 ٢٤١ الباب الثالث والاربعون في آداب الاكل
 ٢٤٥ الباب الرابع والاربعون في ذكر أدبهم في اللباس الخ
 ٢٥٠ الباب الخامس والاربعون في ذكر فضل قيام الليل
 ٢٥٣ الباب السادس والاربعون في ذكر الاسباب المعينة الخ

- ٢٥٦ الباب السابع والاربعون في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل
 ٢٦١ الباب الثامن والاربعون في تقسيم قيام الليل
 ٢٦٣ الباب التاسع والاربعون في استقبال النهار والادب والعمل فيه
 ٢٧١ الباب الخمسون في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الاوقات
 ٢٨٠ الباب الحادى والخمسون في آداب المريد مع الشيخ
 ٢٨٩ الباب الثانى والخمسون في آداب الشيخ مع المريد وما يعتمد به الخ
 ٢٩٤ الباب الثالث والخمسون في حقيقة الصحبة وما فيها الخ
 ٣٠٠ الباب الرابع والخمسون في أدب حقوق الصحبة والاخوة الخ
 ٣٠٣ الباب الخامس والخمسون في آداب الصحبة والاخوة
 ٣٠٧ الباب السادس والخمسون في معرفة الانسان نفسه الخ
 ٣١٩ الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها
 ٣٢٦ الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما
 ٣٣٠ الباب التاسع والخمسون في الاشارات إلى المقامات الخ
 ٣٣٨ الباب الستون في ذكر اشارات المشايخ في المقامات الخ
 ٣٤٩ الباب الحادى والستون في ذكر الاحوال وشرحها
 ٣٦٤ الباب الثانى والستون في شرح كلمات مشيرة الخ
 ٣٧٠ الباب الثالث والستون في ذكر شىء من البدايات الخ

﴿ بيان ﴾

- ﴿ عن بعض الكتب التي بالمكتبة العلامة ﴾
الكاتبة بشارع الصنادقية بجوار الأزهر الشريف بمصر
- ﴿ رياض الصالحين ﴾ من كلام سيد المرسلين للعالم العارف بالله محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي
- ﴿ مناقب الامام الشافعي رضي الله عنه ﴾ للامام العالم العلامة نضر الملة والدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي رحمه الله تعالى
- ﴿ فتح الرحيم الرحمن ﴾ شرح لامية الاستاذ بن الوردي المسمى نصيحة الاخوان (تأليف) الفاضل السيد الشريف مسعود بن حسن ابن أبي بكر القناوي الشافعي نفعنا الله به
- ﴿ أدب الدنيا والدين ﴾ للعلامة الامام الكبير المحقق الشهير أفضى القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي
- ﴿ طبقات الشاذلية الكبرى ﴾ للفقير إلى مولاه الحسن بن الحاج محمد الكوهن الفاسي الشاذلي الفتحي المغربي غفر الله له
- ﴿ المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ﴾ لحجة الاسلام (الامام أبي حامد الغزالي) المتوفى سنة خمس وخمسمائة هجرية
- ﴿ كتاب الاذكياء ﴾ للشيخ الامام العامل الزاهد الفاضل أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي رضي الله عنه
- ﴿ نوادر القليوبي ﴾ للاستاذ العالم الشيخ أحمد شهاب الدين
- ﴿ حلبة الكميت ﴾ في الأدب والنوار والفكاهات المتعلقة بالخرجات للشيخ شمس الدين محمد بن الحسن النواجي
- ﴿ الفرج بعد الشدة ﴾ تأليف القاضي أبي علي المحسن التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ
- ﴿ الناسخ والمنسوخ ﴾ في القرآن الكريم للامام الأجل الحجة أبي جعفر محمد بن أحمد بن اسماعيل الصفار المرادي النحوي المصري المصنف عرف (بأبي جعفر النحاس) المتوفى سنة ٣٣٨ هـ